



المَوْج العربي

مجلة فصلية تاريخية مدعمة لغوية، بشؤون التاريخ والتراث العربي والعالمي
تصدر عن الرئاسة العامة لإدارة الشؤون الثقافية - الرياض - العدد



مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

شروط نشر البحوث في المجلة

١. ان يعتمد البحث الاسس العلمية في اعداد وكتابة البحوث.
٢. ان يكون متسجيا مع اهدافه اتحاد المؤرخين العرب.
٣. ان لا يزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة.
٤. ان يكون قد سبق نشره ، او قبل للنشر في مجلة اخرى ، على ان يقدم كاتب البحث تعهدا يؤكد ذلك مرفقا برسالة مع البحث موجهة الى مدير التحرير.
٥. تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية ، وباللغتين العربية والانكليزية.
٦. يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة ، ويفضل ان يكون مختصرا ، ويثبت اسم الباحث او اسماء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم
٧. يطبع البحث على وجه واحد من الورقة ، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص ، ويقدم بنسختين.
٨. بالنسبة للبحوث المقدمة الى المؤتمرات او الندوات او كان مستلا من رسالة او اشراف عليها مقدم البحث وتأشير ذلك في حاشية البحث.
٩. لامور فنية خاصة بالطباعة يجب ان توحد الهوامش الخاصة بالبحث من اول هامش في البحث الى اخر هامش فيه ، وتعطي تسلسلا واحدا.
١٠. يحال البحث المقدم للنشر الى خبير مختص ، ويعاد الى كاتبه لاجراء التعديلات المقترحة ان وجدت على ان يعاد الى مدير التحرير في غضون خمسة ايام.
١١. رتب البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبر عن لواء اصحابها مع التأكيد على ان مجلة المؤرخ العربي منبرا تاريخيا قوميا تنطق باسم القضية العربية الكبرى ، والبحوث التي ترد للمجلة لا تسترجع الى اصحابها في حالة عدم نشرها.

ترسل البحوث بأسم مدير التحرير

ص.ب : (٤٠٨٥) بغداد - الجمهورية العراقية

مجلة المؤرخ العربي - اتحاد المؤرخين العرب

ت : (٤٤٤٨٠٠٦)



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إيس دي

تعشرون كافة التبدلات
والاشتراكات السنوية
باسم الناشر صباح صادق
صاحب مطبعة دار
القادسية - بغداد
الاعظمية هـ ٤٢٢٨١٧٤
ص.ب ٤٠١٨

١. البوالت الرسمية في داخل العراق (٥٠) ديناراً ، وفي خارج العراق (١٥٠) دولار امريكي .
٢. للمؤرخين في داخل العراق (٢٠) دينار ، وفي خارج العراق (٦٠) دولار امريكي .
٣. لطلبة التاريخ في داخل العراق (١٠) دينار ، وفي خارج العراق (٣٠) دولار امريكي .



هيئة التحرير

١. الأستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر السامرائي / رئيس التحرير
(الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب)
٢. الدكتور محمد جاسم حمادي الشهداني (مديرا للتحرير)
٣. الدكتورة عالية احمد موسى (محررة للقسم الاجنبي)
٤. الدكتور حسين القهواني (سكرتيرا للتحرير)
٥. الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي (عضوا)
(رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق)
٦. الدكتور عبد المنعم رشاد (عضوا)
(رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين فرع الموصل)
٧. الدكتور جهاد صالح العمر (عضوا)
(رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين فرع البصرة)

الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربي

- ١- الدكتور يوسف غوانمة المملكة الاردنية الهاشمية
- ٢- الدكتورة عائشة السبار دولة الامارات العربية
- ٣- الشيخة هيا ال خليفة دولة البحرين
- ٤- الدكتورة نزيهة محبوب الجمهورية التونسية
- ٥- السيد محمد طويلي الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
- ٦- الاستاذ سميد احمد ورسمه جمهورية جيبوتي
- ٧- الدكتور عبد الله العثيمين المملكة العربية السعودية
- ٧- الاستاذ عامر محمد سامي الحجري سلطنة عمان
- ٩- الدكتور يوسف فضل جمهورية السودان الديمقراطية
- ١٠- الدكتورة ليلى الصباغ الجمهورية العربية السورية
- ١١- الدكتور محمد مختار جمهورية الصومال الديمقراطية
- ١٢- الدكتور وميض جمال عمر نظمي الجمهورية العراقية
- ١٣- الدكتورة خيرية قاسمية فلسطين
- ١٤- الدكتور مصطفى عقيل دولة قطر
- ١٥- الدكتورة نجاة عبد القادر الفناحي دولة الكويت
- ١٦- الدكتور مسعود ظاهر الجمهورية اللبنانية
- ١٧- الدكتورة نجاح القاسبي الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
- ١٨- الدكتور رؤوف عباس حامد جمهورية مصر العربية
- ١٩- الاستاذ محمد الحنش ولد محمد صالح
- ٢٠- الدكتور احمد بوشارب المملكة المغربية
- ٢١- الدكتور يوسف عبد الله الجمهورية العربية اليمنية
- ٢٢- الدكتور صالح رمضان جمهورية اليمن الديمقراطية

المختبرات

كلمة العدد

بحوث التاريخ الحديث والمعاصر

١. الدكتور نظام العباسي قسم التاريخ / للملكة الاردنية الهاشمية
أثر الملاحقة النازية لليهود على تطور الحركة

الصهيونية

٢. الدكتور نوري نجيت

السمرقاني

قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة بغداد

الصراع بين روسيا وانكلترا في اسيا الوسطى

٣. الدكتور احمد ابراهيم دياب قسم البحوث والدراسات التاريخية / معهد

البحوث والدراسات العربية - بغداد

حالة السودان الاجتماعية والسياسية من

١٩٢٥ - ١٩٣٦

٤. الدكتور هاشم صالح

التكريتي

قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة بغداد

التنقل اللامالي في المشرق العربي

٥. الدكتور نوري عبد الحميد

قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة بغداد

المؤرخ توماس كارليل

٦. الدكتور هادي احمد عطف قسم الدراسات الدولية / معهد الدراسات

القومية / الجامعة المستنصرية

الاطاع الصهيونية في الارض العربية

قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة الموصل

التنظيمات المالية في البصرة خلال القرن السادس

عشر

بحوث التاريخ العربي - الاسلامي

٨. الدكتور صباح

الشيخلي

قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة بغداد

حقائق جديدة عن الحركة الرباطية

٩. الدكتور عبد القادر
المطاعبي
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة بغداد
دور أمراء العراق في حركات تحرير الشرق
في العصر الأموي

١٠. الدكتور ابراهيم خليل
احمد
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل
اثر عز الدين ابن الاثير في تطوير الكتابة
التاريخية العربية

١١. الدكتور مoadي عبد
محمد
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة البصرة
حاجب باب النوي

١٢. الدكتور محمد جاسم
حمادي الشهواني
قسم الدراسات التاريخية / معهد الدراسات
القومية / الجامعة المستنصرية
الكتابة في مثالب العرب جانب من جوانب
التحدي الشعبي للامة العربية

١٣. الدكتور خليل ابراهيم
السامرائي
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل
اثر العراق الحضاري على الاندلس

١٤. الدكتور محمود ياسين قسم
الموصل
قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة
الروية التاريخية عند ابن الاثير

١٥. الدكتور خليل شاكر
حسين
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل
دور ابراهيم بن مالك الاشر.

١٦. الدكتور شاكر محمود
عبد المنعم
معهد اعداد المعلمين / بغداد
نظرة في مؤلفات الخورجي مؤرخ اليمن

١٧. السيد صالح مهدي
عباس
مركز احياء التراث / بغداد
محمد بن رافع السلامي سيرته ومؤلفاته

١٨. الدكتور حسن عيسى
الحكيم
كلية الفقه / الجامعة المستنصرية
مع النجاشي الاسدي في كتابة الفهرست

١٩. الدكتور صلاح الدين
امين
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل
حركة عمرو بن سعيد الاشلق

بحوث التاريخ القديم والآثار



٢٠. الدكتور سامي سعيد
قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة بغداد
ميردوس وكتابه

عرض الكتب وتلقاها

١. منج السعدي في بحث
الفتاوى والقرق الدينية
عرض الدكتور محمد جاسم
جادي الشهداني

٢. العراق في الوثائق البريطانية

سنة ١٩٣٦ م
٣. فلسطين تاريخها وحضارتها عرض الدكتور سامي سعيد الاحمد

٤. الفكر السياسي في العراق
المعاصر

١٩٥٨ - ١٩٦٤

٥. واسط في العصر العباسي عرض الدكتور حمدان الكبيسي

عرض الرسائل العلمية الجامعية التاريخية

١. ايران في سنوات الحرب
الحالية الاولى عرض أسامة عبد الرحمن النوري

٢. عدن دراسة في احوالها

السياسية والاقتصادية عرض شايف عبده سعيد

٢٢٧ - ٢٢٨

١٠٨٣ - ١٢٢٩ م

٣. عقائد ما بعد الموت في

حضارة بلاد الرافدين القديمة عرض الدكتور سامي سعيد الاحمد

٤. موارد البلاغى عن الاسرة الاموية في كتابه انساب الاشراف

عرض للدكتورة اعتماد يوسف القصيري

٥. مساجد بغداد في العهد

العثماني عرض الدكتور محمد جاسم الشهداني

ندوة العدد :

الندوة الدولية (الخليج العربي والعالم الخارجي)

بغداد ٢٩ / ٤ - ١ / ٥ / ١٩٨٤

كلمة العدد

بمزيد من الفخر والاعتزاز تصدر الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب هذا العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي ، وهو العدد السابع والعشرون في هذا الزمن الصعب الذي تمر به امتنا العربية المجيدة ، الامر الذي يلقي على المؤرخ العربي مهام كبيرة ، كي يجعل التاريخ عاملا من عوامل تصدي الامة العربية للطامعين ، لذلك فالمؤرخين العرب يستحضرون روح الماضي ، وتاريخه العريق من اجل ان يساهم التاريخ في نهضة الامة وازدهارها ، ولكي يساهم المؤرخ العربي في ابراز الوجه المشرق للامة العربية بعد ان تكالبت عليها قوى الشر والعدوان ، متأمرة على ذاتها وتاريخها .

وهنا تتوضح اهمية الرسالة والمهام العظيمة الملقاة على عاتق اتحاد المؤرخين العرب في هذا الزمن الصعب ، ولذلك ندعوا العرب للعمل بجد واخلاص من اجل اعادة كتابة تاريخ الامة العربية كتابة عربية اصيلة نابعة من ضمير الانسان العربي وقيمه النقية ، ومعبرة عن وجدانه اصدق تعبير ولذلك تم تشكيل الهيئة العربية العليا لاعادة كتابة تاريخ الامة وعليه فأن من ابرز العوامل المساعدة لانجاح مهمة الاتحاد هو الاخذ بهذا الاتجاه القومي الذي سيكون عاملا مشتركا لالتفاف كافة المؤرخين العرب حول اتحادهم المعبر عن وجهة نظرهم والساعي من اجل تحقيق وحدتهم .

والله من وراء القصد .

الاستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب
رئيس التحرير



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

آثار الملاحقة النازية لليهود على تطور الحركة الصهيونية

الدكتور نظام العباسي
جامعة اليرموك

ظهرت المجتمعات التي يعيشون فيها بشكل ظاهرة تحطيم لليهودية^(١) ويصف ناحوم غولدمان Nahum Goldmann خطر انصهار اليهود بين المجتمعات الأوروبية في لقاء له مع ممثل صحيفة اللومند الفرنسية بتاريخ ١٣/١/١٩٦٦ أي بعد سبع وثلاثون عاما من روبين ، بقوله : «ان الخطر الذي يشكله انصهار اليهود بالمجتمعات التي يعيشون فيها انغوى من أي خطر خارجي عليهم»^(٢) اذ نستطيع القول بأن وضوح الرؤيا لدى قادة الحركة الصهيونية والفهم العميق لطبيعة حياة اليهود بين المجتمعات الأوروبية قد ادى الى رسمهم لخطة عمل منظمة حاولوا من خلالها استغلال الاوضاع القائمة على الساحة الدولية لتحقيق هدفهم الاستراتيجي والذي انتهى باقامة كيان قومي لهم في فلسطين .

أهم العقبات التي واجهتهم آنذاك ، كان الرفض المطلق للغالبية الساحقة من يهود العالم لمبادئ الحركة الصهيونية . وقبل ان تنتقل الى توضيح هذه النقطة علينا ان نلاحظ هنا ان عدد اليهود الملتزمين للحركة الصهيونية مقارنة مع يهود ألمانيا والذين انضموا الى تجمعات واحزاب يهودية غير صهيونية كان ضئيلا وقدروا بحوالي ٥٪ بينما وقفت الغالبية الساحقة ٩٥٪ اما ضدهم وكانت لها اهتمامات أخرى غير تلك التي للحركة الصهيونية .^(٣)

يرتبط ذكر اسم الحركة النازية في مخيلة المتوسط العام للفرد العربي ارتباطا وثيقا بالعداء السافر الذي مارسه ضد اليهود . ولا شك بأن الصراع العربي الاسرائيلي خلال هذا القرن أحد العوامل الاساسية التي تجعل الكثيرين منا ينظرون الى الحركة النازية كحركة تحرر حاولت تخليص ألمانيا من اليهود . ويؤكد هذا الادعاء تلك الاصوات التي تنطلق ، عند التطرق الى موضوع النازية قائلة بأن هتلر لم يقم باعدام ستة ملايين يهودي ، بل اقل من هذا العدد بكثير ، او اولئك الذين يقولون - ولو بصوت خافت - : عداء هتلر لليهود له ما يبرره ! لن نتطرق في هذا البحث الى مثل هذه الادعاءات . فسواء قتل هتلر ستة ملايين أو أقل من هذا العدد ، فلا شك بأن الحكم النازي كان مجرما ليس فقط بحق اليهود ، بل بحق كل شعوب العالم ومن ضمنها الشعب الألماني نفسه ايضا . لقد كانت محصلة الحكم النازي والذي امتد اثني عشر عاما (١٩٣٣ - ١٩٤٥) ، ان قتل حوالي ٥٥ مليون نسمة من سكان هذا العالم في جميع قاراته . وبالرغم من النهاية الدموية للعهد النازي على يد قوى الحلفاء الا اننا نستطيع القول بأن جميع شعوب ودول العالم اصبحت بالضرر ، او لنقل خرجت مهزومة في محصلتها النهائية نتيجة صراعها مع النازي رغم انتصارها عليه ، سوى الحركة الصهيونية ، والتي يمكن اعتبارها المستفيد الاول في هذا العالم من التجربة النازية .

فقد انطلقتها ، اعلنت الحركة الصهيونية الحرب على انصهار اليهود في المجتمعات الأوروبية وما زالت يقول ارثر روبين Arthur Ruppin احد أشهر وجالاتها في خطاب له امام المؤتمر الصهيوني السادس عشر الذي عقد في زيورخ ١٩٢٩ : «ان انصهار اليهود بين

(١) انظر : Walter 'Hollstein : Kein Frieden mit Israel' Frankfurt 1973' S. 38 .

(٢) انظر هذا اللقاء في حاشية نفس المصدر السابق ص ٤٠

(٣) انظر : 'Yahya' Faris : Zionist Relation with Nazi - Germany . Beirut 1978' s. 16 .

وقف اليهود غير الصهيونية موقف المعادي للصهيونية وسياسة النازي القمعية ضد اليهود. وتؤكد الخطابات الكثيرة التي وجهوها الى رئيس الجمهورية الألمانية وهنر شينسبا منذ استلامه السلطة على صحة ما نقول.

فقد طيرت رئاسة تجمع الطائفة اليهودية في برلين برقية الى رئيس الحكومة الألمانية^(٤) والى هتلر شخصيا، بعد شهرين من استلامه منصب المستشارية تضمنت «اننا على ثقة بأن رئيس وحكومة الرايخ ستحافظ على حقوقنا القانونية ومقومات حياتنا في وطن ابائنا واجدادنا الألماني ولن تمسها بسوء...»^(٥).

وفي رسالة اخرى من تجمع اليهود الوطنيين الاشتراكيين والذي تزعمه الدكتور ماكس ناومان DR. Max Naumann، اوضح اهداف تجمعه هذا، واعتبر المشكلة اليهودية قائمة بسبب تخلف اليهود عن الانصهار في المجتمع الألماني، وطالب باتخاذ اجراءات مناسبة لحل هذه المشكلة. اضافة الى ذلك فقد هاجم الصهيونية بعنف بسبب ادعائهم بأن حل المشكلة اليهودية سيكون عن طريق تهجير اليهود الى فلسطين وليس بانصهارهم في «وطن ابائهم وأجدادهم ألمانيا»^(٦).

وبالطبع لم يرق لقادة النازي والذين عملوا منذ استلامهم للسلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣ على انهاء الوجود اليهودي في ألمانيا كونهم السبب الاساسي الذي ادى الى فساد العرق الارى الخلاق والمبدع بالتراجع معهم، مما ادى الى خروج ألمانيا مهزومة في الحرب العالمية الاولى! اما الصهيونية فلم يعتبروا اليهود ألمانيا بل يهود يحملون الجنسية الألمانية ومن هنا كان عليهم ترويض اليهود غير الصهيونية لكي يحولوا انتابهم من المان الى يهود اصحاب عادات وتقاليده خاصة واسلوب عمل يتخدم الاهداف الصهيونية. ولذا فقد اعلنوها حربا على اولئك اليهود الذين اعلنوا بأنه لا يربطهم شيء ببعض سوى الدين الواحد او كما عبر عنها السير ايدوين مونتافيو SIR Edwin Montagu اليهودي الانكليزي المشهور يقول «انه وعائلته يعيشون منذ اجيال في بريطانيا... ولا يربطهم ببقية يهود العالم شيء سوى الدين الواحد، ويؤكد «انني أؤكد انه لا يوجد شيء اسمه امة يهودية»^(٧).

(٤) كان رئيس الجمهورية الألمانية آنذاك الجنرال فن هيندنبورغ - General von Hindenburg.

(٥) انظر رسالة الحق الادارية لتجمع الطائفة اليهودية في برلين والوجهة الى رئاسة الجمهورية الألمانية بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٣٣ في معهد الوثائق لألمانيا الاتحادية : Bundesarchiv - Koblenz 'Akt. NR. R43 II' s. 31.

ومن الجدير بالذكر ان هتلر استلم منصبه كمستشار لحكومة ألمانيا بتاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣.

(٦) نفس المصدر السابق ص ١١٣ - ١١٤.

(٧) Hollstein' Ebd. ' 32

اذا ومنذ قيام الحركة النازية في عام ١٩٢٠ والتي اعلنت عن رغبتها بأقتلاع اليهود الألمان ومحاربتهم قصد طردهم من ألمانيا، كان التوافق مع الحركة الصهيونية موجودا، والتي وحتى قبل قيام الحركة النازية نادى باخراج اليهود من البلدان التي عاشوا فيها لتصديرهم الى فلسطين. رافق هذا التوافق النظري في الايدولوجيتين النازية والصهيونية تطبيق عملي - وان كانت الحركة الصهيونية هي المبادرة في هذا الميدان، كون تأسيسها سبق انطلاق الحركة النازية - ففي ٢٠ ايار مايو ١٩٣٢ وحين تظاهر بضع مئات من المتشبهين للحزب النازي في شوارع مدينة بريزلاو Braeslau منادين باخراج اليهود من ألمانيا قابلتها على الفور مظاهرة نظمها انصار الحركة الصهيونية متادين «اتركوا اليهود يذمبون الى فلسطين»^(٨).

وقد اختلف الوضع تماما بعد ان استلم الحزب النازي في ٣٠ كانون الثاني زمام الحكم في ألمانيا بعد ان تولي هتلر منصب المستشارية في ألمانيا، حيث قدر لهذه السياسة ان تأخذ طابع الشرعية في ملاحقتها لليهود.

فولئك اليهود الذين لو يؤمنوا حتى الان بالحركة الصهيونية ويهاجروا من ألمانيا الى فلسطين بدأ النازي يلوح لهم بالعصا مما ادى الى تدفق سيل الهجرة من يهود ألمانيا الى فلسطين. ويؤكد ناحوم غولدمان احد أبرز قادة الحركة الصهيونية والذي كان شاهدا على ذلك حين كتب يقول : «في برلين كانت دائرة فلسطين وابتداء من شهر كانون الثاني ١٩٣٣ محاطة منذ الصباح وحتى المساء بالمراجعين اليهود الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر استلام الاوراق الخاصة التي تمكنهم من الهجرة الى فلسطين»^(٩).

وقد مكنت شرعية استلام النازي السلطة في ألمانيا ايضا اقامة علاقات رسمية مع الحركة الصهيونية، ليس فقط للتنسيق في تهجير اليهود الألمان الى فلسطين، بل وايضا في مجال تقرير مصير اولئك اليهود الذين وقفوا ضد هذه السياسة التي تحاول اقتلاعهم من موطنهم، حيث لا حقهم السلطات النازية فاعتقلت وقتلت اعداد كبيرة منهم. مقابل ذلك افسحت المجال بل ودعمت نشاط الحركة الصهيونية وجعلتها التنظيم الوحيد المسموح بنشاطه بين مجموع التنظيمات اليهودية الكثيرة العدد والتي كانت قائمة قبل اعتلاء النازي سدة الحكم في ألمانيا،

Yahya' Ebd. ' 16

(٨)

(٩) Goldmann' Nahum : Ein leben Fur Israel' Bd. II' Frankfurt 1959' s. 137.

وبذلك تخلصت الحركة الصهيونية من الد أعدائها آنذاك وهم اليهود بتنظيماتهم القوية والذين وقفوا موقف المعادي لأهدافها ومنعوا من التزود بالعنصر البشري الضروري لاستيطان فلسطين .

وقد يارك هتلر شخصيا نشاط الحركة الصهيونية بعد استلامه السلطة ، وانتهت شكوكه بصدق نواياها في تهجير اليهود الألمان إلى فلسطين والتي راودته قبل استلام منصب المستشارية حين قال مغيرا فكرته عنها ، إذا كانوا هم الصهاينة الذين اعلنوا تنظيف ألمانيا من اليهود^(١٠)

قادت هذه التطورات بلا أدنى شك إلى دعم الحركة الصهيونية ، ولذا ليس من الغريب أن نرى الازدياد المضطرد لاعداد النسخ لصحيفة الحركة الصهيونية الرسمية المسماه يودش رند شاو DIE Judische Rundschau ٧-٥ آلاف نسخة في الأشهر الأولى لاستلام النازي الحكم عام ١٩٣٣ إلى حوالي ٤٠ ألف نسخة بعيد ذلك^(١١) .

أما حول العلاقات الرسمية التي نسجتها الحركة الصهيونية مع الحكومة النازية ، فقد تمثلت بشكل أساسي في عقد اتفاقية المافار ، أو ما أطلق عليها الألمان ترانسفير Transfer أي الترانزيت . وقعت هذه الاتفاقية في شهر يونيو / حزيران ١٩٣٣ ، أي راسا بعد تصفية هتلر لكل المعارضة السياسية الألمانية والتي تمثلت آنذاك بالأحزاب المختلفة .

ويمكن إجمال هذه الاتفاقية بما يلي : من أجل تسهيل أمور المهاجرين اليهود إلى فلسطين فقد اتفق الجانبان (الألماني والصهيوني) على أن تودع ممتلكات هؤلاء المهاجرين في بنك المافار ، البنك الألماني في برلين Die deutsche Bank in Berlin على رقم حساب خاص بالمافار أو في هامبورغ في بنك فسر مان Wassermann وبقية هذه الأموال المودعة تتابع الحركة الصهيونية من الحكومة الألمانية بضائع المانية شملت الآلات الزراعية والمآكنات وغيرها وترسلها إلى فلسطين .

وبعد تسويق هذه المنتجات وبيعها في فلسطين أو في السوق العربية عن طريق الحركة الصهيونية ووكالاتها في البلدان العربية المجاورة يستلم المهاجر اليهودي الألماني في فلسطين ما أودعه قبل هجرته من ألمانيا بعد اقتطاع ما أطلق عليه Spesen أي العمولة والتي وصلت في بعض الأحيان إلى ٤٠٪ من المبلغ المودع .

وقد تحددت القيمة الاجالية لهذه المبالغ المودعة في عام ١٩٣٣ في

(١٠) Yahya' Ebd. ' s. 17

Holstein' Ebd. ' s. 17

(١١)

حدها الأعلى بثلاثة ملايين راينخ مارك . أما في السنوات اللاحقة فقد ارتفع هذا الحد الأعلى بشكل مضطرد ، حيث حوّل فعلياً في عام ١٩٣٤ ٦ ملايين راينخ مارك ووصل هذا المبلغ في عام ١٩٣٧ إلى ١٨ مليون راينخ مارك^(١٢) .

أما على مستوى اللقاءات الرسمية بين بعض أركان النازي وقادة الحركة الصهيونية فلم تنقطع أبداً ، ولا أدل على ذلك من تلك الزيارة السرية التي قام يودلف اينان Rudolf Eichmann أحد مؤسسي فرق الصاعقة الألمانية SS (Storm - schutz) (واحد مسؤولي معسكرات الاعتقال النازية في ٧ مايو عام ١٩٣٧ م بدعوة من قيادة جيش المافانا ، قوات جيش الدفاع الاسرائيلي الحالي .

وبوضح التقرير السري الذي كتبه اينان بعد زيارته لفلسطين والموجود في معهد الوثائق الألماني الاتحادي / كولنتر موقف الصهاينة من اضطهاد النازي لليهود ألمانيا والذين كما يقول التقرير وبدو مرتاحين لأن ذلك (الاضطهاد ن.ع) سيؤدي إلى زيادة كبيرة في عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين بحيث يستطيعوا تشكيل أغلبية عديدة على المهاجرين اليهود إلى فلسطين بحيث يستطيعوا تشكيل أغلبية عديدة على المدى القريب في فلسطين^(١٣) .

على اثر ذلك رفضت الحكومة الألمانية اتخاذ أي إجراء ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين أو إلغاء معاهدة المافارا السابقة الذكر ، رغم الحاج القنصل الألماني في القدس دوله Dohle والمبعوث المفوض لألمانيا في بغداد فرتس غروب Fritz Grobba على ذلك ، بسبب النهوض الوطني للثورة الفلسطينية في منتصف الثلاثينات ضد حكومة الانتداب الانكليزي والصهيونية إضافة إلى الضغط الذي وجه به هذان المبعوثان من قبل حركة التحرر العربي مطالبين الحكومة الألمانية آنذاك لاتخاذ موقف واضح من المسألة الفلسطينية . اوضحت الحكومة الألمانية سرياً موقفها من هذه القضية لمثليها هؤلاء حين ادعوا بأن التهجير الممكن

(١٢) حول تفاصيل هذه المعاهدة انظر :

Fleichenfeld' Werner : Das Haavara - Transfer nach Palästina und Einwanderung deutscher Juden 1933 - 1939 Tübingen 1972.

- علي عصفية : العلاقات الألمانية الفلسطينية ١٩٤١ - ١٩٤٥ ، بيروت ١٩٨١ E Yahya : Ebd.

(١٣) انظر تقرير اينان في معهد الوثائق الاتحادي / كولنتر في ملفات

-Sicherheitsdienst des R+ SS' ad - Hauptmann' Palastinu - veise - Bericht; Sachakten II 112' 26E 26E 3.

تمت عنان :

Bericht über Palästinareise von SS - Hptacharf. Eichmann und STE Decharf. Haagen. (4. November 1937).

اليهود يجب ان يكون عن طريق الصهيونية ، لام المهاجرين اليهود يؤسسون مركز مقاومة لهم في اي بقعة يتجهون اليها ماعدا فلسطين ويؤثرون بالتالي اعلاميا وسياسيا واقتصاديا على الحكومة الالمانية وفي اي بقعة من بقاع العالم اكثر مما لو ارسلوا الى فلسطين^(١٤)

مقابل ذلك رفضت الحركة الصهيونية اتخاذ اجراء ضد الحكومة النازية والتي كانت آنذاك في قمة نشاطها لذبح اليهود ومطاردتهم . وقد جاء ذلك رسميا بعد انتهاء المؤتمر الصهيوني الثامن عشر الذي عقد في براغ بتاريخ ٢١ اغسطس / ١٩٣٣ حين اعلن المؤتمر ان الاصوات اليهودية التي تطالب بمقاطعة المانيا ليست صهيونية وليس لها اية علاقة مع الصهيونية بقيت هذه العلاقة المتميزة للحركة الصهيونية مع حكام المانيا من النازيين تتطور سنة بعد اخرى حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية حين فرضت بريطانيا حصارا حديديا على مراقبتهم التحركات الصهيونية بحجة بذلك هذه العلاقة ، خاصة بعد ان اعلنت بريطانيا عن سياستها في كتابها الابيض لعام ١٩٣٩ والذي اصدرته بعد مثل المفاوضات في مؤتمر الدائرة المستديرة بلندن في مطلع ذلك الدم ، وانتهت في ١٢ سبتمبر / ايلول ١٩٣٩ معاهدة الهافارا حين استولت على بقع حساسا في بنك هانوتيا بتل ايبب تنفيذ ااحكام القانون العسكري الذي ينص بالاستيلاء على املاك العدو^(١٥) .

(Custodianship of Enemy Property).

خلال الحرب العالمية الثانية لم تقطع اواصل العلاقة بين الحركة الصهيونية وحكومة المانيا النازية وان عادت خطوات كبيرة الى الخلف وذلك امر بديهي ، فتطور الاوضاع العالمية كان للعامل الحاسم الذي وقفت امام نمو وتطور هذه الحركة بشكل متقدم .

ويؤكد استمرار هذه العلاقة ذلك الاتفاق الذي تم الوصول اليه بين الدكتور رودولف كاستنر DR. R. Kasstner في بودابست كممثل عن الحركة الصهيونية ، ورودولف ايحمان R. Eichmann السابق الذكر ، على تحرير اليهود من المعتقلات النازية هناك شريطة ان يرسلوا الى فلسطين^(١٦) .

يتضح مما سبق ان التعاون الصهيوني النازي والذي ابتداء في مطلع الثلاثينات وخاصة ، منذ استلام النازي زمام الحكم في المانيا ، وقد

تطور فيها بعد ، ووصل الى ابعاد خطيرة متأمة على حياة اليهود ، بالقدر الذي سمح بتطوره نازيو المانيا .

فالرغبة النازية الصهيونية المشتركة في جعل يهود المانيا غرباء عن موطنهم الالمانى وجهت لتكون الدينامو المحرك ، بل النواة الاساسية التي شكلت نجاح البرنامج الصهيوني في جعل فلسطين مستودع بشري لليهود من اجل الاستيلاء عليها .

ان هذه السياسة التي اتجهت في بدايتها ضد انصار اليهود في المجتمعات الاوربية عامة والالمانية خاصة قد نمت وترعرعت واثمرت من وجهة نظر الحركتين الصهيونية والنازية ، بل وامتدت لتطال وبالتصفيه الجسدية كل اولئك الذين لم يتفقوا معها من يهود المانيا قبل الحرب العالمية الثانية . وشملت كل الاراضي الاوربية التي احتلها النازي الالمانى خلال الحرب العالمية الثانية .

من الواضح اذا ، ان الصهاينة هم الوحيديين في هذا العالم ، الذين استثمروا عدوانية النازي ضد اليهود بين اعوام ١٩٣٣-١٩٤٥ ، بل من عدوانية ضد البشرية جمعاء ، حين بقوا الوحيديين على الساحة الدولية والذين تاجروا وبشكل منظم بحياة الملايين من ابرياء اليهود ليقنعوا ديمقراطيات الغرب بعدالة قضيتهم ، والتي اثمرت مثلا باجبار بريطانيا على التخلي عن سياسة الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ في نهاية الحرب العالمية الثانية .

لم تكن الحركة الصهيونية وحتى بعيد نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام الدولة الصهيونية في ١٥ ايار عام ١٩٤٨ بما تاجرت به من دماء يهودية رفضت الانصياع لبرامجهم بل استمرت تطالب الحكومة الالمانية بعد الحرب العالمية الثانية بدماء ضحايا جرائمها بالاشتراك مع النازي ضد اليهود .

وهكذا هرولت حكومة المانيا الاتحادية تلبية مطالب الصهيونية . وابتدأت المباحثات بين الحكومة الصهيونية والالمانية في مطلع الخمسينات من هذا القرن تحت شعار «التعويض من اجل ازالة الضرر» Wiedergutmachung والتي انتهت بالاتفاق شريطة ان تعوض المانيا لاسرائيل عما لحق باليهود من ضرر خلال عهد الرايخ الالمانى الثالث . اما نوعية التعويض فلم تكن فقط ما يقارب ٧٥ مليار دولار ، وانما اشتملت شكل بناء المشاريع الصناعية والمرافق الاقتصادية .

ففي مطلع الخمسينات التزمت المانيا الاتحادية بدفع ٣ مليارات دولار كدفعة اولى لاسرائيل ، كان ثلث هذه القيمة عن طريق امداد

(١٤) انظر : وثائق وزارة الخارجية الالمانية المنشورة :

Akten zur deutschen Auswärtigenpolitik' Bd. V. s. 660.

Yahya' Ebd. ' s. 22 - 23

(١٥) انظر :

Fleischenfeld' Ebd. ' 72

(١٦) انظر :

Biss' andress : Der Stopp der Endlösung' s. 195

(١٧) انظر :

اسرائيل بالبتول والباقي على شكل اقامة مشاريع صناعية في اسرائيل^(١٨).

ومن وسائل هذا الدعم الالمانى كان على سبيل المثال بناء انفاق واسعة جدا بطول ٢٨٠ لا يصال المياه الى صحراء النقب واهدائها ٥٩ سفينة ، منها ٤١ سفينة نقل بضائع ، ٤ سفن لنقل البترول ، ٨ لصيد الاسماك ، ٢ زوارق سريعة لمكافحة التهريب واربع سفن سياحية لنقل الركاب اضافة الى الاف الاطنان من المواد الخام^(١٩).

اما من وجهة النظر السياسية فقد مكن هذا الدعم المادي اسرائيل من اتخاذ مواقف متطرفة في ابتلاع الاراضي الفلسطينية والعربية ، ووصلت قمة هذا التطرف في : رفض اسرائيل - التي قامت بموجب قرار من الامم المتحدة ذاتها - الالتزام بقرار هذه الهيئة الدولية التي اعطت قيامها الشرعية والسماح للاجئين الفلسطينيين من العودة الى بلدهم بعد عام ١٩٤٨ ، الهجوم على غزة في فبراير / شباط ١٩٥٥ ، المشاركة في الهجوم على قناة السويس عام ١٩٥٦ اضافة الى احتلال الضفة الغربية وسيناء والجولان عام ١٩٦٧ وكان اخر محصلة لها احتلال جنوب لبنان عام ١٩٨٢.

وحين ساول العرب التصدي لهذا الدعم الالمحدود لاسرائيل من قبل حكومة المانيا الاتحادية ، وقف كونراد اديناور Konrad Adenauer أول/رئيس لحكومة المانيا الاتحادية بعد الحرب العالمية الثانية مبررا هذا الدعم حين قال : «ان الاتفاقية مع اسرائيل ليست مجردا اتفاقية بين دولتين . انها تحمكتنا من خلال واجبتنا الاخلاقي ان جمهورية المانيا الاتحادية نصر في حدود امكانياتها التعويض عما لحق باليهود من اذى خلال العهد النازي . انه سيكون من المحجل اذا اهتمر قرارنا هذا بدعم اسرائيل ، فقط لان في ذلك تهديد للاحاق اضرار اقتصادية بنا (من قبل العرب ن.ع) فهناك اشياء اسمى من عقد الصفقات المربحة»^(٢٠).

اما ضحايا هذا الدعم من العرب فقد تناساهم كونراد اديناور Konrad Adenauer وقادة اسرائيل من الصهاينة بالضبط كما تناسى هتلر والحركة الصهيونية ذبح اليهود الالمان انذاك . وهكذا استفادت اسرائيل وتستفيد من العهد النازي رغم اندثاره قبل ثمانية وثلاثين عاما .

Kenneth M. Lewan : Die

undrepublik und Israel' s. 2-3.

(١٨) انظر :

(٢٠) انظر مذكرات :

Adenauer' Konrad : Erinnerungen 1953 - 1955' 1960' s. 155.

(١٩) نفس المصدر السابق ص ٤ .

جَالَة السُّودَان الْأَجْتَمَاعِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة

مِنْ ١٩٢٥ - ١٩٣٦

الدكتور احمد ابراهيم دياب

قسم البحوث والدراسات التاريخية

معهد البحوث والدراسات العربية

الكفاح ، فهاجر بعضهم الى مصر ليجد ان النفوذ البريطاني يسيطر على سياستها بل ويسير شئونها الداخلية كما هو الحال في السودان . وخرج من بق على قيد الحياة في السودان من سجنه الى مجتمع سوداني جديد ، مجتمع مابعد النكسة ، فوجده مجتمعاً مزيجاً من عنصرين احدهما جاهل لتاريخ الحركة الوطنية وحركة ١٩٢٤ والظروف التي لابستها والاخر متكرها لها^(٢) .

وادركت الادارة البريطانية في السودان ان البلاد تحتاز فترة من الضعف والانحلال فقررت ان تعجل برنامج استعماري وفقاً للسياسة التقليدية التي تسير عليها الامبراطورية في البلاد المستعمرة الاخرى قبل ان تضع الفرصة فترعت نقاب الحيلة والحذر واندفعت بأقصى مالدنيا لتنفيذ البرنامج .

وكان المظهر النظري لتلك السياسة في الجهاز الاداري اصدار تشريعات الادارة القبلية . اما مظهرها في التطبيق فكان اضطهاد المعلمين والتضييق عليهم وتشجيع غير المعلمين ودفعهم لتقدم الصفوف وتولي القيادة^(٣) .

وصار موقف الادارة ازاء الطبقة المتعلمة موقفاً عدائياً بصورة عامة . ويحفظ الطلاب^(٤) الذين ذهبوا الى كلية فردون في الفترة التي تلت سنة ١٩٢٤ ذكريات قاسية عن معلمهم البريطانيين في وقت صارت العصا جزءاً مكلاً للمعدات التي يحتفظ بها المعلم^(٥) ويعطى ادوارد عطية^(٦)

كانت قمة الاحداث السياسية والعسكرية التي بدأت في الخرطوم في نوفمبر ١٩٢٤ ، اغتيال استاك حاكم عام السودان وسردار الجيش المصري في نوفمبر ١٩٢٤ في القاهرة على يد بعض القذائيين المصريين . وقد أتاح اغتيال السردار ستاك الفرصة الشفاه العسكرية البريطانية في وادي النيل شماله وجنوبه ، فقد كان لها كدابة حادثة مبراجيهو الدينية للعسكرية البروسية في عام ١٩١٤ . فكشفت الاسرار البريطانية عن انيابه واستسلمت له القيادة الوطنية في كل من مصر والسودان . وهكذا انهارت حركة ١٩٢٤ في السودان واعتقل من زعمائها من بقي على قيد الحياة ، ومن لم يتمكن منهم من الفرار او الهجرة الى مصر ، وقدم للمحاكمة وحكم على اربعة منهم بالاعدام رمياً بالرصاص وسنقذ الحكم في ثلاثة منهم اما الآخرون فحكم عليهم بالسجن مدداً طويلة . ومن الناحية السياسية كانت ردود فعل الادارة البريطانية في السودان لحركة ١٩٢٤ مختلفة ، فقد نقضت عهدها الذي قطعته للزعامات الصورية في ساعة شدة الاحداث ، ووضعت على الرف مشروع الحكومة المحلية والمجلس الاستشاري وكذلك عملت على تخفيف نفوذ مصر في السودان وان كانت الـ ذقات لم تقطع رسمياً بين البلدين . كما أمر الحاكم العام الجديد سيرجون مافي (John Mafi) بالاندفاع في سياسة قبلية واسعة النطاق والاسراع في فصل اقاليم السودان الشمالية عن المديرية الجنوبية والاستعانة بصورة خاصة في هذا الشأن بالارساليات المسيحية^(٧) .

وفي الجانب الشعبي اختفى من ميدان النضال قادة الحركة ورائدوا

(٢) احمد خير : كفاح جبل (ص ٥٥)

(٣) Hott P. M: Modern History of the Sudan page 136

(٤) قابلت بعض هؤلاء ومنهم ابراهيم يوسف سليمان والحادي ابو بكر وعمرود الفضلي

(٥) محمد احمد محبوب وعبد الحليم محمد : ملو دنيا (ص ٢٦)

(٦) لبناني الاصل تخرج في جامعة اكسفورد بالانجلترا وعين مدرسا في الكلية ثم تركها للعمل في مكتب المخابرات حيث كان يعمل عمه صوبيل عطية .

(٧) ملو عبد الرحيم : الامبريالية والقومية في السودان (ص ٩٧)

كما ان اي حركة وطنية يراد لها النجاح يجب ان تستند الى تأييد شعبي ساحق .

ويتطلب هذا وعيا سياسيا قويا عند الجماهير ، كما يتطلب عند القادة المما تاما بالتطورات السياسية في العالم وبتاريخ الحركات الشعبية الاخرى . فلا بد اذن من استزادة المحصول العلمي بالجهد الشخصي وفهم احوال المجتمع السوداني فيها علميا ، كما لابد ايضا من تنوير افراد الشعب وتثبيهم الى حقوقهم على الدولة وواجباتهم لها ، واخيرا لابد من قيام الارتباط بين الجيل القديم والجيل الجديد .

ولما وجد الوطنيون انفسهم تحت رحمة ادارة قوية ومعادية لهم رأوا انه من الملائم ان يتجنبوا الظهور في ذلك الحين . فان الضغط الذي فرضته عليهم الادارة البريطانية كان يتطلب نوعا من التمويه في الكفاح . وبما ان العمل السياسي والعسكري المنظم لم يكن له مجال حينئذ فقد كان لابد من ان يسلك الكفاح مسلكا اجتماعيا وادبيا ولذلك فان النوع الغالب للتعبير الاديبي في الفترة التي جاءت مباشرة بعد سنة ١٩٢٤ اتخذ اتجاه القصائد والاغاني الوطنية المجهولة المصدر^(١٠) التي كثيرا ما كانت تحتوي على تلميحات الى مصر المحبوبة التي ابعدت ، غير انها كانت تنطوي على التعبير عن عواطف اكثر رجولة وعنفًا . وقد كان اكثر واضعي تلك الاغاني شهرة كما عرف فيها بعد المرحوم عبيد عبد النور المدرس بكلية فردون انذاك . وكان اكثر المطربين شعبية في تلك الايام خليل فرح الذي اعتبر المنشد الاول للاغاني الوطنية^(١١) .

وظل مكتب المخابرات منذ ١٩٢٤ رقبيا على تحركات المثقفين واعمال الزعماء - الدينين في مواجهة محاولات الانجليز لكي تكون كفة الدائبة القبلية موازية لاولئك المثقفين والزعماء . وذلك لان اعضاء مكتب المخابرات كانوا قلقين لاحتمال تحالف السيد عبد الرحمن المهدي مع المثقفين الوطنيين من ناحية رغم تحالفه مع السلطات القبلية من المشايخ والعمد وزعماء القبائل^(١٢) .

وقد بدأ السيد عبد الرحمن المهدي امام الادارة البريطانية كخطر مائل مفاجئ لربط حركة المتعلمين الضعيفة الحول والحيطة - بمفردها - بمشاعر واحاسيس ابناء الريف والبادية . وقد اقلت صفوة المتعلمين بزماد قيادتها واتجاهها في يد السيد عبد الرحمن المهدي ووضعت املها فيه لتحقيق استقلال السودان .

وفي هذه الفترة كانت تدور رحى معركة خفية ولكنها بالغة الحدة

انطباعته عن كلية فردون في تلك الايام فيروي في مؤلفه كيف مارس المدرسون البريطانيون نوعا من السلطة العسكرية وضبطهم للسلوك كانت تفوح منه بقوة رائحة الثكنات العسكرية . فقد كانت كلية فردون معهدا عسكريا لا معهدا انسانيا . كانت مدرسة حكومية في بلد حكومته اجنبية استعمارية . وكان المدرسون اعضاء في الخدمة السياسية ، وكان وجودهم في الكلية بصفة مزدوجة صفة المدرسين وصفة الحكام . وكانت الصفة الثانية تطفئ على الاولى ، وكذلك كان ينتظر من الطلاب ان يظهروا والهم لا الاحترام العادي الواجب على الطلاب نحو معلمهم بل الخضوع المطلوب من التابع ، وذلك لان المعلم ذاته قد يصير يوما حاكما لمنطقة فيحكم طلابه القدامى ويتحكم في ابايهم^(١٣) .

تعاونت جميع هذه الظروف فخلقت في نفوس انصار الحركة الوطنية رد فعل عميت ، كما خلقت بين بعضهم البعض كثيرا من سوء الظن وفقدان الثقة وطفئت على البلاد موجة كثيفة من الكبت والاضطهاد لاحقت جميع الافراد والطبقات ونشأت بين طبقة الموظفين منافسة وتسايق لارضاء حكامهم الانجليز بعد أن رأوا - ماناله مناصروا الاستعمار ابان حركة ١٩٢٤ وبعد انتكاستها حين اغدقت الامبراطورية على هؤلاء رتب فارس والقاب سير مع عدد وفير من الاوسمة والنياشين في سنة ١٩٢٦ .

امتدت فترة الانحلال والضعف هذه مدة من العسير تحديدها على وجه التحقيق في جميع انحاء السودان لانها قد طالت في القرى والمدن النائية بقدر ما قصرت في المدن الكبيرة . واخذ المثقفون بعدها بيقين شيئا فشيئا في صحراء مجهولة ، يلتفتون حولهم ويتسائلون عما الم بهم وبوطنهم ثم جعلوا يراجعون حساب احداث حركة ١٩٢٤ السياسية والعسكرية . كان الاجماع بين المثقفين منعقدا ، كما يقول احمد خير في كتابه ، على أن اشد مالحق بالحركة من اضرار راجع الى نقص الوعي واليقظة بين افراد الشعب من جهة وعجز القادة في مصر والسودان على السواء عن ان يتزعروا شعاراتهم من صميم الحياة التي يعيش فيها الشعب لتتضح الاهداف وتستبين الاغراض التي من اجلها يهب الشعب لنصرتهم وتأييدهم . فقد اتضح أن شعار حركة ١٩٢٤ «لنحيا مصر» لغز يتعذر مدلوله ، فيفسره البعض تفسيراً دينيا لان مصر ورثت في نظرهم زعامة الاسلام بعد تركيا ويرجع البعض الاخر الى ما قبل المهدي^(١٤) ، ويكني لقبوله عند فريق ثالث ان الشعار والمغيطه للادارة البريطانية في السودان^(١٥) .

(٧) Adhya E: AN Ash tells his page 138

(٨) احمد خير : كفاح جيل (٥٦)

(٩) احمد خير : كفاح جيل (٥٧)

(١٠) جمع خمس نميلة عددا مت تلك الاغاني في كتابه ملامح من المجتمع السوداني مثل ما هو عارف قدم المفارقة يعطى امل السلام

(١١) ومنظر عبد الرحيم : الامريالية والقومية في السودان ص ٩٦

(١٢) جعفر محمد علي نجيت : الادارة البريطانية (ص ٩٩ الحركة الوطنية)

والضعف بين الادارة البريطانية في السودان من جهة وبين الجبل الجديد من جهة اخرى ، فقد كانت الادارة البريطانية تعمل على اثاره الثورة القبلية ويصف جيمس كوزي مدير المعارف انذاك الطريقة التي اتبعت لجمع شتات القبائل بقوله «بعد الاحداث التي انتهت بمقتل ميرلي تالك» ، خافت الادارة البريطانية المحلية من عدم ولاء الطبقة السودانية المتعلمة لها ، فصار من المناظر المألوفة مشاهدة صفار الاداريين البريطانيين وهم يبحثون عن قبائل لا وجود لها ومشايخ وزعماء انتهى امرهم منذ امد بعيد ، محاولين أن يعيدوا نظاما اجتماعيا اندثر للابد^(١٣) وهكذا اعيدت العنصرية القبلية من جديد ووضعت لها سياسة خاصة سارت عليها . فقد تبلورت تلك السياسة في لائحة سلطات المشايخ لسنة ١٩٢٧ الذي وضع خصيصا لزيادة السلطات الممنوحة لزعماء ورؤساء القبائل^(١٤) . وعلى اساس القبيلة صدرت خرائط التقسيم الاداري وصار التعصب للقبيلة والتمسك بها مفتاح النجاح وسلم الترقى في دوائر الخدمة المدنية . وعلى العكس فان الحديث عن جنسية سودانية واغفال القبيلة ومحاربتها اعتبر اتجاها معاديا ومتعارضا مع سياسة الادارة البريطانية ويستوجب اللوم وفي بعض الاحيان العقوبة والجزاء .

غير ان الادارة البريطانية وصناعتها لم يستطيعوا الوقوف دويلا للنضال امام قوانين التطور الاجتماعي السليم التي تعاونت وتكافقت وصمدت للاستعمار والرجعية السودانية حتى انتصرت عليها ، وقد ساهمت في هذا الكفاح عوامل مختلفة : اولا الحركة الصناعية في حزان سنار والجزيرة وثانيها ارتباط القطر كله عن طريق السيارات وعامل ثالث ساهم به الفنانون السودانيون وهو عائلهم للوطنية السودانية . وهكذا انتصرت حركة المقاومة السرية لتأييد الوطنية السودانية على سياسة الادارة البريطانية . وبعث ذلك الانتصار الحقى روح الثقة بين افراد الطبقة المثقفة وجعلها تفكر في السير الى الامام ، مما ادى الى نشوء الجمعيات الادبية والمدارس الفكرية السرية منذ سنة ١٩٢٩ . حين بدأت تلمس احسن الوسائل بنشاط وطني^(١٥) وقد اورد مكتب المخابرات في تقرير من تقاريره عن تلك الفترة باسم التاريخ السياسي السوداني من ١٩٢٤ الى ١٩٣١ عبارة هامة مؤداها بأن المتعلمين . . . وان ثبت انه يمكن ان يكون من اعظم الفئات خطورة في المستقبل ، الا انهم ليسوا - على أي حال - القوة الحقيقية في البلاد . ذلك انهم ربما كانوا يمثلون أقل من ١٪ من السكان وليس لهم - فيما عدا فئة ضئيلة تنتمي عادة الى الزعماء الدينيين - نفوذ خارج المدن .

(١٣) Holt: Ibid page 136

(١٤) Holt: Ibid page 136

(١٥) حضر حمد / مذكراته غير منشورة ص ٣٧

وربما بنى مكتب المخابرات رأيه على اساس ان الخريجين في العاصمة انصرفوا الى قراءة الادب العربي عامة ورواية الشعر بصفة خاصة والمافسات - الداخلية للجان اندية الخريجين والمناقشة بين الاعضاء واتخذ التنافس بين الزعماء منهم والتعصب لهم .

الا ان فكرة مكتب المخابرات نحو الخريجين قد تغيرت بعد ذلك فظهر هذا التغير في قولها «ليس هناك شك في ان الشباب المتعلمين شديدا - الاحجاب بغاندي» ، وانهم عندما كانت الحركة في الهند في اعل ذروتها كانوا يتبعون الاخبار باهتمام عظيم ، ويبحثون في اجتماعاتهم الخاصة كفاءة سلاح المقاومة وقد اتفقوا على ان غاندي قد اكتشف في ذلك السلاح الوحيد الذي يستطيع الشرق الفقير الجاهل استخدامه بطريقة فعالة ضد الاستعمار^(١٦) .

وفي سنة ١٩٢٩ اصبحت الادارة البريطانية في السودان في موقف يسمح لها تماما بأطلاق سراح معظم زعماء وقادة حركة ١٩٢٤ . الذين سجنوا في ١٩٢٤^(١٧) . وسافر عدد منهم للقاهرة بعد اطلاق سراحهم ولكنهم صدموا من عدم مبالاة الاحزاب المصرية فقادوا السودان بقلوب كبيرة ملؤها الكراهية لمصر مثل صالح عبد القادر وشرقات محمد عبد الله فاغتنمت الادارة البريطانية الفرصة واحصنتهم . وفي هذه الفترة ٢٤ - ١٩٣١ لم تكن بالسودان صحافة حرة انما كانت هناك جريدة «حضارة السودان» التي شجعت على قيامها ادارة السودان ومنحت امتيازها الى الزعماء الثلاثة . الميرفني والمهدى والهندي . وصدرت كجريدة شبه رسمية وهي وان كانت قد سمحت بنشر بعض المقالات الا انها لم تكن تعبر فيها عن رأي الشعب ولا تتم الا بما تريده الادارة البريطانية فكانها صوت الادارة البريطانية في السودان تدافع عن سياستها وتحمي ظهرها من اي هجوم خارجي وفي نفس الوقت توهم العالم ان بالسودان صحافة . ورئيس تحريرها تختاره الادارة ممن تثق بهم او على الاقل ممن تطمئن اليهم وتعتقد انهم لا يشيرون عليها المشاكل او يفسحون صدر الجريدة لمشاغب او ثائر .

ولذلك لم يكن لجريدة حضارة السودان اثر محسوس . الا ان الصحف التي ظهرت بعد ذلك مثل مجلتي النهضة والفجر وصحيفتي النيل والسودان كانت اكثر جرأة من صحافة الادارة . ففي سنة ١٩٣١ اصدر المرحوم محمد عباس ابو الريش مجلة النهضة السودانية التي سلكت مسلكا ادبيا خالصا^(١٨) والادب دائما هو الشرارة وهو الوسيلة لنشر الوعي والمعرفة .

(١٦) ملف الامن ١/١/٧ : تاريخ السودان السياسي ١٩٢٤-١٩٣١

(١٧) تقرير المخابرات : ابريل ١٩٢٩ - دار الوثائق الخرطوم

(١٨) حضر حمد / مذكراته (غير منشورة) ص ٣٨

وفي هذه الفترة من فترات الركود السياسي قامت المدرسة الاهلية بامدرمان . ولقد قامت المدرسة عقب اصرار الارسالية الامريكية لتعليم ابناء المعلمين الديانة المسيحية وطلبات اولياء امورهم بكتابة القرار بموقفهم على تعليم ابناءهم المسيحية او سحبهم من المدارس الارسالية ، فتحمس المواطنون وانشأوا المدرسة الاهلية (١٩) فكان قيامها تحديا صامنا للاستعمار البريطاني .

وفتحت المدرسة في منزل تبرع به احمد حسن عبد المنعم ، ووضع الحجر الاساس للبناء الجديد في سنة ١٩٢٧ . ويقول خضر حمد في مذكراته : ولما التحقت بها عضوا سنة ١٩٣٠ كانت مدرسة وسطى كاملة ذات اربع فصول وعشت فيها (٢٠) .

اما عن وضع السودان واثره في العلاقات المصرية البريطانية في هذه الفترة ، فقد ظلت المفاوضات المصرية البريطانية منذ ١٩٢٤ ابتدا الى تنتهي على مشكلة السودان . وظلت الحكومات الوفدية تتعاقب وتبعد عن الحكم لكي تحمل محلها وزارات مماثلة للحكومات البريطانية المتعاقبة . غير ان الوطنيين المصريين لم يفعلوا الا قليلا لخلقائهم السودانيين الذين صاروا اكثر نفورا (٢١) . وخلافا لما حدث من المثقفين السودانيين عام ١٩٢٤ ، لاذ الخريجون بالصمت خلال المفاوضات المصرية البريطانية اللاحقة لانه لم يكن هناك تعبير عن رأي واحد بطريقة أو بأخرى بل لم تكن هناك محاولة حتى لتنظيم ذلك التعبير ، على حسب تعبير مكتب المخابرات . ذلك لانه لم تتوفر رعاية منظمة من القاهرة وترك الخريجون للاعتداد على انفسهم وحدهم منذ ١٩٢٤ ففشلوا في تنظيم انفسهم ولم تكن لديهم قيادة موحدة وظلوا قلقين مترددين من جراء بطش السياسة البريطانية وخيبة الامل التي اصابته من جراء فشل حركة ١٩٢٤ (٢٢) .

اضراب طلبة كلية فردون في ١٩٣١ :

منذ سنة ١٩٢٩ اصبحت الازمة الاقتصادية العالمية ممكنة بخائق المصدر الاول للدخول في السودان الناتج عن بيع القطن واضحي مشروع الجزيرة الذي كان منجبا للذهب الابيض في سنة ١٩٢٨ مصدرا للخسارة ، ومن ثم توقفت جميع التطورات في البلاد وفي نهاية عام

١٩٣٠ تطور الميزان التجاري في غير صالح السودان فانخفض من ١/٢ مليون في ١٩٢٩ الى ١/٢ ٥ مليون جنيه . وكان لايد من الاستغناء خدمات بعض الموظفين حسب رأي الادارة البريطانية لحقوض المصروفات فقررت فصل الف موظف (٢٣) . وعلى ذلك وقع عبئ الازمة الاقتصادية على رجال الخدمة المدنية من السودانيين والمصريين والسومريين . وقد خفضت مرتبات جميع الموظفين ماعدا الانجليز وعالي الموظفين المصريون والسوريون كثيرا من ذلك بأشد مما عانى السودانيون (٢٤) .

ورغم ذلك اعطت الازمة الاقتصادية الخريجين السودانيين سببا كاملا كان بوسعهم تحويله الى حركة اكثر شعبية ولكنهم لم يحسنوا استغلال الفرصة دليلا على الجمود الطويل في تطور التنظيم السياسي والوجدان الوطني .

كما نادوا بتعديل واصلاح النظام التعليمي وفتح اقسام للتجارة والقانون والزراعة والبيطرة والعلوم في كلية فردون (٢٥)

لقد كانت هذه العريضة التي كتبت بكل حذر اول عمل منظم من جانب الخريجين ، وقد اظهرت وجهة نظر المعتدلين ورغبتهم في كسب جانب الادارة البريطانية التي لم تكن مستعدة للنظر في مطالبهم كما لم تكن مستعدة في المقام الاول في الاعتراف بحق الخريجين في الحديث نيابة عن الموظفين وثانيا انها لم ترض بالمقترحات عن كيفية حل المشكلة الاقتصادية لان القروض في نظرها لا يمكن ان توجل (٢٦) .

ومما يمكن من امر فقد نظم طلبة فردون صفوفهم بقيادة مكى المنا تنظيميا دقيقا وقرروا الاضراب وفي اليوم المحدد للاضراب وهو صباح السبت ٢٤ اكتوبر ١٩٣١ ذهب الطلاب الى حجرات الدراسة كالمعتاد في اتم نظام وتلقوا دروسهم حتى قبيل الساعة العاشرة في جد واهتمام مما اذهل الاساتذة السودانيين والذين كانوا يعرفون موعد اضرابنا فما كانوا متظرين منا ان نقبل على دروسنا كأحسن ما يكون الاقبال (٢٧) وقول مكى المنا هذا يؤكد بأن الطلبة قبل الاضراب كانوا على صلة وثيقة بمعلميهم السودانيين الذين عادوا من بيروت كما يقول ازهرى ويحملون الى السودان افكارا جديدة في الحياة من وراء الحدود وخبرة جديدة عن الحياة الجامعية (٢٨) ومن هؤلاء الاساتذة عبيد عبد النور وعبد الفتاح

(٢٣) ملف الامن ١/١/٧ دار الوثائق المركزية - الخرطوم

(٢٤) جعفر محمد علي نجيت : الحركة الوطنية والادارة البريطانية ص ٢٧٧

(٢٥) العريضة منشورة في ملحق كتاب محمد عمر بشير Revolution & nationalism

Basiv, M, O: Revolution and Nationalism in the Sudan page 115 (٢٦)

(٢٧) مكى المنا : مقالة له في جريدة الراي العام عدد ٣١ مايو ١٩٥٦ ص ١٥

(٢٨) مذكرات ازهرى : الحلقة ١٦ - جريدة الايام في ١٩٥٧/٩/٢٠

(١٩) خضر احمد : مذكراته ص ٦٧

(٢٠) احمد خير كفاح جيل ص ٦١ وخضر حمد : مذكراته ص ٦٤

(٢١) خضر محمد علي نجيت : الحركة الوطنية للادارة البريطانية ص ٢٢٣

(٢٢) ملف الامن ١/١/٧ تاريخ السودان السياسي (Political History of the Sudan)

١٩٣٢-٢٤ - دار الوثائق المركزية الخرطوم

المغربي ومحمد عثمان ميرفتي ومعجوب الضوي واسماعيل الاوهري الذين كانوا يعملون لتوجيه الطلبة وجهة وطنية جديدة ويثبتون فيهم روح الحداثة للعمل العام . وكان يقابلنا فريق اخر يناهض ما اتينا به من بيوت . وكان هذا الفريق يقاوم نزعتنا التحررية ويتألف من الاساتذة الانجليز يؤيدهم ويسايروهم في سياستهم عبد الرحمن علي طه الذي كان حينذاك مدرسا بالكلية معنا^(٢٩) .

ويقول تقرير المخبرات أن فكرة الاضراب قد تم مناقشتها بواسطة مجموعة من الخريجين لم تكن راضية عن مسلك الادارة البريطانية تجاه عريضة الموظفين ، وهم خضر حمد وعبد الله ميرغني وعثمان حسن عثمان ومكاوي سليمان وعبد الرحمن النور وميرغني حمزة ومحمد ابراهيم النور وكلهم من مدرسة ابوروف ، مع عدد من طلبة السنة النهائية في الكلية في الاجازة الصيفية^(٣٠) على رأسهم مكي المنا . ومحمد عبد الكريم وصديق المهدي ويوسف بدرى وحسن معجوب وعبد الرحمن ابو القاسم فكان معظمهم من ابناء عائلات الانتصار^(٣١) .

وما كاد يؤذن الوقت المحدد للاضراب وهو الساعة العاشرة من صباح السبت ٢٤ اكتوبر ١٩٣١ ومن غير مقدمات اقبل طالب درج ادواته وترك هو وزملائه فصولهم في هدوء وصرامة وقوة وعزم وذهبوا الى اماكن اقامتهم في الدواخليات من غير أن ينبوا ببنت شفة . وما أن وصلوا الى هناك حتى اجتمعوا وقرروا انتخاب لجنة شئونهم وتفاوض عنهم فكونوها من ستين عضوا من وجهات النظر المختلفة^(٣٢) كما اقم الطلاب على المصحف الا يواصلوا دراستهم حتى تغير الادارة البريطانية قرارها الخاص بتخفيض مرتب الخريج .

لقد كان لحدة الحادث من جهة واتصاله بالازمة الاقتصادية موضوع الساعة ، من جهة اخرى اثر عنيف زاد من اهتمام الرأي العام بالقضية فأنضم على الفور الى جانب الطلبة ، واعتبر قرار التخفيض تعسفا لانتقده العدالة ولا مبرر ولا موجب له ، ولا سيما وأن الوفرة الناتجة عن ذلك الاجراء لا يبلغ بضع جنيهات في العام يتلها مرتب بريطاني واحد^(٣٣) .

كان اضراب طلبة كلية فردون على هذا النحو في حد ذاته ظاهرة غريبة تحدث لأول مرة ولذا كان كما يقول خضر حمد «مثار كثير من الاحاديث في مختلف الاوساط كما كان سببا ليعيد الانجليز النظر في

سياستهم التي كانوا يسلكونها مع السودانيين عامة^(٣٤) وقد فوجئ الانجليز -- مع حذرهم الشديد وايديهم الكثيرة واذنابهم المنتشرة في كل مكان -- فوجئوا بهذا الاضراب وعجبوا كيف دبر وتم دون ان يكون لهم علم به قبل حدوثه^(٣٥) .

واستعانت الحكومة بكل من ظنت انه يستطيع ان يثنى الطلبة عن اضرابهم واعتصامهم ولكن مساعيها باءت بالفشل الذريع^(٣٦) . وعندما تعقدت الامور واقسم الطلبة على الاستمرار في الاضراب تتابعت وفود الاساتذة والخريجين الذين كانوا يعطفون على القضية وكانوا يشفقون على الطلبة وعلى الكلية من ان يعصف بها مكايكل في ثورة غضبه وذهوله . لقد استخدم مكايكل وسائل السياسي الداهية ليجر الطلبة الى اتخاذ خطوة ايجابية تمكنه من التكتيل بهم .^(٣٧) وزار السيد عبد الرحمن المهدي الطلبة وهم بداخلاتهم فكان بصحبة فريق من كبار الخريجين يقودهم محمد علي شوقي وصغارهم يقودهم محمد احمد اجاموا ليشنوا الطلبة عن الاضراب .^(٣٨) ولكن تدخل السيد عبد الرحمن المهدي لم يزرح الطلبة عن موقفهم قيد انملة لان الطلبة لم يكونوا يريدون أن يواجههم كبار المواطنين لانهم كانوا كما ذكر مكي المنا يرغبون في مواجهة الحكومة ليقولوا لها قولا لم تسمعه في تاريخ استعمارها الطويل العريض ، ولكن الحكومة اثرت العاقبة واستترت وراء هذا النصر الكريم من كبار المواطنين ليعيدوا لها الطلبة في ذلة وانكسار^(٣٩) .

ويراجع ازهرى تدخل السيد عبد الرحمن المهدي ليشن الطلبة عن مواصلة الاضراب - لوجود ابنه الصديق بين الطلبة المضربين وقد كان حينذاك في السنة الرابعة^(٤٠) . وبينما اعتبره احمد خير من جمهرة الانهازيين حين قال «لاحت للانهازيين فرصة التدخل» .

وتتابعت الوفود تنصح الطلبة بالعودة الى دروسهم ريثما يصلون مع الحكومة الى قرار عادل ، واخيرا وقد على الطلبة السيد عبد الرحمن المهدي^(٤١) ورفض الطلبة ان يلتفتوا اليهم ولم يتزحزحوا عن موقفهم وطالبوا جميع الوسطاء ، دون استثناء ، أن ينظروا الى المسألة من زاوية وطنية ، وان ينتصروا كلما نشب خلاف بين السودان و الحكومة الى

(٣٤) مذكرات خضر حمد : غير المنشورة ص ٣٢

(٣٥) مذكرات خضر حمد : غير منشورة ص ٣٢

(٣٦) سير هرولد مكايكل كان يشغل منصب السكرتير الاداري آنذاك وقد ألف عدد من الكتب عن السودان .

(٣٧) مكي المنا : مقالة في جريدة الرأي العام عدد ٣١ مارس ١٩٥٦ ص ١٥

(٣٨) مذكرات ازهرى - الحلقة ١٦ جريدة الايام ١٩٧٥/٦/٢٠

(٣٩) مكي المنا : مقالة في جريدة الرأي العام عدد ٣١ مارس ١٩٥٦ ص ١٥

(٤٠) مذكرات : ازهرى - الحلقة ١٦ .

(٤١) احمد خير : كفايح جيل ص ٦٧

(٢٩) مذكرات ازهرى : الحلقة ١٦ - جريدة الايام في ١٩٥٧/٦/٢٠

(٣٠) تقرير عن اضراب كلية فردون بتاريخ ٣٠/١٢/٣١ رقم ٢٠/١ للمعمية الشمالية دار الوثائق المركزية الخرطوم

(٣١) المرجع السابق (التقرير)

(٣٢) مكي المنا : مقالة في جريدة الرأي العام عدد ٣١ مارس ١٩٥٦ ص ١٥

(٣٣) احمد خير : كفايح جيل ص ٦٧

وفي نفس الوقت كان فريق من وثيقي الصلة بالطلبة منذ البداية يشاركونهم الرأي والعاطفة ويزودهم بالمعلومات . فعمل هؤلاء على ان يعقد الخريجون اجتماعا عاما واجتمع الخريجون وكان هذا الاجتماع بعد الاجتماعات للمتعددة التي عقدت لدراسة موضوع الاضراب ومعالجته . ونحو الشعور العام بعد ذلك لان يجتمع الخريجون ويلدسوا الموقف من نواحي مختلفة ويتقدموا للحكومة بمطالب يكون فيها الحل لمشاكل المجتمع المختلفة (٤٣).

وكان الخوف من فشل الاجتماع هو الذي شغل اذهان صغار الخريجين ، وتم الاجتماع العام وفيه تم انتخاب عشرة من كبار الخريجين ليقابلوا الحاكم العام ويرفعوا اليه مطالب الخريجين او ما يدور في اذهانهم من اعمال من حكومتهم (٤٤) . وكان العشرة هم نفس العشرة الذين رفعوا عريضة يوليو ١٩٣١ وسُميت اللجنة بلجنة العشرة وتألفت برئاسة الشيخ احمد السيد القيل (٤٥) . ويقول احمد خير في مؤلفه أن المهمة التي اوكلت للجنة أن تتخذ من الاجراءات مائرا كفيلا بأنصاف الطلبة (٤٦) . بينما يقول جعفر نجيت في كتابه ان مهمة اللجنة كانت لكتابة وتقديم مذكرة للحكومة (٤٧).

والاثنتان متفقان فأحمد خير يقصد اللجنة الثانية التي كونت بعد الاضراب وجعفر نجيت يقصد اللجنة الاولى التي كونت في يوليو وقدمت مذكرة ٢٠ يوليو اي قبل الاضراب .

واوفدت لجنة العشرة ثلاثة من اعضائها لمقابلة الحاكم العام والاجتماع به . ويرى احمد خير بأن اللجنة بعملها هذا قد سلكت طرقا غامضة ملتوية وانتهت عن طريق الالتباس والاستعطاف لا عن طريق المطالبة بالعدالة والحق الى الحصول على موافقة الحكومة لرفع المرتب . كما كسبت سخط الرأي العام منها (٤٨) . ويفسر خضر جمعة في مذكراته هذه الطرق الملتوية في قوله عن اجتماع مندوبي اللجنة مع الحاكم العام وكيف تردد في مقابلتها أولاً ثم رضى ان يجتمع بهم في قوله : والحقيقة ان لم يزد على اجتماع واحد سواه الانجليز (مقابلة) قابل وفدنا الحاكم العام في هذه المقابلة ورفعوا له امورا لا اظن انها كانت مدروسة لانها كانت متواضعة جدا . وجاء فيها دون أن - الموفدين طالبوا برفع مستوى

الموظفين السودانيين وافساح الطريق امامهم للترقية الى وظيفة الباشكاتب كما انهم تحدثوا عن وظيفة قاضي القضاة التي كان يملأها الى ذلك الوقت قاض مصري ، وكان الانجليز يهتمهم جدا ان يطالب السودانيون بهذه الوظيفة حتى ينتهوا من اخر وظيفة لمصري في السودان (٤٩) .

وتدل هذه المقابلة التي قامت بها لجنة العشرة أن المتعلمين اضمحوا معتدلين في تفكيرهم وانحصروا في الاهتمام بالمصالح المهنية وانه لم تكن لديهم قيادة مبدعة نزاعة الى نقل هيب الحركة من المدن الى الأقاليم الثانية . وأظهر النقاش الذي دار في المقابلة والذي تبعته مذكرة في ١٩ يناير ١٩٣٢ (٥٠) ، إن الوطنية قد تم الوطنية قد تم اخيادها في اقل من عشرة سنوات من جراء التجارب الخائفة لواقع المعتزك السياسي . وان الشعلة المضيفة التي اوقدتها جمعية اللواء الابيض كان عليها ان تنتظر مجي جيل جديد ليعيد اليها بريقها .

وكتيجة لهذه المقابلة وما دار فيها وما دار بعدها من مذكرة وجه الخريجون اللوم لمن استشيروا من لجنة العشرة وذلك لانهم لم يقوموا اطلاقاً بأخطار الخريجين الذين انتخبوهم بما دار بينهم وبين رجال الادارة (٥١) . وقد سكبت الخريجون عن الامر وتركوا لجنة العشرة تموت موتاً طبعياً او تموت بالاهمال وكانت هذه اول تجربة لعمل عام (٥٢) .

لم تكن محاولة لجنة العشرة محاولة ناجحة لاسباب عديدة منها عدم التجانس بين اعضائها ومنها ان بعض الاعضاء جاء بهم الاجتماع ولم يكن لهم سابق اهتمام بالامر وبعضهم كان من الموالين للحكومة بحيث يبلغها ما يدور في الاجتماعات أولاً بأول (٥٣) وكذلك فقدان الثقة بين الاعضاء مما بث فيهم روح التخاذل والخوف والتردد مما جعلهم يشعرون بأن مهمتهم انتهت بمقابلتهم للحاكم العام الذي اتفق على رفع المرتب الابتدائي للخريج عند تعيينه الى ٦٥٠٠ ستة جنيهات ونصف بدلاً من خمسة جنيهات ونصف بشرط الامتناع عن اتخاذ اي اثاره جماعية بعد ذلك ، كما وافق على عدم اتخاذ اي اجراء تأديبي ضد الطلبة .

لقت اجتماع الخريجين وانتخاب لجنة العشرة بالرغم مما انتهى اليه من نتيجة غير مرضية ، نظر كثير من الخريجين الى استخلاص عبرة وتقرير مبدأ ، ذلك ان اجتماعهم وتعاونهم امر سهل ميسور في ذاته ، وانهم بالتعاون سيحققون كثيراً مما يتحدثون عنه ويأملونه وعلى قدر اتحادهم وتأزرهم يكون نجاحهم .

(٤٩) خضر حمد : مذكراته ص ٣٣

(٥٠) المذكرة منشورة في كتاب محمد عمر بشير ص ٧٥٦

(٥١) جعفر محمد علي نجيت : الحركة الوطنية ص ٢٢٨

(٥٢) خضر حمد : مذكراته ص ٣٤

(٥٣) خضر حمد : مذكراته (ص ٣٤)

(٤٢) احمد خير : المرجع السابق ص ٦٧

(٤٣) مذكرات خضر حمد غير المنشورة ص ٣٣

(٤٤) المرجع السابق ص ٣٣

(٤٥) مذكرات ازهرى الحلقة ١٦ في ١٩٥٧/٦/٢٠

(٤٦) احمد خير : كفاح جيل ص ٦٨

(٤٧) جعفر محمد علي نجيت : الحركة الوطنية ص ٢٢٨

(٤٨) احمد خير : كفاح جيل ص ٦٨

اما اللجنة كلية غردون فانهم وبعد اسبوع من الاضراب حزموا امرهم على ان يعودوا الى اهلهم وديارهم ويقول مكى المنا رئيس لجنة الطلاب «وفي اليوم التاسع والعشرين من نوفمبر بدأنا نودع بعضنا البعض ونرحل عن الخرطوم في نظام تنسيق فرتنا بها اخر قرصة الحكومة في ضربنا مجتمعين»^(٥٤). وعندما عاد الطلبة للدراسة فيما بعد لم يتخذ شديهم اي جزاء تأديبي حسب اتفاق الحاكم العام مع مندوبي لجنة العشرة التي توصلت مع الحاكم العام الى رفع المرتب الى ٦٥٠٠ ربر بدلاً من ٥٠٠ ربر المطلب الذي اضربوا من اجله.

وكان لهذا الاضراب اثره في تغيير سياسة الحكومة : رآ شاملاً . فقد كانت صلة اليد مقطوعة بين الاساتذة الانجليز والطلبة وكان الاساتذة الانجليز عامة والمشرّفون على الداخليات منهم خاصة لا تربطهم بالطلبة الا صلة حجرات الدراسة وبهذا مظاهر التحكم والاستبداد ليتربوا كيف يكونون حكاماً في السودان^(٥٥) وعندما حدث الاضراب اشعرهم ذلك بالخطأ الذي كانوا واقعين فيه . وبدأ الانجليز في سلوك سياسة جديدة مع الطلبة خاصة والخريجين عامة وهي سياسة التقرب الى السودانيين في كل المجالات . ففي صفوف الطلبة بدأوا يخلقون صداقات ويقول خضر حمد واخذ المشرّفون على الداخليات في اوقات منتظمة يزورون هذه الداخليات ويحتفلون بالطلبة في اوقات الفراغ^(٥٦).

وفي مكاتب الحكومة اوعز الى كبار الموظفين من البريطانيين ان يخلقوا صلات ود وصداقة مع السودانيين ومع الشباب على الخصوص وبدأت حفلات الشاي تعقب لعب التنس^(٥٧). وكان الهدف من كل هذه اللقاءات والحفلات هو ان يكسب البريطانيون ود الخريجين في الاعتبار الاول.

ومن نتائج اضراب طلبة الكلية وفشل لجنة العشرة في مهمتها امام الخريجين ان نكسب الخريجون بحركة انقسام شديدة فقد انقسم اعضاء نادي الخريجين الى فريقين احدهما من مؤيدي الشيخ احمد السيد الفيل رئيس العشرة ومن اصدقاء السيد علي الميرفي والفريق الاخر من مؤيدي محمد علي شوقي الذي ينتمي الى طائفة الانصار ومن اصدقاء السيد عبد الرحمن المهدي.

النقسام الاول بين الخريجين :

لم يبق الخلاف بين الخريجين على مبدأ ان وان الاسس التي قام عليها لا تمت الى المصلحة العامة في شيء ، بل على شخص الرئيس حين انتحل كل فريق من

الفريقين من اسم الرئيس لقباً وبعثاً فسمي انصار محمد علي شوقي «شوقية» Shawgist او «شوقين» وكان معه من كبار الخريجين محمد صالح الشقيطي وابراهيم احمد ومحمد الخليفة شريف وعبد الله خليل وعبد الكريم محمد . وكذلك نسب الذين يؤيدون الشيخ احمد السيد الفيل فاصبحوا «فيلست» Feelist او فيلين وكان مع الفيل كل من درديري محمد عثمان ميرغني حمزة ومحمد الحسن دياب وعمر اسحق وعثمان حسن عثمان وخلف الله خالد^(٥٨).

وعندما بدأ الانقسام في عام ١٩٣١ بعد اضراب طلبة الكلية ، كان الفريق المسيطر على النادي هو فريق محمد علي شوقي الذي كان يعتمد في تأييده على السيد عبد الرحمن المهدي ماديا وادبيا وعدليا . ويقول ازهري في ذلك^(٥٩) «كان وكيل النادي عند انتخابي مسكناً له عام ١٩٣١ السيد محمد علي شوقي»^(٦٠) . اما الفريق الثاني فقد كان زعماؤه من انصار السيد علي الميرغني لكنه كان يرتكز في القاعدة على جمهرة - الثائرين على القيادة الدينية ، المتطلعين الى فجر جديد . ولم يكن الانسجام كاملاً بين القيادة والقاعدة لان اتفاق المصالح وحده جمع بينهم^(٦١). وكان هؤلاء الثائرين يمثلون فيما عرف بالبروفين^(٦٢) . وقد كان هدفهم ان يخلقوا حركة جديدة في النادي وذلك بتغيير الاوضاع القديمة وازحزحة اولئك الذين كانوا يسيطرون على النادي سيطرة تامة ولاعوام عديدة . ويقصد خضر هؤلاء فريق محمد علي شوقي.

وبدأت الحركة بين الفريقين تتسع واحدا الجانبان يجتهدان الانصار والمؤيدين وكان على رأس المعارضة الشيخ احمد السيد الفيل . وكلما قرب موعد معركة الانتخابات السنوية كلما زاد حماس الجانبين في جمع المؤيدين ، ففكر رواد النادي وزاد الحماس له وجذبت تلك الحركة الدين لا شأن لهم بالنادي ، وخرج الحماس والتخريب الى خارج النادي ، بل الى جواهر الشعب واصبح عصبية وطائفة اكثر منه منافسة على لجنة النادي^(٦٣).

وقد استخدمت في المعركة انواع من وسائل الدعاية التي لم تكن من قبل في النادي مثل النشرات الملونة تدعو لهذا او ذلك وكان البريد يعمل الى الخريجين في كل مكان النشرات التي يصدرها الفريقان^(٦٤) . ولم يكن الخلاف ذا صلة قريبة او بعيدة بمصلحة الخريجين بل كان يهدف اولا واخيراً لمضعة زعائه . وكما يقول ازهري «كان كبار الخريجين في ذلك الوقت يسعون ليكونوا مكان الرعاية والعناية من الحكومة وكان سيلهم فرض زعامتهم على الخريجين ومكانتهم وذلك كلما كان الواحد منهم بارزاً بين صفوف الخريجين وكلما تبوأ احدهم مركزاً كبيراً كلما كانت فرصته في كسب عناية الحكومة وتقديرها عظيماً»^(٦٥).

(٥٨) وزارة الاستعلامات / الاحتفال الخمسين لنادي الخريجين - كلمة محمود الفضلي .
(٥٩) كان رئيس النادي يحكم دستوره مدير مصلحة المعارف الانجليزي او من ينوب عنه من الانجليز .

(٦٠) مذكرات ازهري - الحلقة ١٧ جريدة الايام في ٢١ / ٦ / ١٩٧٥ .

(٦١) احمد حير كفاف جيل ص ٧٠ .

(٦٢) مجموعة من الخريجين الشباب الذين يسكنون في حي ابوروف بامدرمان وسوا اليه .

(٦٣) مذكرات خضر حمد غير منشورة ص ٤٩ .

(٦٤) مذكرات ازهري الحلقة ١٧ جريدة الايام في ٢١ / ٦ / ١٩٥٧ .

(٦٥) مذكرات ازهري الحلقة ١٧ جريدة الايام في ٢١ / ٦ / ١٩٥٧ .

(٥٤) Atiya: Ibid page 140

(٥٥) خضر حمد مذكراته (ص ٣٢) .

(٥٦) خضر حمد : مذكراته (ص ٣٢) .

(٥٧) مذكرات خضر حمد ص ٣٢ .

وجاء اليوم الموعود وكان حانب «الشوقيين» ارجح ففادوا على فريق الشيخ القيل «القبليين» ولم يحتمل القبليون النتيجة فقرررو الانسحاب من النادي كتلة واحدة وكان معهم الابروفيون^(٦٦).

سـ لقد كان هذا الانقسام بداية ظهور الخريجين في صفوف الطائفة^(٦٧) ظهورا واضحا فقد صارت الطائفة تعتمد على كبار الخريجين او في الحقيقة على كبار الموظفين وكان كل من السيدين ، علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي ، حريصا على ان يجمع حوله عددا من هؤلاء . وكانت الطائفة كل شيء في نظر الادارة البريطانية التي كانت تقوى من شأنها لتحقرو وتصغر من شأن الطبقة المتعلمة كما كانت الادارة البريطانية تشجع التنافس والتناصر بين الطائفتين (المهدية والميرغنية) فكانت تبسم يوما لهذه لتقطب في وجهها غدا لتبسم في وجه الاخرى .

وكانت ترفع هذه يوما لتثير ذلك ثم تعود لتصالحه هذه او لتخلص ذاك وهكذا كان الاستعمار البريطاني يضمن لنفسه الاستقرار فقد شغل الناس بانفسهم عنه . وكانت الطائفة على اشدها في اوائل الثلاثينات اثناء انقسام الخريجين وخاصة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٦ وكانت مباديتها التي برز فيها الخلاف كثيرا وكان الخلاف لا يقوم الا بين طائفتي الختمية والانصار وقد كان مجال الاحتمال بالمولد النبوي هو محك الثاني بعد انقسام نادي الخريجين هذا التنافس . وكم من الاموال كانت تصرف في الاضاعة وفي الاعلام والريانات وكان كبار رجال الطائفتين يتقدمون هذه الاحتفالات ويبدلون من حاسهم وجهدهم الشيء الكثير . وكل ذلك لتظهر كل طائفة بمظهر العظمة والفخامة يوم بروز الحاكم العام ميدان المولود في الليلة الاخيرة وحول كل زعيم جماعة يشدهم ارده ويبرزهم عند الحاجة كما يبرز البضاعة على الواجهة للعرض . وكان في هذه البضائع الانسانية عدد من المتعلمين او في الحقيقة من كبار الموظفين الذين كان تنافسهم حول زعيم من هذين الزعيمين شيئا عند الحكومة .

سـ اصبح هؤلاء المتعلمون او الموظفون الكبار حاشية للسادة كبريى والمهدي وجمهور للطائفة وصبت هذه البضعة انتخابات نادي الخريجين حتى قصت عنه وزهد الخريجون للذين لا ينتمون لأي من الطائفتين من ناديتهم وبدأوا يتعدون عنه عاما بعد عام ورفضوا العودة اليه ونزلت العصوية فيه الى اقل من ثلاثين عضواً يحضرون الاجتماع العام وهم كل مشركي النادي . ويزوي ارهري في مذكراته عن النادي في هذه الفترة فيقول «فاذا كنت تزوره في تلك الايام فتجده خاليا الا من قليل من الشباب»^(٦٨).

(٦٦) مذكرات خضر حمد غي المنشورة ص ٤٩ .

(٦٧) يقصد بالطائفة في هذا البحث طائفتي الختمية التي زعيمها السيد علي الميرغني والتي دخلت السودان في منتصف القرن التاسع عشر على يد حده الحسن الميرغني وقد صعد نفوذها اثناء الحكم المهدي الا انها قويت في بداية الاستعمار . والطائفة الثانية هي للمهدوية او الانصار التي انشأت دولة الهدية وعصمت بعد دخول الاستعمار ثم بدأت تمارس نفوذها في اوائل العشرينات من هذا القرن بحث رعاية وحماية الادارة البريطانية .

(٦٨) مذكرات ازهري جريدة الايام - الحلقة ١٧ - بتاريخ ٢١ / ٦ / ١٩٥٧ .

وفي عام ١٩٣٣ بلغ الخلاف ذروته بين الفريقين (القبليين والشوقيين) ووصل حد القطيعة والعداء السافر ولعل من الاسباب التي ادت الى تعميق الخلاف وجود الشيخ القيل ومحمد علي شوقي في مصلحة واحدة - المصلحة القضائية . ويبدو ان الانجليز نصحو لها بترك النادي فجأة اختفى منه شوقي والقيل ، وبذلك خلا النادي لرجال الصف الثاني من انصارهم^(٦٩) . وعندما برزت فكرة مؤتمر الخريجين لم يكن الطريق ممهدا لان الخريجين كان قد عبث بهم الخلاف ومزقتهم ايدي سباً ولم يبق مؤتمر الخريجين بعد ذلك الا بعد جهد كبير^(٧٠).

(٦٩) مذكرات ازهري الحلقة ١٧ من جريدة الايام في ٢١ / ٦ / ١٩٥٧ .

(٧٠) مذكرات خضر حمد - غير المنشورة (ص ٥٤) .

أشْرَعُ الدِّينِ ابنُ الأَثِيرِ في تَطْوِيرِ الْكِتَابَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

الدكتور ابراهيم خليل أحمد
قسم التاريخ - كلية
التربية جامعة الموصل

١ - مقدمة :

١ - ١ قد لا نكون مخطئين إذا قلنا : ان العرب من اكثر الامم في العالم اهتماما بدراسة التاريخ والكتابة فيه . لهذا اصبح التاريخ عندهم جزءا من تطورهم الثقافي العام . ان اسباب هذا الاهتمام ترجع الى عوامل تتعلق بتاريخية الاسلام اولاً ، وتكوين الدولة العربية الاسلامية والاحتكاك بين الآراء والتيارات الفكرية ثانياً ، وتطور الامة ونجارتها وخبراتها وحاجاتها ثالثاً^(١) .

١ - ٢ ولم تقف انجازات العرب الرائعة في حقل المعرفة التاريخية عند حدود التدوين التاريخي فحسب ، بل ظهرت مدارس وتفسيرات تاريخية مختلفة دللت على استيعابهم لكثير من اهداف علم التاريخ وفلسفته . كما تنوعت اساليبهم الكتابية في التاريخ لذلك ظهر اهتمام كبير بتوطيد التاريخ (علماً) له مناهجه وطرقه وقواعده ومكانته في منظومة الفكر العربي^(٢) .

١ - ٣ ولقد كان من ابرز ملامح هذا التميز ، ان اعطت الامة العربية للتراث التاريخي العالمي نماذج قيمة من الكتابات التاريخية احتلت منزلة مرموقة في المكتبة التاريخية العالمية وعز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الاثير ٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ (١١٦٠ - ١٢٣٢ م) ، هذا المؤرخ العظيم الذي نحفل به اليوم وبأخوته مجد الدين وضياء الدين واحد من اولئك الذين جادت بهم هذه الامة المعطاء فهو يتمتع - بحق بشهرة بارزة بين كافة المؤرخين العرب ، لم يصل اليها أحد ، الا^(٣) الطبري الذي توفي

قبله بقرنين من الزمان تقريباً (٣١٠هـ / ٩٢٣م) .

١ - ٤ وليس غرضنا في هذه الورقة متابعة حياة عز الدين بن الاثير واسرته ومؤلفاته وظروف حياته وما شاكل . فقد تصدى عدد من الكتاب العرب والاجانب لمعالجة ذلك^(٤) . وانما يقتصر بحثنا على الإشارة الى بضع نقاط نراها اساسية في معرفة اثره في تطور الكتابة التاريخية العربية وهي مصادر ثقافية ، ودواعي اهتمامه بالتاريخ ومفهومه للتاريخ وأسلوبه في معالجة الحدث التاريخي ومن ثم حجم الاضافات التي قدمها في مجال الكتابة التاريخية .

٢ . مصادر ثقافة ابن الاثير :

لثقافة العامة في حقول المعرفة البشرية أثر كبير في تطوير تقنية المؤرخ وفهمه للاحداث وتفسيرها . كما ان هناك مؤهلات شخصية ينبغي توفرها عند من يريد التصدي للكتابة التاريخية ، ومنها مايتصل بالصفات والسجايا الشخصية التي تجعل منه المؤرخ القدير في البحث عن الحقيقة . وفوق هذا وذاك فإن للظروف الحياتية التي يعيش المؤرخ في ظلها دوراً كبيراً في فهم التاريخ وحركاته^(٥) . وهذا يدعونا الى الوقوف عند مصادر ثقافة (ابن الاثير) علماً تقربنا من فهم منهجه في الوصول الى الحقيقة . ومن أبرز هذه المصادر :

(١) بحث الي في ندوة فناء الاثير للمنطقة في جامعة الموصل في اذار - نيسان ١٩٨٢

(٢) للتفاصيل انظر : عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، (بيروت ، ١٩٦٠) وكذلك شاكرو مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ، (بيروت ، ١٩٧٩) ، ص ٥٧-٦٢

(٣) للتفاصيل انظر : عبد العزيز الدوري وآخرون ، تفسير التاريخ (بغداد لا . ت) ص ٩ وصندير اليه بـ (الدوري وآخرون) .

(٤) محسن محمد حسين ، موضوعات في التاريخ الكردي ، (بغداد ، ١٩٧٦) ص ٥

(٥) للتفاصيل انظر : عبد القادر أحمد طهيات ، ابن الاثير الجزري المؤرخ (القاهرة ، ١٩٦٩) .

(٥) حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، ط ٤ (القاهرة ، ١٩٧٦) ص ٢٢-٢٣ .

١ - ٢ يؤكد كثير من المفكرين ان جهود النكبات في التاريخ كانت دائماً حافزاً الى التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرة للاهتمام في تفسير التاريخ وتعليله^(١). ومن هنا فان العصر الذي عاش فيه ابن الاثير تميز بالتقلب والقوضى والاضطراب^(٢). وهذا لاشك كان مصدراً من مصادر اهتمامه بجمع الحقائق التاريخية في عصره وعصر من سبقوه.

٢ - ٢ ان ابن الاثير ينتمي الى اسرة اهتمت بالعلم وعرفت قيمته فوالده شغل مناصب حكومية عديدة اهلته لها ثقافته^(٣). فضلاً عن كونه واحد من ثلاثة اخوة برزوا في مجالات الحديث النبوي والتفسير واللغة والادب والشعر^(٤).

٣ - ٢ تلقى ابن الاثير علومه الاولى على ايدي شيوخ وعلماء بارزين وخلال رحلاته العديدة الى بعض الاقطار العربية والاسلامية احتك بعلماء وشيوخ كثيرين وعقد صلات شخصية معهم^(٥).

٤ - ٢ ابن الاثير من الذين تسلحوا بعلوم القرآن والحديث ورجاله وكان لثقافته ذلك اثر كبير في تطوير ثقافته التاريخية^(٦). فقد كان اماماً في حفظ الحديث ومعرفة ما يتعلق به^(٧) وصلة علم التاريخ بعلم الحديث، كما هو معروف، وثيقة تستحق اهتماماً خاصاً من حيث التركيز على الاسناد وماهيته، علماً بأن الاسناد في التاريخ لم يبلغ ما بلغه في الحديث لما عرف به المؤرخون من تساهل في الاسانيد وروايتها^(٨). ومع هذا فقد كان ابن الاثير حريصاً على معرفة ما يهيمه، بوصفه مؤرخاً، من قوانين (الجرح والتعديل)^(٩).

٥ - ٢ كان ابن الاثير خبيراً في علم الانساب وادبياته، ولقد قيل عنه: إنه كان عارفاً بالرجال خبيراً بالانساب وإنه كان (اماماً نساباً)^(١٠).

وقد اعطاه هذا قابلية شديدة في تتبع مسار الادوار التاريخية التي تقوم بها الشخصيات البارزة.

٦ - ٢ لم يكن ابن الاثير من المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم في غرف مقفلة بل انغمس في الحياة السياسية العملية، وكانت صلته الشخصية بادارة الموصل في عهد الحكام الزنكيين قد جعلته في وضع سمح له بالاطلاع على المستندات والوثائق والاوامر الرسمية ومعرفة الوقائع الخارجية وما شاكل ذلك^(١١). وقد يسر له خروجه محارباً ومشاهداً مع صلاح الدين الايوبي القائد العربي المعروف في الشام لقتال الصليبيين في سنة ٥٨٤هـ. وصف المعارك ووقفه على بعض الجوانب في خطط الايوبي واساليه العسكرية، وتوجيه النقد الى بعضها. تضاف الى هذا مشاركته في الدفاع عن الموصل كلما تعرضت لحصار^(١٢). ولاشك في ان مشاهدته ابن الاثير شخصياً وماسمعه من معاصريه الذين شهدوا الاحداث بانفسهم او سمعوها يؤلف مصدراً ثراً من مصادره التاريخية كان له اثر كبير في تكوين ثقافته وتوسيع مدى ادراكه لكثير من وقائع التاريخ^(١٣).

٧ - ٢ أما قراءاته التاريخية واهتماماته بما وقع تحت يديه من كتب تاريخية فلها اثر كبير في جعل كتاباته لا تقتصر على لون واحد من الألوان التاريخية التي يحرفها علم التاريخ العربي^(١٤). فلقد كان حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ولم يزل، كما يقول، محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وما فيها^(١٥). وقد ساعده هذا على المشاركة في أربعة أنواع من الكتابة التاريخية والبروز فيها جميعاً. فكتابه (الكامل) في التاريخ العام، وكتابه (الباهر) في تاريخ الاسر الحاكمة، وكتابه (أسد الغابة) في التراجم وكتابه (اللباب) في علم الانساب^(١٦).

(١٧) طلبات، المصدر السابق، ص ٧٩-٧٦، ١٠٣ وكذلك محس محمد حسين. المصدر السابق، ص ٥.

(١٨) للتفاصيل انظر عز الدين اي الحسن ابن الاثير. الكامل في التاريخ، المجلد الاول، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٥)، ج ١١، ص ٥١٧، ٢١٥-٢١٦.

(١٩) فريد عبد القادر نوري. سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والحزيرة، (بغداد، ١٩٧٦)، ص ٢٧.

(٢٠) طلبات، المصدر السابق، ص ٥٣. شاكور مصطفى. المصدر السابق ج ٢، ص ١١٢، العزاوي. المصدر السابق، ص ٢٩.

(٢١) ابن الاثير، الكامل، ج ١، ص ٢.

(٢٢) راجع مؤلفات ابن الاثير وهي:

(-) أسد الغابة في معرفة الصحابة (الطبعة الوهبة/القاهرة ١٢٨٠هـ).

(-) التاريخ الباهري الدولة الانابكية. تحقيق عبد القادر احمد طلبات (القاهرة ١٩٦٣).

(-) الكامل في التاريخ، (بيروت، ١٩٦٥).

(-) اللباب في تهذيب الانساب، (القاهرة، ١٣٥٧هـ).

(١٦) للتفاصيل انظر طلبات، المصدر السابق، ص ٧-١٢.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٣-١٧.

(١٨) أما الاخوان الاخوان فيها محمد الدين أبو السحادات وكانت مولده في سنة ٥٤٣ هـ.

(١٩) وضياء الدين نصر الله وولد في سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٢ م). وقد اشتهر الاول محققاً ومفسراً ولغوياً. أما الثاني فقد عرف امياً شاعراً. انظر طلبات، المصدر السابق.

ص ١٤-١٦ شاكور مصطفى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١١.

(٢٠) عباس العزاوي، التصريف بالمؤرخين في عهد الملوك والتركمان، (بغداد، ١٩٥٧)، ص ٢٧.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٢٢) أحمد بن ابراهيم ابن خلكان: وفيات الاعيان وانباء الزمان، (القاهرة، ١٢٩٦)، ج ١، ص ٤٩٤.

(٢٣) انظر: أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط ٣، (بيروت، ١٩٥٥)، ص (ز).

(٢٤) العزاوي، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢٥) ابن خلكان، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٤.

(٢٦) العزاوي، المصدر السابق، ص ٣٠.

الاسرية وحالة التجزئة والتخلف التي كانت تعيشها الامة العربية انذاك (٢٨).

٣ - ٣ ومن اهداف الكتابة التاريخية عند ابن الاثير كونها اداة ترويح عن النفس ومادة طيبة مؤنسة في المجالس ترين المتكلم وتجذب اليه الحاضرين .

قال ابن الاثير في هذا الصدد :

«ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمخافل من ذكر شيء من معارفها ، ونقل طريقة من طرائفها ، فترى الاسماع مصغية اليه . والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره» . (٢٩)

٤ - مفهومه للتاريخ :

اما مفهوم التاريخ عند ابن الاثير فيمكن تلخيصه بما يلي :

١ - «ان حال الاناريخ عنده حال وضعه عند من سبقوه من المؤرخين العرب والاوائل وفي مقدمتهم الطبري فهو تعبير عن المشيئة الالهية المتمثلة في نوالي الرسالات واخرها واكملها الاسلام واصبح بعد ذلك تاريخ امة هي الامة العربية . (٣٠)

٢ - ٤ الا ان هذا لا يعني اهمال الدور الانساني وفعاليات البشر . ومن هنا فابن الاثير اهتم كذلك بتخليد الاعمال المهمة للانسان وتسجيل الاحداث البشرية المتميزة . ومع هذا وذاك فهو يتابع تعاقب الامم والدول : نشأتها وسقوطها اي يتابع ديناميكية التقدم في التاريخ (٣١) .

٣ - ٤ وكما ان الحديث دراية ورواية ، فالتاريخ عند ابن الاثير دراية ورواية ايضا . ليس مهمته تعقب القشور وظواهر الاحداث وانما البحث والتدقيق في بواطن الامور . ومن هنا يمكن القول ان ابن الاثير سبق ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) في الاعلان بان التاريخ في ظاهره الرواية وفي باطنه النظر والتحقيق وبذلك يعد ابن الاثير من اوائل المؤرخين العرب الذين ارسوا قواعد واسس الميثودولوجيا التاريخية (٣٢) .

٥ - اسلوبه في اعادة تشكيل الحدث التاريخي وتفسيره :

١ - ٥ لقد لفت ابن الاثير الانظار اليه لمنهجية التاريخية ولسلامة اسلوبه

٨ - ٢ لقد شكلت كتب أيام العرب وسيرهم مصدرا مهما من مصادر ثقافة ابن الاثير . بل لقد عد من اوائل المؤرخين العرب الذين انتبهوا الى اهمية «الايام» مصدرا لتاريخ العرب قبل الاسلام . اذ حاول ان يورد أخبار أيام العرب ويضعها ضمن تسلسل تاريخي (٣٣) . ومن هنا فقد وصف بأنه كان (مؤرخا اخباريا) (٣٤) .

٩ - ٢ وبالنظر لامتزاج التاريخ بالتراجم في عهد متقدم عند العرب فان ابن الاثير كان من المؤرخين الذين عنوا بالتراجم ولاسيما تراجم الصحابة . ونحن اذا علمنا ان عدد الذين ترجم لهم ابن الاثير بلغ سبعة الاف وخمسمائة وخمسين صحابيا تعرف مدى سعة ثقافة هذا المؤرخ ومدى النشاط الذي يحتاج اليه جمع المعلومات عن هذه الافاف وتدوينها (٣٥) . ناهيك عن كثرة قراءاته الادبية من شعرونثر ، وعمقها ، بحيث جعلت منه أديبا ذواقة ، لذوقه أثر في أجادته لعرض الحوادث التاريخية والرشاقة وبساطة الاسلوب في التعبير عنها (٣٦) .

٣ - دواعي اهتمامه بالتاريخ والتأليف فيه :

١ - ٣ يتساءل الكثيرون عن جدوى الاهتمام التاريخي . وابن الاثير من أبرز المؤرخين الذين اجابوا على هذا التساؤل من خلال ادراكه هدف التاريخ وعنايته بدراسة تجارب الامة وخبراتها وتدوين الاحداث التي مرت بها وذلك لغرض «الاتعاض» و «العبرة» وتوجيه الحكام وتعريف الحاضر بالماضي والتوسل الى تنظيم حياة الانسان (٣٧) .

٢ - ٣ ولقد كان لتعرض الامة العربية للتحديات الاجنبية (الغزو الصليبي من الغرب والغزو المغولي من الشرق) وتعاقب الاغداة عليها في تسلسل زمني مستهدين وحدتها وتقدمها أثر كبير في اندفاع ابن الاثير في تتبع هذه التحديات والإحطار والكتابة عنها ، وكما هو معروف فالمؤرخ هو ابن عصره ، واضطراب الاوضاع سبب رئيس يدفعه الى الاهتمام بالتاريخ ووقائعه وعبره محاولا رسم الطريق امام ابناء امته وتجنبهم الكوارث والهزائم .

ولم يغفل ابن الاثير ان يضع يده على العوامل الداخلية التي يسرت على الاجانب غزوهم وسهلتهم ومن ذلك الانقسامات والصراعات

(٢٣) النوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب . ص ١٣

(٢٤) الغزوي ، المصدر السابق ، ص ٣٠

(٢٥) أمين مدني ، التاريخ العربي ومصادره (القاهرة . ١٩٧١) . ص ٢٢٣

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣-٢٢٣

(٢٧) انظر : الكامل في التاريخ ، ج ١ . ص ٤-٥ وكذلك الغزوي المصدر السابق ، ص ٤٣

(٢٨) طلبات . المصدر السابق . ص ٧-١٠

(٢٩) الكامل في التاريخ . ج ١ . ص ٥

(٣٠) النوري وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٩

(٣١) و (٣٢) قارن : الكامل في التاريخ ، ج ١ . ص ١ مع عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

المقدمة ، (بيروت ، لا . ت) ، ص ٣ وكذلك انظر : الغزوي المصدر السابق . ص ٣٣

في قدرته على مراعاة التوازن المعقول بين الاحداث التاريخية وانصافه للاحداث والشخصيات دون اخلال (٣٨).

٢ - ٦ وفوق هذا كله فهو يمتلك إحساساً تاريخياً حقيقياً لاسمياً في التنبيه إلى خطر المغول واعتباره الغزو الصليبي للشام استمراراً لمضايقة عرب الاندلس . ولم يكتف بذلك بل كان يذكر المواطنين بدورهم في رد العدوان الاجنبي والاحتفاظ بالارض والشرف . وهو في هذا يعد من المؤرخين الذين نظروا الى التاريخ بوصفه سلاحاً نضالياً (٣٩).

٣ - ٦ ولم يغفل ابن الاثير دور الابطال وأثرهم في ديناميكية الحدث التاريخي وإنما حاول ان يبرز دورهم في صنع حركة التاريخ . ومن هنا جاء اهتمامه بتدوين سير عظماء الامة وفي مقدمتهم الصحابة لان سيرهم هي سنن الهداية والقذوة للعرب والمسلمين (٤٠).

٤ - ٦ وعظمة ابن الاثير تكمن في اهتمامه بمساحة واسعة من التاريخ العربي الاسلامي (مكاناً وزماناً) . فهو لم يقتصر على تتبع العصور السالفة وإنما أهتم بعصره كذلك . ولم يقتصر اهتمامه على المشرق العربي وإنما اهتم بالمغرب العربي كذلك بل وانتقد من سبقوه من المؤرخين في عدم العناية بهذا الجزء من العالم الاسلامي (٤١) . ولولم يكتب لنا ابن الاثير ما كتب لضاعت علينا حقائق كثيرة على مدى قرون متصلة .

فهو المؤرخ الوحيد الذي ضمن كتابه اخبار الحروب الصليبية حتى الثلث الاول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) . كما حوى كتابه اخبار الغزو المغولي منذ بدايته في سنة ٦١٦هـ وحتى سنة ٦٢٨هـ وهي السنة التي وقف عندها كتاب ابن الاثير (الكامل في التاريخ) .

فبعد الطبري لم يظهر كتاب يغطي أخبار طولها أكثر من ثلاثة قرون أي ما بين وفاة الطبري ٣١٠هـ وظهور كتاب الكامل في سنة ٦٣٠هـ (٤٢) .

٥ - ٦ لقد اعتقد ابن الاثير ان التاريخ ليس احواراً متصلاً بين المؤرخ ووقائعه . لذلك فهو لم يقف عند حدود النظرة الرانكوية (نسبة الى ليوبولد رانكة المؤرخ الالماني المعروف ١٧٥٩-١٨٨٦) التي تذهب الى ان مهمة المؤرخ هي تسجيل ما حدث من وقائع بالضبط ، بل وصل به الامر الى حد الانفعال مع الاحداث الخطيرة وابرار انفعالاته بالنقد

في معالجة الحدث التاريخي وتفسيره . اذ اتبع طريقة الحوليات كغيره من المؤرخين العرب الاوائل ، وراعى ترتيب السنين ولقد تعرض لنقد من جراء هذه الطريقة التي لم تراعى تسلسل الحوادث الماثلة واطرادها . ويتصدى احد المؤرخين مدافعاً عن طريقة ابن الاثير قائلاً : «وهذا معتبر في تاريخ عام . . بدون كافة الحوادث ويتعرض لجميع الوقائع والحكومات مراعيًا سلسلة ترتيبها ، وتاريخ وقوعها فكأنه سجل أو بحر وقائع نعرف منه ما نشاء . فلا وجه للنقد الموجه اليه من هذه الجهة . . لان الوقائع غير محدودة ، وتصنيفها مختلف تتباين فيه الادواق وتتضارب المفهوم . . وثبتت الحوادث اصل ، والامور الاخرى متفرعة عنه» (٣٣) .

٢ - ٥ كان ابن الاثير يققه اصول الكتابة التاريخية ويعرف تقنياتها وقد اتضح ذلك في خطوات البحث العلمي التي كان يسير عليها وهي جمع الاصول التاريخية وحسن اختيار الحقائق وعرضها للقارئ ، فهو يقول : «لم انقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المنشورة . ولم اكن كالحاطب في ظلماء الليالي ، ولا كمن يجمع بين الحصباء والآلئ» (٣٤) . فقد كان يربط بين الاحداث المتقاربة ، ويوحد الاسباب ويحرص على تعليل الظواهر التاريخية ونقدها . ومعنى هذا انه لم يكن مجرد مسجل احداث واخبار وإنما كان ناقداً ممتازاً ، نقد اصحاب مصادره وناقش كثيراً من اخبارهم (٣٥) .

٣ - ٥ وكان يكثر من استخدام (لو) في التاريخ مما جعله هدفاً لنقد بعض الكتاب الذين رأوا في ذلك ضعفاً في قيمة كتاباته التاريخية (٣٦) . وقد استندوا في ذلك على المثل الشائع الذي يقول (لو) زرعت وخضرت اي ان (لو) عقيمة عندما تزرع لا تخضر ولا تورق . ان استخدام (لو) امر قد يبدو غير صحيح بالنسبة للتاريخ (الفعل-الحدث) ولكن التاريخ (الفكر) شيء اخر وبامكان المؤرخ ان يزرع فيه (لو) ثم يراقب لتخضر وتورق وتنمو . ومن هنا فان من حق المؤرخ ، كما نرى ، ان يتساءل ويستفسر بل ويستخدم (لو) (٣٧) .

٦ - حجم الاضافات التي قدمها ابن الاثير في مجال تطوير كتابة التاريخ :

١ - ٦ لقد كان ابن الاثير مؤرخاً مفكراً . مدركاً واعياً . ويتضح ذلك

(٣٣) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣٠-٣١

(٣٤) الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٣

(٣٥) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ، طلبات ، المصدر السابق ص ٤ ، ٣٩

(٣٦) فريد عبد القادر نوري ، المصدر السابق ، ص ٢٨ وللمقارنة انظر : الكامل في

التاريخ ، ج ١٢ ص ٣٤ و ٣٥ ، ٣٩ ، ٧٠

(٣٧) انظر : غلغول ساطع الحصري ، مقدمة لمذكرات فله الهاشمي (بيروت ١٩٦٧) ص

٣٩ ٣٠

(٣٨) طلبات ، المصدر السابق ، ص ٤٠

(٣٩) انظر : العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٤٧

(٤٠) للمقارنة انظر كتاب ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، والشارح اليه آتياً .

وليس كذلك : شاكور مصطفى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٥

(٤١) انظر : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٢

(٤٢) طلبات ، المصدر السابق ، ص ٣-٥ . فريد عبد القادر نوري ، المصدر السابق . ص

والتعليق والابتهاال والدعاء ، فهو على اية حال ليس مؤرخاً موضوعياً حياًداً^(٤٣) . ولقد تأكدت هذه المسألة من خلال موقفه السلبي من الايوبيين وصلته الشخصية بالزنكيين ومما يجدر ذكره ان للمواقف السياسية للمؤرخ ودرجة صلته بالمؤسسة الحاكمة اثراً كبيراً في تشكيل مفاهيمه التاريخية . لذلك فن الحق وصف ابن الاثير بأنه مؤرخ رسمي ارتبطت حياته وكتاباته ومواقفه بالاسرة الزنكية الموصلية التي عاش في كنفها سنوات عديدة هو ووالده وأخوه^(٤٤) . فمادته التاريخية عكست فلسفة الدولة الزنكية ووجهة نظرها المخالفة للايوبيين وهذا الاختلاف الحاصل في ايراد الروايات ، لاشك يحفز الباحث الى المزيد من التحري عن الروايات المتناقضة للوصول الى الحقيقة عن طريق نقدها ومعارضة بعضها لبعض^(٤٥) .

٦ - ٦ وابن الاثير وان كان ينقل عن غيره من المؤرخين السابقين له . الا انه يضيف معلومات جديدة غير موجودة في تلك المصادر . فهو قد انفرد بمعلومات قيمة لا يشير الى مصدرها الاساسي . إذ كثيراً ما كان يستخدم الاسناد المجهول كأن يقول «بلغني من خبره وحدثني من اثق به وحكى

بعض اصحابنا (مما يدل على انه نقلها من مصدر لم يصل اليها ولا شك انه في ذلك يساعدنا في استكمال الروايات التاريخية)^(٤٦) . واكمال النواقص التي وجدتها في بعض المؤلفات التاريخية ولا سيما في ميل بعضها الى التلويل والاسهاب ، وميل البعض الاخر الى الاختصار المخل بالاحداث ، او ترك الاحداث المهمة والاهتمام بصغائر الامور او اختلال بعض الدراسات في ترتيب الاحداث التاريخية وعرضها ، ومن هنا فهو لم يمنع عن توجيه النقد التاريخي الى من يستحقه منها علت منزلة ذلك الذي ينقده^(٤٧) . ان التزامه بمنهجية التاريخية تتمثل في طرح الروايات المختلفة وذات المواقف المتقاطعة وبعد عرضها يوجه لها نقداً او يبرز موقفه تجاهها في ميله الى رواية منها وترجيحها^(٤٨) .

٧ - ٦ واخيراً فان ابن الاثير لم يهتم بالتاريخ السياسي وحده وانما تضمنت اهتماماته وكتبه ملاحقة للحوانب المتنوعة من العسية التاريخية . فثمة تفاصيل كثيرة في كتاباته من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في الوطن العربي والعالم الاسلامي انداك .^(٤٩)

(٤٦) واجه ابن الاثير لذلك نقداً شديداً اعتمد اساساً على ان ابن الاثير قصد من ذلك تفصيل قصد بعدم ذكر تلك المصادر . انظر سعداوي . المصدر السابق . ص ٩

(٤٧) انظر للتفاصيل : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٢

(٤٨) محمد جلوب فرحان ، منهجية ابن الاثير في كتابه الكامل التاريخ مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد ١٢ (ابر ، ١٩٨١) ص ١٥٣

(٤٩) يمكن للقارئ ملاحظة ذلك من خلال النظر في مؤلفات ابن الاثير المشار اليها انفا . انظر كذلك شاكر مصطفى . المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٣ . دريد عبد القادر نوري . المصدر نفسه . ص ٢٣ طلبات .

المصدر السابق ، ص ٤ . محسن محمد حسين . المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤٤) انظر على سبيل المقارنة : نظير حسان سعداوي . المؤرخون المعاصرون لصالح الدين ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٩

(٤٥) دريد عبد القادر نوري . المصدر السابق ، ص ٢٨

الصراع بين روسيا وإنجلترا في آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الدكتور نوري السامرائي
كلية الآداب - قسم التاريخ
جامعة بغداد

لقد اشتد الصراع بين إنجلترا وروسيا حول هذه المناطق الواسعة من السهوب والبراري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى العقد الأول من القرن العشرين ، أي منذ بداية الاحتلال الروسي لآسيا الوسطى في العقدين السابع والثامن من القرن التاسع عشر وحتى قيام الاتفاق الانكليزي الروسي عام ١٩٠٧ . وقد جلب هذا الصراع انتباه الكثيرين من الكتاب والمؤرخين والسياسيين من الانكليز والروس فألفوا عنه الكثير من المقالات والكتب^(١) .

تشمل آسيا الوسطى في الوقت الحاضر ذلك الجزء من الأراضي السوفيتية الممتدة من بحر اورال شمالاً حتى هضبة البامير جنوباً ومن بحر قزوين غرباً حتى جبال تيان شان شرقاً . وتكون عدد من جمهوريات الاتحاد السوفيتي وهي : ازبكستان وتاجيكستان وقرغيزيا وتركمانيا والقسم الجنوبي من جمهورية كازاخستان تسكنها قوميات متعددة : اشهرها ، الازبك والتاجيك والتركمان والقازاق والقرغيز . وتدبر جميع هذه الشعوب بالديانة الاسلامية . وكانت هذه الشعوب في القرن التاسع عشر تعاني من التخلف الاقتصادي والسياسي والثقافي . كان بعضها يحترف الزراعة مثل الازبك والتاجيك ، اما البقية فكانوا إما رحل . وكان مستوى الزراعة متدنياً للغاية وكانت الصناعة في مرحلة حرف العصور الوسطى . وكان النظام الاجتماعي السائد فيها هو النظام الاقطاعي . وظهرت في آسيا الوسطى عبر التاريخ ثلاث دول كبيرة : هي امارة خيوة ويبلغ عدد سكانها مليون نسمة وبخارى ٢٥ مليون نسمة وقوقند ٣ مليون نسمة . وكانت هذه الدول في حروب طاحنة فيما بينها . وتتمتع هذه المنطقة بأهمية كبرى لوقوعها على طرق التجارة البرية بين الصين والهند من جهة واوربا من جهة أخرى . واشهر مدنها طشقند وبخارى وقوقند وسمرقند وخيوة ، وكانت الأراضي كلها ملكاً للدولة ورجال الدين والاقطاعيين ، وكان الفلاحون يدفعون نصف المحصول الزراعي مقابل استخدام الارض . وقد استغل الاقطاعيون عمل الرقيق في الزراعة . وكان مصدر الرقيق هم اسرى الحرب والغارات على القبائل والشعوب المجاورة وكانت هناك اسواق للرقيق في معظم مدن آسيا الوسطى .

- (1) A. Burnes E Travels into Boukhara L 1831
- (2) Mohan. L. — Travels in Panjab' Afghanistan and Turkistan to Balkh' Herat' Bukhara L 1848
- (3) Rawlinson — England and Russia in the East L 1875
- (4) Mayer and Paqel — Afghanistan' its Political' Mibitary' History' L 1879
- (5) Boulqer ' D. c. — England' Russia in the Central Asia L 1879
- (6) Marvin. c. — Reconnoitring Central Asia L 1884
- (7) Ferrir — History of the Afghans L 1885
- (8) Bambery' Arminius — the Coming struqqle for India 1885
- (9) Curzon' G. N. — Russian in Central Asia' and the Anqlo — Russian puestin L 1889
- (10) T. J. Adye — Indian Frontier Poliey L1897
- (11) — Hutton — Central Asia I. 1879
- (12) — Humbold — Asie Centrale L 1846
- (13) — Coipuhoun' Archibad' R. — Russia against — India' the

وبالروسية .

- ١ - جلو خوفسكي - أهمية بخارى الى روسيا - بتوغراد ١٨٦٧ .
- ٢ - لومين ياميري - رحلة في اسيا الوسطى - بتوغراد ١٨٦٥ .
- ٣ - رومانوفسكي - ملاحظات حول مشكلة اسيا الوسطى . بتوغراد ١٨٦٨ .
- ٤ - تاركافي - روايات الكتاب المسلمين حول السلاف والروس - بتوغراد ١٨٧٠ .
- ٥ - كوروباتكين - ملاحظات جغرافية وتاريخية حول اسيا الوسطى . بتوغراد ١٨٧٩ .
- ٦ - مار تينس - روسيا وانكلترا الانكليزي الافغاني - بتوغراد ١٨٨٠ .
- ٧ - كويوليف - النزاع الانكليزي الافغاني - بتوغراد ١٨٨٢ .
- ٨ - مالك جرمجور - الدفاع عن الهند - بتوغراد ١٨٩١ .
- ٩ - هوف فسكي - ملاحظات عسكرية حول الهند - بتوغراد ١٨٩٩ .
- ١٠ - نيقولا ايمناتوفا - بعثة الى بخارى وخيوة - بتوغراد ١٨٩٧ .
- ١١ - كور نيلوف - رحلة الى الهند - بتوغراد ١٩٠٣ .
- ١٢ - سينسارييف - الهند - المشكلة الاساسية في الشرق الاوسط - بتوغراد ١٩٠٦ .
- ١٣ - بير نشيف - تاريخ احتلال اسيا الوسطى - بتوغراد ١٩٠٦ .
- ١٤ - جوكوفسكي - علاقة الروس مع بخارى وخيوة في ال ٣٠٠ سنة الأخيرة - بتوغراد ١٩١٥ .

حاول هؤلاء المؤلفون سواء كانوا من الروس أو الانكليز أن يشتبوا أن القصد من وراء احتلال اسيا الوسطى والهند هو تحضير الشعوب المتخلفة التي تسكن تلك الاقاليم الواسعة - بينما كان الهدف الحقيقي هو التوسع الاستعماري سواء كان من جانب روسيا أو انكلترا . إذ أن الموقع الاستراتيجي للمنطقة ومواردها الاولى واسواقها الواسعة هي التي دفعت كلاً من روسيا وانكلترا الى العمل من أجل احتلالها .

ترجع العلاقات بين الروس واسيا الوسطى الى القرن التاسع الميلادي بل القرن الثامن حيث وردت معلومات حول العلاقات التجارية بين الروس وشعوب اسيا الوسطى ^(٢) . وبعد ظهور الدولة الروسية في القرن التاسع الميلادي وتطورها بدأ التوسع الروسي يتجه نحو الشرق - الى سيبيريا بدافع الاستغلال الاستعماري ، فبدأ الروس استغلال تلك الشعوب في سيبيريا واستراخان وكازان والتي كانت في بداية تطورها الحضاري ف وقعت تحت رحمة التجار الروس . ومنذ ذلك الوقت بدأت العلاقات التجارية بين موسكو من جهة وبخارى وخيوة من جهة أخرى ^(٣) . وقد رحبت حكومة موسكو بتجار اسيا الوسطى القادمين الى المدن الروسية وخاصة تجار بخارى الذين وصلوا مدينة يوراسلاف ^(٤) . وقامت حكومة موسكو بارسال سفرائها الى امراء خيوة وبخارى من أجل اقامة علاقات الصداقة مع حكام تلك المناطق بدافع حماية التجار الروس الذين لهم علاقات تجارية مع تلك المناطق ^(٥) . وهناك الكثير من الرسائل التي بعث بها حكام خيوة وبخارى الى حكومة موسكو في القرن السادس عشر ^(٦) طالبين فيها المساعدة العسكرية لحماية طرق القوافل بين اسيا الوسطى من جهة والمدن الروسية من جهة أخرى والتي تتعرض دائماً لهجمات القبائل البدوية ^(٧) . فلبت حكومة موسكو طلباتهم لأدراكها أهمية تقوية العلاقات التجارية بين اسيا الوسطى وروسيا . ولهذا السبب فإن امراء اسيا الوسطى أراقوا دماء القسائل الرحل بمساعدة الروس من أجل تطوير علاقاتهم التجارية مع المدن الروسية . لقد أدت هذه العلاقات التجارية الى انعاش بعض المدن الروسية

(٢) - تاركافي - روايات الكتاب المسلمين حول الروس والسلاف - بتوغراد ١٨٧٠ ص ٤٤

٥٨ (باللغة الروسية) .

(٣) معلومات حول تاريخ شعوب الاتحاد السوفيتي . الاصدار الثالث - أوراق السفراء الروس

الى امراء خيوة وبخارى والمناطق الأخرى ١٥٧٨ - ١٧٠٥ الحدود الثاني سفارة امير بخارى

وخيوة الى قيصر موسكو ١٥٧٨ - ١٧٠٥ الحدود الثالث والرابع

(٤) نفس المصدر ص ١٤٢

(٥) نفس المصدر ص ١٤٣

(٦) نفس المصدر ص ٤٠٢

(٧) نفس المصدر ص ٤٠٨

وتحويلها الى مراكز تجارية منذ بداية القرن السادس عشر. مثل مدينة استراخان الواقعة على مصب نهر الفولغا في بحر قزوين ونوفكورد السفلى الواقعة في الشمال الغربي من روسيا. ومنذ نهاية القرن السابع عشر ازدادت اهتمامات حكومة موسكو بأسواق آسيا الوسطى فصاغت جهودها في سبيل تقوية علاقاتها التجارية معها وأخذت تكثر من ارسال السفارات والوكلاء الى حكام آسيا الوسطى للغرض نفسه. وجاء هذا الاهتمام المتزايد بسبب الحاجة الملحة الى منتجات آسيا الوسطى مثل الفطن والاقمشة المزركشة التي كانت رخيصة بالنسبة للروس. ومنذ هذا الوقت تقريباً تبدأ محاولات التجار الروس من أجل الوصول الى الهند. فإن التجار والسفراء الروس الداهبين الى آسيا الوسطى لم يقتصر نشاطهم على التجارة فحسب بل كان لهم دور واضح في السياسة والحروب الدائرة بين الحكام والامراء الاقطاعيين والقبائل الرعوية في تلك المناطق الواسعة من السهوب والبراري. فقد رفع سفير حكومة موسكو باسل داود لدى اماره خيوة الى قيصر موسكو فيودور الكسيفيتش تقريراً حول الحروب الدائرة في اماره خيوة بين الاقطاعيين من جهة وامير خيوة من جهة أخرى ومدى تأثير هذه الحروب على العلاقات التجارية بين اماره خيوة من جهة وروسيا من جهة أخرى^(٨). وهناك معلومات قيمة حول اعمال ونشاطات التجار والسفراء الروس لدى حكام آسيا الوسطى ومدى تدخلهم في الشؤون الداخلية والسياسة الخارجية وجمع المعلومات حول الطرق المؤدية الى الهند وسبل الوصول اليها^(٩).

لم يقتصر الاهتمام بالهند في هذه الفترة على الروس بل أن انكلترا حاولت أيضاً معرفة بعض الشيء عن الهند في هذا الوقت المتقدم. فيند بداية النصف الثاني من القرن السادس حاول التجار الانكليز الوصول الى آسيا الوسطى وفارس والهند من خلال روسيا. ففي عام ١٥٥٨ أرسلت شركة لندن التجارية :

(The Company of The Merchant Advantures for The Diecovery of Regions' Islands Places Unknow) يحمل رسالة من الملكة اليزابيث الى امير بخارى وشاه فارس حول اقامة علاقات تجارية معها ، الا أن جهوده لم تسفر عن أية نتائج ايجابية ولا سيما مع فارس^(١٠). عندها قام جينكنسون بتأسيس فرع لشركته في موسكو عام ١٥٦٧ باسم (Russian of Moskovy) وأسس

لها الكثير من المخازن في المدن الروسية الأخرى مثل استراخان ونوفكورد. فقامت هذه الشركة بتصدير البضاعة الانكليزية عبر روسيا الى بخارى والهند والصين وذلك بموافقة حكومة موسكو. الا انه سرعان ما شعر التجار الروس بخطورة ذلك المشروع اذ أصبح من الصعب على البضاعة الروسية منافسة البضاعة الانكليزية الرخيصة والجيدة. فبدأوا يطالبون بمنع مرور البضاعة الاوربية - خاصة الانكليزية - عبر روسيا الى آسيا الوسطى والهند والصين فاستجابت حكومة موسكو الى طلباتهم فأصدرت قانون عام ١٦٤٦ الذي حرم بموجبه مرور البضاعة الانكليزية والمتاجرة بها إلا من خلال ميناء «أرخانجل» فقط الواقع على بحر الشمال - البحر الابيض - وفرض ضرائب مضاعفة عليها^(١١). ويعتبر هذا أول اصطدام في المصالح التجارية بين روسيا وانكلترا في آسيا الوسطى. لكن انكلترا وجدت طريقاً آخر لها للوصول الى الهند والصين واسيا الوسطى. وهو طريق البحر. كما حاولت حكومة موسكو في هذه الفترة اقامة علاقات تجارية مع الهند لكنها لم تحقق أي نجاح في هذا المضمار. اذ أن سفيري القبرص الاسكندر ميخائيل وهما نيقولا سيريجين وفلاديمير شورين. اللذين عزموا على السفر لمقابلة خان المغول العظيم جاهاانكير لم يسمح لها بالوصول الى الهند عبر فارس فرجعا فاشلين الى موسكو. في الوقت الذي أصبح فيه لتجار اماره بخارى علاقات واسعة مع الهند فلم يرغبوا تماماً أن يكون لهم منافس في هذا المضمار متمثلاً بالتجار الروس^(١٢). وفي عام ١٦٧٥ حددت حكومة موسكو محاولاتها في إرسال سفارة الى الهند فتوجهت الى هناك سفارة نسيم داود لمقابلة خان المغول العظيم ار مينجزيو^(١٣). لكن خان المغول رفض مقابلة اعضاء السفارة كما رفض اقامة أي علاقة مع موسكو. وعلق على ذلك بقوله : ان سفارة موسكو الى الشاه كان القصد من ورائها الحصول على الفضي والثروة وليس من أجل أي شيء آخر^(١٤). وربما اتخذ خان المغول هذا الموقف بتأثير التجار الانكليز وتجار آسيا الوسطى.

وبعد مرور عشرين عاماً جددت حكومة موسكو محاولاتها في ارسال سفارة الى الهند. وفي هذه المرة تمكنت السفارة الروسية من مقابلة خان المغول العظيم والذي أرسل الى بطرس الكبير هدية عبارة عن فيل صغير

(١١) وثائق الارشيف الحكومي المركزي بتوغراد - المصنوعة المأليه لسنة ١٦٦٤ وبقه ٢٢ ورقه ١٤.

(١٢) معلومات حول تاريخ شعوب الاتحاد السوفيتي - الاصدار الثالث ورقه ١٤ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ لسنة ١٩٧١ ، باللغة الروسية.

(١٣) نفس المصدر ص ٣٣٩

(١٤) وثائق الارشيف التاريخي الحكومي لسنة ١٨٥١ الاصدار الخامس ص ٢٨٣ - ٢٨٥

(٨) نفس المصدر ص ٣٣٩

(٩) كارمان - نشاطات الروس في آسيا الوسطى بتوغراد ١٨٤٩ ص ٢٦٤ ٢٦٥ ، باللغة الروسية.

(١٠) Humboldt - Asie Central' Vol L 1846 P 223 - 226

ويظهر أن السفارة لم تحقق شيئاً أكثر من هذه الهدية (١٥).
والى هذا الوقت لم يحصل أي تصادم بين التجار الروس وتجار اسيا الوسطى فكانوا يزاولون نشاطهم سوية بكل سلام رغم وجود بعض المنافسة بينهم من أجل السيطرة على الاسواق التجارية (١٦). ولكن منذ بداية القرن الثامن عشر اراد الرأسمال الروسي أن يكون هو المهيمن والمسيطر على اسواق اسيا الوسطى . فبدأ بوجه سياسة حكومة موسكو الى اسلوب استعمال القوة مع حكام اسيا الوسطى من أجل تحقيق ذلك . وبعد فشل جيوش بطرس الاكبر امام العثمانيين في معركة نهر بروت وتنازله الى العثمانيين عن ميناء أزوف على البحر الاسود عام ١٧١١ ضعفت تجارة روسيا في البحر الاسود . فنقلت نشاطها الى منطقة بحر قزوين .

لقد كان لروسيا في هذه المنطقة نشاط تجاري قبل هذا ولكنه لم يكن على نطاق واسع فكانت تلك التجارة بالمقايضة مع قبائل التركمان والقبائل الأخرى خاصة في منطقة منجيتلات الواقعة على السواحل الشرقية لبحر قزوين . أما التجارة مع اسواق فارس فكانت محتكرة من قبل التجار الهنود والارمن وشركة جولفا لتجارة بحر قزوين . وقد فكر بطرس الاكبر باسلوبين لتوسيع نشاط تجارة روسيا في اسيا الوسطى .
١ - تحويل مجرى نهر امو دار وجعله يصب في بحر قزوين وبدلاً من مصبه في بحر اورال . وعندها ستتوجه كل تجارة اسيا عن طريق روسيا .
٢ - ضم امارة خيوة الى روسيا بعد تعهد الحكومة الروسية بضمان حق اميرها في عرش الامارة . ودعوة خانات اسيا الوسطى الآخرين للموافقة على قبول المساعدات العسكرية الروسية والاتفاق معهم على تواجد الجيوش الروسية فوق اراضيهم (١٧). ولكن لم يوافق أي واحد من حكام اسيا الوسطى على تلك الاقتراحات . وكما ذكرنا اعلاه من أن تجار بحاري وخيوة كانت لهم علاقات تجارية ناجحة مع حيرانهم من قبائل الفقرغيز والقرزاق ومع فارس وافغانستان حيث تمكنوا من الوصول الى الهند عن طريق مساعدة حكام افغانستان . ويذكر العالم الاقتصادي الروسي «نيبولسن» صاحب الاطلاع الواسع في شؤون اسيا الوسطى في القرن التاسع عشر : إن تجاري كانت مركزاً تجارياً لجميع مناطق السهوب والبراري . فهي تستورد منهم منتجاتهم الثمينة وتصدر إليهم

(١٥) وثائق الارشيف الحربي الاركان العامة مجموعة امير بيكوف لسنة ١٨٧١ ص

٢١٥ ٢٢٠

(١٦) معلومات حول تاريخ شعوب الاتحاد السوفيتي . الاصدار الثالث . القسم الاول رقم ٧٥

ص ٢٠٠

(١٧) مجموعة وصايا الامارة الروس من ٣٠ . ٧ . ١٧٠٠ جيراناويو . جينسكي . باللغة الروسية .

البضائع من مختلف المصنوعات الروسية والانكليزية والهندية (١٨) . وبعد فشل الاجراءات العسكرية والدبلوماسية والتي اراد عن طريقها بطرس الاكبر تقوية نفوذ روسيا السياسي والاقتصادي في اسيا الوسطى . نلاحظ أن بطرس قد لجأ الى اسلوب آخر لأعاش التجارة الروسية . فإذاً ما دققنا في التعليقات التي اصدرها الى سفرائه : فولينكي وبيكوفج وكوجين نلاحظ أن معظم تلك التبعيات كانت تتعلق بجمع المعلومات حول البضاعة الأجنبية التي يمكن أن تكون ملائمة ومناسبة للتصدير الى روسيا وبعدها من روسيا الى الخارج وخاصة الى اسواق اسيا الوسطى . واستناداً الى تلك المعلومات يمكن القول أن التجار الروس في تلك الفترة كان نشاطهم الاساسي يقوم على اساس الوساطة بصورة تامة بين اوربا واسيا وخاصة بالنسبة للبضاعة الاوربية وغير الموثقة في اسيا واذا ما اطعنا على نوعية البضاعة المستوردة من اسيا الوسطى الى روسيا ومن خلالها الى اوربا يتضح لنا انها كانت بصورة عامة بضاعة كالمية للبذخ والترف ولم تكن على درجة كبيرة من الضرورة والحاجة الملحة . ومن خلال الاطلاع على قوائم المكوس المدون استرجاح الواقعة على مصب الفولغا في بحر قزوين واوربرج الواقعة على نهر الاورال وخاصة ارخانجيلسك الواقعة على البحر الابيض الشمالي . والتي من خلاها مرت كل البضاعة الى اسواق اوربا . يلاحظ أن أشهر البضائع المستوردة من اسيا الوسطى هي : المصنوعات القطنية الاحمر والخمير من الكتان والأحجار الكريمة والحلى الذهبية والقرش اعنل والأقمشة الهدية الكتانية النادرة والسجاد وجلود الحيوانات المادرة والفرو النادر والياقوت ونمور والمرمر والنبية والتوبال . اما البضاعة الروسية التي صدرت الى اسواق اسيا الوسطى فهي : معطى الفرو والجلود والبضاعة الاوربية والسبع الصغيرة والحردوات والاواني المزينة . ولكن من الصعب احصاء كمية هذه البضاعة وقيمتها ولكن يظهر أنها كانت على درجة من الأهمية في القيسة فثال على ذلك في عام ١٧٥٣ فقط مرت من خلال مدينتي اونبرغ ونرونسك في الاورال بضاعة قيمتها ٥٣٠ ألف روبل ماعدا الأحجار الكريمة الغالية الثمن (١٩) . ومع ذلك فإن دور تجار اسيا الوسطى في التجارة بين إنكلترا واسيا الوسطى كان أكثر نشاطاً من دور التجار الروس في هذا المجال . فقد جاءوا بالبضائع الاسكندنافية الى اسواق اسيا الوسطى عن طريق فارس وافغانستان والهند . وكان مركز تلك البضائع لأقمشة القطنية الرخيصة التي لاقت رواجاً واسعاً في وسط

(١٨) وثائق الارشيف الحكومي المركزي لسنة ١٨٥٥ وثيقة ١٠ ورقة ١٦٦ (ملاحظات حول

تجارة روسيا مع اسيا الوسطى)

(١٩) وثائق الارشيف الحكومي المركزي X١١ رقم ٨٨ لسنة ١٧٤٤ ١٧٦٢ وثيقة ١٦ ورقة

٣٢ - ٣٣ بتروغراد ١٨٩٠

شعوب آسيا الوسطى الفقيرة وقدراتها الشرائية الضعيفة بحيث أصبح لها سوق رائجة في آسيا الوسطى وحقت ارباحاً طائلة لمنتجها الأنكليز وتجار آسيا الوسطى على الرغم من ضرائب المكوس التي كان يدفعها التجار للعدد الكبير من الامراء والحكام عبر مرورها بالهند وافغانستان وفارس . اما البضاعة المصدرة من آسيا الوسطى الى اوربا عن هذا الطريق فهي بضاعة مرفقة للبذخ والترف والالبة وليست لها أهمية لسواد الناس . وإذا كان التجار الأنكليز منافسين للتجار الروس في آسيا الوسطى ، فإن التجار الروس كانوا أكثر خطورة على التجار الأنكليز لانهم في نهاية المطاف سيصلون الى اسواق الهند كما يدعي الاقتصادي الروسي نيبولسن في القرن التاسع عشر .

وهكذا منذ القرن التاسع عشر بدأت كل من إنكلترا وروسيا تحاول كل منها ازاحة الاخرى من اسواق آسيا . وعلى هذا الاساس فإن مشروع القيصر الروسي بافل الاول ١٧٩٦ - ١٨٠١ من أجل انتزاع الهند من إنكلترا بمساعدة فرنسا يعتبر امتداداً لتلك السياسة . لكن حكّام فرنسا وعلى رأسهم نابليون الاول على الرغم من رغبتهم في أن تفقد إنكلترا سيادتها على مسرح السياسة العالمية ، فقد وجهوا انتقادات لاذعة الى ذلك المشروع الخطر . عندها قرر الامبراطور بافل الاول أن يقوم بهذا المشروع منفرداً . فقرر ارسال حملة عسكرية الى الهند من أجل تحطيم التجارة الأنكليزية هناك وطرده الأنكليز منها والحاقها بالامبراطورية الروسية (٢١) . لكن هذا المشروع لم يتم تنفيذه لأن القيصر الروسي قد اغتيل في ٢ آذار عام ١٨٠١ بمؤامرة قام بها انصار ولي العهد الاسكندر الاول والدبلوماسيه الأنكليزية .

على أن مشروع بافل الاول حفز إنكلترا للعمل الجاد من أجل حماية حدود الهند الشمالية من الخطر الروسي المزعوم خاصة بعد أن تم توقيع معاهدة تلس عام ١٨٠٧ بين الاسكندر الاول ونابليون الاول . حيث أصبح الكلام بعدها مستمراً وبصورة واضحة حول امكانية الحملة الروسية - الفرنسية المشتركة على مهاجمة الهند حسب ادعاءات الدبلوماسيه الأنكليزية وعندها بدأت إنكلترا تعمل بصورة سريعة لتثبيت اقدامها في الشرق الاوسط تحت حجة دره ذلك الخطر . ففي عام ١٨٠٩ وقعت معاهدة مع حكّام بلاد فارس وكانت تأكيداً لمعاهدة ١٨٠١ والتي جاء فيها تعهد حكومة فارس بعدم السماح الى أي جيش اوروبي بالمرور عبر اراضيها الى الهند لقاء تعهد إنكلترا بتقديم مساعدة مالية الى حكومة فارس قدرها ٢٠٠ ألف تومان سنوياً .

وبعد أن تم التوقيع في تشرين الاول عام ١٨١٣ على معاهدة جيلان ستان بين روسيا وفارس وقعت إنكلترا معاهدة أخرى مع فارس عام ١٨١٤ ، تعهدت فارس بموجبها أن تحاول منع احتلال خوارزم وبخارى وسمرقند وتستعمل كل قواتها من أجل منع مرور أي جيش اجنبي الى هناك (٢٢) .

كانت مسألة السيطرة على آسيا الوسطى قد أصبحت من ضمن الاهداف الاساسيه لسياسة كل من إنكلترا وروسيا في القرن التاسع عشر ، فقد استخدمت كل منهما شتى الاساليب لتحقيق ذلك الهدف فقد بدأ الرأسمال الروسي يضع الخطط الفعالة ويصعد الروح العسكرية والاحتلال العسكري لأراضي الفيرلدى السلطة القيصرية . ففي خلال الفترة الممتدة من ٤٠ - ٨٠ من القرن التاسع عشر ظهرت في المطبوعات الروسية الكثير من الشعارات الهادفة الى ضرورة توسيع السوق الداخلي ، لروسيا بكل حماس . فقد ظهر الكثير من الكتب والمقالات تحمل هذه الافكار . ولم تقتصر على معالجة مشكلة آسيا الوسطى وروسيا فقط ، بل مشكلة تجارة الهند ايضاً . وقد برزت في هذه المؤلفات روح العداء لإنكلترا باعتبارها العدو الرئيسي لروسيا . وأكدت الكثير من المقالات خاصة المجالات العسكرية بأن الحرب شئ حتمي بين إنكلترا وروسيا كما الف الكثير من الكتب حول أهمية شركة الهند الشرقية الأنكليزية وما تلاقيه من نجاح والدعوة الى تأسيس شركة روسيه شبيهة لها (٢٣) كما صدرت الكثير من الكتب باللغات الفرنسية والانكليزية والالمانية حول مسألة الصراع بين روسيا وإنكلترا في الشرق ، لا سيما في آسيا الوسطى والهند . أن ظهور هذه المطبوعات في المكتبات الاوربيه وطبع أعداد كبيرة منها لدليل على مدى اهتمام الاوربيين في المسألة المذكورة . وخاصة في فرنسا التي التزمت جانب روسيا ضد إنكلترا . ومن المعروف أن الصراع بين إنكلترا وفرنسا حول المستعمرات قد ادى الى قيام الحرب بين الدولتين مرات عديدة (٢٤) .

ونتيجة لهذا الصراع أخذت تتطور في إنكلترا فكرة مقاومة روسيا . فلهذا عام ١٨٢٤ ارسلت الحكومة الأنكليزية وكلائها الى آسيا الوسطى مستشرين بمختلف الحجج كالسياحة والاغراض الخاصة . وكان أشهرهم : موركرافت وكونولين وبيرس ووود وستود دارت وايون وشكسبير . وسرعان ما ظهر بعدهم الوكلاء الروس لأجل رصد

(21) E French - Russo - Indian questions L 1809 P 1 - 31 Rawlinson - England and Russia in the East L 1875 P 24

(22) مقالات الجنرال جولوبكو فسكي - مجلة موسكو ١٨٤٣ - ١٨٥٠ مقالات الجنرال جولوبكو فسكي - مجلة العسكرية بتروغراد ١٨٩١

(23) L' Inde Anglaise Par Capt. de Warron P 1884

(24) مجموعة الوثائق التاريخية ج XX وثيقة ١٦ ص ٣٢ - ٣٣ بتروغراد ١٨٩٠

نشاطاتهم (٢٤).

جمع الوكلاء الانكليز معلومات حول تجارة اسيا الوسطى ومسألة توغل التجار الروس نحو الهند. فقد وصل كل من الوكلاء الانكليز وود وبيزنس في نهر السند حتى حدود الصين بصورة سرية ليطلقوا على مدى صلاحية هذا النهر للملاحة للاستفادة منه في نقل البضاعة الانكليزية الى اسواق اسيا الوسطى، مما يجعل البضاعة الانكليزية رخيصة فتتمكن من ازالة البضاعة الروسية من تلك الاسواق، يضاف الى ذلك التفتيش عن مكان ملائم على شواطئ نهر السند ليكون مركزاً تجارياً لانكلترا لكي يتمكن تجارها من ازالة التجار الروس والاسبويين من اسواق الهند وفي سنة ١٨٣٨ اشتد الصراع بين انكلترا وروسيا على مدينة هرات، فعندما ارادت فارس احتلال هرات ايدتها روسيا في ذلك، أما انكلترا فن الطيعي أن تلتزم جانب افغانستان، وهكذا فإن انتصار فارس والواقعة تحت تأثير روسيا يعني بذلك انتصار روسيا، لكن انكلترا ربحت الجولة، إذ إن الجيش الافغاني وبمساعدة الخبراء الانكليز منع تقدم الجيوش الفارسية نحو هرات.

وبعد فترة قصيرة جابهت انكلترا مشكلة جديدة وهي المحاولات العسكرية التي قام بها الجنرال الروسي بيروفسكي لاحتلال امانة خجوة عام ١٨٣٩ كبدية للاستيلاء على امارات اسيا الوسطى وضربها الى الامبراطورية الروسية. عندئذ ارسلت انكلترا على جناح السرعة وكلائها الى: بخارى وخجوة وقوقند وهم: ستوددارت واوبون وشكسبير وكونولين. وطلبت منهم اقتداء الاسرى الروس لدى خانات اسيا الوسطى. وذلك لادعاء الروس بأن السبب الرئيسي لاحتلالهم العسكرية الفاشلة على خجوة هو «ضرورة مسيحية واجبة» وهي تحرير الاسرى الروس المسيحيين الذين وقعوا بيد المسلمين. فقد ارادت انكلترا القضاء على حجة روسيا هذه بسرعة ووضعها امام الامر الواقع بالاعلان عن اهدافها الصحيحة من وراء حملاتها العسكرية على امارات اسيا الوسطى أو الكف عن مثل تلك الحملات. اما الهدف الثاني من وراء ارسال وكلائها فهو أن يقوم هؤلاء الوكلاء بالاتفاق مع امراء اسيا الوسطى بأن لا يشيروا لهم أي مشكلة مع حكام روسيا في المستقبل لكي لا يعطوا الحجة لروسيا لاحتلال اراضيهم وتحطيم استقلالهم (٢٥). أن خوف انكلترا من الاحتلال الروسي لامارات اسيا الوسطى لم يكن مبعثه أنها - انكلترا - ستفقد سوقاً تجارية واسعة بل أن سقوط

هذه الامارات تحت الحكم الروسي خاصة قوقند ستجعل هذه المنطقة موقعاً استراتيجياً مهماً ومتقدماً للهجوم على الهند، نعم أن هذا التخوف لم يصدق.

لقد فشلت انكلترا في هذه الجولة اذ تم الاتفاق بين الحكومة الروسية وأمير بخارى بأن تقدم روسيا للأمير مساعدات مادية ملائمة لمط حاسبه لقاء تعهده بتسهيل اعمال التجار الروس في اماراته (٢٦). كما رفض أمير خجوة الدخول لمخلف دفاعي وهجومى مع انكلترا (٢٧).

ويظهر أن حكام دويلات اسيا الوسطى في هذه المرحلة كانوا أكثر اهتماماً بالصداقة مع روسيا بسبب علاقاتهم التجارية مع المدن الروسية. فقد طردوا الكثير من البضاعة الى الاسواق الروسية وحصلوا على الذهب بدلاً عنها. يضاف الى ذلك إن تجار اسيا الوسطى كانوا على صداقة وعلاقة متينة مع تجار موسكو الذين قدموا لهم البضائع الكثيرة نسيئة. وهكذا فشل الوكلاء الانكليز المبعوثون الى اسيا الوسطى في عام ١٨٤٢ قتل في بخارى كل من الوكلاء الانكليز كونولين وستوددارت بينما ازدادت العلاقات التجارية بين روسيا واسيا الوسطى في فترة ١٨٤٠ - ١٨٥٠ ارتفعت كمية البضاعة الروسية المصدرة الى اسواق اسيا الوسطى بنسبة ١٥٪ عما كانت عليه قبل تلك الفترة. (٢٨) لقد أخذت السياسة القيصريّة في القرن التاسع عشر تعمل على احتواء اراضي الفير بالقوة. وذلك لأن الرأسمال الروسي بدأ يفتش عن الاسواق الجديدة ولا بد أن يؤدي ذلك الى الاصطدام بالمصالح الانكليزية ويكون على حسابها وهذا ما حصل في اسيا الوسطى اذ كانت مسرحاً للصراع بين انكلترا وروسيا. فأيدت الطبقات المتنفذة في روسيا سياسة الاحتلال العسكري التي انتهجتها السلطة القيصريّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اسيا الوسطى لأن ذلك يحقق الأهداف التالية:

- ١ - الحصول على اراضٍ جديدة مما يتفق مع طموحات النبلاء الروس.
- ٢ - الحاجة الملحة للبرجوازية التجارية والصناعية الروسية الى اسواق جديدة ومصادر للمواد الأولية وخاصة القطن. كما أن الحصول على الاسواق الجديدة مما يضعف الصراع بين الرأسمالية النامية والاقطاع داخل روسيا.
- ٣ - إن سيطرة روسيا على اسيا الوسطى وقبائلها والتي تقع بالقرب من بحر قزوين وجنوب الاورال وغرب الفولغا يمثل أهمية استراتيجية بالنسبة للدفاع عن قلب روسيا ووسطها.

(٢٦) وثائق الارشيف التاريخي - القسم الاسوي رقم ١ - ٦ سنة ١٨٤٨

(٢٧) Rawlinson - England and Russia in the East L 1875 P 154 - 59

(٢٨) ارلرسميتوف - دراسة الجنود التاريخي للصناعة والتجارة في روسيا بتروغراد ١٨٥٩

ص ١٩٣ - ١٩٤ (باللغة الروسية).

(24) A. Burnes - Travels into Bokhara L 1834 P 124 - 132

(25) Kaye - History of the war in Afghanistan - Chapter - the great game' aCentral Asia L 1881

٤ - ان تواحد روسيا في آسيا الوسطى يساعدها على تحقيق بعض التنازلات من انكلترا في شبه جزيرة البلقان والمضائق . وهكذا كلما ازداد توغل البرجوازية الروسية وبضاعتها في اسواق آسيا الوسطى وابقائها على قواتها العسكرية هناك كلما ازداد حذر إنكلترا من سياسة روسيا الاستعمارية التوسعية .

لقد سببت افغانستان مشاكل كثيرة لانكلترا بدون انقطاع فبعد ان حصل الاصطدام بين المصالح الانكليزية والروسية حول صحراء هرات في عام ١٨٣٨ بدأت كل من انكلترا وروسيا تعد العدة لكسب افغانستان الى جانبها . فحضر الى قصر امير افغانستان دفعة واحدة مبعوث روسي وهو الجنرال فيتكوفش وآخر انكليزي يدعى السير بيرنس . وقد بدأ هذان الدبلوماسيان صراعاً عنيفاً من أجل السيطرة على امير افغانستان وفي هذا الوقت بدأ امير افغانستان دست محمد خان يميل الى جانب روسيا ، اذ ان المبعوث الروسي فيتكوفش لم يخل بالهدايا والوعود التي قطعها للأمير الافغاني خاصة وان روسيا في هذا الوقت لم تكن تمثل خطراً مباشراً عليه لأن جيوشها لاتزال بعيدة عن حدود افغانستان ولا تهددها بصورة مباشرة .

إن هذا التقارب الذي حصل بين روسيا وافغانستان زاد من قلق إنكلترا على الهند وبدأت تسمى تحطيم التحالف الافغاني - الروسي تدخلت في شؤون افغانستان عندما أعلنت الحرب عليها عام ١٨٣٨ - ١٨٤٢ . والتي كلفتها ١٨ ألف قتيل و١٥ مليون جنيه استرليني . وقد بررت إنكلترا هذا التدخل على اساس : أن وجود إنكلترا في آسيا الوسطى شيء قانوني بالنسبة للأمة الانكليزية لأجل احباط كل المخططات الموجهة ضد حدودها الشمالية الغربية في الهند (٢٩) . وكان الرد الروسي على هجوم إنكلترا على افغانستان هو الحملة العسكرية التي قادها الجنرال بيروفسكي عام ١٨٣٩ لاحتلال اماره خيوه . اذ كان أحد أهداف الحملة الاساسيه هو تقوية النفوذ السياسي والتجاري لروسيا في آسيا الوسطى وازعاف النفوذ الانكليزي هناك (٣٠) . وفي عام ١٨٥٣ وبعد صراع طويل تمكن الجيش الروسي من احتلال حصن اكميشيت ويعتبر هذا كخطوة اولى لاحتلال منطقة طشقند التي كانت تابعة الى اماره قوقند والتي تعتبر غنيه بمواردها الاوليه وسوقها الواسعة . لكن نشوب حرب القرم عرقل النشاط الروسي في آسيا الوسطى .

وقد صرح الحاكم العسكري لمنطقة اورنبرغ أن القصد من احتلال قلعة اكميشيت هو ضم اماره قوقند الى الأراضي الروسية وتحويل قبائل

(٢٩) Koxf - P 68

(٣٠) وللق الأرشيف التاريخي - القسم الاسيري رقم ١٢٠٩ لسنة ١٨٣٩

القرغيز الى التبعية الروسية (٣١) . ومن الواضح أن الحدود بين امارات آسيا الوسطى لم تستقر بعد وكذلك حدودها مع الأراضي الروسية . وكانت الدبلوماسية الروسية ترى أن تأخير تثبيت الحدود من صالحها (٣٢) . وفي عام ١٨٥٠ حاولت انكلترا أن توحّد حكام آسيا الوسطى ضد روسيا فقد كتب الحاكم العسكري الروسي لمقاطعة اورنبرغ الى وزارة الخارجية ان سفارة امير افغانستان في بخارى طلبت من أمير بخارى الموافقة على وجود قوة افغانية في بخارى لاستعمالها في الحرب ضد روسيا (٣٣) . لكن امير بخارى رفض ذلك ولم يكتف بذلك بل طرد البعثة الافغانية من بلاده وارسل ١٢ ألف من جنوده الى حدود امارته مع افغانستان للدفاع عنها وحصلت بعض المناوشات مع القوات الافغانية (٣٤) .

ان سياسة إنكلترا بعد فشلها في حربها مع افغانستان ١٨٣٨ - ١٨٤٢ وفشل سفاراتها في آسيا الوسطى ومقتل وكلائها في هرات كانت تقوم على أساس تقوية نفوذها في الشرق الاوسط . وقبل اندلاع حرب القرم ١٨٥٣ تمكنت انكلترا من احباط محاولات الاتفاق بين فارس وروسيا حول قيام فارس بمهاجمة الأراضي العثمانية . كما نجحت إنكلترا في الحصول على تعهد من الشاه بعدم القيام بالتدخل في شؤون هرات وأن لا يكون لديه هناك تمثيل دبلوماسي (٣٥) .

وعملت الدبلوماسية الانكليزية على اثارة اكراد فارس ضد النفوذ الروسي (٣٦) . وقد ارادت إنكلترا من وراء مساهمتها في حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ ليس فقط الدفاع عن ممتلكات الدولة العثمانية من الغزو الروسي وطموحاته في السيطرة على البحر الاسود لكنها ارادت أيضاً ابعاد روسيا عن القفقاس وسد الطريق في وجهها الى آسيا الوسطى . فقد وضعت في لندن المخطط من أجل انتزاع شبه جزيرة القرم والقفقاس من روسيا وتأسيس حكومة اسلامية - الحكومة التركية - برئاسة شامل بك ودولة اسلامية أخرى برئاسة دست محمد خان امير افغانستان تضم افغانستان وجزءاً من آسيا الوسطى وتكون هذه الدول الاسلامية جبهة موحدة ضد التوسع الروسي في آسيا الوسطى والمضائق .

وبعد أن اكملت انكلترا احتلالها للمقاطعات الهندية عام ١٨٥٦ استغلت ضعف روسيا بعد حرب القرم وارادت العمل وفق سياسة

(٣١) نفس المصدر رقم ٨ لسنة ١٨٧٩ ص ٤٤٢ - ٤٦٩

(٣٢) نفس المصدر رقم ٩٢ لسنة ١٨٥٠ ص ٤

(٣٣) وللق الأرشيف التاريخي لجمهورية الزيكشان رقم ٧١٥ وثيقه ٢٢ ورقه ٤٨٦ - ٤٨٧

(٣٤) نفس المصدر ورقه ٤٨٧

(٣٥) ريتيكس - ملاحظات حول سياسة حكومة فارس - بتوعداد ١٨٨٠ ص ٢٥٢ - ٥٤

(٣٦) وللق الأرشيف التاريخي رقم ١٠ وثيقه ١ - ٩ ورقه ٢٩ لسنة ١٨٥٤

الأحتلال للمناطق الجديدة في الشرق خاصة في اسيا الوسطى ومناطق بحر قزوين ، ففي عام ١٨٥٥ وقعت معاهدة صداقة في مدينة بيشاور مع أمير أفغانستان ضد روسيا كما حاولت الاستيلاء على هرات (٣٧) . ويظهر ان نفوذ إنكلترا بين حكام أسيا الوسطى ازداد بعد حرب القرم ففي ٢٦ شباط عام ١٨٥٥ بعث القائد العام للجيش الروسي في منطقة سيبيريا الجنوبية الى وزارة الحربية يخبرها بوصول مبعوث انكليزي الى أمير بخارى يطلب منه السماح بمرور القوات البريطانية الى الأراضي الروسية على حدود سيبيريا وهو يحمل توصية من السلطان العثماني عبد المجيد الأول . الى أمير بخارى يطلب منه السماح بمرور القوات البريطانية الى الأراضي الروسية وقد وافق الأمير على ذلك (٣٨) . وهذا يدل على أن الوكلاء الانكليز في اسيا الوسطى كانوا على علاقة حسنة مع السلطان العثماني . وبعد هذا الحادث بوقت قصير كتب الحاكم العسكري الروسي لمنطقة قرغيزيا الى وزارة الحربية بأن الوكلاء الانكليز يعملون من أجل اثارة قبائل القرغيز ضد الوجود الروسي (٣٩) . مما يدل على محاولات إنكلترا لاثارة خانات أسيا الوسطى ضد روسيا والتوغل في سيبيريا ، ودفع أمير أفغانستان لأحتلال بخارى ، وذلك ما اعلنه الحاكم العام الروسي لمقاطعة اورنبرغ برسالته الى وزارة الحربية (٤٠) . كما اعلن عن وصول الوكلاء الانكليز الى اماره خيوة وبخارى (٤١) .

إن محاولات إنكلترا في الاستيلاء على اسيا الوسطى دفع روسيا الى الهجوم السريع على اسيا الوسطى لكي تسبق إنكلترا الى ذلك . علماً بأن تطور الصناعات الروسية جعل أسيا الوسطى تمثل حاجة ملحة لها كسوق لتصريف منتجاتها وللحصول على المواد الأولية للصناعة خاصة القطن لكي يسد حاجة صناعة النسيج ويجعلها تستغني عن استيراده من الخارج . وفي عام ١٨٥٤ تمكنت السلطة القيصرية من تثبيت اقدامها في كازخستان الجنوبية بعد بناء حصن فيرنويه الذي تحول فيما بعد الى مدينة ألما - أتا عاصمة كازخستان وقد ادى ضم كازخستان الجنوبية الى الامبراطورية الروسية الى اصطدام مع اماره قوقند وبخارى واحتلت الجيوش الروسية في عام ١٨٦٥ مدينة طشقند التابعة لامارة قوقند . وفي

عام ١٨٧٣ اعترفت اماره خيوة بالتبعية الروسية ومنحت الاستقلال الذاتي في ادارة شؤونها الداخلية والفي الرق فيها واصبح لروسيا حق الملاحقة في نهر امودار وحرية التجارة في كافة ارجاء الامارة وان تدفع الى روسيا غرامة نقدية قدرها ٢٥ مليون روبل خلال عشرين سنة . اما سياستها الخارجية فتكون تحت اشراف الحاكم العام لتركستان الروسية . وفي عام ١٨٧٨ وقعت اتفاقية بين روسيا وامارة بخارى تشبه المعاهدة الموقعة مع حاكم اماره خيوة . اما اماره قوقند فقد بقيت محافظة على استقلالها حتى كانون الثاني عام ١٨٧٦ عندما احتل الجنرال الروسي سكوبيليف عاصمتها أنيجان وفي ١٩ شباط عام ١٨٧٦ أعلن عن الغاء اماره قوقند وتم تشكيل ما يسمى بمقاطعة فرغانة كجزء من تركستان الروسية .

إن الغاء اماره قوقند يعني أن روسيا قد تمكنت من أحتلال اسيا الوسطى وأنشأت من الأراضي المحتلة حاكمية تركستان التي قسمت الى مقاطعات على رأسها حكام عسكريون . واصبحت طشقند مركز الحاكم العام للأقليم .

أما إنكلترا التي كانت تطمح في السيطرة على اسيا الوسطى وما وراء القفقاس فقد باءت بالفشل اذ لم تتمكن من اختراق هضبة هندكوش ونصل الى حوض نهري سيردار وامودار . وهكذا فإن هدف إنكلترا في اضعاف روسيا في اسيا لم يتحقق إلا انها استمرت ترصد بكل انتباه تحركات روسيا في منطقة سهوب تركستان وفي طريقها الى مرو . كما فشلت محاولات إنكلترا في اقامة منطقة محايدة في اسيا الوسطى تفصل بين مناطق النفوذ الانكليزية والروسية لكي تخفف الاصطدام بين الدولتين فوافقت روسيا على ذلك بشرط أن تكون أفغانستان ضمن المنطقة المحايدة ، لكن إنكلترا لم توافق على ذلك بل ارادت أن تكون المنطقة المحايدة تتكون من الأراضي الواقعة على نهر امودار المحاذية لامارة بخارى ، وهذا يعني إن إنكلترا ارادت طرد روسيا من اماره خيوة وحوض نهر امودار وهكذا لم يتوصل الى نتيجة . كانت هذه المحاولة قد تمت في عام ١٨٦٩ عندما اقترح ذلك وزير خارجية إنكلترا كلاريندون على وزير خارجية روسيا براينوف (٤٢) .

إن نجاح روسيا في فرض سيطرتها على اسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفشل الدبلوماسية الانكليزية في اقامة منطقة محايدة هناك مما أثار موجة من الملح والخوف في الاوساط الأجنبية والسياسية في إنكلترا . فقد كانت الصحافة الانكليزية تراقب تحركات

(٣٧) بافلوفا - بوشيفا - الهجوم الانكليزي على فارس ١٨٥٦ - ١٨٥٧ موسكو ١٩٥٢ ص ١٢٤

(٣٨) هالين - العثمانيين والانكليز في اسيا الوسطى في ٥٠ - ٨٠ من القرن التاسع عشر طشقند ١٩٥٧ ص ٢٩ - ٤٨ (باللغة الروسية) .

(٣٩) ولاتق الارشيف التاريخي لجمهورية اوزبكستان ملف ٧١٧ وثيقه ١٦ ورقه ٥٣ لسنة ١٨٥٥

(٤٠) نفس المصدر ملف ٧١٥ وثيقه ١٧ ورقه ٢٠٢ - ٢٠٣ لسنة ١٨٥٦ .

(٤١) نفس المصدر ملف ٧١٥ وثيقه ٢٢ ورقه ٢٢٩ لسنة ١٨٥٦

(٤٢) - فيودورمار تنس - روسيا وإنكلترا في اسيا الوسطى - بتروغراد ١٨٨٠ ص ٤٢ (باللغة الروسية)

روسيا في اسيا الوسطى بكل انتباه فأطلقت على روسيا اسم الدولة الطموحة وان احتلال الهند والقسطنطينية أحب شيء الى أي مواطن روسي أعلنت ذلك صحيفة التايمس اللندنية في سلسلة المقالات التي نشرتها في عام ١٨٧٣. فساندت الدبلوماسية الانكليزية والدوائر العسكرية العليا شعار الخطر الروسي على الهند والذي اكدت عليه الصحافة البريطانية. في الوقت الذي ازداد اهتمام انكلترا في الهند بعد أن فقدت مستعمراتها في العالم الجديد. حتى وصفها أحد رجال السياسة بقوله: بقيت الهند الجوهرة الوحيدة اللامعة في الامبراطورية البريطانية^(٤٣). في سنة ١٨٦٥ ذكر السائح الهنغاري أرميني قامبيرا: أن احتلال روسيا لتركستان يساعدها على احتلال افغانستان ثم شمال الهند^(٤٤). وفي عام ١٨٦٨ جاء في محاضرة الخبير العسكري الانكليزي هنري راولسن: أن تحرك الجيش الروسي الى اسيا الوسطى يعني غزو الهند من الاتجاهات التالية:

- ١ - بحر قزوين من خلال اورنبرغ وسهوب سيبيريا ثم الى ارتوش.
- ٢ - استراباد - هرات - قندهار - كابل وهذا يعطي الى روسيا مفتاح بوابة الهند^(٤٥).

وبعد احتلال روسيا امانة خيوة عام ١٨٧٣ جاء في محاضرة له في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن: أصبحت روسيا تسيطر على الطريق الذي يؤدي بها الى الهند^(٤٦). وما زاد من شدة هذه المخاوف وضع إنكلترا في داخل الهند، اذ كانت مشغولة في القضاء على الثورات القومية التحررية التي زادت حدتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بتأثير المجاعات المتكررة. كما أن تخلف شبكات الخطوط الحديدية في الهند وبعدها عن المتربول - انكلترا - كل هذه تكون صعوبات في نقل الجيوش البريطانية الى ساحة الحرب المطلوبة في اسيا ضد روسيا. وفي الوقت الذي تملك فيه روسيا كل الافضليات بالنسبة الى هذه المشاكل. فمن خلال بحر اورال ونهر امودار يسهل عليها نقل جيوشها الى ساحة الحرب حتى حدود افغانستان الا أن السلطة القيصرية في روسيا لم تكن متيأة للهجوم على الهند حتى ذلك الوقت.

لقد أصبحت الرأسمالية الروسية قوية في اسيا الوسطى بعد الاحتلال الثام لوادي نهر سيردار وامارة. بخارى وخرقند وأخذت الوكالات

التجارية الروسية تريح البضاعة الانكليزية عن اسواق اسيا الوسطى بحيث أصبحت الحدود الجنوبية لتركستان بعد فترة وجيزة مغلقة في وجه البضاعة الانكليزية. وفي عام ١٨٩٤ منعت البضاعة الانكليزية من الدخول الى اسواق خيوة وبخارى، فأعتبرت انكلترا هذه الاجراءات بما يحطم مصالحها الاقتصادية في اسواق اسيا الوسطى. وصار الموقف على درجة من الجدبة، اذ أن روسيا لم تمنع إنكلترا من التدخل في شؤون اسيا الوسطى فقط بل جعلتها قلقه من احتمال قيام الروس بالهجوم على الهند وقد تظاهروا بالتيه للهجوم. اذ صدرت الاوامر بتنظيم قوات من القوقاز وجيش تركستان والدعوة لخدمة الاحتياط ليس في تركستان فقط بل في غرب سيبيريا ايضاً^(٤٧). الا أن السلطة القيصرية لم تكن قادرة على القيام بعمل عسكري على حدودها في اسيا الوسطى لأنها في هذه الفترة كانت في موقع صعب اكثر من انكلترا لاسيا وان انكلترا غيرت نظامها الدفاعي في الهند عما كان عليه قبل عام ١٨٦٨. فقد اعادت النظر بالتوزيع الجغرافي لقواتها العسكرية في الهند. كما قامت ببناء شبكة من الخطوط الحديدية هناك وبعد احتلال حصن اكيجينيت على يد القوات الروسية في عام ١٨٥٣ بدأ المهندسون الانكليز بعملية اصلاح الطرق البرية في هضبة هندكوش^(٤٨). كما أن افتتاح قناة السويس سهل عملية نقل الجيوش من المتربول - الجزر البريطانية - الى ساحة الحرب في اسيا. أما بالنسبة الى روسيا فلم تكن تملك قوات عسكرية كافية في تركستان، يضاف الى ذلك صعوبة نقل الجيوش من اقسامها الاوربية الى اسيا الوسطى بسبب قلة شبكة الخطوط الحديدية في هذه المساحات الواسعة من منطقة السهوب والبراري واضطراب الوضع الداخلي فيها واشتداد حركة المطالبة بالاصلاحات الحضرية. فاستغلت الدبلوماسية الانكليزية هذا الموقف الصعب الذي مرت به السلطة القيصرية، فكان لها دور واضح في تحريض العثمانيين على رفض مشروع التسوية السلمية لحل النزاع بين العثمانيين وروسيا، مما اضطر السلطة القيصرية الى اعلان الحرب على العثمانيين في عام ١٨٧٧ والتي انتهت بمعاهدة «سان ستيفانو» في آذار ١٨٧٨ والمعدلة بمؤتمر برلين في صيف ١٨٧٨ والذي سلب من روسيا حصيلة انتصاراتها على العثمانيين وبدأت نشاطها مجدداً في اسيا الوسطى وافغانستان. في الوقت الذي ضاعفت فيه روسيا نشاطها على الساحة الاوربية. فبعد أن احكت قبضتها على امارات اسيا الوسطى بدأت نشاطها للسيطرة على افغانستان فأشتدت الخلافات بين الدولتين

(٤٣) Maning, H. T. - British Colonial Government after American Revolution 1782 - 1820 L 1933 P 290

(٤٤) ارميني قامبيري - رحلة في اسيا الوسطى - بتروغراد ١٨٦٥ ص ٢٢٠

(٤٥) سربوليف - الصراع الانكليزي - الافغاني - بتروغراد ١٨٨٥ ص ٣٥٩ (بالله الروسية).

(٤٦) وثائق الارشيف الحربي - الاركان العامة وليفه ١٨٢٩٦ ورقه ١٤ - ١٥ لسنة ١٨٧٣.

(٤٧) وثائق الارشيف المركزي التاريخي - القسم الاسيوي لسنة ١٨٧٧ ورقه ٦١، ٥٩ لسنة ١٨٧٨.

(٤٨) وثائق الارشيف الحربي - وليفه ١٨٢٩٦ ورقه ١ - ٨ لسنة ١٨٥٣.

روسيا وإنكلترا - في العقد التاسع من القرن التاسع عشر الى درجة أصبحت روسيا على قيد شجرة من الحرب مع إنكلترا .
في عام ١٨٧٨ أرسلت السلطة القيصريّة الى كابل سفارة الجنرال ستوليتوف لتقوية أواصر الصداقة بين روسيا وأفغانستان ومحاولة اقناع أمير أفغانستان للوقوف الى جانب روسيا في حالة حربها مع إنكلترا وفضح سياسة إنكلترا في خرقها للقوانين وعزل الحكام المحليين ، بينما كانت علاقة روسيا مع حكام آسيا الوسطى قائمة على أساس الصداقة والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية فأبقت الحكام الشرعيين على عروشهم مع كافة سلطاتهم القانونية^(٤٩) . لكن حكام أفغانستان أدركوا نوايا كل من إنكلترا وروسيا بالنسبة الى بلادهم . فهناك قصة لطيفة تحدث بها الأمير دست محمد خان الى ابنائه : ان أمير أفغانستان كاللوزة التي تسبح في بحيرة يجلس على حدودها الجنوبيه الاسد الأنكليزي يتودد للوزة للأقتراب منه ويجلس في الشاطئ الشمالي دب روسي يتودد اليها ايضاً . وبالنسبة للوزة فإن المكان الأمن لها هو أن تسبح في وسط البحيرة . ولكن اذا جفت البحيرة فسوف يلتقي الاسد والدب ويشند الصراع بينهما وفي كل الأحوال سيستف ريش الوزه ويقصد بذلك أفغانستان^(٥٠) .

وعندما تسلم حزب المحافظين السلطة عام ١٨٧٤ برعاية دزرائيلي عمل على احتلال أفغانستان ، فأحتلت القوات الهندية مدينه جيلان ومدينة كفيثو الواقعة داخل الاراضي الافغانيه . وكانت روسيا قد وعدت أفغانستان بتقديم المساعدة لها في حالة تعرضها الى اعتداء خارجي لكن أفغانستان كانت في موقف صعب ، فقد أصبحت بين الحشود الروسية في منطقة امودار وبين الجيوش الانكليزية في كفيثو . واستناداً الى وعد ستوليتوف كان أمير أفغانستان يأمل في الحصول على الدعم العسكري من روسيا عند حربه مع إنكلترا . وعندما بدأت الجيوش الانكليزية زحفها صوب الاراضي الافغانيه عام ١٨٧٩ كتب الأمير شير علي خان حاكم أفغانستان الى وزير خارجية روسيا كايهان يطلب منه المساعدة ولكن لم يلب طلبه فأحتلت الجيوش الأنكليزية والهندية العاصمة كابل وتنازل الأمير شير علي خان الى ابنه يعقوب خان وتم توقيع معاهدة بين الطرفين أصبح بموجبها لا يحق لأفغانستان الاتصال بأية دولة أجنبية الا عن طريق حكومة الهند كما سيطرت القوات البريطانية على المواقع الاستراتيجية الفاصلة بين الهند وأفغانستان مثل ممرات خيبر وتعهدت بريطانيا بتقديم مساعدة مالية سنويه للحكومة الافغانية قدرها ٦٠ ألف

(٤٩) وثائق الارشيف المركزي التاريخي - القسم الاسري رقم ٥٥٩ لسنة ١٨٧٨ .
(٥٠) J. Wheeler - the Ameer Apdur Rahman I, 1881 P 122.

جنه استرليني . وبعد توقيع المعاهدة صرح دزرائيلي في مجلّ العموم البريطاني : أ لأن أصبح للهند حدود مدرسه^(٥١) . إن الموقف الروسي المهادن من الحرب الأنكليزية - الافغانية ، جاء بسبب أن السلطة المحلية في تركستان لا تملك القوة العسكرية الكافية للقيام بمجابهة عسكرية مع إنكلترا ، اضافة الى أنها لم تلق التأييد المشجع من العاصمة بتروغراد . وبعد هذه النجاحات المسالفة الذكر والتي حققتها إنكلترا في أفغانستان وجه الروس نشاطهم باتجاه مدينة هرات - بوابة الهند - ففي عام ١٨٨١ احتلت القوات الروسية مدينة عشق آباد الواقعة بالقرب من الحدود الافغانية - الفارسية . وفي عام ١٨٨٤ تم احتلال مدينة مرو . وقد امتعشت إنكلترا كثيراً من احتلال القوات الروسية هذه المدينة حتى اضطر أحد وزراء كلابستون الى الاستقالة وعندما أحتجت حكومة الهند على تحركات روسيا الأخيرة كان جواب وزير خارجية روسيا أن مدينة مرو لا تقع داخل الحدود الافغانية . ولذلك لا تجد روسيا القيصريّة أي اساس لأدعاءات الحكومة الأنكليزية سيما وأن هذه المدينة تمثل الحاجز القوي لصعد قبائل التركان الشرسة عن الاراضي الروسية في منطقة بحر قزوين^(٥٢) . إن اندفاع الجيوش الروسية باتجاه الحدود الافغانية واقترابها منها اربح إنكلترا وجعلها تخشى على الهند من الغزو الروسي ، فوصلت الى هرات قوات انكليزية - هنديه . ودفعت الجيش الافغاني الى الاشتباك مع الجيوش الروسية التي كانت تحت قيادة الجنرال كماروف ، لكن الجيش الروسي الحق بها ضربة قوية وتمكن من تخطيطها في عام ١٨٨٥ . وأخذت الدول الأوروبية تتوقع قيام الحرب بين روسيا وإنكلترا وتصورت انها أصبحت حتمية ، لكن انشغال إنكلترا بشؤون الدولة العثمانية منعها من التدخل لنصرة أفغانستان عندها تم توقيع المعاهدة الروسية - الافغانية لعام ١٨٨٥ ، وفي عام ١٨٨٧ تم الاتفاق بين الدولتين على تثبيت خط الحدود بينهما^(٥٣) .

وبعد هذا التقارب الروسي - الافغاني ازدادت مخاوف الأنكليز على الهند ففكروا بالتحالف مع السلطان العثماني وكان من شروط التحالف المقترحة أن تقوم السلطات العثمانية بالتعبئة الجزئية واصلاح طرق مواصلاتها في المناطق القريبة من الحدود الروسية خاصة في منطقة القفقاس^(٥٤) . ويمكن أن يكون مشروع الاتفاق مع الباب العالي

(51) Selected Speeches and documents on British Colonial Policy 1763 - 1917 by A. B. Keith L 1918 P 71 - 72 .

(٥٢) وثائق الارشيف الحربي - هيئة الاركان العامة رقم ٧٢ عام ١٨٨٤ .

(٥٣) مجموعة من المؤرخين السوفيت - تاريخ الاتحاد السوفيتي ج ٢ ، موسكو ١٩٦٣ ص ١٥٦ .

«باللغة الروسية» .

(٥٤) وثائق الارشيف الحربي - هيئة الاركان العامة - الوثائق السريه رقم ٥٨٧ لسنة ١٨٨٨ .

كوسيلة للضغط على روسيا تستغلها إنكلترا. وقد تصور القواد العسكريون الانكليزي بأن الحملة الروسية على الهند شيء حتمي ، ولذلك فقد بدأت هيئة الاركان العامة للجيش الهندي يوضع مختلف الخطط العسكرية لمجابهة الغزو الروسي للهند . ويمكن ملاحظة الكثير من تلك الخطط في كتاب مالك جريجور الذي صدر عن هيئة الاركان العامة الهندية^(٥٥) . بينما فكرت روسيا باستغلال مشكلة غزوها للهند كوسيلة للضغط على إنكلترا للتساهل امام السياسة الروسية في اوربا . فقد أعلن الجنرال الروسي سكو بيليف في تقريره الذي قدمه لهيئة الاركان العامة في ١٨٨٨/٨/٧ أن تقسيم افغانستان الى قسمين تفصل بينهما هضبة هندكوش عن طريق مساعدة اسحاق خان خصم عبد الرحمن خان تمثل نصراً كبيراً للسياسة الروسية وهذا مما يسهل حل مشكلة البحر الاسود . وان الانكليز سيضطرون الى تنازلات كثيرة لصالحنا في سبيل الحفاظ على الهند . وعندها سنملي عليهم شروطنا حسب مصالحنا^(٥٦) . وهكذا تتضح الأهداف الاساسية من وراء سياسة روسيا وهو استغلال مشكلة الهند كوسيلة ضغط على عدوتها إنكلترا من أجل تحقيق طموحاتها في القسطنطينية والبحر الاسود وشبه جزيرة البلقان .

لقد أصاب الصراع الروسي - الانكليزي شيء من الفتور في نهاية القرن التاسع عشر بعد ظهور المشكلة البلقانية وطموحات النمسا في السيطرة على المنطقة اضافة الى ظهور الخطر الالماني المهدد لمصالح الدولتين - إنكلترا وروسيا - في الشرق الاوسط وهذا مما خفف من حدة الخلافات بينها وجعل روسيا تركز جهودها حول شبه جزيرة البلقان . لهذه الاسباب لم تشتد حدة الصراع الروسي - الانكليزي في آسيا الوسطى في نهاية القرن التاسع عشر ، مما أدى الى انتعاش العلاقات التجارية بين الهند من جهة وروسيا وآسيا الوسطى من جهة أخرى حتى أن الشركات الروسية الكبيرة نظمت علاقاتها التجارية مع الهند مثل شركة الخزفيات والاواني المنزلية «لوشينا» وشركة المنتجات النفطية «مانتاشيف» وبدأت هذه الشركات تطالب السلطة القيصرية بفتح قنصلية روسية في بومباي .

إن حرب البوير في جنوب افريقيا ١٨٩٩ - ١٩٠٢ حولت نشاطات انكلترا العسكرية والدبلوماسية لفترة من الزمن من آسيا الى افريقيا . كما حاولت روسيا استغلال ذلك الظرف الصعب الذي احاط بانكلترا لأجل تقوية نفوذها في فارس والخليج العربي والشرق الأقصى . لكن

اندحار البوير في تلك الحرب جعل إنكلترا تتمكن من القضاء على الخطر الروسي بسرعة . ومما ساعد إنكلترا على ذلك هو اليابان التي حطمت الاسطول الروسي في معركة بورت آرثر عام ١٩٠٤ . اما في بلاد فارس فقد استغلت انكلترا الحركة الدستورية القوية ضد الشاه فألترمت جانب الحركة الثورية وارادت من وراء ذلك تحطيم سمعة روسيا التي كانت تساند الحكام الرجعيين في فارس . وفي بداية القرن العشرين بدأت روسيا القيصرية تؤمن بوجهة النظر القائلة - بأن علاقتها مع إنكلترا يجب أن تكون علاقة سلام . في الوقت الذي ساد الاعتقاد في صفوف المسؤولين الانكليز بأن اليابان ليس ذلك الحليف الذي يركن اليه كثيراً . ذلك لأن اليابان تطمح في أن تكون سيدة الموقف في اسيا وخاصة في الشرق الاقصى والصين ، يضاف الى ذلك ظهور الخطر الالماني المشترك الذي بدأ يهدد مصالح الدولتين . فبدأ بداية القرن العشرين أصبحت المانيا إحدى الدول الرأسمالية الكبيرة وبدأت تتحرك بكل نشاط في الأفطار الآسيوي خاصة في فارس مستغلة التناقضات بين روسيا وإنكلترا لكنها لم تعمل من أجل احتلال فارس لأنها في تلك الفترة - أي المانيا - لم تكن تملك القدرة على احتلال تلك البلاد وتفرد بها لوحدها . في هذه الحالة يكون من مصلحة المانيا أن تبقى فارس مستقلة وتتبع سياسة الباب المفتوح في التجارة لجميع الدول^(٥٧) .

وبتأثير هذه الظروف الجديدة هدأ الصراع بين إنكلترا وروسيا في آسيا الوسطى وفي معاهدة ١٩٠٧/٨/٣١ تم تقسيم فارس الى منطقة نفوذ روسية في الشمال وانكليزية في الجنوب ومنطقة محايدة في الوسط أما بالنسبة لافغانستان فقد طبق مبدأ تكافؤ الفرص في التجارة بالنسبة لروسيا وإنكلترا . وأن تكون سياستها الخارجية تحت إشراف حكومة الهند وتعهدت إنكلترا بعدم احتلالها أي جزء من أفغانستان طالما أن امير افغانستان يحترم تعهداته تجاهها كما تعهدت الدولتان بعدم التدخل في شؤون التبت .

وفي الختام يمكن القول أن الصراع الروسي - الانكليزي في آسيا الوسطى منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى توقيع معاهدة ١٩٠٧ بين الدولتين - إنكلترا وروسيا - عبر عن أهداف الرأسمالية في حاجتها الى احتلال أراضي الغير كلما ازداد تطورها . وقد ازداد اهتمام روسيا القيصرية في آسيا الوسطى بعد فشلها في السياسة الاوربية خاصة بعد حرب القرم ١٨٥٣ و ١٨٧٧ . اذ أنها ارادت أن تعوض عن خسارتها في اوربا بتحقيق بعض النجاحات في آسيا الوسطى . علماً بأن

(٥٥) مالك جريجور - الدفاع عن الهند - بتوغراد ١٨٩١ ص ٧ - ٢٢ الترجمة الروسية .

(٥٦) وثائق الارشيف الحربي - هيئة الاركان العامة - الوثائق السرية رقم ٦٠٣ لسنة ١٨٨٨ .

(٥٧) - خطاب وزير خارجية المانيا بيلوف في الرايخ الالماني ١٩٠٧/٣/٢٨ ، الترجمة الروسية .

من المبادئ الأساسية للسياسة الروسية : السيطرة على المضائق والدخول بحرية الى المياه الدولية التي كانت تسيطر عليها إنكلترا^(٥٨) . فعند فشل روسيا في المضائق تتجه الى اسيا الوسطى لاستغلالها كسوق لتصريف منتجاتها والاستفادة من مواردها الطبيعية في الصناعة واتخاذها وسيلة للضغط على خصمها إنكلترا بتظاهرها بغزو الهند .

وفي الختام فليس هناك فرق بالاهداف الحقيقة من وراء ادعاء كل من روسيا وإنكلترا بحجة حماية المسيحيين المضطهدين من قبل المسلمين في اسيا الوسطى أو ادعائها بالقيام بمهمة التحضر التي تقوم بها الدول الاوربية لشعوب اسيا الوسطى ، وان الدافع الحقيقي لكل منها - روسيا وإنكلترا - هو استعمار شعوب اسيا الوسطى واستغلالها .

التغلغل الألماني

في

المشرق العربي

قبيل الحرب

العالمية الأولى

الدكتور هاشم صالح التكريتي
كلية الآداب/قسم التاريخ/جامعة بغداد

(٥٨) بوكروفكي - سياسة روسيا الخارجية موسكو ١٩٥٨ ص ٥٣ «باللغة الروسية» .

من المبادئ الأساسية للسياسة الروسية : السيطرة على المضائق والدخول بحرية الى المياه الدولية التي كانت تسيطر عليها إنكلترا^(٥٨) . فعند فشل روسيا في المضائق تتجه الى اسيا الوسطى لاستغلالها كسوق لتصريف منتجاتها والاستفادة من مواردها الطبيعية في الصناعة واتخاذها وسيلة للضغط على خصمها إنكلترا بتظاهرها بغزو الهند .

وفي الختام فليس هناك فرق بالاهداف الحقيقة من وراء ادعاء كل من روسيا وإنكلترا بحجة حماية المسيحيين المضطهدين من قبل المسلمين في اسيا الوسطى أو ادعائها بالقيام بمهمة التحضر التي تقوم بها الدول الاوربية لشعوب اسيا الوسطى ، وان الدافع الحقيقي لكل منها - روسيا وإنكلترا - هو استعمار شعوب اسيا الوسطى واستغلالها .

التغلغل الألماني

في

المشرق العربي

قبيل الحرب

العالمية الأولى

الدكتور هاشم صالح التكريتي
كلية الآداب/قسم التاريخ/جامعة بغداد

(٥٨) بوكروفكي - سياسة روسيا الخارجية موسكو ١٩٥٨ ص ٥٣ «باللغة الروسية» .

الانهر الصالحة للملاحة كالراين والادور والالب التي استخدمت منذ القدم طرقاً تجارية تربط وسط أوروبا بالبحر وتطور العلوم في ألمانيا وخبرتها المتراكمة في التنظيم وكذلك اقتطاع اقليمي الألزاس واللورين الغنيين بالحديد من فرنسا والغرامة الحربية الكبيرة التي فرضتها على فرنسا بموجب معاهدة صلح فرانكفورت ١٨٧١^(١).

ولكي ندرك حجم التطور الصناعي في ألمانيا وسرعته انذاك يكفي ان نعلم بان نسبة سكان الاريايف انخفضت خلال الاربع والعشرين سنة التي مرت منذ تحقيق الوحدة وقيام الامبراطورية (١٨٧١-١٨٩٥) من ٦٤٪ في ١٨٧١ الى ٤٩٫٨٪ في ١٨٩٥ في حين ازدادت نسبة سكان المدن في الفترة ذاتها من ٣٦٪ الى ٥٠٫٢٪ على التوالي^(٢)، وان كمية الفحم المستخرج في ألمانيا التي كانت ١٢٫٣ مليون طن في ١٨٦٠ أخذت بالزيادة حتى بلغ المعدل السنوي للنتاج ٥٢ مليون طن في السنوات الخمس ١٨٧٦-١٨٨٠ و ٧٢ مليون طن (بل ٩٢ مليون طن اذا ادخلنا ضمنها انتاج فحم الليجيت) في ١٨٩١-١٨٩٥.

ونذكر للمقارنة ان معدل الانتاج السنوي للفحم في هذه السنوات الخمس الاخيرة بلغ ٢٦٫٧ مليون طن في فرنسا و ٣٦ مليون طن (بما في ذلك انتاج الليجيت) في النمسا. اما انتاج الحديد الزهر فقد اصابه هو ايضاً تطور سريع فبعد ان كان معدل انتاجه في ألمانيا في السنوات الخمس ١٨٦٦-١٨٧٠ : ١٢٤٥٠٠٠ طن اي اقل بقليل من فرنسا التي بلغ معدل الانتاج السنوي فيها للفترة نفسها ١٢٥٠٠٠٠ طن، ازداد بسرعة بحيث اصبح في ١٨٩١-١٨٩٥ : ٥٠٨٠٠٠٠ طن متجاوزاً الانتاج الفرنسي الذي كان معدله السنوي في الفترة نفسها ٢٠٠٦٠٠٠ طن^(٣). وهكذا ازدادت حصة ألمانيا في الانتاج العالمي للحديد الزهر والفحم ويظهر الجدول التالي بشكل واضح هذا التقدم الذي حققته ألمانيا بالمقارنة مع بريطانيا التي اخذت تفقد احتكارها الصناعي السابق^(٤).

(٢) يذكر احد الباحثين ان ألمانيا شهدت خلال السنوات الثلاث التي كانت فرنسا تقطع فيها هذه الغرامة (١٨٧١-١٨٧٣) فقط ظهور ٩٢٨ شركة جديدة بلغ مجموع رأسمالها ٢٫٧ مليار مارك.

I. S. Galkin, (Germanskaya Imperia 1871 - 1891) Novaya Istoria, Tom Tretii 1870-1918, pod. red. I.S. Galkina, N. E. Zastenkera, V.M.Khryostova, Moskva 1960, Str. 64.

(3) F. A. Roshtein, Mezdonarodnie Otnoshenie V kontse XIX veka, Moskva - Leningrad 1960, Str. 57.

(4) Ibid p. 58

(5) Galkin, Germanskaya Imperia ... Str. 63

قامت ثورة ١٨٤٨ في ألمانيا لانجاز مهام قومية وديموقراطية هي الغاء التجزئة السياسية وتحقيق الوحدة القومية للشعب الألماني والقضاء على الانظمة الاقطاعية في الريف واسقاط انظمة الحكم القائمة في دول الاتحاد الألماني والغاء الامتيازات الطبقية التي كان النبلاء يتمتعون بها. لكن الثورة لم تنجح في تحقيق اي من هذه المهام اذ لم يلبث المد الثوري ان انحسر وانتصرت في نهاية المطاف الرجعية الاقطاعية.

ومع ذلك استمر التطور الاقتصادي في ألمانيا ولكنه كان يجري، بسبب فشل الثورة في ظروف النظام شبه المستبد وبقياء الانظمة والقيم الاقطاعية التي ظلت سائدة في كثير من اوجه الحياة. غير ان انجاز الوحدة الألمانية وقيام الامبراطورية الألمانية في ١٨٧١ اعطى زخماً قوياً للتطور الاقتصادي في ألمانيا بحيث اصبح العقد الثامن من القرن التاسع عشر نقطة تحول في تطور ألمانيا الاقتصادي، فاذا ما كانت ألمانيا قبل ذلك قوة اقتصادية صغيرة لا يعتد بها بالقياس الى بريطانيا مثلاً فان صناعها اخذت بالتطور السريع ابتداءً من سبعينات القرن التاسع عشر بحيث انها انتقلت بسرعة قياسية من المرتبة الرابعة في العالم من حيث مستوى التطور الصناعي الى المرتبة الثانية بعد بريطانيا بل واخذت تنافس هذه الاخيرة على المرتبة الاولى^(١).

لقد كانت وراء هذا التطور العاصف في الصناعة الألمانية في العقدين الذين اعقبا قيام الامبراطورية الألمانية اسباب مهمة منها : العلاقات التجارية التي تربط ألمانيا منذ القدم ببريطانيا والثروات الطبيعية الهائلة وعلى الاخص توفر خامات بعض المعادن والفحم بكميات كبيرة ووجود

(١) كان معظم الاقطار العربية في المشرق انذاك خاضعاً على نحو مباشر او غير مباشر للدولة العثمانية ولذا يصعب ان نتناول بالبحث قضايا تخص تلك الاقطار بانفصال عن تلك الدولة، وما يكرس ذلك ان الاسلوب الذي اتبعته ألمانيا في تغلغلها في المشرق العربي يقضي بتنفيذ ذلك عن طريق الحكومة العثمانية المركزية ذاتها، وهذا ما سيكشف عنه هذا البحث، وعليه لا يمكننا سوى ان نبحث شؤون تلك الاقطار انذاك في اطار الدولة العثمانية، وما ينطبق على هذه يصبح على تلك.

(1) G. L. Bondarevsky, Bagdadsk aye Dorogai proniknovenia Germanskovo Imperialisma Na Bliznem Vostoke, Tashkent, 1955, Str. 21.

الصناعة الألمانية بما في ذلك فروع الصناعة التي ظهرت حديثاً ولم تكن موجودة من قبل مثل صناعة المعدات والادوات الكهربائية والصناعة الكيميائية التي كانت ألمانيا تحتل فيها المركز الاول لا في اوروبا فقط بل في العالم كله . وقد ارتبطت هذه المنظمات الاحتكارية بالبنوك الألمانية الكبيرة وتحولت الى اقوى دافع للتوسع الامبريالي الألماني^(٧) . وفي الوقت نفسه كانت تجري عملية تركز رأس المال وكانت هي الأخرى تسير بوتائر اسرع مما هي عليه في اي قطر اوروبي اخر بحيث تضاعف رأسمال البنوك الألمانية خلال الثلاثين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر عدة مرات فعدت البنوك الألمانية قادرة لا على تمويل الصناعة الألمانية باجمعها فقط وانما وبسبب ذلك أصبحت تسيطر عليها وتوجهها باتجاه التعجيل بعملية تركيزها وانشاء المنظمات الاحتكارية الكبيرة^(٨) . وهكذا أصبحت هذه المنظمات الاحتكارية «تؤدي دوراً حاسماً في الحياة الاقتصادية للبلد وكانت على رأسها دائرة تضيق باستمرار من المؤسسات والمصرفيين ومدراء الكونسيرنات الكبيرة ورجال الاعمال الذين يؤمنون الاوليكاركية المالية واصبح هؤلاء هم المسيطرون الحقيقيون على البلد حيث كانوا ، دون ان يتقلدوا مناصب حكومية او سياسية رسمية ، يبدون تأثيراً حاسماً في سياسة ألمانيا الداخلية والخارجية»^(٩) .

لقد اقترنت تطور الصناعة الألمانية بضيق في السوق الداخلية حتمه وجود بقايا اقطاعية لا يستهان بها الامر الذي جعل الرأسمال الألماني يولي اهتماماً متزايداً للأسواق الخارجية ، وهكذا ساعدت الظروف التاريخية التي جرى فيها التطور الاقتصادي في ألمانيا على تقاوم التناقض بين الانتاج المتنامي باستمرار وضيق ومحدودية السوق الداخلية الامر الذي شدد من صاعبي الاوساط الحاكمة في ألمانيا لحل المشاكل التي نمت عن ذلك بالعدوان والتوسع الخارجي . كذلك كان التطور السريع للعسكرية الألمانية يسير بالاتجاه نفسه فوجود ماكنة عسكرية متقدمة^(١٠) وصناعة

المادة	الدولة	حصتها في الانتاج العالمي	
		١٨٧٠	١٩٠٠
الفحم	بريطانيا	%٥١.٥	%٢٩.٧
	ألمانيا	%١٥.٨	%١٨.٤
الحديد	بريطانيا	%٥٠	%٢٢.١
	ألمانيا	%١٠.٤	%١٧.٦

واستمر التطور الصناعي في ألمانيا على التصاعد في بداية القرن العشرين كما تشير الى ذلك الزيادة الحاصلة في استخراج الخامات المختلفة وعلى الاخص الفحم والحديد وفي انتاج الفولاذ فلقد ازداد المعدل السنوي لاستخراج الفحم من ١٦٢ مليون طن في ١٩٠١-١٩٠٥ الى ٢٣٤ مليون طن في ١٩١١ اي بمقدار ٧٢ مليون طن . اما عن الحديد فقد كانت الكمية التي استخرجت من خاماته في ألمانيا ١٦٨ مليون طن في ١٩٠١ مقابل بريطانيا التي استخرجت في السنة نفسها ١٢٢ مليون طن وقد ازدادت هذه الكمية فبلغت في ١٩١٠ - ٢٨٢ مليون طن في ألمانيا ١٥٢ مليون طن فقط في بريطانيا . وقد تكررت الصورة نفسها في انتاج الحديد الزهر الذي كان معدل انتاجه السنوي في ألمانيا ٩٥ مليون طن في ١٩٠١-١٩٠٥ و ١٥٥ مليون طن في ١٩١١ و ١٧٨ مليون طن في ١٩١٢ في حين كان معدل انتاجه في بريطانيا ٨٩ مليون طن في ١٩٠١-١٩٠٥ و ١٠٣ مليون طن في ١٩١١ و ٩٠ ملايين طن في ١٩١٢ . اما في انتاج الفولاذ فقد استطاعت ألمانيا ان تتجاوز بريطانيا في ١٩٠٠ فأحتلت المركز الثاني بعد الولايات المتحدة حيث بلغت كمية الانتاج فيها في السنة المذكورة ٦٦ مليون طن في حين كانت كمية الانتاج في بريطانيا ٤٩ مليون طن وظل الفرق بين الدولتين في هذا المجال يتسع لصالح ألمانيا حتى بلغت كمية الانتاج الألماني في ١٩١٠ اكثر من كمية الانتاج البريطاني باكثر من مرتين (١٣٥ مليون طن مقابل ٦٥ مليون طن)^(١١) .

ومع تطور الصناعة في ألمانيا بدأت عملية تركز الانتاج وكانت تجري هناك بسرعة اكبر مما جرت فيها في اي بلد اوروبي اخر بحيث بدأت الاتحادات الاحتكارية بالظهور ولم تلبث ان شملت جميع فروع

(7) Bondarevsky, Baghdad skaya poroga ... Str. 22 .

(٨) حول تنامي دور وقوة البنوك الألمانية في هذه الفترة ونشاطها في اوروبا وبقية اعاء العالم Roshtein, op. cit. pp. 207 - 212.

(9) Bondarevsky, Bagdadskaya Doroga. ... Str. 22

حول هذا الموضوع انظر أيضاً : I. S. Galkin, (Germania v 1897 - 1914), Novaya Istoria, Tom Tetli 1870-1918, pod red. I.S.Galkina, N. E. zastenkera V. M. Khvostova, Moskva 1960, Str. 322.

(١٠) كانت ألمانيا تحتل الفضل جيش بري في العالم وكان عدد افراده الموجودين في الخدمة يتزايد باستمرار فقد كان عددهم في سنة ١٨٧٤ يبلغ ٤٠٠.٠٠٠ لزيادة الى ٤٢٧.٠٠٠ في سنة ١٨٨٠ والى ٤٨٩.٠٠٠ في سنة ١٨٨٨ علماً بان ذلك لايشمل كل من يمكن تجنيدهم فقد كانت ألمانيا من سنة ١٨٨٥ تستطيع في حالة الحرب ان تزيد عدد افراد جيشها الى ١.٨٠٠.٠٠٠ وذلك عن طريق دعوة الاحتياط والرجال الذين تدربوا عسكرياً منذ ١٨٨٠ - بييردوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥-١٩١٤ . تعريب دكتور حلال يحيى ، دار المعارف بمصر د . ت ، ص ٤٨٩-٤٩٠

(6) Roshtein, io. cit. o. 200

عالية التطور كان دافعا قويا جديداً للتوسع الاستعماري .

وهكذا بدأت ألمانيا تظهر على المسرح الدولي قوة استعمارية تسعى بنشاط للحصول على مستعمرات وبدأ ساستها يطالبون بذلك علناً فلقد صرح بيلوف وزير الخارجية الألماني^(١١) في نهاية القرن التاسع عشر في الراجشتاغ بقوله : «لقد ذهب الوقت الذي كانت فيه الشعوب الأخرى تقسم فيما بينها الأرض والمياه في حين نكنفي نحن الألمان بالسماء الزرقاء فقط . . . انا نطالب لانفسنا أيضاً بمكان تحت الشمس»^(١٢) . لكن ظهور ألمانيا على المسرح الاستعماري جاء متأخراً لأن الدول الاستعمارية الأخرى كانت قد سبقتها في هذا المجال واستولت على أكثر الأسواق أهمية واغنى المستعمرات وافضلها . ولهذا «فقد تحتم على ألمانيا ان تفكر لا بالاستيلاء على اراضي «شاغرة» بل بانتزاع المستعمرات ومناطق النفوذ من الدول الرأسمالية الأخرى»^(١٣) . وهكذا كان على ألمانيا ان تخوض صراعاً عنيفاً من أجل إعادة اقتسام الأسواق والمستعمرات واستطاعت ان تحقق في هذا المجال بعض النجاح منذ ثمانينات القرن التاسع عشر فاستولت على مناطق لا يستهان بها في افريقيا واسيا وفي المحيط الهادي^(١٤) . ولكن ذلك لم يكن ليقنع الاوساط الاستعمارية في ألمانيا ولاسيا ان هذه المستعمرات لم تكن ذات مردود اقتصادي كبير وان بريطانيا استطاعت ان تقلص لدرجة كبيرة الافضليات التي يمكن ان تجنيها منها ألمانيا في المجال السياسي^(١٥) لذلك كانت تلك الاوساط ترى في تلك الممتلكات مجرد رأس جسر فقط تستخدمه ألمانيا في صراحتها العنيف من أجل إعادة اقتسام المستعمرات ومناطق النفوذ وهو امر بدأت الاوساط الحاكمة في ألمانيا تدرك بأنه لن يتم الا بالحرب .

وبهدف الاعداد الايدولوجي للحرب من أجل إعادة اقتسام المستعمرات وتهيئة الرأي العام لذلك تألفت في ١٨٩١ في ألمانيا منظمة عرفت بـ «الاتحاد الألماني» . وكان هذا الاتحاد يضم كبار الصناعيين واليونكر وكبار العسكريين وبعض المثقفين ويعتمد تمويله من اساطين

(١١) اصبح في الفترة ١٩٠٠-١٩٠٩ مستشاراً لألمانيا .

(12) Quoted in Galkin (Germania v 1897 - 1914)... p.325

(13) B. M. Klvostor, Istoria Diplomatii, Tom II, Moskva, 1963, Str. 282.

(١٤) انظر :

Galkin, (Germanskaya Impetia....) Str. 80,

Galkin, (Germania V 1897 - 1914)... Str. 325 - 326

(١٥) انظر تفاصيل ذلك في :

Roshtein, op. cit. pp. 128 - 130, prim. N 104, p. 128, prim. N, 105, p. 129.

(١٦) انظر :

Khvostov, op. cit. Str. 287 - 290

(16) Bondarevsky, Bagdadskaia Doroga... Str. 28 - 29.

الصناعة الثقيلة الذين كانوا الموجهين الحقيقيين له . لقد كان هذا الاتحاد يؤكد في ممارساته واعماله الدعاية تفوق الألمان على جميع الشعوب الأخرى ويعتبر الثقافة الألمانية اعلى وافضل من اي ثقافة أخرى ويدعو الى اعتماد سياسة القوة لانشاء امبراطورية كولونيالية واسعة تضم اقطاراً عديدة في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية بل ويدعو الى الاستيلاء على بعض اراضي الدول الأوروبية الأخرى مثل بلجيكا وهولندا وشمال سويسرا ومناطق من فرنسا واكرانيا والقوقاز وغيرها^(١٦) وفي ١٨٩٨ تألفت في ألمانيا منظمة أخرى لا يقل دورها في الدعوة لسيادة ألمانيا على العالم عن دور «الاتحاد الألماني» هي «اتحاد الاسطول الألماني» الذي كان يطالب بانشاء قوة بحرية كبيرة لتحطيم الاسطول البريطاني وبسط السيادة الألمانية على جميع البحار والمحيطات . كذلك تألفت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر جمعية أخرى كان لها أيضاً باع طويل في الدعوة للتوسع الاستعماري هي «الجمعية الكولونيالية الألمانية» وكانت هي أيضاً تمول من الصناعيين واصحاب البنوك^(١٧) .

وكانت الدولة العثمانية وعلى الاخص اقطار المشرق العربي الخاضعة لها تحتل مكان الصدارة في مخططات ألمانيا التوسعية . فلقد كانت هذه الدولة حتى بعد ان اقتطعت الدول الاستعمارية الكثير من اقاليمها وفقدت مناطق واسعة أخرى نتيجة للثورات التحررية التي قامت بها كثير من الشعوب الخاضعة لها ، لاتزال تمتلك اراضي واسعة جداً كان يقطنها في بداية القرن العشرين ٣٢ر٢ مليون نسمة موزعين كالتالي : ٦ر٣ مليون في اقاليمها الأوروبية و ٢٤ر٦ مليون في اقطارها الاسيوية و ١ر٣ مليون في اقاليمها الافريقية^(١٨) ولهذا كانت هذه الدولة والاقطار العربية التابعة لها بالذات تولف بمناخ استراتيجي من ثروات طبيعية هائلة وموقع ستراتيحي مهم غنية بسبل لها اعجاب المستعمرين الألمان ولا ادل على ذلك من ان فكرة التوسع الألماني في هذه المناطق كانت قد راودت بعض الألمان منذ وقت طويل ، فهي لم تكن من بنات افكار قادة وانصار «الاتحاد الألماني» او من اختراع دهافة الصناعة والمال في ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وان كان هؤلاء قد طوروها لكي تتلائم وظروف هذه المرحلة كما سنرى لاحقاً . فقد شغلت افكار التوسع في تلك الاقطار مفكري ألمانيا واقتصاديين منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر اي حتى قبل ان تتوحد ألمانيا في دولة واحدة ، حيث وجه اقتصاديو ألمانيا وسياسيوها وعسكريوها انظارهم الى اسيا الصغرى والعراق منذ ذلك الوقت المبكر . «ان الألمان - كما لاحظ احد الباحثين الانكليز بحق -

(17) A. D. Novichev, Ey Turtsia, Kratkaya Istoria, Moskva, 1965, Str. 108.

(18) E. W. Lewim, The German Road to the East, London, 1916, pp. 25 - 26.

كانوا يفهمون ان مصالحهم تكن في تأمين السيطرة الاقتصادية ومن ثم السياسة على هذه الاقطار (آسيا الصغرى وما بين النهرين - هـ . ت) وذلك قبل ان يتمكنوا من انجاز توحيد بلادهم الهجزة (١٩)

ولكي نفتتح بان الدولة العثمانية ومن ضمنها الاقطار العربية في المشرق وآسيا العراق كانت انذاك تشغل بالفعل حيزاً بارزاً في خطط المانيا التوسعية يكتفي ان نلني نظرة على ماكان يكتبه الاقتصاديون والمفكرون والعسكريون الالمان انذاك . فلقد اجهد الجنرال البروسي مولتكة نفسه مثلاً عندما كان يعمل خبيراً في الجيش العثماني في الفترة ١٨٣٥-١٨٣٩ في نشر العديد من المقالات في الصحف الالمانية يدعو فيها الاوساط الحاكمة في برلين الى العمل على ان يستوطن الالمان في منطقة ازمير ووادي الفرات مشيراً الى الثروات الهائلة التي تتمتع بها هذه المناطق بل انه كتب يقول بصراحة :

«ما يدعو الى الاسف ان نلاحظ بان مختلف الاقاليم والاراضي العثمانية تقع تحت نفوذ روسيا او فرنسا او بريطانيا ولكن ليس تحت النفوذ الالمانى» (٢٠) ولم يكن مولتكة وحيداً في دعواته هذه فلقد جهر بمثل هذه الدعوات الكثير من رجال الفكر الالمان من امثال روشير وروس والاقتصادبان المعروفان ليست وروبرتوس وغيرهم .

وقد ازدادت هذه الدعوات كما وكيفاً بعد ان توحدت المانيا واتخذت بالتطور الاقتصادي على النحو الذي اشرنا اليه فلقد اغرقت المانيا باكداس من الكتب والبحوث والروايات والتقارير والمقالات الصحفية كتبها العشرات من الكتاب والمختصين والمستشرقين والصالحين الالمان وكان ينظمها جميعاً هدف واحد هو التذليل على «حق» المانيا في وراثة الدولة العثمانية . وسكتني هنا بعرض بعض الامثلة منها مما يتعلق باقطار المشرق العربي لكي ندرك ما كان يبيتته الالمان لهذه الاقطار (٢١)

في ١٨٨٦ نشر البروفيسور شبرنجر وكان قد قام بسفرة طويلة في الدولة العثمانية كتاباً بعنوان : «بابل اغنى بلد في الماضي واكثر المناطق ملائمة للاستيطان في الحاضر» اشاد فيه ببلاد «ما بين النهرين» واسهب في وصف ثريتها ومناخها وجميع ما تمتاز به من خصائص وخلص من ذلك كله الى التأكيد على انه لا يوجد في العالم كله منطقة اكثر منها ملائمة

(١٩) حول اراء مولتكة وغيره من المفكرين الالمان بهذا الشأن انظر :-

R. W. Seton Watson, German, Slav and Magyar, A study in the origin of war, london, 1916, p. 138 FF.

(٢٠) اعتمدنا في عرض محتويات هذه المؤلفات على ما اورده بونداريفسكي في الصفحات ٣١-٣٢ . ٣٩ . ٤١ . ٤٣ من كتابه الانف الذكر حول سكة حديد بغداد .

(٢١) الشفابيرون هم الالمان الذين يقطنون اقليم شفايبيا في المانيا كان بعضهم قد ترحل الى خارج المانيا واستوطن في فلسطين ومنطقة ماوراء القفقاس .

لاستيطان الالمان فلقد كتب يقول : «ان سوريا واشور اكثر بلدان الارض ملائمة للاستيطان . . . فهناك لا توجد غابات عذراء ولا عقبات طبيعية اخرى . يلزم فقط خدش الارض ورمي البلور ثم الحصاد . ان الشرق الادنى هو المنطقة الوحيدة التي لم تستول عليها بعد اي دولة اوربية كبرى مع انها افضل حقل للاستيطان واذا لم تفلت المانيا الفرصة وتبادر الى الاستيلاء عليها قبل ان يمد القوزاق ايديهم الى هناك فانها ستحصل على افضل جزء عند اقتسام العالم» .

وقد زار الدولة العثمانية في تسعينات القرن التاسع عشر يطلب من مختلف منظمات الاستيطان الالمانية العديد من المستشرقين المختصين وهدفهم البحث عن اكثر المناطق ملائمة للاستيطان وظهرت الدراسات التي قاموا بها على شكل تقارير وكتب تدعو الى التعجيل باستيطان اسيا الصغرى وشمال العراق ومناطق اخرى من الدولة العثمانية واشتهر في هذا المجال كتابا زخاو «سفرة في سوريا وما بين النهرين» و «على دجلة والفرات» وكتاب اوبنهايم «من البحر المتوسط الى الخليج العربي» فقد اكد المؤلفان كلاهما ان شمال العراق هو اكثر المناطق ملائمة للاستيطان نظراً لما يتمتع به من ثروات طبيعية كبيرة ومناخ جيد بحيث ان استيطان الالمان فيه سيؤدي الى ان يسود هناك «فردوس حقيقي للمزارع» على حد تعبير زخاو . ومن اللافت للنظر ان كلا المؤلفين كانا يريدان من الدولة العثمانية ان تساعد الالمان وتمهد لهم ظروف الاستيطان في تلك المناطق حيث اعتقدا بان على الدولة العثمانية «ان تعلم القبائل العربية العاصية العقل والبصيرة وان تلقنها احترام التقدم» . بهذا الشكل اراد المؤلفان التخلص من المقاومة العربية التي لا بد ان تشتمل ضد مشاريع الاستيطان الالمانية .

اما جنوب العراق الذي يمتاز بحار لايفضله الالمان فان هؤلاء المفكرين خططوا اخرى بشأنه فشبرنجر يدعو الى انشاء مزارع المانية واسعة هناك يستغل فيها اصحابها الالمان عمل العرب اهل المنطقة . وقد طور باول رورباخ وهو واحد من ابرز ايدولوجي الامبريالية الالمانية هذه الافكار وتحمس للدعوة الى التوسع في انشاء تلك المزارع واستغلال عمل الاهالي في جنوب العراق فقد كتب في معرض حديثه عن هذا الموضوع يقول : «باي ألوان وباي أمل حار بل بأي رغبة اصور لنفسي ذلك الوقت الذي سترتفع فيه صفوف الاشجار هناك وفي جنوب العراق - هـ . ت» والاهالي السمر ينسابون الى الجنوب الى السهل الواسع لكي يجلبوا لنا الحن الالمان الكثير الكثير من الغلال» .

اما هوجو كروتة وهو مفكر اخر من مفكري الامبريالية الالمانية فقد اصدر في ١٩٠٢ كتاباً بعنوان : «سكة حديد بغداد والفلاحون الشفابيون فيا وراء القفقاس وفلسطين» افكار حول استيطان ما بين

النهرين طالب فيه بان يعترف بالمناطق التي تمتد فيها سكة حديد الانضول وكذلك سكة حديد بغداد عندما يتم انشاؤها كمناطق نفوذ لالمانيا واعتبر استيطان الالماني على نطاق واسع في الدولة العثمانية عاملاً من عوامل ترسيخ النفوذ الالماني في الشرق الادنى ولهذا نجده ينصح بالتعجيل بتأليف جمعية خاصة تعمل على استيطان الالماني فيما بين النهرين وكان على هذه الجمعية حسب رأيه ان ترتبط بسكة حديد بغداد . لقد طرح كروته عدداً من المطالب عدت تنفيذها شرطاً أساسياً للاستيطان منها اعفاء المستوطنين من الضرائب ومنحهم الحق في استيراد المواد التي يحتاجونها بدون ضرائب كمركية وانشاء خطوط ثانوية تتفرع من الخط الرئيسي لسكة حديد بغداد باتجاه البحر المتوسط وغير ذلك . واول كروته اهتماماً خاصاً لقضية «حماية» المستوطنات التي سيقمها الالماني فطالب بانشاء «سلسلة كاملة من الطواحي الصغيرة المجهزة بحمايات» وبذلك يكون المستوطنون الالماني في الدولة العثمانية قد تحوّلوا الى «دولة داخل دولة» على حد تعبيره . وبحث كروته بتفصيل كبير الظروف المناسبة السائدة فيما بين النهرين وصعوبة تعود الالماني عليها وخلص من ذلك الى القول بإمكانية تذليل تلك المصاعب مستنداً في حكمه هذا على نجاح المستوطنات التي اقامها فلاحو شفايا فيما وراء القفقاس وفلسطين واقترح دعوة هؤلاء الفلاحين المجرّبين من هاذين الاقليمين لكي يؤلفوا طليعة الاستيطان الالماني فيما بين النهرين وفضل دعوة المستوطنين من فلعطين على الرغم من انهم اقل خبرة من مستوطني ماوراء القفقاس لانهم حافظوا على جنسيتهم الالمانية بعكس مستوطني ماوراء القفقاس الذين تحوّلوا الى التبعية الروسية . ولم يغفل كروته الاعتبارات السياسية والاستراتيجية حيث نجده يلج على الحكومة الالمانية بان تسعى من أجل ان تحصل جهة المانية على امتياز سكة حديد بغداد وطالب بان تحصل المانيا ايضاً على محطة للفحم في الكويت تستخدمها لتجهيز الاسطول الحربي الالماني بالوقود وطالب ايضاً بمد خط من اسلاك التلغراف يربط الخط التلغرافي لسكة حديد بغداد بخط تلغراف الشرق الاقصى الالماني . نحن اذن امام خطة متكاملة ومدروسة بعناية تهدف لا الى استيطان اغني مناطق الدولة العثمانية فقط وانما تدعو بصراحة لاقتسام تلك الدولة وضم اهم مناطقها واثرها ونعني ما بين النهرين الى المانيا . وهذا هو السر في اصرار كروته على ان يظل المستوطنون الالماني محتفظين بجنسيتهم الالمانية وفي ربطه الاستيطان فيما بين النهرين بانشاء سكة حديد بغداد واقامة قاعدة عسكرية بحرية في الكويت .

ادخل مفكر الماني اخر هو سيجموند شنايدر بعض التعديلات على خطة كروته هذه حيث اقترح ان يشتمل النص النهائي لامتياز سكة حديد بغداد على بند خاص يقضي بمنح «شركة الانضول» مناطق واسعة نسبياً

بمحاذاة خط سكة حديد بغداد المقبل لكي يستوطنها الالماني على ان يؤلفوا من بينهم «حرساً للسكك الحديدية على غرار بوليس السكك الحديدية الكوليتالي الانجليزي» .

وهكذا يضرب شنايدر عصافورين بحجر واحد فهو باقتراحه هذا يضمن حصول الالماني على اراضي واسعة في اسيا الصغرى والعراق من جهة وانشاء قوة المانية مسلحة في الدولة العثمانية من جهة اخرى . ولا يفوتنا في هذا المجال ان نذكر الدعوات التي كان «الاتحاد الجرماني» يطلقها بهذا الشأن ذلك ان هذا الاتحاد اول الدولة العثمانية ومعها اقطار المشرق العربي اهتماماً خاصاً في دعواته التوسعية . ويكفي بهذا الخصوص ان نلقي نظرة على الكرّاس الذي اصدره هذا الاتحاد في ١٩٠٤ بعنوان «مبدأ الجامعة الجرمانية» الذي حدد فيه نواياه تجاه الدولة العثمانية على النحو التالي :

«ان المانيا تعد الدولة العثمانية حقلاً للتجارب ملكاً لها فهي مخزن الماني للغلال في المستقبل ومصدر للصوف والنفط ومنطقة للاستيطان ومصدر لحامات جديدة للمتخات الكوليتالية الالمانية وحاضر جديد للملاحة وسكة حديد عظيمة . . . من الطبيعي ان تنطلع المانيا الى الشرق فهي تمتلك سلطة اقتصادية على الدولة العثمانية بحيث تؤلف البلدان الثلاثة المانيا والنمسا - المجر والدولة العثمانية بشكل ما وحدة ثلاثية لاتنجز» (٢٢) ولهذا فان جزءاً كبيراً من نشاط «الاتحاد الجرماني» كان مخصصاً للدعوة الى التوسع في الدولة العثمانية وتحويلها الى منطقة نفوذ لالمانيا . وقد اصدر الاتحاد لهذا الغرض العديد من النشرات والكراريس كما ان صحيفة (Alldeutsche Blatter) لسان الاتحاد كانت تنشر باستمرار مقالات دورية تدعو الى تجزئة الدولة العثمانية وتحويلها الى محمية بل الى مستعمرة لالمانيا من ذلك مثلاً قولها : «ينبغي ان يجري الاحتفاظ بالدولة العثمانية كتشكيل حكومي خاص موضوع تحت السيادة الالمانية على شكل محمية في اقل تقدير . . . وسبكون من الافضل لنا ان نمتلك ما بين النهرين وسوريا من جهة وان تكون لنا من الجهة الاخرى السيادة على شكل حماية على اسيا الصغرى السلطانية التي يقطنها الاتراك بالاساس وان تجتذب الى دائرة المصالح الالمانية كذلك الجزيرة العربية مع المحافظة على الاستقلال الذاتي التام لسكانها» (٢٣) وكانت اطماع «الاتحاد الجرماني» وبخطته تجاه الدولة العثمانية تزداد وتتسع بمقدار ما كان النفوذ الالماني الاقتصادي والسياسي يترسخ فيها لهذا لم تلبث صحيفة الاتحاد ان عدت دعواتها السابقة غير كافية اذ ينبغي على المانيا ان تستحوذ على اقطار الدولة العثمانية الواقعة في

(22) Quoted in Bondarevsky Bagdadskaya Doroga... Str. 44.

(23) Quoted in Ibid p. 44

اسيا حيث نجدها تقول : «يجب ان تمنح تركيا الاسيوية باجمعها - عدا ارمينيا - لالمانيا . ان المانيا هي وحدها التي تستطيع ان تقر ما اذا كان سيسمح هناك بسيادة السلطان وحكم الاتراك او بالحكم الذاتي لشعوب اسيا الصغرى وبأي درجة سيكون ذلك في الحالين وايضاً بأي درجة ستأخذ هي $\text{«} \text{»}$ اي المانيا . هـ . ت $\text{«} \text{»}$ على عاتقها الادارة المباشرة في وادي دجلة والفرات» (٢٤) .

وهكذا نرى ان جل الخطط الالمانية يتركز على الجزء الشمالي من العراق ولذلك اسباب معروفة اهمها ان تلك المنطقة هي المنطقة التي ستمتد فيها شبكة حديد بغداد وان اقاليم واقطار المشرق العربي الاخرى قد سبقت المانيا اليها غيرها من الدول الاستعمارية لاسيا بريطانيا وفرنسا . تلك هي نوايا الاستعمار الالمانى تجاه الدولة العثمانية وبالاخص اقطار المشرق العربي التابعة لها . وقد بادرت الحكومة الالمانية فوضعت كل ثقلها لتنفيذ هذه الخطط التوسعية لهذا نجد الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تتعرض لهجمة استعمارية المانية استهدفت مرافقها المختلفة وجوانب حياتها كافة ونشطت الشركات والمؤسسات الالمانية المختلفة للسيطرة على تلك المرافق وكانت تخطى في نشاطها هذا باسناد فعال من الحكومة الالمانية .

لقد اعطى قيام الامبراطورية الالمانية في ١٨٧١ كما لاحظنا زخماً قوياً جديداً للنوايا التوسعية للاوساط الحاكمة في المانيا فند ذلك التاريخ اخذت المانيا تبرز اكثر فاكتر قوة ذات اثر متزايد في السياسة الدولية عامة وفي الصراع من اجل المستعمرات خاصة واخذت تبدي اهتماماً متزايداً بالدولة العثمانية .

والواقع ان علاقات المانيا بالدولة العثمانية في المجال العسكري تعود الى ثلاثينيات القرن التاسع عشر عندما كان الجنرال البروسي مولتكة الذي مربنا ذكره وكان آنذاك مايزال ضابطاً صغيراً يعمل خبيراً عسكرياً لدى السلطان محمود الثاني . وظل الضباط الالمان يعملون في الجيش العثماني اثناء حرب القرم وبعدها . وعلى الرغم من أن السلطان عبد الحميد الثاني اقتصر في السنوات الاولى من حكمه على دعوة الضباط الفرنسيين الا ان العسكريين الالمان عادوا الى العمل في الجيش العثماني من عام ١٨٨٢ . وفي السنة التالية اي في ١٨٨٣ استدعيت للعمل في الدولة العثمانية بعثة عسكرية المانية كان على رأسها الجنرال فون در كولتر الذي اشغل منصب مساعد رئيس اركان الجيش العثماني دون صلاحيات قيادية . لقد كان الضباط والموظفون الالمان منذ ثمانينات القرن التاسع عشر يعملون مستشارين وخبراء في مختلف مؤسسات

(24) Quoted in Ibid p. 44.

ومرافق الدولة العثمانية ابتداءً من المالية والتجارة وانتهاءً بمختلف صنوف القوات المسلحة مروراً بالزراعة والكمارك والعدل وغيرها . ولا يخفى مالذلك من اهمية في مجال تقوية النفوذ الالمانى في تلك الدولة وقد اعترفت بذلك صحيفة (Kolnische Zeitung) شبه الرسمية عندما كتبت في نهاية عام ١٨٨٣ تقول : «لا اساس هناك الان للصمت عن الحقائق التي تشير بشكل واضح الى ان تفوق المانيا في القرن الذهبي الذي حققه في حقبة الكونت هانسفيلد $\text{«} \text{»}$ السفير الالمانى لدى الدولة العثمانية في الفترة ١٨٧٤-١٨٨١ هـ . ت $\text{«} \text{»}$ وحافظ عليه بعد ذلك رادوفتس $\text{«} \text{»}$ السفير الالمانى في اسطنبول في الفترة ١٨٨٢-١٨٩٢ هـ . ت $\text{«} \text{»}$ مستمر دون تغيير . . . لا احد يشك بانه في اللحظات الحاسمة وفي حالة قيام حوادث مهمة فان النفوذ الالمانى سيتفوق على الآخرين» (٢٥) .

لقد تركزت اهداف الالمان في الدولة العثمانية في الاستيلاء على المناطق الغنية فيها واستخدام هذه الدولة كنقطة ارتكاز لتوسعهم اللاحق في الشرق وترسيخ النفوذ الالمانى الاقتصادي والسياسي فيها . وكخطوة اولى لتحقيق هذه الاهداف اخذت المانيا تتقمص دور من يريد الخير للدولة العثمانية محاولة من خلال ذلك السيطرة على مختلف فروع الاقتصاد العثماني المتدهور .

وكانت تجارة الدولة العثمانية الخارجية أحد الحقول المهمة التي نحاضم المانيا من أجل السيطرة عليه صراعاً عنيفاً ضد الدول الاوربية الاخرى ولاسيما ضد بريطانيا التي كانت تهيمن على هذا المرفق المهم من فروع الاقتصاد العثماني .

وهكذا نجد المانيا تعمل في البداية على حماية الاقتصاد العثماني وابعاده عن نفوذ الدول الاستعمارية الاخرى فتقيم مع الدولة العثمانية علاقات اقتصادية وثيقة ارتكزت على معاهدة تجارية عقدت بين الدولتين في ١٨٩٠ واستطاعت المانيا ان تستغلها لتحقيق نجاحات ملموسة في مجال توسيع نفوذها في تجارة الدولة العثمانية الخارجية . ان ذلك واضح من الجدول التالي الذي يبين تطور التجارة بين المانيا والدولة العثمانية بموجب المعطيات الالمانية (٢٦)

(25) Quoted In Roshtein, op. cit. prim. 29 Str 226.

(26) A. D. Novichev, ocherki Ekonomiki Turtsii do Mirovoy vojny, Moskva, 1937, Str. 181

وكان تصدير رأس المال إحدى الوسائل الرئيسية التي لجأت إليها ألمانيا لاستغلال الدولة العثمانية فلقد خاضت ألمانيا على هذه الجبهة أيضاً نصلاً شاقاً لتفصح المجال الرأسمالي الألماني للتغلغل في أقطار الدولة العثمانية وجهدت البنوك الألمانية المختلفة لفتح فروع لها في مختلف اصقاع تلك الدولة الى ان انتقلت المبادرة في هذا المجال أيضاً الى الألمان فقد أسس الرأسماليون الألمان في عام ١٨٩٩ «البنك الألماني الفلسطيني» برأس مال قدره ٨٠٠ ألف مارك . وقد فتح هذا البنك فروعاً له في دمشق وياغا وحيفا والقدس وغيرها من المراكز الكبرى في الدولة العثمانية (٣٠) وذلك بالإضافة الى النشاط المتميز الذي كان يمارسه هناك «البنك الألماني» . وفي عام ١٩٠٦ اشتركت مجموعة من البنوك الألمانية في تأسيس البنك الألماني الشرقي في اسطنبول برأس مال قدره ١٦ مليون مارك ازداد بسرعة فاصبح في عام ١٩١٢-١٩٢٢ مليون مارك . وقد فتح هذا البنك فروعاً في مدينة اسطنبول وفرعاً واحداً في كلي من بروسة ومرسين واطنة وديرساغاچ وادنة وستة فروع في مصر وعددها من الفروع الأخرى في اقطار الشرق الأدنى الأخرى (٣١) .

وبكذلك شكلت البنوك الألمانية شبكة شملت جميع أنحاء الدولة العثمانية تقريباً وكان عليها ان ترسخ النفوذ الألماني وتوسعه هناك فقامت هذه البنوك على أتم وجه فلقد شاركت في جميع العمليات التجارية والمالية في الدولة العثمانية فكانت بذلك ونتيجة لسيطرتها المتزايدة على الاقتصاد العثماني منافساً خطراً للبنك العثماني الإمبراطوري الذي كان يسيطر عليه إنجلترا وفرنسياً والذي كان يتمتع بسلطة اقتصادية واسعة في الدولة العثمانية . لقد قفرت ألمانيا نتيجة لذلك الى المركز الأول بين الدول العظمى في الشرق الأوسط . أما في الدولة العثمانية فلقد كانت رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة في الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى (باستثناء الدين العثماني العام) موزعة على النحو التالي : ٤٥ر٤٪ لألمانيا و ٢٥ر٩٪ لفرنسا و ١٦ر٩٪ لبريطانيا (٣٢) أما عن الدين العثماني العام فقد ازدادت نسبة مشاركة ألمانيا فيه من ٤ر٧٪ في ١٨٨١ الى ٢٠٪ في ١٩١٢ وبهذا تكون ألمانيا قد قفرت من المركز السادس الى المركز الثاني بعد فرنسا بين الدول الدائنة للدولة العثمانية (٣٣) . وكان ذلك كله يحقق للألمان أرباحاً هائلة فقد بلغت الأموال التي استنزفتها البنوك الألمانية من الدولة العثمانية كفوائد للرأسمال الألماني المستثمر فيها ما يزيد على ٢٠ مليون مارك في السنة (٣٤) .

السنة	قيمة صادرات الدولة العثمانية الى ألمانيا (بملايين الماركات)	قيمة واردات الدولة العثمانية من ألمانيا (بملايين الماركات)	النسبة المئوية
١٨٨٠	١ر٠	٧ر٦	١٠٠
١٨٩٠	٩ر٦	٣٤ر١	٥١٠
١٩٠٠	٣٠ر٢	٣٤ر٤	٧٥٢
١٩١٠	٦٧ر٥	١٠٤ر٩	٢٠٠٠
١٩١١	٧٧ر٦	١١٢ر٨	١٢١٣

يظهر من ذلك ان حصة ألمانيا في تجارة الدولة العثمانية الخارجية كانت تزداد باضطراد على حساب حصة بريطانيا بالطبع ، فعلى الرغم من أن بريطانيا كانت تحتفظ بمكان الصدارة في هذا الحقل من حقول الاقتصاد العثماني إلا انها فقدت موقعها المهيمن السائد فقد ازدادت قيمة الواردات العثمانية من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٩١٠ من عشرة ملايين جنيه استرليني الى خمسة وعشرون مليون جنيه استرليني في حين لم تزد حصة بريطانيا من ذلك الا بمليون جنيه استرليني (من ٢ر٢ الى ٣ر٢ مليون جنيه استرليني) (٣٧) . أما حصة ألمانيا فكانت تزداد بارتفاع سريع جداً فاداً ما كانت نسبة زيادة صادرات الانجليزية الى الدولة العثمانية في ١٨٩٤-١٩١٢ تؤلف ١٠٪ فإن نسبة زيادة الصادرات الألمانية بلغت في الفترة نفسها ١٧٠٠٪ (٣٨) .

لقد كانت ألمانيا في سنة ١٩١٠ تحتل المركز الرابع في الاستيراد العثماني فأصبحت في ١٩١٤ تحتل المركز الثاني .

وهكذا يبدو واضحاً أن ألمانيا احزرت نجاحات مهمة في الصراع مع بريطانيا التي كانت تحتل المركز الأول في تجارة الدولة العثمانية الخارجية وقد اشر هذه الحقيقة وزير الخارجية البريطانية نفسه عندما كتب الى سفيره في اسطنبول يقول : «لقد كان من المؤلم ان اجد عندما شغلت منصبه الراهن كم كنا قد ابعدنا عن التجارة في الدولة العثمانية وكيف كان من الميثوس منه الحصول على سند ما هناك» (٣٩) .

(30) Novichev, Ocherki Ekonomiki Turtsii... Str. 206.

(31) Ibid

(32) W. W. Gottlieb, Tainaya Diplomamnia Vo Vrimiya pervoy Mirovoy Voiny. pere. S angliiskovo, Moskva 1960, Str. 31.

(33) A. J. Toynbee, Turkey, a past and a future New - York 1917. p. 46.

(34) Bondarevsky, Bagdadskaia Doroga... Str. 36.

(27) Ibid.

(28) Bondarevsky, Bagdadskaia Doroga... Str. 34.

(29) British Documents on The origins of war 1898 - 1914 Ed. by G.P. Gooch and H. Temperly, vol. V N. 208 Ed. add. P. 267.

المحفظة وهدفهم من ذلك بالإضافة الى نهب ثرواتها^(٣٧) والسيطرة عليها مد نفوذهم الى الاقطار المخاورة لها . ولا بد ان نلاحظ في هذا المجال بان بناء السكك في الدولة العثمانية لم يكن بحري وفق ما تتطلبه حاجاتها ومصالحها فهي لم تكن تبني في المناطق التي تحتم الضرورة الاقتصادية بناءها فيها وانما في المناطق التي تحتاجها الشركات الاستعمارية . وفضلاً عن ذلك كان اصحاب الشركات المنفذة يلزمون الباب العالي بموجب الامتيازات التي يضعون هم شروطها ان يؤمن لهم دخلاً ثابتاً عن كل كيلومتر من السكة (وهذا ما كان يسمى بـ «الضمانات الكيلومترية») وقد ادى ذلك الى زيادة ديون الدولة العثمانية للرأسماليين الاجانب . وهكذا كان بناء السكك الحديد في الدولة العثمانية ميداناً اصطدمت فيه بشدة وعنف مصالح الدول الاستعمارية المختلفة . وهنا ايضا حقق الالمان نجاحات لا يستهان بها وخرجوا من صراعهم مع استعماريي الدول الاخرى في هذا الميدان بحصيلة مهمة فقد كانت عائدة السكك الحديد في الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى على النحو التالي : ٢٠٧٧ كم اي ٣٩ر٦٪ تعود الى فرنسا و ٢٥٦٥ كم اي ٤٩٪ الى المانيا و ٦١٠ كم اي ١١ر٤٪ الى بريطانيا . اما اذا نظرنا الى الامر من زاوية مقدار رؤوس الاموال المستثمرة في بناء السكك في الدولة العثمانية فان كفة فرنسا هي التي سترجح حيث يعود لها ٥٣٠ر٢ مليون فرنك اي ٤٨٪ من مجموع المبالغ المستثمرة في هذا الحقل في حين تبلغ حصة المانيا ٤٦٦ر١ مليون فرنك اي ١٤ر٤٪ وحصة بريطانيا ١١٤ر٧ مليون فرنك اي ١٠ر٣٪^(٣٨) .

وكان الإمبراطور الألماني وليم الثاني قد قام بزيارة للدولة العثمانية للمرة الثامنة في ١٨٩٨ وقد تمخضت زيارته هذه عن نتائج مهمة بالنسبة للتغلغل الألماني في اقطار الدولة العثمانية ولعل اهم هذه النتائج هي حصول الالمان على موافقة السلطان على منحهم امتياز بناء سكة حديد بغداد وبذلك يكون قد بدأ فصل من اهم فصول الصراع بين الدول

لقد كانت النجاحات التي حققتها المانيا في مجال التوسع التجاري في الدولة العثمانية مرتبطة بشكل وثيق بتطور الملاحة والاسطول التجاري في المانيا عموماً^(٣٩) وبتطور الملاحة مع الدولة العثمانية خاصة . ففي ١٨٨٤ افتتح اول خط للملاحة يربط ميناء هامبورغ في المانيا بالعاصمة العثمانية اسطنبول وفي ١٨٩٠ باشرت بالعمل «شركة الشرق الادنى الالمانية للملاحة» التي كانت بواخرها تصل الى جميع الموانئ العثمانية تقريباً وفي ١٩٠٠ أقامت شركة «هامبورغ-امريكا» وهي اكبر شركة المانية للملاحة خطوطاً منتظمة للمواصلات لنقل الركاب والبضائع بين الموانئ الالمانية وموانئ الخليج العربي وفي ١٩٠٦ تأسست في برلين شركة خاصة لخدمة الموانئ العثمانية هي شركة «اطلس» . وبعد ذلك بقليل استطاعت الشركات الالمانية ان تحصل عن طريق ادارة سكة حديد الانضول على اسهم اكبر شركة عثمانية للملاحة وهي شركة «مخصوصية» التي كانت قبل ذلك في حوزة الرأسمال الانجليزي . ونتيجة لكل ذلك اصبحت المانيا في ١٩١٠ تحتل المركز الثالث من حيث حمولة البواخر التي تزور الموانئ العثمانية^(٤٠) وقد كان هدف الالمان من ذلك كله هو السيطرة في البحر المتوسط والتغلغل في المحيط الهندي والخليج العربي وفي هذا السياق التفت الالمان الى ناحية اخرى كانوا يعدونها ذات اهمية استثنائية بالنسبة الى خططهم الاستراتيجية في الدولة العثمانية ونعني بها السيطرة على خطوط الاتصالات التلغرافية في تلك الدولة التي كانت حتى ١٨٩٩ حكرًا على الانجليز . ففي السنة المذكورة عقدت المانيا مع رومانيا اتفاقاً حول مد خط تلغرافي من برلين الى بحارست ومنها الى كونستانتا على البحر الاسود .

وفي الوقت نفسه حصل الالمان من الحكومة العثمانية على امتياز باقامة خط لاسلكي بين اسطنبول والعريش كما اخذوا على عاتقهم مد خط تلغرافي آخر من جزيرة تاشوس الى جزيرة امبروس ثم يستمر الى مضيق جناخ كالا .

وكان بناء السكك الحديد في الدولة العثمانية احدي الوسائل الفعالة التي لجأ اليها الاستعمار للتغلغل في تلك الدولة واستنزاف الكثير من مواردها فلقد كانت الدولة العثمانية بسبب متاعبها المالية غير قادرة على بناء السكك الحديد بنفسها الأمر الذي استعله استعماريو الدول الاوربية فأخذوا يبنون لها السكك ويكبلونها في اثناء ذلك بالكثير من الشروط

(٣٥) حول تطور الملاحة والاسطول التجاري في المانيا نظر .

Rushtein, op. cit. pp. 201 — 202.

(36) Bondarevsky, Bagdadskaya Doroga... Str. . 3٩.

(٣٧) لكي يدرك مقدار الفائدة المادية التي كان الرأسماليون الاوربيون يجنونها من بناء السكك الحديد في الدولة العثمانية يكفي ان نذكر ان تجهيز المواد والمعدات اللازمة لبناء خط سميت القارة الذي تسلم الالمان امتياز انشاؤه ادى الى ان تضاعف الصادرات الالمانية الى الدولة العثمانية ثلاث مرات في الفترة ١٨٨٣ — ١٨٩٣ انظر .

Khvostov, op. cit. Tom II Str. 283.

كما ان الابرار الصافي لشركة سكك حديد الانضول بلغ في ١٨٩٠ — (١٩٦٣٥٠) فرنك وفي ١٩٠٠ (٢٨١٧٣٦) فرنك وفي ١٩١٢ (١١٥٤٨١٥) فرنك اما الدخل الصافي من كل كيلومتر فكان في السنوات المذكورة ٩٦٥٤ و ٧٢٢٠ و ١٨٢٥٦ على التوالي : انظر :

Novichev, Ocherki Ekonomiki Tursii... Str. 163.

(38) Novichev, Ocherki Fkonomiki Tursii... Str. 132 — 133.

يساعد على انتشار منتجات الصناعة الألمانية في المشرق العربي وإيران والهند .

على أية حال إن أكثر ما أقلق الإنجليز هو محاولة الألمان مد السكة إلى جنوب العراق والخليج العربي وهي مناطق لا تسمح لبريطانيا بأن ينافس نفوذها فيها أحد فضلاً عن أن توجه الألمان نحو الخليج العربي من شأنه أن يشكل تهديداً للمصالح البريطانية في الهند . ويبدو أن الألمان في أصرارهم على إيصال السكة إلى الكويت كانوا مدفوعين بالإضافة إلى العوامل المذكورة برغبتهم في الحد من التوايا الانفصالية لشيخ الكويت وهي التوايا التي كانت بريطانيا تعمل على استغلالها لتعزيز نفوذها في ذلك القطر . ففي رسالة وجهها في ٦ آذار ١٩٠١ وزير الخارجية الألماني إلى سفير بلاده في اسطنبول يبيد الوزير قلقه من تزايد نشاط الدول الكبرى ولاسيما بريطانيا وروسيا في الخليج العربي ويعلمه باختيار الكويت لتكون النقطة التي تنتهي عندها سكة حديد بغداد ويؤكد أن أهم شرط لبناء هذه السكة يكمن في أنها ينبغي أن تمر في كل امتدادها في أراضي لا تثير ملكية الدولة العثمانية لها شكاً لدى أي كان (مما يدل على الرغبة في عدم استفزاز شيخ الكويت وتأزيم علاقاته مع الحكومة العثمانية مما قد يدفعه إلى التقرب أكثر من الإنجليز الذين يشجعون نواياه الانفصالية) ويطلب من السفير أن يفتح الباب العالي بأن يستخدم وساطة والي البصرة لدفع شيخ الكويت إلى إصدار إعلان خاص يؤكد فيه بأنه لن يمنح بدون موافقة السلطان للرعايا الأجانب أية امتيازات أو امتيازات إلى أن ترضى جميع مطالب ممثلي سكة حديد بغداد^(٤١) .

وعلى الرغم من أن هذه الرسالة تعكس جهلاً فاضحاً بحقيقة الأوضاع في المنطقة إلا أنها تكشف عن جانب من نوايا الألمان تجاه الاقطار العربية وتأتي في كل الأحوال منسجمة مع سياسة ألمانيا في المنطقة وهي السياسة التي تقوم على إسناد الحكومة العثمانية ضد الإنجليز ومن يتعاون معهم وتحقق الأهداف الألمانية عن هذا الطريق .

أثارت الافضليات التي كانت تتمتع بها بواسطة سكة حديد بغداد ولاسيما وصول هذه السكة إلى الخليج العربي قلقاً بالغاً لدى الحكومة البريطانية التي انبرت لاتخاذ اجراءات مضادة فبادرت إلى اعلان الحماية على الكويت لكي تقطع الطريق على وصول السكة إلى هناك من جهة ولجأت إلى الضغط سياسياً واقتصادياً على السلطان في محاولة لابعاده عن ألمانيا من الجهة الاخرى ولهذا نجد بريطانيا ترفض طلب الحكومة العثمانية الموافقة على زيادة الضرائب الكركية في الدولة العثمانية بل وتشجع كلاً من روسيا وفرنسا على الرفض أيضاً . وفي هذا

الاستعمارية من أجل السيطرة السياسية على اقطار المشرق العربي واقطار المنطقة الاخرى ومن أجل الاستحواذ على مكان الصدارة في هذه المنطقة الغنية . لقد كانت سكة حديد بغداد موضوعاً تركزت حوله جميع التناقضات بين الدول الاستعمارية وتصادمت فيه بشدة مصالح هذه الدول ولاسيما مصالح بريطانيا وألمانيا .

لقد حقق امتياز سكة حديد بغداد لألمانيا الكثير من الفوائد الاقتصادية والمالية تمثلت بما يدره استثمار البنوك الألمانية لرؤوس أموالها في انشاء السكة وفي تجهيز بناء الخط بما يحتاجه من ادوات ومعدات كالقضبان والقاطرات والعربات وغيرها . يضاف إلى ذلك أن الامتياز الذي وقع في شكله النهائي عام ١٩٠٣ كان يعطي ألمانيا الحق في أن تنشئ ميناء نهرياً في بغداد وتسير سفناً في نهر دجلة والفرات وكذلك الحق في التنقيب عن النفط وقد بدأ التنقيب في منطقة الموصل بالفعل عام ١٩٠٤^(٤٢) . لكن الافضليات التي تمثلها سكة حديد بغداد بالنسبة للألمان لا تقتصر على الجانب الاقتصادي بل تمتد إلى الجانب السياسي فقد كانت تمثل في نظر الألمان وسيلة فعالة لتحجيم النفوذ الإنجليزي من جهة ونشر النفوذ الألماني من جهة أخرى في العراق والجزيرة العربية ومصر والخليج العربي والهند . فالألمان في كفاحهم من أجل النفوذ في الدولة العثمانية ركزوا اهتمامهم على أكثر مناطقها غنى ولاسيما العراق حيث كانت في جزئه الجنوبي بريطانيا ولادة طويلة الدولة الأوربية الوحيدة ذات النفوذ فلقد استطاعت طيلة سنين عديدة أن تركز نفوذها في هذا القطر الغني من اقطار الدولة العثمانية وأن تحتكر حق الملاحقة في نهر دجلة والفرات بواسطة شركة «النيج» الأمر الذي يؤمن انتشار البضائع الإنجليزية في أرجاء واسعة من المنطقة العربية والافطار المجاورة لها . غير أن ذلك لم يمنع ألمانيا من محاولة التغلغل هناك محاولة استغلال مشاعر العداء التي كانت تزايد في المنطقة ضد المستعمرين الإنجليز . ومن هنا كان على سكة حديد بغداد أن تكون وسيلة لتحقيق نوايا الألمان لا في العراق فقط وإنما في المشرق الأوسط عامة . وكانت فكرة الألمان أن تمتد السكة من اسطنبول إلى بغداد ومن هناك إلى الخليج العربي^(٤٣) وبذلك تكون موازية للطريق البحري غير قناة السويس فتؤمن لألمانيا خط مواصلات متصل إلى اسيا عبر امبراطورية النمسا - المجر والبلقان مما

(39) I. S. Galkin, (Germania V 1897 - 1914). . . Str. 326.

(٤٤) كانت لجنة ألمانية خاصة قد أوصت الحكومة الألمانية بأن الكويت تصلح عاماً لكي تكون نقطة النهاية لسكة حديد بغداد خصوصاً وأنه من الممكن - حسب اعتقاد اللجنة - الاتفاق مع شيخ الكويت على بناء ميناء في أراضيها . - انظر -

G. L. Bondarevsky, Angliskaya politika i Mezhdunarodni Otnosheni V, Basseine Zaliya, Moskva, 1968, Str. 361.

(41) Bondarevsky, Angliskaya politika. . . Str. 263.

السياق ايضا ينبغي فهم موقف الحكومة البريطانية اثناء الاضطرابات التي حدثت في مقدونيا في ١٩٠٢-١٩٠٣ .

لكن ألمانيا لم تقف مكتوفة اليدين في مسألة الكويت استدعى وزير الخارجية الألماني السفير العثماني في برلين عشية اعلان الحماية الانجليزية على الكويت واعلمه بنية الانجليز وطلب منه ان ينقل للسلطان نصيحتين : الاولى : ان يبذل كل الجهود لمصالحة القبائل التابعة لابن رشيد مع القبائل التابعة لشيخ الكويت وبذلك يحد الانجليز من حجة ملائمة للتدخل. والثانية «ان يضع في الكويت قوات عسكرية كافية لتأكيد حقوق السلطان العليا بشكل فعال في هذه المنطقة» ثم اكد الوزير للسفير استعداد ألمانيا لمساندة العثمانيين بقوله : «طالما ان الكويت جرى اختيارها كنقطة تنهي عندها سكة حديد بغداد فان حكومة برلين من جانبها لن تتوانى عن لفت نظر الحكومة البريطانية الى ضرورة اخذ مصالح الدولة العثمانية بنظر الاعتبار»^(٤٢) . ولم يقف الامر عند قضية الكويت فقد حظيت الحكومة العثمانية باسناد فعال من جانب ألمانيا في جميع القضايا التي برزت على مسرح الاحداث في تلك الفترة مثل طلب الحكومة العثمانية زيادة ضرائب الكركية والحرب بين الدولة العثمانية واليونان والاضطرابات في مقدونيا بل ان ألمانيا كانت قل ذلك «قد خرجت من الحفل الاوربي عام ١٨٩٨ عندما اتخذ اغلب المشاركين فيه موقفاً مناهضاً للدولة العثمانية في قضية كريت»^(٤٣) .

ولهذا كله لم تؤد الجهود التي بذلتها بريطانيا لابعاد الدولة العثمانية عن ألمانيا الى نتيجة بل على العكس فقد جرى التوقيع في شباط ١٩٠٣ على اتفاقية جديدة منحت بموجبها الشركة الألمانية القائمة ببناء سكة حديد بغداد امتيازاً رسمياً بايصال السكة الى بغداد فكان ذلك نقطة تحول في موقف بريطانيا من سكة حديد بغداد بل ومن الدولة العثمانية ككل . على ان التغلغل الألماني في الدولة العثمانية لم يقتصر على الجانب الاقتصادي بل تعداه الى الجانب العسكري والسياسي فبالإضافة الى الافضليات الاستراتيجية والسياسية التي توفرها سكة حديد بغداد اولت ألمانيا اهتماماً كبيراً للجيش العثماني واستطاعت ان تحقق في هذا المجال أيضاً نجاحات ملحوظة فالقسم الاغلب من اسلحة الجيش العثماني وتجهيزاته كانت من ألمانيا كما ان الحكومة الألمانية ارسلت في عام ١٩١٣ بعثة عسكرية برئاسة ليمان فون ساندرس للعمل في الجيش العثماني وهدفها من ذلك السيطرة على هذا الجيش والتأثير بواسطته على السياسة العثمانية وقد لعبت هذه البعثة بالفعل دوراً كبيراً في جر الدولة العثمانية الى الحرب العالمية الاولى الى جانب ألمانيا .

(42) Quoted in Ibid pp. 264 - 265

(43) K. hvostov, op. cit. Tom II Str. 441

وفضلاً عن ذلك كان الاتحاديون قد تحولوا بعد انقلاب ١٩١٣ نهائياً الى قوة رجعية وفقدوا الصلات الواهية جداً التي كانت تربطهم قبل ذلك من جماهير الشعب وبدأوا لهذا السبب يبحثون عن سند لهم بين الدول الكبرى فاختاروا ألمانيا لأنها كانت تساند سياستهم الداخلية والخارجية وتشجع دعواتهم بشأن الجامعة الاسلامية والجامعة التركية . ولقد تحتم على الدولة العثمانية ان تدفع ثمناً غالياً لهذه المساندة حيث تحولت في عهد الثلاثي انور وطلعت وجمال الى شبه مستعمرة لألمانيا فلقد بذل هؤلاء الساسة ولا سيما انور باشا كل ما في وسعهم لتقوية النفوذ الألماني في الدولة العثمانية ومن ثم توريطها بدخول الحرب الى جانب الكتلة الألمانية .

وهكذا استطاعت ألمانيا عبر صراع شديد ضد منافسيها من الدول الاستعمارية الاخرى ان تحقق نجاحات كبيرة في التغلغل في الدولة العثمانية بحيث عندما قامت الحرب في ١٩١٤ كانت هذه الدولة قد تحولت الى شبه مستعمرة لألمانيا يبرز النفوذ الألماني في جميع مرافقها وتمتلك ألمانيا تأثيراً محسوساً على سياستها الداخلية والخارجية . وكان مما يسهل تحقيق نوايا ألمانيا في التغلغل في الامبراطورية العثمانية انه لم يكن بينها وبين العثمانيين ما كان بين هؤلاء والدول الاوربية الاخرى مما يثير العداء مثل توسع تلك الدول على حساب الممتلكات العثمانية فقد استولت بريطانيا مثلاً على قبرص واحتلت مصر ووسعت فرنسا نفوذها في بلاد الشام وغزت تونس وفرضت حمايتها عليها . اما روسيا فاطاعها معروفة في البلقان والمضائق في حين استولت النمسا - المجر على اقليمي البوسنة والهرسك .

وهكذا كانت ألمانيا الدولة الوحيدة التي ظلت بمنأى عن كل ذلك بالإضافة الى تأكيد سياستها ابتداء من بسمارك وإنهاء بوليم الثاني على انه ليس لديهم أهداف سياسية في الشرق وإن كل ما يسعون إليه هو مصالح اقتصادية فقط . ثم أن ألمانيا كانت تتمتع بميزة اخرى تفتقر اليها الدول الاوربية الكبرى الاخرى وهي انها لا تمتلك في مستعمراتها مناطق يقطنها مسلمون كما هو الحال بالنسبة لبريطانيا وفرنسا وروسيا وقد استغلت الحكومة الألمانية هذه الحقيقة بمهارة فأخذت تساند الجامعة الإسلامية التي كان السلطان العثماني ينادي بها والتي كانت تهدف الى توحيد مسلمي العالم جميعاً بما فيهم المسلمون القاطنون في الإمبراطورية الروسية وفي مستعمرات بريطانيا وفرنسا فيما وراء البحار ، تحت سيادة السلطان العثماني وهي تهدف من وراء ذلك الى إثارة المسلمين ضد منافسيها من الدول الاوربية من جهة وإلى كسب ود وصدقة السلطان من جهة ثانية وإلى تسميع العلاقات بين السلطان والدول الإستعمارية التي لها رعا مسلمون من جهة الثالثة.

الحركة القومية العربية الناهضة ونحجيمها إن لم يكن القضاء عليها وذلك بأستاد حكومة عبد الحميد ومن بعدها حكومة الإنجليز التي كانت تقمع بدون هوادة أية بادرة قومية.

لقد أسهمت النجاحات التي حققتها ألمانيا في التغلغل في الدولة العثمانية إقتصادياً وسياسياً وكذلك تبني الإنجليز لسياسة الجامعة الإسلامية والجامعة التركية، أسهمت في دفع الساسة البريطانيين إلى إعادة النظر في سياسة بريطانيا التقليدية تجاه الدولة العثمانية ذلك أن تقلص المواقع الإنجليزية في الحياة الإقتصادية للدولة العثمانية وتنامي النفوذ الألماني الإقتصادي والسياسي بالمقابل أدى إلى تقليل إهتمام بريطانيا بالمبدأ التقليدي الذي كانت تركز عليه سياستها تجاه الدولة العثمانية ونعني مبدأ المحافظة على كمال تلك الدولة وحصانة أقاليمها والوقوف بوجه الدول التي تسعى إلى إقتسامها. وبالمقابل أصبحت ألمانيا ذات المصالح الإقتصادية الواسعة في الدولة العثمانية والساعية للحفاظ على هذه المصالح وتوسيعها هي التي تدافع عن حصانة تلك الدولة وكال أقاليمها.

في مثل هذه الظروف اتخذت الحركة القومية العربية تمثل في نظر الساسة الإنجليز أهمية كبيرة حيث إعتقدوا بأنها توفر لهم سلاحاً ماضياً في صراعهم مع خصومهم الألمان في المشرق العربي الذي يرتدي أهمية فاققة بالنسبة لبريطانيا وأداة يمكن أن تستغل لتعزيز نفوذ بريطانيا في المنطقة. وهكذا نجد كيتشنر وهو أحد أعمدة السياسة البريطانية في المشرق آنذاك يرى بأن أحد أساليب مكافحة النفوذ الألماني، في الدولة العثمانية يكمن في «تشجيع الولايات العربية التابعة للإمبراطورية العثمانية على تكوين دولة واحدة أو مجموعة من الدول مستقلة إستقلالاً داخلياً وترتبط ببريطانيا العظمى برباط الصداقة وتشمل المنطقة من شواطئ البحر الأبيض المتوسط غرباً إلى حدود إيران شرقاً وبذلك تصبح سداً للجزيرة العربية بوقف المد التركي-الألماني»^(٤٤).

لكن ذلك كله لم يكن يعني بأن بريطانيا كانت آنذاك أي قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة على إستعداد لأن تقدم إسناداً شاملاً للعرب ضد السيطرة العثمانية، فلقد تصرفت الدبلوماسية البريطانية في هذه القضية بما هو معروف عنها من مكر وخداع ذلك أن حقيقة أن يترك العرب خلافاتهم ويتحدوا ضد العدو المشترك لم تكن تروق بأي حال من الأحوال للمستعمرين الإنجليز الذين يعملون على الدوام وفق مبدأهم الشهير «فرق تسد». وقد كشف عن ذلك السفير البريطاني في إسطنبول

«إن هذه الإعتبارات بالإضافة إلى إن الدول الإستعمارية الأخرى كانت قد رسخت نفوذها في مختلف أقاليم وأقطار الدولة العثمانية وفي مقدمتها أقطار المشرق العربي جعلت ألمانيا تفضل انتهاز السياسة التي تمكنها من الاستيلاء على الدولة العثمانية ككل على السياسة التي ترمي إلى تقسيم هذه الإمبراطورية بين الدول الأوروبية لأن الألمان كانوا يرون أن الدولة العثمانية الموحدة غير المجزأة والواقعة تحت حماية ألمانيا بشكل غير رسمي والتي يمكن تحويلها بالتدريج إلى مستعمرة ألمانية صرفة يمكنها أن توفر لهم امكانات هائلة فيما يتعلق بتوفير الخامات وأسواق التصريف للصناعة الألمانية بعكس الحالة فيما لو قسمت هذه الإمبراطورية بين الدول الأوروبية لأن مثل هذا التقسيم ولا سيما في ظل الظروف التي كانت سائدة آنذاك لن يكون في صالح ألمانيا.

ومن الجهة الأخرى كان السلطان عبد الحميد الثاني يأمل من جانبه في أن يتمكن بالاعتماد على مساندة الألمان من تثبيت مركزه وتشديد مقاومته لحركات التحرر الوطني لشعوب الإمبراطورية العثمانية وفي مقدمتهم العرب. وقد وجد عبد الحميد إسناداً تاماً لنواياه هذه من جانب الأوساط الحاكمة الألمانية وعلى رأسها الإمبراطور الألماني ذلك أن ألمانيا كانت من أجل أن تسهل عملية تغلغلها في الدولة العثمانية تعمل على إخماد حركة التحرر الوطني لمختلف شعوب الإمبراطورية وتقف عقبة أمام تحقيق أمنيتها بالانفصال عن الدولة العثمانية وتكوين دولها القومية المستقلة^(٤٥). وهنا يكمن في الواقع جوهر التحدي الألماني الذي جابهته الأمة العربية في تلك المرحلة من تاريخها فلقد سعت ألمانيا إلى حيازة

(٤٤) هكذا ظهر أن عبد الحميد الثاني وولم الثاني يحتاج أحدهما للآخر، الأول للحفاظ على المملكة والاحتفاظ بالسلطة المطلقة والثاني للتوسع الاقتصادي والتجاري.

Zaki Saleh, Mesopotamia (Iraq) 1600 – 1914, A Study In British Foreign Affairs, Baghdad, 1957, p. 238.

فكان ذلك أساساً لتقارب ولقي بينهما وصل فروته في ريادة ولم الثاني للإمبراطورية العثمانية للمرة الثانية في تشرين الأول والثاني من عام ١٨٩٨ حيث ألقى في دمشق خطاباً المشهور الذي أعلن فيه نفسه «صديقاً أديباً للسلطان العثماني وللإخوة المسلمين مسلم الذين يتبررون بحبهم».

Khvostov, op. cit. Tom II Str. 443.

ولا ادل على النجاح السريع الذي حققته هذه الزيارة مما كتبه بيلوف وزير الخارجية الألماني الذي كان يرافقه العامل الألماني حيث قال: «لقد غادرت تركيا وأنا مقتنع بأننا أصبنا فيها حقلاً واسعاً لنشاطنا الاقتصادي وصديقاً شجاعاً أيضاً لوقت الخطر».

B. Bulow, Vospominaniya, pere. S. Nemetskovo, M. 1935, Str. 131.

وبالفعل فقد حققت الزيارة جملة من المكاسب الاقتصادية للألمان ذكر بيلوف نفسه أنها «امتياز لبناء ميناء في حيدرآباد وامتياز لخط السكك الحديدية - هي. ت. ج. من كونسطنطينة إلى القسطنطينية وتعزيز علاقات العمل القائمة بين الحكومة العثمانية والشركات الألمانية الكبيرة».

Quoted In Khvostov, Op. Cit. Tom. II Str. 444

وكذلك مواظبة السلطان على منح امتياز بناء سكة حديد بغداد للألمان

(٤٥) جورج انطونيوس: بقطعة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور احسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٦، ص ٢٠٨.

عندما كتب إلى وزير الخارجية البريطاني إدورد كيري في ١٨ آذار ١٩١٤ يخبره بأن الشيوخ العرب قد تخلوا عن خلافاتهم الشخصية ولكنهم يعززون النزعات القومية ضد الحكومة المركزية (يقصد الحكومة العثمانية - هـ. ث)» ويحذره من أنه «إذا ما اتحد هؤلاء القادة في دعوة دستورية لصالح الانفصال أو الاستقلال الذاتي أو في حركة إنفصالية مباشرة فإنهم في الحالين يمكن أن يسببوا دون شك صعوبات كبيرة»^(٤٦). وهكذا نرى أن مجرد التقارب الموقت بين عدد من شيوخ العرب يثير إلى هذا الدرجة مخاوف مخططي السياسة البريطانية ولنا إذن أن نتصور موقفهم فيما لو كانت تلك خطوات وحدوية جادة. إن هذا التقارب بين القادة العرب آنذاك كان واحداً من أسباب عديدة جعلت بريطانيا في تلك المرحلة تلتزم بجانب الأنصار في تعاملها مع حركة العرب القومية الموجهة ضد السيطرة العثمانية.

على أية حال، تولف دراسة السياسة البريطانية تجاه الحركة القومية العربية في تلك المرحلة موضوعاً مستقلاً لا يدخل بشكل مباشر في نطاق هذا البحث. يهنا فقط أن نقرر هنا بأن التغلغل الألماني في الدولة العثمانية ومنها الأقطار العربية في المشرق التي كانت تابعاً لما كان واحداً من الأسباب الأساسية التي جعلت بريطانيا تزيد من إهتمامها بحركة العرب القومية فتعمل على التظاهر أمام العرب بإسنادها وتعمل في المراسم استغلالها لتحقيق أهداف الاستعمار البريطاني في المشرق العربي. كذلك أدى التغلغل الألماني في الدولة العثمانية من الجهة الأخرى إلى تعزيز مواقع السلطة العثمانية في مكافحتها لحركة العرب القومية وذلك بفضل الاسناد والدعم الذي حظيت به من جانب ألمانيا الأمر الذي زاد من المصاعب التي جابهت القومية العربية آنذاك فبعد أن تآان القوميون العرب يناضلون ضد السيطرة العثمانية لوحدها أصبحوا يناضلون ضدها مدعومة بالاستعمار الألماني فكان ذلك تحدياً اضيف الى التحديات الكثيرة التي جابهت الأمة العربية في تلك المرحلة من تاريخها.

الأطماع الصَّهْمِيَّة

في الأرضِ العربيَّة

الدكتور هادي احمد مخلف
معهد الدراسات
القومية والاشتراكية
قسم الدراسات الدولية

عندما كتب إلى وزير الخارجية البريطاني إدورد كيري في ١٨ آذار ١٩١٤ يخبره بأن الشيوخ العرب قد تخلوا عن خلافاتهم الشخصية ولكنهم يعززون النزعات القومية ضد الحكومة المركزية (يقصد الحكومة العثمانية - هـ. ث) ويحذره من أنه «إذا ما اتحد هؤلاء القادة في دعوة دستورية لصالح الانفصال أو الاستقلال الذاتي أو في حركة إنفصالية مباشرة فإنهم في الحالين يمكن أن يسببوا دون شك صعوبات كبيرة»^(٤٦). وهكذا نرى أن مجرد التقارب الموقت بين عدد من شيوخ العرب يثير إلى هذا الدرجة مخاوف مخططي السياسة البريطانية ولنا إذن أن نتصور موقفهم فيما لو كانت تلك خطوات وحدوية جادة. إن هذا التقارب بين القادة العرب آنذاك كان واحداً من أسباب عديدة جعلت بريطانيا في تلك المرحلة تلتزم بجانب الأنصار في تعاملها مع حركة العرب القومية الموجهة ضد السيطرة العثمانية.

على أية حال، تولف دراسة السياسة البريطانية تجاه الحركة القومية العربية في تلك المرحلة موضوعاً مستقلاً لا يدخل بشكل مباشر في نطاق هذا البحث. يهنا فقط أن نقرر هنا بأن التقليل الألماني في الدولة العثمانية ومنها الأقطار العربية في المشرق التي كانت تابعاً لما كان واحداً من الأسباب الأساسية التي جعلت بريطانيا تزيد من إهتمامها بحركة العرب القومية فتعمل على التظاهر أمام العرب بإسنادها وتعمل في المراسلات لتتحقيق أهداف الاستعمار البريطاني في المشرق العربي. كذلك أدى التقليل الألماني في الدولة العثمانية من الجبهة الأخرى إلى تعزيز مواقع السلطة العثمانية في مكافحتها لحركة العرب القومية وذلك بفضل الاسناد والدعم الذي حظيت به من جانب ألمانيا الأمر الذي زاد من المصاعب التي جابهت القومية العربية آنذاك فبعد أن تآان القوميون العرب يناضلون ضد السيطرة العثمانية لوحدها أصبحوا يناضلون ضدها مدعومة بالاستعمار الألماني فكان ذلك تحدياً اضيف الى التحديات الكثيرة التي جابهت الأمة العربية في تلك المرحلة من تاريخها.

الأطماع الصَّهْمِيَّة

في الأرضِ العربيَّة

الدكتور هادي احمد مخلف
معهد الدراسات
القومية والاشتراكية
قسم الدراسات الدولية

يهدف هذا البحث تحديد حقيقة وابعاد واتجاهات الاطماع الصهيونية في الارض العربية نظرا لكون الكيان الصهيوني يمثل احد الاخطار التي تهدد حاضر ومستقبل الوطن العربي ارضا وشعبا ، كما هددته عبر الفترة الماضية وابتداء من المؤتمر الصهيوني الاول ولذلك سوف نتناول المشروع الصهيوني لربط البحر المتوسط بالبحر الميت الذي يمثل احد النزاع العدواني الصهيونية على الوطن العربي .

حيث ان الكيان الصهيوني يؤمن بمفهوم الحدود العضوية التي طرحها الجيوبولتيكي الالماني فردريك راتزل والذي يقول :

«ان الحدود السياسية للدولة يجب ان تتفق مع الطبيعة العضوية لها تتوسع او تنقلص بالنسبة الى قوة الدولة او ضعفها وهو مفهوم ينبثق من فكرة ان الدولة كالكائن العضوي لها حياة . فالدولة القوية عليها ان تتبلغ الدولة الضعيفة^(١) . وعلى هذا الاساس فان تحليل الاطماع الصهيونية في الوطن العربي يعتبر احد المهمات التي ينبغي على الباحثين ابرازها بما يؤدي الى خلق المجابهة الفاعلة ضد تنفيذ الكيان الصهيوني لاطماعه» .

١ - تاريخ الاطماع الصهيونية في فلسطين والوطن العربي :

دابت الحركة الصهيونية منذ عقد مؤتمرها الاول في مدينة بازل السويسرية في عام ١٨٩٧ على تخطيط وتنفيذ كل ما من شأنه ايجاد دولة صهيونية في مساحة او حيز جغرافي محاط بحدود طبيعية تؤمن الديمومة والبقاء لها ، من خلال تأمين اسس متينة لقوة عسكرية قادرة على تثبيت ذلك الكيان متبعة الاراء التي طرحها الجيوبولتيكي الالماني فردريك راتزل في النظرية العضوية (organice theory) أو المجال الحيوي (theory Vital Space) الذي اعتبر الدولة بأنها كائن حي يرتبط بالتربة ويتأثر بالطبيعة فتصبح نشاطات وخصائص السكان ودولتهم متأثرة بالخصائص الجغرافية خاصة في ذلك المجال . اذ اعتبر راتزل ان مجالا كبيرا من هذا النوع يحفظ الحياة ، لذلك فان الحيز الواسع امرا ضروريا لادامة الدولة وبقائها حتى لو تطلب الامر استخدام القوة عن طريق الحرب^(٢) . ويؤكد ما ذكر قيام المنظمة الصهيونية في ٣ شباط من عام ١٩١٩ تقديم مذكرة الى المجلس الاعلى لمؤتمر السلام في باريس طرحت فيه الحدود التي تجدها الحركة الصهيونية ملائمة لايحاد كيان سياسي ممثل

بها . هذه الحدود تتبع الخطوط العامة التالية^(٣) :-
تبتدأ الحدود في الشمال بنقطة تقع على ساحل البحر المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع مجارى مياة جبال لبنان حتى جسر القرعون سالكة الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والغربية لجبل الشيخ حتى بيت جن . ومن ثم تتجه الحدود شرقا متبعة الضفة الشمالية لنهر مغنية بحيث تحاذي خط حديد سكة الحجاز غربا .

لقد تأكد وجود مثل هذا التخطيط في اقوال الصهيونيين وبروتوكولاتهم فقد ورد في البروتوكول الاول من بروتوكولات حكماء صهيون «ان الحق يمكن في القوة لان السياسة لا تتفق مع الاخلاق في شيء» والحاكم المقيد بالاخلاق ليس سياسيا بارعا و ان حقنا يمكن في القوة . وكلمة الحق فكرة مجردة قائمة على غير اساس فهي كلمة لا تدل على اكثر من اعطى ما اريد لتمكيني من ان ابرهن لك بهذا على اني اقوى منك . كذلك زوروا ما جاء في الكتب السماوية وفقا لنظرتهم (في سفر العدد ٣٢) يكتبون ان كل وضع تدوسه بطون اقدامكم لكم اعطية . كما كملت موسى من البرية . ولبنان هذا الى النهر الكبير . نهر الفرات جميع اراضي الحثيين الى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تحمكم^(٤) . وكأنهم يريدون ان يقولوا ان الشرق العربي كله مكان دولتهم .

بعد قيام الكيان الصهيوني نتيجة تأمر قوى دولية متعددة على الشعب العربي وتشريد ملايين من ابناءه في فلسطين مقابل هجرة ملايين من الصهاينة من مختلف ارجاء العالم وتوطينهم مكان هذا الشعب ، كشفت تصريحات اركان الكيان الصهيوني عن حقيقة نواياهم التوسعية . في عام ١٩٥١ صرح بن غوريون انا الآن فقط قد وصلنا الى بداية الاستقلال في جزء من بلادنا الصغيرة . وفي عام ١٩٥٣ قال ايضا (اضيف الان ان الدولة اليهودية قد اقيمت في جزء فقط من ارض (اسرائيل) . البعض متذور حينما يتعلق باستعادة حدودنا التاريخية كما وضعت منذ البداية (ويقصد مذكرة عام ١٩١٩) ولكن حتى اولئك المتشككين لا يستطيعون انكار شنوذ الخطوط الحالية .

اذا اردنا ان نسوق الامثلة على عدوانية وتوسعية الحركة الصهيونية فهناك عشرات من الامثلة على ذلك . وقناة البحرين المتوسط والميت موضوع البحث واحدا من اهمها .

(١) الدكتور عبد الرزاق عباس حسين / الجغرافية السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبولتيكية مطبعة اسعد / بغداد / ١٩٧٦ ص ١١ .

(2) Norman J. G. Pound, political Geography, McGraw - Hill, Co., New York, 1963, P. 408.

(٣) هشام الدجاني / اسرائيل ومشكلة المياه - مجلة افاق عربية - العدد ١ / السنة الرابعة / ايار ١٩٧٩ ص ٢٦ .

(٤) صحيفة القبس الكويتية عدد ٩ / كانون الثاني / ١٩٨١ .

٢ - بدايات هذا المشروع الصهيوني :

بدأ التفكير بهذا المشروع الصهيوني منذ عام ١٨٨٠ فهو فكرة بريطانية . صهيونية لكل منها اهدافها المعلنة والخفية . بالنسبة لبريطانيا كانت تفكر باستمرار تأمين اقصر طرق ارتباطها مع الهند وشرقي قارة آسيا وذلك لاعتبارات اقتصادية بشكل اساس . قامت هذه الدولة عام ١٨٥٠ بارسال الكابتن الانكليزي وليام الن الى فلسطين للدراسة امكانية ربط البحر المتوسط مع البحر الميت ومن ثم بالبحر الاحمر وحتى المحيط الهندي وكذلك الى الهند . قام الوفد البريطاني بمهمته وقدم تقريرا لحكومته نشر تحت عنوان «البحر الميت طريق جديد الى الهند» .

لقد جاء في التقرير ان المشروع هو قناة تربط خليج حيفا بوادي الاردن ومن ثم بالبحر الميت بعدها يستمر المشروع الى خليج العقبة (حيث يتم انشاء ميناء عميق ومنها الى شرم الشيخ وحتى المحيط الهندي والهند . ووضع الن في ذلك التقرير خططا تفصيلية لتنفيذ المشروع . على أن تحول بريطانيا الى مشروع قناة السويس ، بعد ان وجدت ان فرنسا بدأت التخطيط لذلك بالتعاون مع الحديوي المصري وخوف بريطانيا من تركيز نفوذها وسيطرتها على الطرق التجارية . هذا الامر اعطى الاولوية في خطط بريطانيا الى التفكير في تنفيذ مشروع قناة السويس بحيث يفي المشروع الآخر امرا احتياطيا اذا ما فشلت بريطانيا في السيطرة على قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الاحمر (٥) .

اما بالنسبة للحركة الصهيونية فقد كانت بدايات المشروع ترجع الى الافكار التي كان يطرحها مؤسس الحركة تيودور هرتزل . ففي كتابه (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٦ وصف المشروع بأنه من المشاريع الصهيونية جدا بالنسبة «للدولة اليهودية» التي ستقام وبالتالي فلا مناص من الشروع بتنفيذه حالما يستتب الاستقرار للحركة الصهيونية في فلسطين (٦) . وفي عام ١٨٩٩ قدم مهندس سويسري يدعى ماكس بوركارت اقتراحا مكتوبا الى هرتزل يدعو فيه الى مشروع من قناتين لنزويد (الدولة اليهودية) التي ستنشأ في المستقبل بالكهرباء ولسد حاجتها من المياه العذبة هي - القننة الاولى تمتد من حيفا وتجرى في وادي حزريل ثم تنبعث الى وادي الاردن ومن ثم الى البحر الميت هناك القننة الثانية التي تمتد من الطرف الجنوبي لبحيرة صبريا على موارث

(٥) نواف كشلي - في ظل كيب ديفيد / العدو الصهيوني / ينشأ على طريق بناء دولته التوسعية الكبرى - صحيفة الثورة العراقية - ٥٥ ٤٠٩٦ في ١٩٨١/٨/٩

(٦) صحيفة القدس الكروية - بالرغم من ان المشروع الصهيوني تعترضه مشاكل نظرية وعملية - امثال سائرة لتحقيق احلام هرتزل بانشاء قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الميت عدد ٣٢٢١ في ١٩٨١/٤/٣٠

نهر الاردن من جهة الغرب تماما .

كان المشروع الصهيوني يتضمن اقامة محطات لضخ المياه من قنوات فرعية حتى اعلى ذروة في سلسلة جبال السامرة حيث تخزن المياه في خزانات ضخمة ومن ثم توزيعها حسب الحاجة .

وفي كتاب هرتزل عام ١٩٠٢ الذي اطلق عليه اسم (البلاد الجديدة والقديمة) اكمل فيه ايضا على المشروع حيث اشار الى ان انشاء قناة تربط البحرين المتوسط والميت . هذه القناة تنقل المياه من البحر المتوسط الى البحر الميت وذلك غير اتفاق معينة مما سيؤمن للدولة الصهيونية المرتقبة طاقات كهربائية تساعد على استغلال كل اراضي فلسطين لصالح (اليهود) فضلا عن انها سوف تساعد في تغيير البيئة الصحراوية . مما تسهل اسكان اعدادا كبيرة من (اليهود) اضافة الى تحويل الصحراء الى مايشه الجنة . وقد حدد هرتزل العام الذي يتم فيه تنفيذ المشروع على انه عام ١٩٢٣ .

في عام ١٩١٩ اقترح مهندس نرويجي يدعى يورث شق نفق مباشر تحت جبال القدس من انهر المتوسط حتى البحر الميت لنقل المياه وبالتالي انتاج الطاقة الكهربائية .

في عام ١٩٢٥ اقترح مهندس فرنسي يدعى بيير غندويرن نقل المياه الى غور الاردن عن طريق مرج بن عامر وبناء محطتين لتوليد الكهرباء . الاولى في مداخل بيسان والثانية في مصب نهر الاردن .

في عام ١٩٣٧ قام بن غوريون بحولة ميدانية في مناطق الاغوار الجنوبية بغية الوصول الى قرار بشأن تنفيذ افكار هرتزل . ولكن التطورات السياسية في فلسطين آنذاك حيث الثورة الفلسطينية ونتائجها لم تكن تسمح للصهيونية بالاجهار في البدء بالتنفيذ .

في تشرين الاول عام ١٩٤٣ نشرت لجنة تسمى بلجنة تخطيط فلسطين تقرير عن القناة معد من قبل جون مسافاج وفالتر لاودر جيلك اقترحوا فيه تحويل مياه نهر الاردن للري وسد النقص الذي سيعانيه البحر ميت من قلة المياه عن طريق نقلها من البحر المتوسط واستغلال الفارق في الارتفاع بين البحرين لانتاج الطاقة الكهربائية

في عام ١٩٤٤ صدر كتاب الاستاذ امريكي (والتر كلاس لاودملك) خبير في الاراضي والري عنوانه (فلسطين ارض الميعاد) تحدث فيه عن امكانية شق قناة بين البحرين المتوسط والميت بعد ان تصور المشروع من طارة . قلته عام ١٩٣٩ فوق منطقة اغوار الاردن التي تنخفض حوالي ٤٠٠ م عن سطح البحر ورأى ان مشروع القناة سينعش اقتصاديا وزراعي وصناعيا حوالي ٤ ملايين (يهودي) من لاجئي اوربا . وان فلسطين كانت في حاجة الى المياه والكهرباء لابعاشها واسكان المزيد من المهاجرين .

في عام ١٩٤٦ صدر تقرير المهندس جيمس هيس ، رئيس لجنة تخطيط فلسطين اشتمل التقرير على شق ممرين لنقل المياه هما : ممر الغور ونفق آخر تحت جبال القدس يمر تحت المدينة المذكورة ويربط قرية سكرير (اشد ورماليا) بقرية حمدان الواقعة شمالي البحر الميت . واعتمادا على تلك التقارير وبعد ان انتقل ارتباط لجنة تخطيط المياه في الكيان الصهيوني الى وزارة الزراعة بعد قيام الكيان السياسي للصهيونية في فلسطين اتصلت الوزارة بالمهندس والمصمم جون كوتون لاعداد خطة شاملة لتطوير الري والطاقة الهيدروكهربائية في فلسطين المحتلة . وقد قدم كوتون ستة تقارير بين عام ١٩٥٠-١٩٥٥ كان التقرير الاول والثاني نتيجة تعاونه مع جيمس هيس . درس كوتون في التقرير الاول سبعة ممرات مختلفة لربط البحر المتوسط بالبحر الميت ، وتضمن اقتراحين لتدفق مياه البحر المتوسط المالحة في ممرات مختلفة الى بحيرة طبريا مباشرة . كذلك وضع خطة اخرى اقترح فيها نقل المياه من البحر المتوسط عبر نهر كيشون حتى حيفا ، والى حفر قناة مفتوحة الى منطقة الحميدية ومنها الى نهر الاردن . وقد اوصى كوتون بتنفيذ المشروع باسرع وقت ممكن . وقد حذر كوتون في تقريره الذي صدر عام ١٩٥٥ من حدوث مشاكل سياسية نتيجة التنفيذ و اشار الى انه يفضل انشاء نفق ومحطة ضخ من نهر كيشون الى نهر الاردن بعد استغلال جميع مياه نهر الاردن في مجالات الري .

وتوصل الى نتيجة مفادها انه بعد تحويل نهري الاردن واليرموك سيصبح بالامكان ضخ كمية ثابتة من المياه بمعدل ٣٦ م^٣ / ث نحو البحر الميت للمحافظة على منسوبه الاعتيادي . وان المحطة الكهربائية المقامة ستولد طاقة قدرها ١١٠ ميغاواط . وقد قدرت تكاليف المشروع بـ ٢٥ مليون دولار تصل بعد خمس سنوات الى ٤٦ مليون دولار . في عام ١٩٧٨ شكلت لجنة صهيونية برئاسة (يوفال ثنان) مؤسس أحد الأحزاب الصهيونية (حتحيا - النهضة) المتطرفة ، واحد السياسيين الصهاينة لدراسة وبحث التطبيق الفعلي لمشروع القناة وتحديد أي المواقع افضل للبدء بتنفيذ المشروع .

وهكذا كانت هذه اللجنة وعلى اساس الدراسات والتقارير التي وضعت طيلة الفترة المتداة منذ المؤتمر الصهيوني الاول الذي اشرنا اليه . كانت آخر لجنة تنفذ فعليا آراء وافكار هرتزل .

٣ - تفاصيل المشروع الصهيوني :

مضى ما يقارب قرن ونصف على بداية التفكير الصهيوني الاستعماري بخصوص مشروع القناة الآتفة الذكر . وقد قامت الحكومات الصهيونية

المتعاقبة بالعمل على اختيار طرق وممرات مفضلة لتنفيذ المشروع وتحقيق الاهداف الاستراتيجية التي يطمح الكيان الصهيوني في الوصول اليها ، اذا تذكرنا ان صحراء النقب ذات اهمية استراتيجية للكيان الصهيوني يتوضح لنا ما قاله بن غوريون عام ١٩٥٦ من (ان اعمار النقب والسكن فيه ضرورة مطلقة لسلامة (اسرائيل) وامنها ، وان (اليهود) القاطنين على الساحل لن يطول بقاؤهم اذا لم يرتفع عدد سكان النقب من شعبنا) هذا يعني ان الحركة الصهيونية تعتبر منطقة النقب من المناطق الضرورية لها ، وتوقع فيما لو استثمرها لن تكون خطرا عليها . وفي ذات العام صرح بن غوريون (ان النقب هي اليوم نقطة الضعف في (اسرائيل) ومصدر الخطر على مستقبلها ، وفي النقب ترسم ايضا اعظم آمال (اليهود) . ان دولة (اسرائيل) الصغيرة لا تستطيع الصبر طويلا على وجود صحراء النقب على وضعها الحالي والتي تشكل نصف مساحة اراضيها . ذلك ان هذه الدولة ان لم تستغلها ، فان هذه الصحراء ذاتها سترسم النهاية الواضحة (لاسرائيل) . لذلك اعطت الحكومات الصهيونية في نهاية السبعينات اولويات تنفيذ مشروع القناة ، واستندت على اوسع دراسة قدمها يوفال ثنان لترج في هذه الدراسة ثلاث مسارات رئيسية لتنفيذ المشروع الصهيوني وهذه المسارات هي : - (٧)

المسار الاول : يسمى 'الخط الشمالي' يبدأ بنفق من حيفا الى مرج ابن عامر ثم يمر بوادي بيسان وحتى نهر الاردن . ونظرا لان شق القناة عبر الممر يؤدي الى تحويل مياه نهر الاردن الى نهر مالح قبوذي الى دمار يثوي لطبيعة الوادي فقد عرفت الصهاينة عن تنفيذه رغم انه ينسجم مع افكار هرتزل القديمة حول مشروع هذه القناة .

المسار الثاني : يسمى 'الخط الوسط' يبدأ من اشدود جنوب تل ابيب ثم يمر بخط مستقيم جنوب القدس وينتهي قرب منطقة قران على البحر الميت بعد ان يمر في نفق عمقه ٢٠٠ م تحت مكان المياه الحلوة (العذبة) .

ان صعوبة شق هذا النفق خاصة في المنطقة الجبلية ووجود عوائق جيولوجية لحفره بالقرب من منطقة القدس دفع حكومة العدو الى العزوف عنه كذلك .

المسار الثالث : يسمى 'الخط الجنوبي' يبدأ من القطيف قرب دير البلح في الطرف الجنوبي لقطاع غزة المحتل . بين خان يونس ودير البلح ويمتد في ممر شبه مستقيم مع بعض التعرجات بالاتجاه الجنوبي نحو بحر السبع الى ان يصب في البحر الميت في منطقة عين بقيق بالقرب من مبيدات على طريق عين جري . وقد وافقت حكومة العدو الصهيوني في جلساتها بتاريخ

(٧) صحيفة القدس الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٨/٢٠

٢٤/آب/١٩٨٠ على مشروع القناة وعلى اختيار المسار الثالث للمشروع بتنفيذ المشروع . حيث اقيم في ٢٩ آيار ١٩٨١ احتفال قرب البحر الميت لتدشين العمل بالمشروع والبدء بالمراحل التنفيذية .

طول القناة ١٠ كم ٨٠ كم منها في شكل انفاق في الهضاب المشرفة على البحر الميت ، كان المؤمل ان يتم سحب المياه من منطقة القطيف في غزة ، بعد رفعها الى مستوى ١٠٠ م الى مجرى مائي يتراوح طوله بين ١٥/١٠ كم قبل ضخها الى نفق يبلغ قطره ٥ أمتار ويصل عمقه في نهايته الى ٥٥٠ م . ويقع الى الجنوب من بئر السبع . حتى تصل الى نقطة تقع جنوب البحر الميت حيث تنزل من مسقط كبير يبلغ ارتفاعه ٤٠٠ م بسبب انخفاض مستوى البحر الميت عن مستوى البحر المتوسط . على اساس الحسابات الصهيونية فان المشروع سوف ينجز بشكله النهائي بعد مضي عشر سنوات على بدء التنفيذ اي عام ١٩٩٠ في اكثر الاحتمالات . قدرت تكاليف المشروع بين ٧٠٠-٨٠٠ مليون دولار بحسابات الكلفة في عام ١٩٨٠ . مضافا اليها ٦٠ مليون ليرة (اسرائيلية) تم توظيفها من ميزانية عام ١٩٧٩ لتابعة عمليات التنظير والدراسات والبحث . وكذلك ٢٠٠ مليون ليرة وظفت من ميزانية عام ١٩٨٠ (٨)

ان تمويل المشروع الصهيوني هذا سوف تقوم به مؤسسات امريكية وكندية ومؤسسات صهيونية داخل فلسطين واوربا وامريكا ، مقابل امتياز حق استخدام محطة هيدوكهربائية ، وبيع الكهرباء المولدة الى المستهلكين .

يتضح اذن ان الكيان الصهيوني جاد في تنفيذ المشروع وان المؤسسات الصهيونية داخل فلسطين واوربا وامريكا تقدم الدعم والعون الى هذا الكيان لتنفيذ المشروع اضافة الى مساهمات الدول الاستعمارية في هذا المجال .

٤ - اهداف الكيان الصهيوني من المشروع :

يسعى الكيان الصهيوني باستمرار الى العمل على كل ما من شأنه تثبيت كيانه والايمان بسياسة الامر الواقع . لذلك يعتقد ان كل مشروع يقوم به سوف يؤدي بالتالي الى اطالة عمره ، لكنه يدرك انه كيان شاذ لا شبيه له فيما يحاوره من الكيانات السياسية وما يوجد بينها من روابط . اذ ما يزيد من التحقيد النفسي للحركة الصهيونية هو عدم الاعتراف بها في

(٨) سعد الدين عزيز مصطفي - الرقيام اسرائيل والشارح التي تقوم بتنفيذها على المواصلات بين البلاد العربية تنمية المواصلات في الوطن العربي في السلم والحرب / بغداد - ايلول ١٩٨١/ مركز الدراسات العربية ، نقابة المعلمين في الجمهورية العراقية ونقابة المهنيين العراقيين .

الوطن العربي رغم مرور اكثر من ثلاثة عقود من الزمن على تواجدها السياسي فيه . وعلى الرغم من العلاقات التي اراد السادات لها ان تكون طبيعية مع الكيان الصهيوني ، فان الكيان ذاته لم ولن يطمئن الى ان الشعب العربي في مصر سوف . . . يتنازل عن عروبه واصالته وانتماءه القومي وينسى جرائم الصهيونية عبر التاريخ وخاصة التاريخ الحديث ويتجانس معها .

ان اهداف الكيان الصهيوني من مشروع القناة متعددة وتنطوي على جوانب بشرية واقتصادية وعسكرية ومعنوية يمكن تحديدها كالاتي :-
(١) الحصول على الطاقة الكهربائية المولدة من الشلالات المتكونة نتيجة فارق الارتفاع الذي يبلغ ٤٠٠ م بين بداية المشروع على البحر المتوسط ونهايته على البحر الميت . حيث قدرت طاقة التوليد التي يمكن الحصول عليها بانها تصل الى ٦٠٠ ميغا واط وبمعدل تشغيل قدرة ٦ - ساعات يوميا فقط . وهذا يعني ان ٢٣٪ من احتياجات الكيان الصهيوني الحالية من الكهرباء سيوفرها هذا المشروع . وبناء على ذلك فسوف يوفر مليار دولار سنويا نتيجة الاستغناء عن شراء كميات من النفط لذلك الغرض و ٣٠٠ مليون دولار عن اقامة محطة كهربائية تعمل بالوقود و ٨٠٠ مليون دولار قيمة الوقود المستخدم في المحطة التي تحتاج الى الوقود .

(٢) الحصول على الطاقة الكهربائية عن طريق تحويل البحر الميت الى بركة شمسية للمياه مساحتها حوالي ١٠٠ كيلو متر مربع تسمح بانتاج ١٥٠٠ ميغا واط من الكهرباء وهو يقابل ثلاثة اضعاف انتاج المحطة الكهربائية . وبذلك يكون الكيان الصهيوني قد حصل على الطاقة الكهربائية من مشروع يتصف بالاستمرارية ولمدة لا تقل عن ٥٠ سنة في حالة اكماله (٩)

(٣) سوف يستخدم الكيان الصهيوني مياه هذا المشروع لتبريد المفاعلات النووية المقامة في صحراء النقب كمفاعل ديمونا . وكذلك استخدامها في تبريد المفاعلات النووية التي ستقام مستقبلا . اذ ان الحصول على المياه لتبريد المفاعلات النووية كانت احد المشكلات الكبيرة التي جابهت الكيان الصهيوني في سعيه لبناء المفاعلات النووية في المناطق الصحراوية .

(٤) سوف يقوم الكيان الصهيوني باستغلال الصخور الزيتية الموجودة في المناطق المحاذية للبحر الميت في عمليات انتاج الطاقة والتي يمكن ان تكون بديلا عن النفط مستفيدة من مياه القناة لاستخدامها كمياه تبريد لانتاج الطاقة .

(٥) سوف يساعد مشروع القناة الكيان الصهيوني في حالة تنفيذه ، على

(٩) نواف كشلي - مصدر سابق

توسيع مستعمرات الاستيطان وتوجيه الاعلام الموالي له في الداخل والخارج للايحاء... للصهاينة الموجودين في الخارج بان في فلسطين ارض متوفرة لها كل مقومات الاستئثار عدا العامل البشري ، ولذلك على الصهاينة الهجرة الى فلسطين .

ان طموح الكيان الصهيوني هو ان يكون على ارض فلسطين ٦ ملايين صهيوني يستطيع الاعتماد عليهم في محاربة العرب المحيطين به . مضافاً الى ذلك يعتقد الكيان الصهيوني انه سوف يكون قادراً على الحد من الهجرة المعاكسة من داخل فلسطين الى دول العالم الاخرى . وذلك بتطمينهم بأن فرص العمل والاستئثار ستكون مفتوحة امامهم بعد اكمال المشروع .

(٦) سوف يستخدم الكيان الصهيوني مياه مشروع القناة لاستصلاح الاراضي في صحراء النقب واستئثارها زراعياً مما سيزيد عليه توسيع رقعة الاراضي الصالحة للزراعة وبالتالي إيجاد مورد اقتصادي جديد للكيان الصهيوني سيؤدي الى تحقيق نوع من الاستقرار البشري يؤدي الى اطالة عمره .

(٧) ان سعة المساحة وكميات المياه الكبيرة التي يتضمنها مشروع القناة يمكن الكيان الصهيوني من تنمية الثروة السمكية في البحيرات المرافف المشروع وسيؤدي الى اقامة منشآت سياحية تساهم في التخفيف عن الاقتصاد الصهيوني الذي يعاني عجزاً كبيراً . اذ سيؤدي وجود الثروة السمكية الى وجود مادة غذائية وسيؤدي وجود المنشآت السياحية الى استقطاب سياح بتأثير الدعاية الصهيونية في الخارج . وبالتالي تكوين مصدر آخر للاقتصاد الصهيوني .

(٨) يهدف الكيان الصهيوني من اقامة محطات الطاقة الكهربائية بالقرب من البحر الميت حيث تصب القناة الى توفير الكهرباء الرخيصة للصانع المنزلي والالمنيوم والفسفور والاسمدة والصناعات المعدنية والبتروكيميائية . وهذا ايضا سوف يؤدي الى انتاج سلع صناعية بكلفة اقل مما هي عليه سابقاً .

(٩) نظراً لعدم قدرة الكيان الصهيوني في حالة تعرضه لهجوم من الانسحاب الى عمق جغرافي يتيح الفرصة له لكسب الوقت او الدفاع في العمق نتيجة لان المساحة التي اغتصبها رغم اهميتها الاستراتيجية كموقع الا انها وبحكم ارتباطها الطبيعي مع اراضي الاقطار العربية المجاورة والتي تمثل كل منطقة عمقاً جغرافياً للآخرى . فان الكيان الصهيوني سوف يستخدم مياه القناة في اغراق الاراضي المجاورة لكي يتكون مانع مائي قد يعيق الى حد ما من تقدم الجيوش العربية المحررة ولو لفترة زمنية يستخدمها لتعبئة وتنظيم قواه العسكرية . وكذلك وصول المساعدات الامريكية او غيرها له لتتقذه من الاسباب .

(١٠) يحاول الكيان الصهيوني باستمرار بوسائل متعددة الايحاء للمواطن العربي بانه يمتلك التكنولوجيا والخبرة والقدرة على تنفيذ أي مشروع ويعتقد انه قادر على ان يغير ارتباط وایمان وولاء المواطن العربي لقضيته القومية وعدم اعترافه بشرعية الكيان الصهيوني . وهو ينسى ان أي مواطن عربي يحمل شرف الانتماء لهذه الامة بحق لا يمكن لأي وسيلة من تغيير ايمانه بضرورة زوال الكيان الطارئ على الامة العربية . وليس ادن من صمود شعبنا العربي في داخل الارض المحتلة سواء كانت اراضيهم التي احتلت قبل عام ١٩٦٧ أو بعده . هو مقارنتهم للكيان الصهيوني بكل الوسائل المتيسرة .

(١١) قد يكون من الاهداف المستقبلية التي يريد الكيان الصهيوني الحصول عليها من المشروع هو ان يكون منافساً لقناة السويس كطريق مواصلات يربط بين البحر المتوسط والبحر الاحمر في حالة مده الى خليج العقبة . وما يحملنا على وضع هذا الاحتمال هو ان بريطانيا سعت في فترة ١٨٥٠ وما بعدها لانشاء ذلك المشروع . قبل ان توجه لمشروع قناة السويس . واذا حصل ذلك فانه سيؤدي الى اضعاف اهمية قناة السويس وبالتالي اضعاف اهمية الموقع الجغرافي للقناة المصرية بالدرجة الاولى . وهذا يعني ان الكيان الصهيوني سيشتمع بمرونة اكبر من التي هو عليها الآن . اذ ان ذلك المشروع سيؤدي الى فك جزء من حلقات الطوق المفروض عليه نتيجة للمقاطعة العربية .

(١٢) ان المشروع في حالة تنفيذه تطبيق لنظرية الصهيونية في التوسع وفي تطبيق الافكار التي طرحها المؤتمرات الصهيونية واركانها ومنهم تيودور هرتزل .

هذه هي الاهداف التي يبتغيها الكيان الصهيوني من هذا المشروع اتوسعي وقد تكون هناك اهداف اخرى لم نتطرق اليها .

٥ - مخاطر المشروع الصهيوني على الوطن العربي :

رغم ان الاهداف التي يبتغيها الكيان الصهيوني تحقيقها من مشروع القناة تمثل مخاطر حقيقية على الوطن العربي بحكم انها تؤدي الى اطالة عمره . الا ان هناك مخاطر مادية مباشرة منظورة لا يمكن اغفالها هي : -
(١) سيؤدي المشروع الصهيوني بالتأكيد الى رفع منسوب المياه في البحر الميت . ذلك لان تدفق مليار متر مكعب سنوياً سيؤدي الى رفع منسوب المياه في البحر الميت الى حوالي ٣٩٥ متر تحت سطح البحر في المستوى العام عام ٢٠١٠ بينما ستكون الحواجز في اوعية مشروع البوتاس الاردني بحلول عام ١٩٨٣ على مسافة ٣٩٧ر٥ متر تحت مستوى سطح البحر . وهذا من شأنه التأثير على منشآت مشروع البوتاس الاردني . اذ سيتسبب

المشروع الصهيوني في تقليل مردود البوتاس بنسبة ١٥٪ مشكلاً خسارة سنوية تقدر بـ ١٠٠ مليون دولار. وقد يؤدي المشروع الى تعريض منشآت ذلك المشروع الى الترقق علماً بأنه يشكل مردوداً أساسياً من المولدات الاقتصادية التي يعتمد عليها القطر الاردني.

تشير في هذا الجانب الى ان منشآت شركة البوتاس العربية التي تساهم فيها عدة اقطار عربية معرضة هي الاخرى لذات الاخطار التي سيتعرض لها المشروع الاردني^(١٠).

(٢) سيؤثر المشروع الصهيوني على نسبة الملوحة في مياه البحر الميت بترتب عليه انخفاض كمية انتاج الملح الذي يستخدم في اغراض صناعية ومرتبة عديدة، نظراً لاختلاف نسبة الملوحة في مياه البحر المتوسط والبحر الميت.

(٣) سيؤدي المشروع الصهيوني وبحكم ارتفاع مستوى المياه في البحر الميت الى اغراق المنشآت السياحية التي تعتبر احد المصادر الاقتصادية المكونة للدخل القومي في القطر الاردني.

(٤) سيؤدي المشروع الصهيوني الى تناقص العديد من الخامات الموجودة في البحر الميت الاحتياطي الموجود في البحر يبلغ ٢٠٠٠ مليون طن من كلوريد البوتاسيوم و ١١٠٠٠ مليون طن من كلوريد الصوديوم و ٢٢٠٠٠ مليون طن من كلوريد المغنيزيوم و ٩٨٠ مليون طن من بروميد المغنيزيوم. هذا يعني ان ثروة اقتصادية عربية مهمة سوف لن تستثمر بشكل صحيح بسبب المشروع الصهيوني^(١١).

(٥) سيؤدي المشروع الصهيوني الى التأثير على الرمال الزيتية في المناطق الشرقية المجاورة للبحر الميت عند غمرها بالمياه. وهذه الرمال تشكل عنصراً مهماً في عمليات التنقيب على النفط في مناطق البحر الميت.

(٦) سيؤدي المشروع الصهيوني الى تدمير الاراضي الزراعية في الضفاف المجاورة للبحر الميت واغراقها او زيادة نسبة الملوحة فيها. ولما كانت منطقة الاغوان التي تعتبر من المناطق الزراعية الرئيسية في المنطقة التي ستأثر سلباً بالمشروع الصهيوني مما يترتب عليه اضعاف لقطاع او نشاط رئيس سيؤدي الى الهجرة البشرية وبانخفاض الانتاج وتلاشيها في النهاية.

(٧) سيؤدي المشروع الصهيوني الى التأثير على خزانات المياه الجوفية في منطقة واسعة تحيط بالمشروع حيث ستأثر نسب الاملاح اضافة الى اختلاف في مستويات المياه في كل ذلك تأثير سلبى على اهم الموارد الاحتياطية.

(١٠) زهير طه ياسين / مخاطر المشروع الصهيوني لربط البحر المتوسط بالبحر الميت / صحيفة

الثورة العراقية - عدد ٤٢٢٩ في ١٩٨١/١٢/٥.

(١١) صحيفة الرأي الاردنية في ١٩٨٣/٤/٢٨.

(٨) المشروع الصهيوني يمثل استهانة واستخفافاً كبيراً بالقوانين والاعراف الدولية فهو يقوم على اراضي عربية احتلت في عام ١٩٤٨ اضافة الى اراضي عربية اخرى احتلت عام ١٩٦٧، لم يكن الاحتلال في كلتا الحالتين شرعياً ومعتزلاً به من قبل الشعب العربي. لذلك فان أى نوع من الاستيلاء يقيمه الصهاينة على الارض العربية في فلسطين يؤكد نوازعها التوسعية العدائية. هذه حالة لا بد ان تؤدي عاجلاً أم آجلاً الى تأثير ابدات العربية القومية.

ان الاعداد البشرية مع المتحمين للصهيونية التي ستهاجر الى المنطقة التي يمتد المشروع فيها، والمستعمرات الاستيطانية التي ستقام سوف تدفع الكيان الصهيوني الى توسع تال يضيف مكاسب غير شرعية للمكاسب التي حققها على الارض العربية.

لذلك لا بد من تأكيد القول ان أى عمل يقوم به الكيان الصهيوني للتأثير على وضع الارض العربية والشعب العربي وتحت أى غطاء او مبرر لا بد ان يمثل تنامي الخطر الصهيوني الذي يمكن تمثيله بالامراض الخبيثة التي تصيب الجسم البشري والتي لا يكون علاجها ناجحاً الا بالترقيق استفعالها.

٩ - مواقف الاقطار العربية تجاه المشروع الصهيوني :

يظهر اذن ان مشروع قناة البحرين المتوسط والميت الذي يقوم الكيان الصهيوني بتنفيذه يحمل مخاطر جمة وكبيرة على الوطن العربي كاقطار ذات انظمة سياسية او كشعب يسكن ارض الوطن العربي متناً. لذلك فان المطلوب من الامة العربية كاتظمة وجمهورية ان تكون في مستوى الرد على هذه المخاطر. ورغم ان استعراض مواقف عدد عدد من الانظمة العربية تجاه المخططات الصهيونية منذ عام ١٩٤٨، لا يعطينا تفاوتاً كبيراً، لان هناك من الانظمة العربية ما هو منشغلاً بتغليب الثوابت على الولويات من الامور التي تهم الامة. في حين يفترض ان يكون الحد الأدنى من أي موقف عربي هو عدم الاعتراف بالكيان الصهيوني والتفاوض معه واحكام المقاطعة ضده، هذا ما تميز به مؤتمر قمة بغداد عام ١٩٧٨. وأي موقف يرتقي فوق ذلك يعتبر أكثر ايجابية من مواقف الحد الأدنى.

ان اغفال حقيقة المخاطر التي تترتب على وجود الكيان الصهيوني وتنفيذه للمخططات التوسعية وخاصة اطاعه في مياه نهر الليطاني ونهر الاردن ونهر النيل. سيؤدي بلا شك الى تفاقم خطر وجوده مما يؤثر بنتائج غير ايجابية على عموم الوطن العربي.

أصبح الكيان الصهيوني في ظل التناقضات والخلافات الموجودة بين الانظمة السياسية في الوطن العربي. أكثر قناعة بأن احتمالات الرد العربي

الموحد عن اجراءاته العدوانية ستكون إجراءات . . ضعيفة . هناك عشرات الاعتداءات قام بها العدو الصهيوني وعديد من المخططات التي قام بتنفيذها دون ان يجابه ردا عربيا موحدًا فعلا ضمن اعتداءاته بعد عام ١٩٤٨ منها عدوانه عام ١٩٥٦ على القطر المصري . كذلك عدوانه عام ١٩٦٧ على الامة العربية وعدوانه على مطار بيروت عام ١٩٦٨ واعتداءاته المتكررة على جنوب لبنان وعدوانه على الامة العربية عام ١٩٧٣ ، وضم مدينة القدس العربية واعتبارها عاصمة لكيانه . كذلك عدوانه على المفاعل النووي العراقي للاغراض السلمية عام ١٩٨١ ، وضمه لمنطقة الجولان السورية عام ١٩٨١ ، ثم اجتياحه للقطر اللبناني عام ١٩٨٢ ايضا ومشروعه الذي ذكرناه مسبقا . وضمن هذه السياقات فسوف يعمد العدو مستقبلا لضم قطاع غزة والضفة الغربية واعمال عدوانية اخرى طالما لا تتجاوز ردود الفعل العربية سوى غضبا مؤقتا وادانة وشجب دعوة لمجلس الامن الدولي وحينئذ تكون امريكا مستعدة لاستخدام حق الفيتو . طالما انه حق محدد ببعض الدول . ويؤدي الى تقوية علاقاتها مع هذا الكيان بشكل غير محدود . في اموا الاحتمالات فان امريكا تسمح باتخاذ قرار يدين الكيان الصهيوني عن عدوانه تجاه الامة العربية الا ان الكيان الصهيوني سوف لا يمه قرار الادانة لانه قائم على التوسع ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة . ومن ثم يعاود التوسع والعدوان . ان الكيان الصهيوني وكما اوضح السيد الرئيس القائد صدام حسين في احدى جلسات مجلس الوزراء لا يمكن ان يقبل بمحدود الحيز الذي اغتصبه ، وانه لابد ان يجتلق أي حالة يتخذها مبررا لتوسعه وعدوانه على الامة العربية .

ان استمرار الوضع العربي تجاه الكيان الصهيوني بالمستوى الذي عليه الآن سيؤدي الى تشجيعه على العدوان . ولذلك نجد ضرورة العمل على الاصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية الموحدة لمنع من تنفيذ مشاريعه التوسعية ومنها مشروع قناة البحرين . فعلى الصعيد السياسي لابد من تجاوز التناقضات الموجودة بين الانظمة العربية واعتبارها تناقضات . . ثانوية لا ترتقي الى مستوى التحدي الصهيوني . وهذا يؤدي بالضرورة الى موقف عربي موحد من الناحية السياسية وطرح موضوع قناة البحرين ومخاطره على هيئات دولية ومنها مجلس الامن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة لاستحصال قرارات تمنح الكيان الصهيوني عن الاقدام على تنفيذ أي عمل من شأنه التأثير على وضع الموارد الطبيعية والاقتصادية في فلسطين . ذلك لان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي . وان الشعب العربي الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها يملك الحق باستثمار هذه الموارد ولا يبق استهانة المهاجرين من بقاع مختلفة من العالم استثمار هذه الموارد

تفذلك . يتوجب مطالبة الدول التي تساعد الكيان الصهيوني في الضغط عليه لمنع من تنفيذ تلك المشاريع مع ضرورة تواجد موقف سياسي عربي موحد ازاء أي دولة تلتزم الكيان . . الصهيوني في المحافل الدولية . على الصعيد الاقتصادي لابد من أفهام أي دولة أو مؤسسة أو شركة أو جهة تتعاون مع الكيان الصهيوني في مجال الخبرة أو المعدات أو التمويل المالي انها ستكون معرضة لتصفية مصالحها في عموم الوطن العربي . واذا حصل ذلك فان ذلك الكيان سوف يكون غير قادر اطلاقا على استمرار تنفيذه لمشاريعه التوسعية ومنها المشروع الانف الذكر . ذلك لانه لا يزال بحاجة لرأس المال والخبرة والمعدات لتحقيق ذلك (١٢) .

على الصعيد العسكري لابد من اتخاذ موقف رادع للصهيانية بعمل عسكري موحد بمنعهم من التفكير بتنفيذ أي مخطط توسعي على حساب ارض وشعب العرب . فاذا ما كانت الانظمة العربية طيلة الفترة السابقة تهدد بالكلام فانها مطالبة في الزمن الحاضر بأن تفهم كيان صهيون ان لغة السلاح والقوة هي التي ستجابه ازاء أي عمل يقوم به ، وان عليه ان يفكر مليا قبل قيامه بتنفيذ أي مخطط توسعي ان الكيان الصهيوني ليس كما يعتقد البعض بانه القوة التي لا تقهر . منها امتلك من مظاهر القوة وانه ليس الحقيقة النهائية غير القابلة للتغيير في الوطن العربي . فقادسية صدام اكدت بما لا يدعوا الى الشك ان قهر الكيان الصهيوني امرا يمكننا اذا تواجد موقف عربي موحد يؤمن بالتحرير . ايران دولة خامسة في القوة العسكرية في الحسابات الدولية . وفي عدد سكانها الذي يتجاوز ٣٩ مليون نسمة . بمساحتها الواسعة ومواردها المتعددة ، استطاع العراق بمساحته الصغيرة قياسا مع مساحة ايران وتعداد سكانه البالغ اثنتي عشرة سكان ايران . وجيشه الحديث نسبيا في الاعداد فهو جيش الثلاثة عشر عاما . . استطاع ان يشهر دولة من طراز تفوق على الكيان الصهيوني . من جوانب عديدة . فكيف اذا كانت كل القوى العربية السياسية والاقتصادية والعسكرية معبئة بشكل متكامل موحد ضد الكيان الصهيوني . وكيف اذا اعطيت الجماهير العربية دورها الحقيقي في ممارسة الكفاح الشعبي المسلح كطريق لتحرير فلسطين . وكيف اذا اعتبرنا ان فلسطين طريق الوحدة والوحدة طريق فلسطين ان كل ذلك كبس بالتحرير الكامل .

وكخطوة اولى لمجابهة اطاع الصهيونية في وادي نهر الاردن ونهر الليطاني يتوجب على كل العرب دعم القطرين الاردني واللبناني في كلى الامكانيات التي تمكنها المجابهة الحاسمة ضده . واخيرا لابد من اذناع النظام السياسي في مصر بضرورة عدم تزويد الكيان الصهيوني بمياه النيل الطاهرة الى المستعمرات الصهيونية التي تساهم في اطالة عمره

(١٢) انظر في الاطلاق الثاني الاسرائيلي في صحيفة الهدف الكويتية الصادرة في ١٩٨٣/٣/٢٦ .

حركة عمرو بن سعيد الأشدق في طلب الخلافة

٦٩ - ٧٠ هـ

الدكتور صلاح الدين امين طه
كلية الاداب / قسم التاريخ
جامعة الموصل

تقديم

والدوافع التي دفعت هذا الثائر لاعلان ثورته وطرق معالجتها والنتائج التي ترميت عليها ، كما انه لم يقدم في دراسته ما يلقي الضوء على حياة عمرو بن سعيد الاولى ومكانته والدور الذي لعبته في ادارة المدينة في اخطر الظروف التي مرت بها الدولة .

اما الدكتور عبد المنعم ماجد^(١) فقد تطرق اثناء كلامه على الدولة الاموية الى الصراع بين عبد الملك وعمرو بن سعيد واطلق عليه اسم (فتنة عمرو بن سعيد) الا ان كلامه عام اقتصر على سرد هذا الحدث دون مناقشة الاراء والنصوص التاريخية المختلفة التي قيلت في اسباب الثورة وتطورها . كما ان بحثه ناقص غير دقيق ، وانه ذكر هذا الصراع في مؤلفه كي يسد فراغا في الدراسة التي قدمها عن الدولة الاموية .

لم يسبق لاحد من المؤرخين ان خاض غمار هذا الحدث التاريخي المهم في حياة الدولة الاموية والذي استهدف نقل الخلافة من اسرة ابي العاص الى اسرة العاص (نعني : ابناء عمومته) ممثلين في شخص عمرو بن سعيد المعروف بالاشدق ، ومعظم ما كتب عنه مقتضب عسوا ورد بشكل عرصي عند الكلام على الدولة الاموية ولعل من ابرز الذين كتبوا في هذا الموضوع الدكتور عبد الامير دكسن^(٢) في دراسته على الخليفة عبد الملك بن مروان الا ان ما كتبه لا يقدم صورة دقيقة عنه فكما ما اورده معلومات عامة تتعلق بموقف عبد الملك من هذا الثائر وكيفية القضاء على ثورته ، ولم يتطرق في دراسته الى الجذور التاريخية لهذا الصراع وابعاده في رسم مستقبل الدولة الاموية كما انه لم يتناول الاسباب

جذور الصراع :

ويكنى أبا أمية . اما امه فهي ام البنين بنت الحكم بن ابي العاص ، فهي أخت مروان وعمه عبد الملك^(٣) .

لقد عرفت هذه الاسرة في مكة بسخاها وكرمها وشرفها وشجاعتها فأبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية كان من اشراف قريش ، وقد تمتع بمنزلة فريدة في قومه بمكة وانه كان اذا اعتم بلون عمامة في مكة فلا يعتم بلون عمامته احد اعظاما له . وكان يقال له ذو الناج دلالة على زعامته^(٤) . أما جده العاص بن سعيد بن العاص فكان شريفا حكيما

ليس هذا الصراع الذي تعرض له بالحدث الطارئ فان له جذوره التاريخية العميقة التي تتصل بطموح هذه العائلة في السيطرة على الخلافة . وقبل الخوض في تفاصيل هذا الحدث لا بد من تقديم صورة واضحة مفصلة عن شخصية هذا الثائر ونسبه والوظائف التي شغلها في الدولة الاموية .

ذكر ابن سعد في طبقاته ان عمرا يتنسب الى اسرة العاص فهو (عمرو بن سعيد ابن ابي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس)^(٥)

(١) راجع ما كتبه في كتابه (التاريخ السياسي للدولة العربية - عصر الخلفاء الامويين) ص ١٠٩-١١١ .

(٢) د. م. : ٢٣٧/٥ ، انظر ايضا البلاذري : انساب الاشراف ، ١٣٩/٤ مع اختلاف بالتفاصيل .

(٣) البلاذري : انساب الاشراف : ١٤١/٤ ، انظر ايضا : ابن عبد ربه : العقد الفريد . ٤٦/٤ ، ابن الأثير : اسد الغابة : ٣١٠/٢ .

(١) راجع ما كتبه في كتابه (الخلافة الاموية) عن ثورة عمرو بن سعيد الاشدق ص ٣٠٣-٣٠٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ٢٣٧/٥ ، انظر ايضا السدوسي : كتاب حذف من نسب قريش ص ٣٥ ، ابن حبيب : المعبر : ص ٦٧ ، ابن قتيبة : المعارف : ص ٢٩٦-٢٩٥ ، ابن الاثير : اسد الغابة : ٣٠٩/٢ ، ابن حجر : الاصابة : ٢٩٤/٥ ، المنجد : صلاح الدين : معجم بني أمية : ص ١٣٦ .

ذا حزم وعقل ، وقد قتل مشركا في معركة بدر^(٦) . وأبوه سعيد بن العاص سليل اسرة أوضحت مكانتها فهو اذن من اشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة .

ويذكر ابن الاثير ان عريية القران اقيمت على لسانه لانه كان اشبههم برسول الله (ص)^(٧) وكان احد الذين ساهموا في تدوين المصاحف لعثمان بن عفان ورض^(٨) واستعمله عثمان (رض) أميرا على الكوفة ففتح طبرستان وجرجان ثم توجه الى اذربيجان بعد انتفاضتها لاعادة فتحها . ثم عزله عثمان عندما اختار اهل الكوفة ابا موسى الاشعري بدلا عنه^(٩) . ولا شك ان قوة شخصية سعيد وحزمه لعبا دورا في اختياره خاصة في مثل هذه الاماكن . وكان ذا بصيرة ثاقبة وبعيد النظر ، فهو لم يتدخل في الاحداث السياسية التي وقعت بعد مقتل عثمان (رض) وبقي محايدا رغم قرابته لعثمان . ولم يشهد الجمل ولا صفين ولا غيرها . ورغم هذا الموقف فان معاوية بعد تأسيس دولته ولاء المدينة بعد ان عاتبه . وتعاقب مع مروان بن الحكم على حكمها^(١٠) . وقد مدحه الشاعر الفرزدق عندما لجأ اليه هربا من عبيد الله ابن زياد فقال فيه .

نرى الفخر الجحاحج من قريش
اذا ما الامر في الاحداث عسلا
قياموا ينظرون الى سعيد
كأنهم ينظرون بسلا

وكان مروان بن الحكم حاضرا هذا اللقاء فقال الفرزدق لو جعلتنا قموذا فقال له كلا يا ابا عبد الملك وانك فيهم لصافن^(١١) .

مات سعيد بن العاص سنة ٥٩ هـ وترك سبعة اولاد هم عمرو ومحمد وعبد الله ويحيى وعثمان وعنبة وابان^(١٢) . وقد برز من بين هؤلاء الابناء

(٦) السوسي : كتاب حذف من نسب قريش : ص ٣٥ . انظر ايضا ابن عبد البر : الاستيعاب ٦٢٢/٢ ، ابن الاثير : اسد الغابة : ٣١٠/٢ . المنجد : معجم بني امية : ص ٥٥ .

(٧) اسد الغابة : ٣١٠/٢ . انظر ايضا المنجد : معجم بني امية : ص ٥٧ .

(٨) السوسي : كتاب حذف من نسب قريش : ص ٣٥ . انظر ايضا ابن الاثير : اسد الغابة : ٣١٠/٢ ، المنجد : معجم بني امية : ص ٥٥ .

(٩) خليفة خياط : التاريخ : ص ١٥٧ .

(١٠) الطبري : التاريخ : ٢٨٠٨/١ ، ٢٨٣٥-٢٨٣٨ ، انظر ايضا ابن عبد البر : الاستيعاب : ٦٢٢/٢ ، ابن الاثير : اسد الغابة : ٣١٠/٢ ، المنجد : معجم بني امية : ص ٥٧ .

(١١) البلاذري : انساب : ١٣٣/٤-١٣٤ .

(١٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٢١٦ ، انظر ايضا ابن عبد البر : الاستيعاب : ٦٢٤/٢ ، اسد الغابة : ٣١٠/٢ . المنجد : معجم بني امية : ص ٥٧ .

عمرو الذي قاد الثورة على عبد الملك بن مروان للحصول على الخلافة والذي يعرف بالاشدق^(١٣) . ويذكر البلاذري ان سبب هذه التسمية تعود الى قوة عرضت له فأملت شذقه كما يقال ان سبب هذه التسمية يرجع الى معاوية بن ابي سفيان اذ دعاه في غلعة من بني امية فاستنطقهم فاجابه عمرو بكلام اعجبه فقال عنه ان ابن سعيد لاشدق^(١٤) دلالة على سرعة اجابته وطلاقة لسانه ، كما قيل ان سبب ذلك انه كان خطيبا مغلقا^(١٥) . وسرى ايضا لطيم الجن ولطيم الشيطان .

ويبدو من خلال تتبع سيرته انه وظف ذكاؤه ومقدرته في الوصول الى المراكز القيادية في الدولة لاسيا وان والده كان على علم بمقدرته فولاه منذ حداثة سنه امانة مكة^(١٦) . ثم تقلد بعد وفاة ابيه ادارة المدينة ليزيد بن معاوية ، وعاصر خروج الحسين بن علي (رض) وحاول ان يشبهه عن عزمه في التوجه نحو العراق الا انه فشل^(١٧) . كما عاصر ايضا خروج عبد الله بن الزبير من المدينة الى مكة . وبذل جهدا في تنفيذ اوامر يزيد بن معاوية في القبض عليه الا ان جهوده لم تثمر ، لذلك اتهم بالتواطؤ وعزله يزيد عن المدينة^(١٨) .

ويبدو ان عمرا قد تأثر كثيرا بهذا العزل واشتكى عند يزيد وبين مدى إخلاصه في عمله ودفاعه عن الدولة فقال (يا أمير المؤمنين الشاهد يرى مالا يرى الغائب وان جل اهل مكة واهل المدينة قد مالوا اليه وهو وهوا واعطوه الرضا . ودعا بعضهم بعضا سرا وعلانية ولم يكن معي جندا اقوى بهم عليه لو ناهضته ، وقد كان يحذرنى ويحترزونني وكنت ارفق به واداريه لاستسكن منه فائب عليه مع اني قد ضيق عليه ومنعته من اشياء كثيرة لو تركته واباها ماكانت له الا معونة وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالا لا يدعون احد يدخلها حتى يكتبوا اليّ باسمه واسم ابيه ومن اى بلاد الله هو وما جاء به وما يريد فان كان من اصحابه او ممن ارى انه يريد رددته صاغرا وان كان ممن لا اتهم خلعت سبيله^(١٩) . وقد ابدى عمرو رغبته في اعادته الى عمله حينما يقول وما ارى يا امير المؤمنين ان احدا اولى بالقيام بتشديد سلطانك وتوهين عدوك والشدة

(١٣) انساب : ١٣٦/٤ .

(١٤) ن . م ١٣٦/٤ .

(١٥) ابر الخاقاني : النجوم الزاهرة ١٨٤/١ .

(١٦) البلاذري : انساب : ٢٣/٤ ، انظر ايضا الطبري : التاريخ : ٢١٦/٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفرید : ١٣٣/٤ ، ابن الاثير : الكامل : ١٤/٤ .

(١٧) ابن الاثير : الكامل : ٣٩/٤-٤٠ .

(١٨) الطبري : التاريخ : ٣١٨/٢ ، ٣٩٩ رواية هشام ، انظر ايضا ، منجد : التاريخ السياسي للدولة العرية ص ١٠٩-١١٠ .

(١٩) ن . م ٤٠١-٤٠٠/٢ .

في من نابذك مني (٢٠)

وغم عزله من اماره المدينة الا ان مكاته في المدينة بقيت كبيرة ، جعلته معتدا بنفسه قد افصح عن قوته وشكيمته عندما جابه عثمان بن محمد بن ابي سفيان امير المدينة قائلا مهلا يا عثمان فوالله ما انا مجلو المذاق . واني لقمير المضرة ولقد ضرستني الامور وجرستني الدهور فزعا مرة وامنا مرة وان قريشا لتعلم اني ساكن الليل داهية النهار لا اتبع الظلال ولا اقصر حاجتي ولا يستنكر شبيبي ولا ادعي لغيري (٢١) . لا يتقدم المؤرخون معلومات واضحة عن الاعمال التي اوكلت الى عمرو بن سعيد الاشدق بعد عفاة من الاسارة . وبدوا انه كان يعمل ببعض الاعمال التي تدر عليه المال والراجح انه تدر المدينة فيما بعد وعاش في دمشق اذ كان لوالده دار بها تسمى دار النعم (٢٢) . وكل المعلومات المتوفرة عنه خلال هذه الفترة تشير الى ان يزيد بن معاوية استدعاه سنة ٦٣ هـ ليووجهه الى المدينة لقتال اهلها بعد ان اقرأه رسالة عبد الملك التي يطلب فيها الغوث والنجدة بعد ان طرد الامويين من المدينة . وكان جواب عمرو قاسيا اذ قال ليزيد قد كنت ضبعت لك البلاد واحكمت لك الامور فاما الان اذ صارت انما هي دماء قريش تهراق بالصعيد فلا احب ان اكون انا الذي اتولى ذلك يتولاها منهم من هو ابعد منهم مني (٢٣) . ولاشك ان استدعاه عمرو لهذه المهمة يدل على انه لا زال رجل المهات الصعبة الا ان صلة الرحم والقربة منعت من تحقيق طموح الخليفة .

استغل عمرو بن سعيد الظروف التي اعقبت وفاة يزيد بن معاوية ليظهر على المسرح السياسي من جديد كأحد الشخصيات الاموية التي تتمتع بمكانة كبيرة في الدولة وخاصة بعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ، وكانت الظروف ملائمة لعمرو كي يلعب دورا رياديا في الحياة السياسية اذ ان تنازل معاوية الثاني عن الخلافة كان حدثا مفاجئا اذهل كبار رجال بني امية ، لاسيا اصحاب الطموح ، وكان اخوه خالد بن يزيد لا يزال صغيرا لا يصلح للخلافة . وبقي منصب الخلافة شاغرا ينتظر اجتماع اصحاب الرأي للبت فيه .

ان الظروف التي كانت تمر بها الدولة الاموية في نهاية السبعوية ، فمن جهة تنازل الخليفة عن الحكم ، ثم انتشار ثورة عبد الله بن الزبير وشموها اقاليم واسعة اذ تمكن الحصول على بيعة اقليم الحجاز والعراق ومصر وارمنية واذربيجان . وامتد نفوذه حتى الشام والجزيرة حينما دعا

(٢٠) ن . م . والصفحة .

(٢١) ابن حبيب : الطبري : ص ٣٧٧ .

(٢٢) لعمرو بن سعيد : معجم بني امية ص ١٣٦ في انظر ايضا ص ٥٠ .

معجم بني امية : التاريخ : ١٠٧/٢ رواية هشام الطبري

له الضحالك بن قيس الفهري ، وان الاوضاع السياسية تزداد سوءا يوما بعد اخر لهذا قرر مروان بن الحكم وهو شيخ بني امية ان يتوجه الى اقليم الحجاز لمبايعة عبد الله بن الزبير للخلافة واخذ الامان منه لبني امية (٢٤) . وهنا يبرز دور عمرو بن سعيد وعبيد الله بن زياد عندما حاولا اقناع مروان بانه جدم قريش وشيخها وسيدها ، وانه احق الناس بالقيام بهذا الامر واثاروا عليه بان خالد بن يزيد غلام صغير ولا ينظر اليه الناس وتصحوه ان يتزوج امه وهي فاختة بنت ابي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ويكون في حجره (٢٥) ، وقد استجاب مروان لهذه الدعوة وجمع بني امية فبايعوه ، كما بايعه اهل تدمر (٢٦) . ولاشك ان استجابة مروان لدعوة عمرو كانت مبنية على اساس متينة تحقق في مجملها رجحان كفته في رسم مستقبل الشام ووحدته واستمرار الخلافة في البيت الاموي رغم كون مروان بن الحكم رجلا مسنا كبيرا .

وبالرغم من ان المؤرخين العرب لا يشيرون في كتبهم الى اهداف عمرو بن سعيد من هذا الاجراء الا انه يدون شك لا يخلو من مصالح خاصة يمكن ان يجني ثمارها فيما اذا سارت الامور بشكل اعتيادي . فهو يحافظ على استمرارية الخلافة في الاسرة الاموية وعدم نقلها الى عبد الله بن الزبير لاسيا انه يعرف مقدراته السياسية وكفاءته الادارية وهو مقتنع تماما بان ابن الزبير لا يصلح لهذا المنصب . كما ان ترشيح مروان لهذا المنصب لا يشكل خطورة على طموحه اذ ان مروان هذا رجل مسن وكبير ولم تمتد به الايام طويلا وهو من خلال مروان يمكن ان يبرز قابلياته وطموحه وهذا ما جعله يوظف كافة طاقاته في خدمة مروان ، كما ان هذا العمل يجعله من الرجال المقربين الى البلاط الاموي ومن المساهمين في ادارة دفة الدولة . وفعلا فقد تحقق طموح عمرو بن سعيد هذا حينما اوصي المايعين في مؤتمر الحجابة وبناء على مقترح من روح بن زنباع الجذامي بان تكون الخلافة لخالد بن يزيد بعد مروان ثم لعمرو بن سعيد الاشدق على ان تكون اماره دمشق لعمرو بن سعيد وامارة حمص لخالد بن يزيد (٢٧) . وقد لعب حسان بن مجدل الكلي دورا رئيسيا في البيعة لمروان .

(٢٤) ابن سعد : الطبقات : ٤٠/٥ ، انظر ايضا : البلاذري : انساب : ١٣٨/٤ ، ١٤١/٥ ، ابن الاثير : الكامل : ١٥١/٤ .

(٢٥) ن . م . ٤٠/٥ ، انظر ايضا البلاذري : انساب : ١٤١/٥ ، الطبري : التاريخ : ٤٨٢/٢ ، ابن الاثير : الكامل : ١٥١/٤ ، ابن كثير : البداية والايام : ٢٤٩/٥ .

مناجد : التاريخ السياسي : ص ١١٠ .

(٢٦) الطبري : التاريخ : ٤٨٢/٢ رواية ابي عنت انظر ابن الاثير : الكامل : ١٥١/٤ ، (٢٧) البلاذري : انساب : ١٣٥/٥ ، انظر ايضا البهوتي : التاريخ : ٥/٣ ، الطبري : التاريخ : ٤٧٩/٢ ، السعدي : مروج الذهب : ٨٩/٣ ، ابن الاثير : الكامل : ١٤٨/٤ .

وغيرهون الدولة العربية . ص ١٧٠ مع احتلاف بالنص والتفصيل

ابن أمير المؤمنين ولعبد العزيز من بعده ، فقام الناس فبايعوا مسرعين غير متفكرين عن آخرهم حتى لم يبق منهم احد^(٢٤) . وكان ذلك في مطلع سنة ١٥٤ هـ اول صفر^(٢٥) .

والراجح ان مروان بن الحكم بهذا الاجراء قد وضع حدا لطموح عمرو السياسي في تولي الخلافة واغلق امامه كافة الابواب من خلال الثقاف الكليبيين حوله . ولاشك ان سكوت عمرو بن سعيد عن هذا التغيير المفاجئ في سياسة مروان جعله يقف بالمرصاد لهذه العائلة متحينا الفروجة تنوات ، لئلا نقضاض عليها لوقوفها ضده في تحقيق طموحه السياسي . اما بالنسبة الى خالد بن يزيد فكان مروان لا يألو جهدا في اسقاطه من عين الناس قبل اقدامه على عمله هذا فكان يصغر من شأنه امام الحاضرين^(٢٦) ، كما ينعت بكلمات لا تليق به^(٢٧) .

طبيعة حركة عمرو بن سعيد :

بعد تولي عبد الملك بن مروان الخلافة (بعد وفاة والده) كانت امامه عقبات سياسية كثيرة المطلوب منه تدليلها ، واهم ما فكر به عبد الملك بن مروان هو الاعتداءات الخارجية البيزنطية على الحدود العربية الاسلام ، ثم مسألة اعادة وحدة الدولة العربية والقضاء على خطر المعاداة . اما بالنسبة لعمرو بن سعيد فبالرغم من قلة الاشارات التاريخية من خلال حكم عبد الملك في سنيه الاولى فبالبدى ان علاقاته كانت جيدة معه . الا ان هذه العلاقة لم يكتب لها الاستمرار اذ سرعان ما ظهرت بوادر طموح عمرو للخلافة من جديد وهذا ما قاده الى اعلان الثورة على عبد الملك في سنة ٦٩ هـ^(٢٨) . اما الدوافع التي دفعت الى اعلان الثورة فختلف فيها بين المؤرخين . فابو مخنف يذكر انه لما مات مروان وبيع عبد الملك بالخلافة بلغه ان مصعب بن الزبير يريد ان يخلع عليه عبد الملك حتى شارف الفرات ومعه عمرو بن سعيد الاشدي فقال لا عمرو انك تشخص الى العراق وقد كان ابوك وعدني ان يولياني الامر بعده وعلى ذلك قتت بشأنه وحاربت معه فاجعل لي الامر بعدك فلم يحبه عبد الملك بشي مما يسره فانصرف عن عبد الملك وقصد الى دمشق حتى دخلها^(٢٩) اما اعوانه فيرجع اسباب الثورة الى خلافات

ويبدو ان مروان يعرف طموح عمرو بن سعيد في الخلافة لكن الظروف منته من ان يتخذ موقفا منه لاسيما وان امام مروان مهام صعبة في اعادة توحيد الدولة لهذا نلاحظ ان مروان قربه اليه ليطمئن الى طاعته والاستفادة منه خاصة وان اليمانية تقف الى جانبه^(٢٨) . وأوكل اليه مهام قتالية وادارية ويذكر البلاذري ان عمرا كان اشد الناس في امر مروان واحسنهم معاونة ومكافئة له واجتهادا في صلاح امرة وافساد امر ابن الزبير ، فقاتل معه الضحكة ابن قيس الفهري يوم المرج كما قاتل مصعبا عندما وجهه ابن الزبير الى فلسطين فلقبه قبل ان يدبها ، فهره مصعبا واصحابه حتى رجعوا الى المدينة^(٢٩) كما قاتل مع مروان ابن جحدم عامل ابن الزبير على مصر حتى تمكن من استعادتها^(٣٠) .

وبعد تمكن مروان من مصر والشام واستقرار الوضع سياسيا في هذين الاقليمين اعاد النظر بمسألة ولاية العهد وكان يفكر في التخلص من مقررات مؤتمر الجابية وترشيح ولديه عبد الملك وعبد العزيز من بعده وعزل خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الاشدي . ويبدو ان عمرا اذرك لعبة مروان فاختار يشع بين الناس انه ولي العهد بعده . ويذكر الرعقوني ان احسان بن مالك بن بحدل الكلبي هو الذي رشحه لولاية العهد^(٣١) . سمع مروان في الصنيرة عندما عاد من مصر ان احسان قد بايع عمرو بن سعيد ، واحضره مروان واحببه بما سمع الا ان احسان حاول التخلص من ذلك وانكر هذا القول ، ولم يرح مروان الصنيرة حتى بايع احسان ابنه الملك ولعبد العزيز من بعده . وهذا ما ادى الى خلع خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد^(٣٢) . ويذكر المسعودي ان ذلك كان قبل وفاته بثلاثة اشهر^(٣٣) .

ان مروان بن الحكم لم يتمكن من اصدار قراره في ابعاد خالد بن يزيد بن معاوية وعمرو بن سعيد لولا تأييد احسان بن مالك بن بحدل الكلبي رغم كونه زعيما لدى خالد بن يزيد . ولعل السبب في ذلك يرجع الى زغبته في ابعاد عمرو بن سعيد عن هذا المنصب كما يذكر وطاوون^(٣٤) . اذ جميع الناس هم قال (يبلغ امير المؤمنين ويبلغنا ان رجلا يمتنون الاماني ويدعون الاباطيل ويحدثون انفسهم بما لم يجعله الله لهم وما اولئك بالراشدين ولا المسددين فقوموا ايها الناس فبايعوا لعبد الملك

(٢٤) البلاذري : الساب : ١٣٧/٤ - ١٣٨ ، ١٤٩/٥ - ١٥٠ ، انظر ايضا : الطبري :

التاريخ ٢٧٦/٢ ، ابن الاثير : الكامل : ١٨٩/٤ - ١٩٠ ، ابو الحسن : النجوم الزاهرة :

١٦٦/٢ - ١٦٧ .

(٣٥) حقه : التاريخ : ٢٥٢/٢ .

(٣٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٣١٤/٤ ، انظر ايضا : وطاوون : الثورة العربية : ص ١٧٩

(٣٧) المسعودي : مروج الذهب : ٨٩/٣ .

(٣٨) دكسن : الخلافة الاموية : ص ٢٠٥ .

(٣٩) البلاذري : الساب : ١٣٨/٤ - ١٣٩ ، انظر ايضا : الطبري : التاريخ : ٧٨٤/٢ ، ابن

الاثير : الكامل : ٣٠٣/٤ .

(٢٨) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ١٩/٢ .

(٢٩) الساب : ١٣٧/٤ ، ١٣٦/٥ ، ١٤٩ ، انظر ايضا ابن سعد : الطبقات ٤٧/٥ ،

الطبري : التاريخ : ٤٧٧/٢ ، ابن الاثير : الكامل : ١٥٤ ١٥٨/٤ ، ١٩٠ - ١٨٩ ،

٣٠٣ ، ابو الحسن : النجوم الزاهرة : ١٦٦/١ - ١٦٧ مع اختلاف بالنص والتفصيل .

(٣٠) د . م . ١٣٧ .

(٣١) الطبري : التاريخ : ٦/٣ ، انظر ايضا : البلاذري : الساب : ١٥٠/٥ .

(٣٢) مروج الذهب : ٨٩/٣ .

(٣٣) تاريخ الدولة العربية : ص ١٧٩ .

قديمه بينهما فيقول : ان الذي كان بين عبد الملك وعمرو شر قديم ، وكان ابننا سعيد امها ام البنين ، وكان عبد الملك ومعاوية ابني مروان فكانوا وهم غيان لا يزالون يأتون ام مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم اسود . وكانت ام مروان اذا أتوها هيات لهم طعاما ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كل رجل صحيفة على حدة . وكانت لاتزال تورش بين معاوية بن مروان ومحمد بن سعيد وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد فيقتلون ويتصارعون حتى لا يكلم بعضهم بعضا . وكانت تقول ان لم يكن عند هذين عقل فعند هذين وكان ذلك دأبها فكلمها أتوها اثبتت الشحنة في صدورهم^(٤٠) . كما يذكر عوانه ايضا : ان اولاد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم اربعة : امية وسعيد واسماعيل ومحمد فلما نذر اليهم عبد الملك قال لهم انكم اهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قوه كم فضلا لم يجعله الله لكم ، وان الذي كان بيني وبين ابيكم لم يكن حديثا بل كان قديما في انفس اوليكم على اولينا في الجاهلية^(٤١) . كما يذكر الطبري تفاصيل خلاف وقع بين سعيد بن العاص ومروان بن الحكم عندما كانا يتوليان اماره المدينة في خلافة معاوية بحيث ترك ذلك الخلاف اثارا سلبية ولدت القطيعة والشحناء وتوارث الاولاد ذلك^(٤٢) .

ويبدو من خلال استقراء ما اورده المؤرخون عن اسباب الثورة ان الرأي الاول هو الراجح وان الخلاف العائلي الذي كان بين اولاد سعيد واولاد مروان لم يمنعهم من التعاون فيما بينهم كما لاحظنا ان هذا الخلاف لا يمكن ان يعد سببا في اعلان الثورة .

اما عن كيفية تفجير الثورة فيورد هشام الدمشقي في رواية انه بعد ان رفض عبد الملك تسمية عمرو وليا للعهد انخزل من عسكره ووجه الى دمشق ودعا الى نفسه فبويع واغلق ابواب المدينة واستعد للحصار^(٤٣) . وذكر احمد بن ابراهيم الدورقي معلومات تختلف عما اورده الدمشقي عن ثورة عمرو اذ يقول ان اهل الشام والجزيرة بايعوا عبد الملك على الخلافة بعدا زفر بن الحارث الكلابي فانه غلب على قرقيسياء وتحصن بها فخرج اليه عبد الملك بعد ان خلف مده عمرا الاشديق مكانه فغلب على دمشق واغلق ابوابها واعطى اهلها عطايا كثيرة^(٤٤) .

(٤٠) الطبري : التاريخ : ٧٩٣/٢ - ٧٩٤ رواية عوانه

(٤١) ن . م : ٧٩٤ - ٧٩٥ .

(٤٢) الطبري : التاريخ : ٧٩٤ - ٧٩٥ .

(٤٣) البلاذري : انساب : ١٤٠/٤ ، ٢٩٩/٥ ، انظر ايضا : الطبري : التاريخ : ٧٨٤/٢ ، ابن سعد : الطبقات : ٢٢٧/٥ ، ابن الاثير : الكامل : ٢٩٧/٤ ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٧/٧ ، وفزون : الدولة العربية : ١٨٤ - ١٨٥ مع اختلاف بالتفصيل . (٤٤) ن . م : ١٤٥/٤ ، انظر ايضا : الطبري : التاريخ : ٧٨٣/٢ ، ابن عبد ربه : العقد المفرد : ٤٠٨/٤ ، للسعودي : مروج الذهب : ١٠٢/٣ ، المنجد : معجم بني امية : ص ١٣٧ - ١٣٦ .

ومن خلال مناقشة هاتين الروايتين يتبين ان رواية الدورقي هي اقرب الى الواقع من رواية الدمشقي واكثر دقة . علما ان كلتا الروايتين نقلها البلاذري . اذ لا يعقل ان يخرج عمرو بن سعيد يقاتل في جيش عبد الملك ويتمكن ان يرجع مع قوة من الجيش الى دمشق معلنا ثورته دون ان يعرف عنه عبد الملك شيئا الا بعد دخوله دمشق واغلاق ابوابها واعلان الثورة فيضطر عبد الملك الى ايقاف زحفه والعودة لمعالجة الاوضاع المستجدة . ان حركة الجيش او جزء منه للتوجه الى اى مكان واضحة ومعلومة وهي لاتخفى على القيادة فهل يمكن ان يرجع عمرو من جيش عبد الملك دون علمه . ولما يعزز هذا الرأي ما اورده اليعقوبي من ان خبر ثورة عمرو بن سعيد وصل الى اسماع عبد الملك عندما كان في بطنان حبيب دون ان يشير الى عودته او انسلاخه عن عبد الملك^(٤٥) .

وبعد سيطرة عمرو على دمشق حاول تتبع العناصر الموالية لعبد الملك وكان على رأسها عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وكان خليفة عبد الملك على دمشق ولم يصبه فامر بداره فهدمت^(٤٦) . ثم التى على سور المدينة المسوح والخشب والكرايس والفرش المحشوة وتبأ للحصار واستعد له . وقد اهتم بامن المدينة وضبطها وعين احد المؤيدين له وهو عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز وهو ابو خالد القسري مديرا لشرطته وكان اول من بايعه على الخلافة^(٤٧) ، كما بايعه اهل دمشق لسخطه وجود كفه ، وانضم اليه حميد بن حريث ابن مجدل الكلبي وزهير بن الابرقد الكلبي ،^(٤٨) وقد اعلن عمرو نفسه وعن هدفه عندما جمع الناس في الجامع وخطب فيهم خطبة بين فيها ابعاد ثورته قائلا : «ايها الناس انه لم يبق احد من قريش قبلي على هذا المنبر الا وزعم ان له جنة ونارا يدخل الجنة من اطاعه والنار من عصاه . واني اخبركم ان الجنة والنار بيد الله وآله ليس الى من ذلك شيء غير ان لكم علم حسن المواساة والعطفية^(٤٩) » ثم نزل . ولاشك ان هدفه من هذه الخطبة تحرير الناس من الانقياد لهذه العائلة وتحريرهم من الخوف من النار عند مخالفتهم لان الجنة والنار هي بيد الله وليس بيد الخلفاء ، ويذكر اليعقوبي ان عمرو بن سعيد حوى الاموال والخزائن الموجودة في بيوت الاموال^(٥٠) . وذلك من اجل تمويل ثورته وتوزيع العطاء والاموال لانصاره .

اما عبد الملك بن مروان فعندما سمع باخبار ثورة عمرو وتحصنه

(٤٥) التاريخ : ١٨/٣ .

(٤٦) خليفة : التاريخ : ٢٦٣/٢ ، انظر ايضا : اليعقوبي : التاريخ : ١٨/٣ ، الطبري : التاريخ : ٧٨٤/٢ ، ابن الاثير : الكامل : ٢٩٧/٤ مع اختلاف بالنسب والتفصيل .

(٤٧) ن . م : ١٣٨/٤ - ١٣٩ ، انظر ايضا ابن سعد : الطبقات : ٢٢٧/٥ مع اختلاف .

(٤٨) الطبري : التاريخ : ٧٨٤/٢ ، انظر ايضا ابن الاثير : الكامل : ٢٩٧/٤ .

(٤٩) ن . م : ٧٨٤ - ٧٨٥ ، انظر ايضا ابن الاثير : الكامل : ٢٩٧/٤ مع اختلاف .

(٥٠) التاريخ : ١٨/٣ ، انظر ايضا ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٧/٨ .

نزل عمرو بن سعيد

لما شئت ان العمل الذي اقدم عليه عمرو بن سعيد في دمشق ترك اثره
في نفس عبد الملك وشغله عن تنفيذ خطته في اعادة وحدة الدولة
عربية . فعصاه على لاخطا اعدتها رخصة من قبل البيزنطيين ، كما
جاء في البدء في دمشق سنة ست وخمسين من تكرار حدث الثورة ثانية .
ويذكر ايضاً ان عبد الملك ابن مروان كان قد خطأ نفسه عند خروجه
من دمشق (٥٩) لانه يعرف طموح عمرو . وبالنظر لعدم تمكنه من مغادرة
دمشق للقضاء على حركات المعارضة خارج الشام ورغبته في توطيد
استقرار والامن في داخل الاقليم رأى ان الملك لا يصلح الا اذا تخلص
من هذا التأثير (٦٠) والقبيل التي فرضها وذلك عن طريق قتله وقد مهد
عبد الملك - هذه الخطوة محاولاً استدراج عمر للايقاع به . وقد حانت
هذه الفرصة عندما كان يتحدث معه فاغاط له عمر والجواب وقال له :
اني لاحق بالخلافة منك فان شئت فافسخ الصلح واعد الحرب . وكان
هذا الجواب سبباً في اسرع عبد الملك في التخلص منه .

تذكر المصادر التاريخية ان عبد الملك ابن مروان ارسل الى عمرو
يدعوه لحضور الى البلاط (٦١) . ويبدو ان هذه الدعوة كانت غريبة .
بحسب محمد الله بن معاوية منعه من تلبية وقال له (يا يا امية انت احب
الي من حمي ومن بصري واري لك ان لا تأتيه . الخ . فاجابه عمرو
بالله لو كنت ناعماً ما تخوفت ان يبيني ابن الزرقاء ولا كان يجترى على
قلبي مني) (٦٢) وقرر الذهاب اليه . ويورد الطبري تفاصيل الاحداث
التي وقعت في بلاط عبد الملك فيقول «ها كان العشي لبس عمرو درعا
جديدة بلباء قومي وقبض قومي وتقدم سبعة وعنده امراته الكلبية
وحمير . بن حريث بن بحدل الكلبي . فلما هض متوجها عثر بالبساط فقال
له حمير اما والله لئن اطعني لم تاته . وقالت امراته تلك المقالة ايضاً فلم
يلتفت الي قولها ومضى في مائة رجل من مواليه (٦٣) . وقد بعث عبد
الملك الى بني مروان فاجتمعوا عنده . فلما بلغ عبد الملك انه بالباي امر ان
يجلس من كان معه وادن له فدخل . ولم يزل اصحابه يحبسونه عند كل
باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه الا وصيف له فرمى عمرو

بدمشق عاد مسرعاً اليها وحاصرها من كافة جهاتها وجرت معارك
عسكرية بين الطرفين وقد قدم عوانة وصفا لتلك المعارك التي شارك
رجاء بن سراج وحاميد بن حريث بن بحدل وزهير بن الابرود الكلبي
وقاتل مع عبد الملك عبد الرحمن بن سليم وسفيان بن الزبير الكلبي
وحسان بن مالك بن بحدل الكلبي وآخرون . وكانت مدة حصار عبد
الملك للمدينة دمشق ستة عشر يوماً كما يذكر المؤرخون (٥٢) .

ويبدو ان عبد الملك استعمل كافة الوسائل لاجبار عمرو على التسليم
الا انه لم ينجح في محاولاته لهذا حاول ان يستغل صفة القرابة بينها
لاجباره على انهاء ثورته فارسل اليه رسالة ورد فيها «انك افسدت امر
اهل بيتك واطلمعت فيهم عدوهم وفيما صنعت قوة لابن الزبير ، ارجع
الي بيعتك وطاعتك فاني اجعل لك العهد وانفذ كل ما اعطيت من
الاموال» (٥٣) . ويبدو ان عمرا استجاب لدعوة عبد الملك بعد ان فرض
عليه شروطاً .

يبد ان المؤرخين لم يقدموا لنا تفاصيل هذا الاتفاق . الا ان تفصيلا
قد وصفه بصورة رضية في ثنايا الكتب . ومن هذه الشروط ان يكون
مع عمرو بن سعيد خمسمائة مقاتل حيث يتزولون حيث نزل (٥٤) وان
لا يضع عبد الملك شيئاً دونه ولا ينفذ امراً الا بحضوره (٥٥) كما تعهد عبد
الملك ان يولي بين المال والديوان (٥٦) . وان يكون لعمر مع كل عامل
عاملاً (٥٧) . وان لعمر الخلافة بعد عبد الملك (٥٨) .

والراجح ان قبول عمرو بن سعيد بعرض عبد الملك يعود الى تخفيف
طموحه في تولي الخلافة بعده اضافة الى رغبته في فك حصار مدينة
دمشق الذي استغرق اكثر من اسبوعين عنها انه لا يمكن من مقاومة عبد
الملك لاسيما وان معه جيش منظم كبير .

(٥١) لزيادة التفاصيل رجع الطبري : التاريخ : ٧٨٥/٢ . انظر ايضاً ابن الاثير : الكامل : ٢٩٨-٢٩٧/٤ .

(٥٢) البلاذري : انساب : ١٣٩/٤ . ١٤٥ . انظر ايضاً ابن سعد : الطبقات : ٢٧٧/٥ . المنجد : معجم بني امية : ص ١٣٧ .

(٥٣) ن . م : ١٣٩/٤ . ١٤٥ . انظر ايضاً : المسعودي . مروج الذهب : ١٠٢/٣ . ابن كثير البداية والنهاية : ٣١١/٨ .

(٥٤) ن . م : ١٣٩/٤ .

(٥٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ١٧/٢ .

(٥٦) البلاذري ، انساب : ١٣٩/٤ .

(٥٧) خليفة : التاريخ : ٢٦٣/٢ . انظر ايضاً اليعقوبي : التاريخ : ١٨/٣ . ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤٠٨/٤ . ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٧/٨ .

(٥٨) ن . م : ٢٦٣/٢ . انظر ايضاً : البلاذري : انساب : ١٤٥/٤ . المسعودي : مروج الذهب : ٢٠٢/٣ . ماجد : التاريخ السياسي : ص ١١٠ .

(٥٩) التاريخ : ١٨/٣ .

(٦٠) ن . م : ١٨/٣ . انظر ايضاً ابن سعد : الطبقات : ٢٧٧/٥ .

(٦١) البلاذري : انساب : ١٤١/٤ . انظر ايضاً جواب عمرو كما اوردته الطبري في تاريخه : ٧٨٨/٢ المسعودي : مروج الذهب : ١٠٣/٣ .

(٦٢) ابن سعد : الطبقات : ١٦٨/٥ . انظر ايضاً : الطبري : التاريخ : ٧٨٦/٢ . ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤٠٨/١ . ابن الاثير : الكامل : ٢٩٨/٤ . ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٧/٨-٣٠٨ .

(٦٣) ويورد ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢٦/٢ . انهم كانوا ٤٠ رجلاً .

بصره نحو عبد الملك فاذا حوله بنو مروان وفيهم حسان بن مالك بن جندل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم أحسر بالشئ (٦٤).

ويدو أن عمرا قد وقع في الفخ الذي نصبه له عبد الملك الذي بادر فجرده من سيفه وقال له (أنك حيث خلعتني آليت يميني أن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن اجعلك في جامعة ، فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال ثم أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية فقال بنو مروان : أيسر قسم أمير المؤمنين فقال عمرو : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال يا غلام قم فاجمعه فيها ، فقام الغلام فجمعه فيها (٦٥) وبعد عتاب مريز على ما قام به عمرو قال له «والله لو أعلم أنك تبقى علي أن أبقى عليك وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلا قط في بلدة على مثل ما نحن إلا أخرج أحدهما صاحبه» فادرك عمرو ماقاله عبد الملك وقال له «اغدرا يا ابن الزرقاء فامر به عبد الملك فقتل» (٦٦).

وقد اختلف المؤرخون فيمن قتل هذا الثائر ، فعوانة يذكر أن الملك عندما خرج يصلي صلاة العصر امر أخاه عبد العزيز بن مروان بقتله فقام إليه بالسيف فقال له عمرو اذكرك الله والرحم أن تلي أنت قتل ويثول ذلك من هو أبعد رحما منك فالقي عبد العزيز السيف وتم يقتله (٦٧).

أما رواية المدائني التي نقلها البلاذري فتشير إلى أن مولى عبد الملك أبا الزعيزعة هو الذي قتله والتي برأسه إلى أصحابه وكانوا يحسنون بطلبونه (٦٨).

ويروي عوانة أن عبد الملك هو الذي قتله ويقول أنه طلب من غلامه أن يأتيه بالحرية فأتاه بها ففهرها ثم طعنه بها فلم تجز ثم ثنى فأم تجز

(٦٤) التاريخ : ٧٨٧/٢-٧٨٨ . انظر أيضا ابن سعد : الطبقات : ٢٢٧/٥ ، ابن الأثير الكامل : ٢٩٨/٤ مع اختلاف بالنص والتفصيل .
(٦٥) الطبري : التاريخ : ٧٨٨/٢ ، انظر أيضا ابن قتيبة : الامامة : ٢٧/٢ ، يعقوبي : التاريخ : ١٨-١٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ١٠٣/٣ ، ابن الأثير : الكامل : ٣٠٠-٢٩٩/٤ .

(٦٦) خليفة : التاريخ : ٢٦٣/٢ . انظر أيضا البلاذري : انساب : ١٤١/٤ ، ١٤٥ ، يعقوبي التاريخ : ١٩/٣ ، الطبري : التاريخ : ٧٨٩/٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤٠٨/١-٤٠٩ ، المسعودي : مروج الذهب : ١٠٤/٣ ، ابن الأثير : الكامل : ٣٠٠-٢٩٩/٤ مع اختلاف بالنص والتفصيل .

(٦٧) ن . م . ٢٦٣/٢ انظر أيضا : البلاذري : انساب : ١٤٣/٤ ، ابن قتيبة : الامامة : ٢٧/٢ ، ١٩/٣ ، الطبري : التاريخ : ٧٨٩/٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤٠٩/١ ، المسعودي : مروج الذهب : ١٠٣/٣-١٠٤ ، ابن الأثير : الكامل : ٣٠٠/٤ مع اختلاف بالتفصيل .

(٦٨) البلاذري : انساب : ١٤١/٤ ، ١٤٥ ، انظر أيضا : ابن قتيبة : الامامة : ٢٧/٢ ، المسعودي : مروج الذهب : ١٠٣/٣ ، ابن الأثير : الكامل : ٣٠٠-٣٠١/٤ .

فضرب يده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال ودارع أيضا يا أبا أمية ، أن كنت لعددا : يا غلام اثني بالصمصامة فاتاه بسيفه (يعني سيف عمرو بن سعيد) ثم أمر بعمرو فصريع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول :

يا عمرو أن تدع شئني ومنقصتي
اضربك حيث تقول الهامة استوفني (٦٩)

ولاشك أن هذه الروايات تحوى الكثير من المبالغة لاسيما رواية عوانة إذ لا يعمل أن يمارس الخليفة القتل شخصيا وذلك لصلة القرابة والرحم الموجودة بينهما فهو ابن عمته وإن السبب الذي منع عبد العزيز من تنفيذ القتل يمنع عبد الملك عن ذلك أيضا خاصة وأن عبد الملك رئيس الدولة ويمكن أن يستعين بأحد المقربين إليه لتنفيذ مهمة القتل . والراجع أن أبا الزعيزعة هو الذي قتله وما يؤيد ذلك إشارة هشام بن عمار إلى أنه سمع أن أبا الزعيزعة أدخل سيفه في ظهر عمرو حتى أخرجه من بطنه ثم جأبه فضربت روحه (٧٠).

نتائج قتل عمرو بن سعيد

لا يمكن التقليل من أهمية العمل الذي أقدم عليه عبد الملك بن مروان في قتله لعمرو . ويدو أنه نفسه قدر قيمة عمله عندما اتخذ كافة الاحتياطات اللازمة للحفاظ على الأمن والاستقرار عندما وضع تحت نصرته اثني عشر ألفا من جنوده ومواليه (٧١) ، وكان لعمرو مكانته في نفوس أهل الشام فهم يطيعونه لاسيما الجالية منهم (٧٢) . وقد راقب انتصاره ومواليه حركة عبد الملك وعندما خرج لصلاة العصر دون أن يصحب معه عمرا بدأت الشكوك في مصيره وأوصلوا خبر ذلك إلى أخيه يحيى بن سعيد فاقبل في حشود من مواليه حتى باب عبد الملك وكان من ضمنهم ألف عبد لعمرو يصحبهم حميد بن حريث وزهير بن الأبرد الكلبي . وكانوا يصيحون اسمنا صوتك يا أبا أمية ، وكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب عبد لعمرو يقال له مصقلة

(٦٩) ن . م . ١٤٢/٤-١٤٣ ، انظر أيضا ابن سعد / الطبقات : ١٦٨-١٦٩ ، الطبري : التاريخ : ٧٩١-٧٩٠/٢ ، ابن الأثير : الكامل : ٣٠١-٣٠٠/٤ مع اختلاف ، والبيت من شعر ذي الأصح العنواني في قصيدة له مشهورة .

(٧٠) البلاذري : انساب : ١٤١/٤ .
(٧١) الهشامى : الزوراء : ص ٢١٢ انظر أيضا : الجومرد : داهية العرب أبو جعفر المنصور : ص ١٦٨ .

(٧٢) ابن سعد : الطبقات : ٢٣٨/٥ ، انظر أيضا ابن قتيبة : الامامة : ١٩/٢ ، المسعودي : مروج : ١٠٤/٣ .

الوليد بن عبد الملك على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربي صاحب الديوان وادخله بين القرايطيس^(٧٣). ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بني مروان. الدار فجروحهم ومن كان معهم من مواليهم قاتلوا يحيى واصحابه^(٧٤). ولما تطورت الاحداث امر عبد الملك فاحتر راس عمرو ورمى به على انصاره وقام عبد العزيز فاخذ المال في البدر بليقها على الناس. وبنفس الوقت هناك من يخطب ويقول ان امير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على امير المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم الى اكمل مايكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى الثين في الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا امره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودياركم فصاحوا نعم سمعا وطاعة يا امير المؤمنين^(٧٥). ولاشك ان هذا الاعلان يرجع الى ايمان الامويين بمذهب الجبر وذلك من اجل تبرير ما فعله عبد الملك بعمر بن سعيد باعتبار ان هذا الفعل من قضاء الله وقدره. ولما رأى الناس الاموال وروا الراس اخذوا الاموال وتفرقوا بعد ان انتهب انصار عمرو ما وجدوه في بيت المال وتمكن عبد الملك من استعادته^(٧٦).

وبعد ان هدأت الاوضاع ارسل عبد الملك عمر بن علي الفهري وهو احد بني محارب الى دار عمرو ليفتش فيها وذكر ابن عبد الحكم : انه وجد كتباً تضم اسماء من بايعه على الخلافة فاحرقها^(٧٧). ولاشك ان هذه الاسماء تمثل من اهل دمشق الوجوه الذين بايعوا عمرا على الخلافة وابدوه. وعندما سال عبد الملك عمر بن سعيد عن سبب حرق هذه الاسماء فاجاب : لو قرأتها لما صح لك قلب شامي ولا استقامت طاعته اذا علم انك قد علمت بخلافة اباك^(٧٨) واقتنع عبد الملك بذلك وكان مقتل عمرو بن سعيد سنة ٧٠هـ^(٧٩).

وبعد فقد تمكن عبد الملك بن مروان بدهائه وحزمه ان يكسب معركة الخلافة ويثبت الحكم في اسرة ابي العاص بعد ان قضى على عمرو

(٧٣) الطبري : التاريخ : ٧٨٩/٣ - ٧٩٠ ، انظر ايضا : ابن الاثير : الكامل : ٣٠٠/٤ - ٣٠١/٤ .

(٧٤) ن . م . ٧٩١/٢ .

(٧٥) ابن قتيبة : الامانة : ٢٧/٢ - ٢٨ .

انظر د . عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق الاسلامية . ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٧٦) البلاذري : الساب : ١٤٠/٤ ، انظر ايضا : الطبري : التاريخ : ٧٩١/٢ ، ابن الاثير : الكامل : ٣٠١/٤ .

(٧٧) فروع مصر وانبارها : ص ١٣٤ .

(٧٨) ن . م . ص ١٣٤ .

(٧٩) التاريخ : ٩/٢ ، انظر ايضا خليفة : التاريخ : ٢٦٣/٢ ، الطبري : التاريخ : ٧٩٦/٢

ابن الاثير : الكامل : ٢٩٧/٤ ، دكسن : الخلافة الاموية : ٢٠٦ ، تاجم التاريخ السياسي للدولة العربية - عصر الخلفاء الامويين ٥٢٢/٤ .

بن سعيد ومواليه . وقد استغل هذا الحدث لاستئصال معارضيه وتوحيد جبهته الداخلية ولهذا بدأ بملاحقة كافة المعارضين له الا ان طريقة انتهائه لثورة عمرو والاسلوب الذي اتبعه اثارا مشاعر الكثير من معارضيه واتهموه بالغدر والخيانة حتى عده بعض المؤرخين اول من غدر بالاسلام^(٨٠) فهذا هشام الكلبي يروي عن جده انه لما بلغه قتل عبد الملك عمرا قال (ايها الناس ان عبد الملك قتل ابن عمه وابن عمته بعد ان امنه فلا تأمنوه ولا تصدقوه)^(٨١) .

وكان لهذا العمل اثر سلبي في استمرار حركة المعارضة في خارج الشام فصرف محمد بن حنفية نظرة عن الذهاب الى الشام بعد ان قرر ذلك^(٨٢) كما ان زفر بن الحارث توجس خيفة من الصلح مع عبد الملك خوفا من غدره فامسك عن التوجه الى دمشق حتى بعث اليه عبد الملك بقضيب النبي (ص) امانا له لكي يطمئنه الى سلامة نيتة وعهده^(٨٣) .

وقد كتب اليه مصعب بن الزبير «اما ما ذكرت من نفي بك ومودتي واخائي فذلك كما ذكرته ، ولكن بعد قتل عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو اقرب رحما مني اليك واولى ما عندك فقتله غدرا ووا لله لو قتلته في حرب ومحاربة لمسك عارة ولما سلمت من اثمه»^(٨٤) . وقد سال عبد الملك احد ثقاته في عمله فقال له «امر قد فات دركه ، قال لتقولن قال : حزم لو قتلته وحييت ، قال اولست يحيى قال ليس يحيى من اوقف نفسه موقفا لا يوثق له بعده ولا بعده . وقال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فعلي لا مسكت^(٨٥) ويبدو ان عبد الملك كان يفخر بعمله هذا امام الناس ففي احدى خطبه باقليم الحجاز سنة ٧٥هـ قال «ايها الناس اننا نحمل لكم كل اللغو»^(٨٦) مالم يكن عقد راية او ثوب على منبر . هذا عمرو بن سعيد وحقه حقه وقرابته قرابته قال براسه كذا فقلنا بسيفنا هكذا^(٨٧) .

وخلاصة القول فان قتل عمرو بن سعيد الاشدق قد حرر عبد الملك من قوة هذه العائلة وتخلص من تأثيرها ونفوذها . ولم يكتف بذلك بل طرد كافة اخوته واولاده من الشام فلحقوا بعبد الله بن الزبير في الحجاز

(٨٠) ابن الاثير : الكامل : ٥٢٢/٤ .

(٨١) البلاذري : انساب : ١٤٤/٤ .

(٨٢) ن . م . ١٤٤/٤ .

(٨٣) ن . م . ٣٠٥/٥ .

(٨٤) ابن قتيبة : الامانة : ٢٨/٢ .

(٨٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤٠٩/٤/٧٩/١ .

(٨٦) خليفة : التاريخ : ٢٧٠/٢ - ٢٧١ ، انظر ايضا المنجد : معجم بني امية : ص ١١٥ .

(٨٧) اللغوية : الضعف ، انظر خليفة : التاريخ : ٢٧١ - ٢٧٠/٢ .

(٨٧) خليفة : التاريخ : ٢٧٠/٢ - ٢٧١ ، انظر ايضا المنجد : معجم بني امية : ص ١١٥ .

واخيه مصعب في العراق^(٨٨).
ولاشك ان هذا الاجراء قد مكن عبد الملك ابن مروان في تنفيذ
برامجه وفي بناء مستقبل الدولة الاموية وتوحيدها والقضاء على الاخطار
المحدقة بها وان بدون قتل عمر بن سعيد يبنى عبد الملك مقيدا لا يتمكن
من ترك دمشق خوفا من حركة المعارضة وعلى رأسها هذا الثأر.

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الاثير: علي بن احمد بن ابي الكرم (٦٢٠ هـ / ١٢٣٣ م)
الكامل في التاريخ، ١٢ جزءا، طبعة بيروت ١٩٦٧ م.
اسد الغابة في معرفة الصحابة ١٦ جزءا. تحقيق
محمد صبيح. القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٢ - البلاذري: احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ / ٨١٢ م)
انساب الاشراف، الجزء الرابع، القدس ١٩٣٨
الجهشياري: اي عبد الله بن عبدروس كتاب الوزارة والكتاب
تحقيق مصطفى الق و اخرون
الطبعة الاولى القاهرة ١٩٣٨.
- ٣ - الجومرد: عبد الجبار.
داهية العرب ابو جعفر المنصور. بيروت ١٩٦٣.
- ٤ - ابن حبيب: محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م)
المحرر: حيدر اباد ١٩٤٢
- ٥ - ابن حجر: محمد بن عمر العسقلاني (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)
الاصابة في تمييز الصحابة، كلكتا ١٨٧٣ م
- ٦ - ابن خياط: خليفة شباب: (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
التاريخ جزءان تحقيق اكرم ضياء العمري، النجف ١٦٧ م.
- ٧ - دكسن، عبد الامير:
الحلافة الاموية، دراسة سياسة
دار النهضة - بيروت ١٩٧٣ م

(٨٨) الطبري: التاريخ: ٧٩٤/٢، انظر ايضا ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٤٠٩/٤ ابن
الاثير: الكامل: ٣٠٢/٢. اما المنجد: معجم بني امية ص ١٩٦ فيذكر ان عبد الملك
سير اخاه يحيى الى المدينة ثم عاد مستائنا.

- ٨ - ابن سعد: محمد ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م
الطبقات الكبرى - طبعة بيروت ١٩٥٧
- ٩ - السدوسي: مؤرخ بن عمر (ت ١٩٥ هـ / ٨١٠ م)
كتاب حذف من نسب قريش. تحقيق صلاح الدين المنجد
القاهرة ١٩٦٠
- ١٠ - الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
تاريخ الرسل والملوك ليدن ٨٨١ م
- ١١ - ابن عبد البر: ابو عمر يوسف
الاستيعاب في معرفة الاصحاب. تحقيق علي محمد البجاوي
مطبعة نهضة مصر القاهرة.
- ١٢ - ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله القرشي (٢٥٩ هـ /
٨٧٠ م)
فتوح مصر واخبارها.
١٣ - عبد الحميد: عرفان
دراسات في الفرق الاسلامية. مطبعة الارشاد ١٩٦٧.
- ١٤ - ابن عبد ربه: احمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م)
العقد الفريد. القاهرة ١٩٤٠ م
- ١٥ - ابن قتيبة ابي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)
المعارف: القاهرة ١٩٣٤
- ١٦ - الامامة والسياسة. جزءان القاهرة ١٩٦٣ الطبعة الثالثة
١٧ - ابن كثير: اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
البداية والنهاية ١٣ جزءا القاهرة ١٩٣٢.
- ١٨ - فاجد: عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية
(عصر الخلفاء الامويين) القاهرة ١٩٧١.
- ١٩ - ابو المحاسن: ابن تفرى بردي:
النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ١٩٢٩ م
- ٢٠ - المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
دار الاندلس ١٩٦٥.
- ٢١ - المنجد: صلاح الدين
معجم بني امية
- ٢٢ - ولهاوزن: يوليوس: تاريخ الدولة العربية
ترجمة د. محمد عبد الهادي ابو ريده، القاهرة ١٩٥٨
- ٢٣ - البعقوبي: احمد بن واضح (٢٨٤ هـ /
تاريخ البعقوبي: طبعة دار صادر - بيروت

المؤرخ توماس كارليل

حياته ، أعماله ، فكره التاريخي ، آراؤه

الدكتور نوري عبد الحميد خليل
كلية التربية / قسم التاريخ
جامعة بغداد

مقدمة

صورة رسول من احسن ما جاء في كتاب الابطال . وقد ادت كتابات كارليل الى تخفيف الحملة الظالمة والمتعصبة التي تشنها تلك الاقلام . ومن ناحية اخرى تظهر كتاباته أثر الثقافة العربية الاسلامية في الفكر الاوربي ، فهو يستشهد بابيات من الذكر الحكيم وبالاحاديث النبوية الشريفة في رده على اعداء الاسلام . كما كان يدعم كتاباته بأدلة وشواهد من التاريخ العربي^(١) مما يدل على تتبعه الشديد واعجابه بهذا التاريخ .

وزيادة على كل ذلك فإن آراء كارليل عن الدين والحياة والموت والحياة الاخرى متأثرة بشكل واضح بآراء بعض الادباء والفلاسفة العرب وبخاصة ابو العلاء المعري (٩٧٣-١٠٥٧) . ويرى كاتب هذه السطور ان كارليل ان لم يكن قد تأثر بهذه الآراء بشكل مباشر فإنه قد تأثر بما ورد في ملحمة الشاعر الايطالي دانتي (١٢٦٥-١٣٢١) «الكوميديا الالهية» التي يرى اغلب المعنيين انها اخذت من المصادر العربية والاسلامية ونسجت على منوال «رسالة الغفران» للمعري . وكذلك بقصيدتي الشاعر الانكليزي جون ملتن (١٦٠٨-١٦٧٤) المشهورتين وهما «الفردوس المفقود» و«الفردوس الموجود» التي تأثرت بالفكرة الاسلامية وبالمعري مباشرة^(٢) . ومن هنا فان من الواجب تعريف القارئ العربي بهذا المؤرخ وآرائه . فمن هو كارليل ؟

كان توماس كارليل احد المؤرخين الرومانسيين البارزين الذين انجبتهم بريطانيا في القرن التاسع عشر . ولم تأت شهرته من وضعه فلسفته للتاريخ ، لكنه كان كاتباً لامعاً كتب في التاريخ والسياسة والفلسفة والاقتصاد والمجتمع والدين بأسلوب أدبي رفيع قلما استطاع كاتب ان يجاريه فهو من اكثر البلغاء الانكليز تمكناً من اللسان واقتداراً على اللغة في عصره .

تناولت كتاباته التاريخية تاريخ بريطانيا وبعض الاقطار الاوربية وسير عدد من الشخصيات البارزة . وكان من المعتقدين بإمكان كتابة تاريخ الامم من خلال دراسة تاريخ أبطالها . وفي كل كتاباته يؤكد دور البطل في عملية التغيير ، بل كان من اكثر دعاة التاويل البطولي للتاريخ غلواً .

وقد شرح مذهبه في عبادة البطولة وتقديس العظماء من الرجال في احد كتبه العظيمة وهو «حول الابطال وعبادة البطل والبطولي في التاريخ»

وتكمن اهمية كتابات كارليل بالنسبة الى المثقف العربي في تعاطفه مع العرب باعتبارهم اصحاب رسالة سماوية وحضارة انسانية ، كذلك في دفاعه عن الاسلام والرسول محمد (ص) وكان هدفاً لاقلام الكثير من الكتاب الغربيين . وكان الفصل الذي كتبه عن الرسول (ص) والبطل في

1. Carlyle. On Heroes, Hero-worship and the Heroic in history (London 1926, Vol.1, p.90-91).

ولقد ترجمه محمد السباعي بعنوان «الابطال» (القاهرة ١٩٣٠)

(٢) حول هذا الموضوع تنظر عمرو فروع ، حكم المرة (بيروت ١٩٤٨) ١٧٠-١٧٦

حياته :-

ولد توماس كارليل في الرابع من كانون الاول ١٧٩٥ في قرية اكلفكان Ecclefechan جنوبي اسكتلندا . كان ابيه جيمس كارليل فقيراً يعتقد العقيدة الكالفينية وله معرفة واسعة باللغة والبيان ، اما امه جانيت ايكن J. Aitken فكانت ورعة تقية (٣) . وقد اوجدت أخلاق الابوين وطريقتهما في الحياة تأثيراً دائماً على الابن .

اخذ غلونه المبكرة من ابيه ، وتلقى مبادئ العلوم من مدرسة القرية . واثقن اللغة الانكليزية في السابعة من عمره ، ثم شرع بتعليم اللاتينية . وفي سنة ١٨٠٥ دخل مدرسة النحوي آنن Annan فأظهر طامعاً من العنف دل على انه صادف شيئاً من القسوة في حياته . ومع ذلك فقد تعلم الفرنسية بسرعة وكذلك اللاتينية واليونانية وتعلم الهندسة والجبر . وفي سنة ١٨٠٩ التحق بجامعة ادنبرة فتقدم في دراسة الرياضيات وظهر ولعاً في قضايا الادب ، وحاول وضع اشعار في سير الابطال (٤) .

حصل على وظيفة معلم للرياضيات في مدرسة انان سنة ١٨١٤ وقد مكنته ذلك من الاستقلال والتخفيف من الضائقة المالية التي كانت تلازمه . كما اتى عدداً من المحاضرات حضرها عدد كبير من مختلف الطبقات وبعد سنتين اصبح كارليل معلماً في مدرسة كريكالدي Krikaldy فجمعت بينه وبين معلم المدرسة ادوارد ايرفانك Irving صداقة دائمة واستفاد من مكتبته فقرأ مؤلفات المؤرخ الانكليزي ادوارد جيبون Gibbons (١٧٣٧-١٧٩٤) وقرأ كثيراً عن الاديب الفرنسي . ولم تكن واجباته في المدرسة جيدة ، كان كتباً جاداً الطبع شديد التبحر . وقد جعل سلوكه هذا الطلاب في خشية منه ، ولم يكن يختلط بالمتجمع الا نادراً ، وزاد من تعاسته رفض الفتاة التي احبها (ماركريت جوردون Gordon) الزواج منه وقد ذكرها في كتابه «فلسفة الملايس» باسم بلومين . وكان لهذه الحادثة تأثير على حياته في المدرسة اذ انه لم يعد يحتل مهنة التعليم فتركها سنة ١٨١٨ قائلاً ولا طاقة لي بعد بهذه المهنة المقتولة (٥) .

عاد بعد ذلك الى ادنبرة لدراسة القانون ، قضى ثلاث سنوات تعبية وحيداً واصيبت معدته بسوء الهضم الذي لازمه طيلة حياته .

وكان لذلك تأثير على سلوكه ، فاصبح متردداً منزلاً يعاني صراعاً نفسياً حاداً ظهر في لغته واسلوبه الذي تميز بكثير من السخرية التي يصعب فيها التمييز بين الجد والحزل . ترك دراسة القانون واتجه لدراسة الكيمياء ، وقد اضطره ذلك لتعلم اللغة الالمانية التي كانت من اسباب شهرته فيما بعد . وكان في اثناء ذلك يعيش من العمل في الصحافة والتعليم الخاص ، كذلك استخدمه ناشر مجلة ادنبرة David Breuster (١٧٨١-١٨٦٨) في دائرة المعارف Edinlurgh Encyclopaedia لكتابة بعض المواد التاريخية وتراجم الاشخاص وترجمة مقالات علمية عن الفرنسية (٦) .

انتهى سنة ١٨٢١ نحو الدراسات الالمانية وبخاصة الادب الرومانتيكي . فقرأ لريخ J. P. Richter (١٧٦٣-١٨٢٥) وفخنة Fichte (١٧٦٢-١٨١٤) وهيجل Hegel (١٧٧٠-١٨٣١) وغوته Goethe (١٧٤٩-١٨٣٢) وقد جذبه رصانة الاخير بسبب معارضتها لطبيعته الحادة (٧) . وفي احدى رسائله الى كوته بين انه مدين له بمساعدته على الخروج من التعاسة الروحية التي كان يعانيها في شبابه وان اعمالك اصبحت مرآة لي ، وقد نصحتني حكمتك كثيراً . وهكذا فان صحة النفس زارتني بعد ذلك لاني كنت قبلها غير مؤمن ليس في الدين فقط ، ولكن في جميع الرحمة والجمال وقانون الايمان (٨) .

رغم ظروفه المالية الصعبة فقد رفض كارليل العمل سكرتيراً لبازيل Hill . لكنه حصل على دخل سنوي من تعليم طالين من آل بولر Buller بصورة خاصة سنة ١٨٢٢ .

زار مدناً عدة في انكلترا واسكتلندا كما زار ايرلندا سنة ١٨٤٦ وسنة ١٨٤٩ حيث عاد غاضباً بسبب الفوضى التي احدثتها ثورة ١٨٤٨ . ومن الدول الاخرى التي زارها فرنسا سنة ١٨٢٤ والمانيا سنة ١٨٥٢ وسنة ١٨٥٨ . وقد مكنته زيارته لهاتين الدولتين من تكوين انطباع عنها وجمع معلومات كثيرة لكتابة تاريخ الثورة الفرنسية ، وحياته فردريك الكبير (١٧٤٠-١٧٨٦) فيما بعد .

تزوج كارليل من جين ويلش Welsh سنة ١٨٢٦ وهي ابنة طبيب ينحدر من اسرة جون ويلش احد الوزراء المشهورين في Ayr . وقد قبلت الزواج منه بعد تردد ، اذ كانت ترى انه ينحدر من طبقة اقل شأناً من طبقتها ومركز اسرتها الاجتماعي . وعاشا عيشة بسيطة اذ ان كارليل اعتاد الاقتصاد التام من عائلته ، وكانت اطواره غريبة عنها وعاملها بقسوة . وكان عدم انجابه الاطفال عاملاً في زيادة تعاستها وشعورها بالوحدة ، اذ ان كارليل كان يقضي اغلب اوقاته بين كتبه بعيداً عنها .

3. G. Smith, the Dictionary of National Biography (Oxford University Press, 1968) Vol.111, p.1020.
4. The New Encyclopaedia Britannica 15th. Edition, Vol.111, p.923.
5. Smith, op. cit., p.1020; H.J.C.Grierson, Carlyle and Hitler, (Cambridge 1933), p.13.
6. The New Encyclopaedia, p.923, Smith, op. cit., p.1020.
7. Carlyle, Selected Writings, Eddited with an Introduction by Alan Shelston (Hazel Watson & Viney Ltd. 1971) p.101.
8. G.M.Trevelyan, Carlyle an Anthology. (Lon. 1953) p.23.

فساءت صحتها بصورة تدريجية حتى ماتت في حادثة دهس في حزيران ١٨٦٦^(٩).

واجه كارليل فشلاً متكرراً في الحصول على مركز استاذ في جامعة لندن التي تأسست حديثاً ، وكذلك في ترشيحه لاستاذية فلسفة الاخلاق في جامعة القديس اندروس St - Andrews . ووظيفة استاذ علم الهيئة ومفتش في ادنبرة سنة ١٨٣٤ ، فأنجه الى الترجمة والتأليف ثم انتقل الى لندن واستقر فيها حتى وفاته سنة ١٨٨١ .

حصلت كتبه على رواج كبير واصبح له جمهور كبير من القراء واخذ نجمه يشتر في اوساط المجتمع الانكليزي والاوربي والامريكي . وفتحت له شهرته بيوت الكثيرين من قادة الفكر والادب من امثال الفيلسوف الكلاسيكي للمذهب الفردي ونصير الحرية والاصلاح الاجتماعي جون ستوارت مل Mill (١٨٠٦-١٨٧٣) . وناشر مجلة ادنبرة اللورد جيفري F. Geoffrey وجون سترلنك Sterling (١٨٠٦-١٨٤٤) الذي تلمذ على يديه وقد عرض عليه والد سترلنك وظيفة في جريدة التامبس التي كان احد اعضاء مجلس ادارتها لكنه رفض العرض . كما تعرف على الكاتب واستاذ اللاهوت فودريك دينسون موريس Maurice (١٨٠٥-١٨٧٢) .

وهكذا اصبح كارليل قائداً للادب في انكلترا واخذ دخله يتزايد باستمرار وصارت الجامعات الكبيرة تتسابق لعرض المناصب عليه بعد ان اصبحت الوظيفة خارج نطاق تنكيره . فرفض اقتراحاً لان يكون استاذاً للتاريخ في جامعة ادنبرة سنة ١٨٤١ كما رفض اقتراحاً مشابهاً من جامعة القديس اندروس سنة ١٨٤٤ . لكنه غير رأيه بعد أن تقدم به العمر واصبح يلاقي صعوبة في الكتابة فوافق على تعيينه راقاً لجامعة ادنبرة سنة ١٨٦٦ ، لكن وفاة زوجته في تلك السنة جعلته يعيش كتيباً منعزلاً في السنوات التالية .

وفي سنة ١٨٧٠ عين نديراً لمكتبة لندن التي يعود له الفضل في ايجادها . وظل مديراً لها حتى وفاته . لكنه اصبح عاجزاً عن الكتابة بصورة كلية قبل وفاته بسبع سنوات .

لم تكن شهرة كارليل داخل انكلترا حسب بل كان له جمهور كبير من القراء في اوربا وامريكا . وحصل على تقديرات واوسمة كثيرة . ففي كانون اول ١٨٧٤ عرض عليه رئيس وزارة المحافظين دزرائيلي (١٨٧٤-١٨٨٠) بعبارات مشرقة «وسام الصليب العظيم» مع راتب تقاعدي لكن كارليل رفض العرضين . ثم تسلم «وسام الجدارة البروسي» تقديراً لخدماته كمؤرخ لحياة فردريك الكبير . وفي عيد ميلاده الثمانين

9. Smith, op. cit. p.1021-1022, Grierson, Carlyle and Hitter, p.13.

تسلم من رئيس للحكومة الالمانية بيسارك (١٨١٥-١٨٩٨) رسالة تحية ، كذلك وصلته مداليات وخطابات عدة من المعجبين . وعند وفاته في شباط ١٨٨١ عُرض ان يُدفن في مقبرة Westminster Abby لكن العرض رفض بناء على وصية منه فدفن في اكلفكان بجانب أبويه^(١٠) .

أعماله :-

١ - مقالاته وترجماته :-

انجه كارليل في اول الامر الى الادب الرومانتيكي الالمانى فترجم سنة ١٨٢٤ كتاب (Wilhelm Meister) لغوته ، وكتاب (Legendre, Sgeomtry) . ثم انجه لكتابة المقالة القصيرة ، وبدأ اتصاله باصحاب الصحف وخاصة تيلر صاحب مجلة London Magazine الذي نشر له مسلسل Portrait of Men Genius and Cheracter الاولى كانت ترجمة لحياة الاديب والفيلسوف الالمانى شيللر Schillr (١٧٥٩-١٨٠٥) . ونشر له بويد Boyd ترجمة «ويلهلم مايستر» في مجلة ادنبرة . وقد اعيد طبع حياة شيللر بشكل كتاب عدة طبعات .

كان لكتابات كارليل وترجماته صدى في المانيا فوصلته رسالة من كوتة ، استحسن فيها ترجمة «مايستر» . كما تسلم تشكراً حاراً منه سنة ١٨٢٧ لترجمة «حياة شيللر» مع هدايا من الكتب . وفي السنة نفسها نشر كتاب (German Romances) ^(١١) عن الادب الالمانى ، زاد في شهرته .

وبعد ان تعرف كارليل على اللورد جيفري تمكن من نشر عدد من المقالات في مجلته Edinburgh Review واحدة عن (J. P. Richter) واخرى بعنوان (Signs Of The Times) كانت اولى مقالاته عن الموضوعات الاجتماعية هاجم فيها الفلسفة النفعية Utilitarianism او المادية التي بشر بها الفيلسوف الانكليزي جيرمي بينشام^(١٢) Bentham (١٧٤٨-١٨٣٢) - والتي ترجع كل شي الى اصلين او باعثن من ألم

10. Smith, op. cit., p.1028-1033. The New Encyclopadia, p.923-924.

11. Carlyle, Selected Writings, p.10-11. Smith, op. cit., p.1022-1023. Trevelyan, Carlyle, p.23.

(١٠) اعطف بينشام بان علم الاخلاق وعلم النفس يحتمان على حقيقة جوهرية تنص على ان النبروز هو الفضل من الألم وهذا المبدأ يجب ان يكون شعار الحياة . والمنفعة هي تحقيق اكبر قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس وهذا الانسانية الصحيح هو الحصول على اكبر كمية من المنفعة . لذا يعتقد بينشام بان الدوافع الجيدة هي الدوافع التي تحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصالح الآخرين . وهدفه من هذه الفلسفة هو تطبيقها على امور الاقتصاد والادارة والقانون ، والمبدأ الرئيس الذي بين كفاءة القانون هو قياس كمية الألم بالنسبة الى السرور التي يجلبها هذا القانون .

موضوعها الرئيس هو ان الاشياء العقلية التي يعتقد بها الرجال من اعمقهم كانت قد سقطت وماتت وان عقلية جديدة يجب ان تولد لتلائم روح العصر. وتحدث المؤلف عن «تجسم الروح القدس للدين في اسطورة جديدة بصورة رداء جديد». نشر الكتاب بشكل مسلسل في مجلة فريزر سنة ١٨٣٣ وحاز على نجاح شعبي كبير ثم طبع بشكل كتاب طبعات متعددة^(١٧).

٣ - كتاب الثورة الفرنسية :-

حصل كارليل سنة ١٨٣٣ على كتب مفيدة من مكتبة Advocates فجمع مواداً عن سيرة حياة الدجال الصقلي - شلمخسغفغ (١٧٤٣-١٧٩٥) وعن Diamond Necklase التي فيها ضوءاً على الروايات المظلمة من العهد القديم في فرنسا. كذلك كانت كتاباته عن فولتير وميرابو (١٧٤٩-١٧٩١) اول معين له في التأريخ وكونت له مقدمة الى افضل ما كتبه وهو تأريخ الثورة الفرنسية^(١٨).

من ناحية اخرى كانت صداقة كارليل لجون ستوارت مل ومراسلاته معه عاملاً في تحويل نظاره نحو الثورة الفرنسية. انجز مسودة الجزء الاول من الكتاب سنة ١٨٣٥ واعارها الى مل لكنها تلفت. وسرعان ما استعاد نشاطه وبدأ يكتب من جديد فأنجز الكتاب سنة ١٨٣٧ وسلمه الى زوجته قائلاً «انه يستطيع ان يغير العالم انهم لم يملكوا كتاباً اكثر صراحة والتهاباً، خرج من قلب انسان حي منذ سنة ١٨٤٩»^(١٩).

كان الكتاب احد الاعمال التاريخية العظيمة. استطاع كارليل ان ينقل الخيال الى حقيقة الى القراء. وكان بالنسبة للمؤلف اكثر من تأريخ احداث لانه جسّد اخلاقه ومعتقداته. انه (كتاب وحشي) كتب الى سرناتك «لقد خرج دافئاً من روحي». لقد انطبعت مشاهدته في ذهن لقارئ بصورة لانمحي: اقتحام الباستيل، الهجوم على فرساي، الاحتفال بالاتحاد، هروب الملك، محاكمة الملك واعدامه، الجيرونديون، ميرابو، لافاييت، دانتون، المقارنة بين دانتون وروبسبير، نصويرة للرأي العام الفرنسي اثناء فترة الارهاب^(٢٠). كانت قوة كارليل وقدرته على وصف الاشخاص وتصويرهم تثير العجب، استطاع ان يرسم «صوراً حية»، ولاحظ البعض^(٢١) ان

ولده وانهم لاقت قبولاً من معاصريه - هجومياً شديداً. وكانت هذه المقالة استجابةً ضد المبادئ التي تكون المذعة المادية^(٢٢).

وفي السنوات التالية كتب مقالات عدة. نشرتها صحف ومجلات مختلفة. منها Macmillan Magazine, London and Westminster Review, New Monthly Magazine, Westminster Review, Quarterly Review, Foreign Review, Foreign Quarterly Review, Fraser, s Magazine, Edinburgh Review وغيرها. منها مقالات عن حياة هنريش «هاين» Heine (١٧٩٧-١٨٥٦) الاديب الالماني. وعن الشاعر الالمني «نوفالس» Novalis (١٧٧٢-١٨٠١) والشاعر الاسكتلندي روبرت برنز Burns (١٧٥٩-١٧٩٦) والكايب الايرلندي جيمس بوزويل Boswell (١٧٤٠-١٧٩٥) والموسوعي الفرنسي ديدرو Diderot (١٧١٣-١٧٨٤) وفولتير Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨) وقد جمعت هذه المقالات في كتاب صدرت منه اربعة اجزاء باسم «مقالات نقدية متنوعة»^(٢٣). ولا يزال عدد منها لم يجمع حتى الآن.

وفي ١٩٣٠ كتب كارليل اول مقالاته التاريخية «حول التأريخ» On History، أعلنها لتكون خلاصة لتأريخ لانمحي، أكد فيها على أهمية التواضع في تكوين المدينة^(٢٤). وفي السنة التالية كتب (Characteristics) وترجمة حياة الكايب الانكليزي صمويل جونسون Johnson (١٧٠٩-١٧٨٤) و Bulwer (١٨٠٣-١٨٧٣). وتأريخ الادب الالماني^(٢٥).

٢ - كتاب فلسفة الملايس :

Sartor Resartus.

قطع كارليل كتاباته عن الادب الالماني سنة ١٨٣١ وبدأ يعمل في كتاب فلسفة الملايس الذي انتقد فيه المجتمع الانكليزي نقداً لاذعاً، وحلل مظاهر الحياة المألوفة الى عناصرها الاولى وضمه خلاصة ارائه واصول معتقداته وزعم انه ينقله من كتاب ظهر حديثاً لفيلسوف الماني. والحقيقة ان الكتاب كان من وضع كارليل نفسه وترجمة لحياته^(٢٦). كان الكتاب فلسفة وهمية غامضة هي مزيج من المرارة والفكاهة

12. Carlyle, Selected Writings, p.29; Carlyle Critical and Miscellaneous Essays, London 2Vols.

13. Carlyle, Critical and Miscellaneous Essays, 2Vols., Selected Writings, p.10.

14. G.P.Gooch, History and Historians in the Nineteenth Century (London 1958), p.301.

15. Smith, op. cit. p.1026.

(١٩) كارليل، فلسفة الملايس، ترجمة طه السباعي (القاهرة ١٩٢٧)

17. The New Encyclopadia, p.923. Carlyle, Selected Writings, p.11.

18. Gooch, op. cit. p.301.

19. Emith, op. cit. p.1027-1028.

20. Carlyle, The French Revolution (London 1968) Vol.1, p.23-170, 189, 209-212, 264, 323-344., Vol.11, p.130-168, 248, 286.

21. Gooch, op. cit. p.303.

(١٧٩٦-١٨٩٥) فكان يرى ان الكتاب سواء اكان من حيث الشكل ام المضمون لا يعتد به .

ومع ذلك فقي دائتي عليه كثيرون فوصفه استاذ التأريخ الحديث في جامعة كمبرج C. Kingsley (١٨١٩-١٨٧٥) بأنه العمل الوحيد المختص بالبطولة في ايامه . اما انتقادات المدارس الاخرى من امثال جيفري والمؤرخ الانكليزي توماس ارنولد (١٧٩٢-١٨٤٢) وسترنك والروائي الانكليزي W. M. Thackeray (١٨١١-١٨٦٣) فقد ادركوا قدرة ونبوغ المؤلف . كما قرأ المؤرخ الانكليزي روبرت ساوثي (١٧٧٤-١٨٤٣) الكتاب ست مرات (٢٥) ، اعجاباً به .

يقع الكتاب في ثلاثة اجزاء الاول بعنوان (الباسنيل) يبدأ من وفاة لويس الخامس عشر ويلخص العوامل التي ادت الى اجتماع مجلس الطبقات في ايار ١٧٨٩ . والثاني «القانون الاساسي» شرح فيه المحاولات الفاشلة للمعتدلين لتأسيس حكومة دستورية . والثالث «المقصلة» ويتناول فيه سقوط المعتدلين وعهد الارهاب (٢٦) .

٤ - كتاب الجارتية : Chartism

في عام ١٨٣٩ نشر كتاباً آخر بعنوان «الجاتية» عالج فيه بعض المشكلات الاجتماعية والسياسية في بريطانيا . وكانت لائحة الاصلاح البرلماني لسنة ١٨٣٢ لم تحقق سور مصالح الطبقة البرجوازية وتركزت مصالح العمال مهضومة واحوالهم سيئة فنشأت بين العمال حركة اصلاحية دعت بالحركة الجارتية ١٨٣٨-١٨٤٨ غايتها حمل البرلمان على سن لائحة اخرى تضمن للعمال حقوقهم ومنها التصويت العام للذكور واجراء التصويت بصورة سريّة ، فتحمس العمال لهذه الحركة وقرروا الاجتماع سنة ١٨٣٩ في مؤتمر وطني وتقديم عريضة للبرلمان تتضمن مطالبهم لكن البرلمان رفض العريضة . وقد كتب كارليل كتابه هذا في الوقت الذي شهدت منه لندن حماساً كبيراً لمساندة الاهداف العامة للوثيقة وكانت عملاً شاقاً اظهر فيها كارليل احساسه العميق بحالة العمال ممزوجاً بكرهية شديدة للمبادئ النفعية والمادية التي اخذت تنفّس بينهم (٢٧) .

٥ - حول الابطال وعبادة البطل والبطولي في التأريخ

في سنة ١٨٤٠ نشر كارليل اشهر محاضراته عن الابطال وعالم البطولة وثم طبعها في السنة التالية في كتاب شرح فيه مذهب في فلسفة التأريخ ورأيه في تقدير عظماء الرجال ابطال الماضي في صيرة قديس

تصورات المؤرخين كانت «أشبه بدمية محشوة بالنخالة» ، بينما كانت صور كارليل حقيقية لو وخزتها لتزفت دماً» . ويبدو ذلك من وصفه لميراو بحيث اذا كانت لك معرفة سابقة بهذا الرجل كما يذكر المؤرخ الانكليزي H. Belloc في مقدمة للكتاب «وقرأت ماكتبه كارليل عنه بعد مدة طويلة يكون كأنما استدعي ميراو امامك كما عرفته من قبل وكأنما وضع روحاً في جسم الرجل مرة اخرى» .

ومع ذلك فقد واجه الكتاب انتقادات كثيرة اذ ان كارليل وقع في عدد من الهفوات نشأ بعضها من ظروف الوقت ، والبعض الاخر جاء نتيجة الى افتقاره لبعد النظر وقلة المعلومات . ولم يفصل اسباب الثورة . اما مصادره فكانت قليلة جداً اعتمد على الذاكرة وعلى المذكرات اكثر من اعتماده على المصادر الاولية والوثائق اذ ان دراسة الارشيفات لم تكن قد بدأت .

كانت مصادره الرئيسية هي Histoire Parlementaire, The Moniteur وروايات Lacretelle وكتابات المؤرخ الفرنسي Thiers (١٧٩٧-١٨٧٧) . وعدد قليل من المذكرات . ان اعتماد المؤلف على مثل هذا العدد القليل من المصادر اوقعه في عدد من الاخطاء . وقد انتهى كتابه فجأة بانفجار سنة ١٧٩٥ وتغاضى عن علاقة فرنسا باوروبا . ويمكن ايضاً ملاحظة آثار الضجر على المؤلف في نهاية الكتاب اذ جاء الجزء الاخير هزيباً لا يوضح كيف تطورت الثورة وكيف تداخلت مرحلة باخرى (٢٨) .

كذلك يؤخذ على كارليل عدم قدرته على تحديد طبيعة الثورة الفرنسية ، لقد صور الشعب الفرنسي كوحش تسوقه التعاسة والظلم وكان على استعداد للاضطراب واعتقد ان الثورة كانت مجرد تخريب (٢٩) .

اختلف المؤرخون في تقويم الكتاب فوصفه المؤرخ الفرنسي ميشليه Michelet (١٧٩٨-١٨٧٤) بأنه واحد من اكثر الكتب التي كتبت منذ عدة قرون وحشية «كتاب كتب من قبل رجل متوحش» وقال الشاعر الانكليزي Wordsworth (١٧٧٠-١٨٥٠) «لا يستطيع رجل اسكتلندي ان يكتب الانكليزية» . واعلن المؤرخ الانكليزي هالم H. Halam (١٧٧٧-١٨٥٠) انه لم يتمكن من قرائته بسبب اسلوبه المقفوت . اما المؤرخ الامريكي برسكوت W. H. Prescott

22. Carlyle, F.R., Vol.1, p.X. 32, 341.

23. Gooch, op. cit. p.303-304, Carlyle, F.R. Vol.1, p.X: Selected Writings, p.113.

24. H.E. Barnet, A History of Historical Writing (New York 1963) p.189-190.

25. Gooch, op. cit. p.304-305.

26. Carlyle, F.R. 3Vols.

27. Carlyle, Selected Writings, p.149; Smith, op-cit p.1029.

ثم شرع بجمع مادة الكتاب وأطلع على فهارس المتحف البريطاني والوثائق التي يضمها حول الموضوع. كما قام بزيارة الأماكن التي عاش فيها كرومويل وقاتل فيها ومشاهدتها عن كثب، وسار سنة ١٨٤٠ إلى ساحة المعركة في Naseby^(٣٠)، حيث استطاع جيش البرلمان بقيادة كرومويل إحراز النصر على الجيش الملكي في حزيران ١٦٤٥. لاخذ تصوير شامل عن تلك المعركة.

إن العمل الموضح في جمع الوثائق وآراءها ونحسها يتطلب جهوداً مقضية، وقد يشيرعية الأمل أحياناً، وبالنسبة إلى كارليل فقد تراكت المظلمات بحوله وبدأت اتعابه تظهر. في إحدى رسائله إلى الأديب والفيلسوف الأمريكي امرسون R. W. Emerson (١٨٨٢-١٨٠٣) كتب يقول «لا نسأل عن كرومويل... يريد أن يؤدي إلى الجنون» لقد كان ذلك باعثاً عن كتابة تأريخ منظم. فأحرق أكثر - جمعه من معلومات وما كتبه من مسودات وحشد عمله بجمع ونشره طلب، ورسائل كرومويل مع شروح وتعليقات. وقد انجز الكتاب سنة ١٨٨٥ وطبع بجزئين ونجح نجاحاً ادهش المشرين وادهش كارليل نفسه. وقد تمت إعادة طبعه عدة مرات في السنوات التالية^(٣١).

قال كارليل في مقدمة الكتاب «هذه الملاحظات الأصلية للرجل كرومويل جمعتها من قريب ومن بعيد، اصطدتها من الأرض المنسية حيث تكون مطمورة فيها. أردت أن تكون نقيية من الشوائب الغريبة. إن هذا الرجل يمثل روح الليبرتانية (طلاقة من البروتستانت الانكليز) والذي لولاه لما وجدت ثورة تذكر. ولم يكن كرومويل رجل نفاق لكنه رجل صدق» وكانت كلماته تحمل معان كثيرة^(٣٢).

كان الكتاب من اوله إلى آخره تمجيداً لليبرتانية الانكليزية في القرن السابع عشر، بين فيه المؤلف أن كرومويل كان (العين البصيرة) التي حققت النصر لليبرتات لأنه عرف الأمور وعرف ماهي نتائجها في الوقت الذي ضاع فيه الآخرون في ورطة النظرية الدستورية والكنسية^(٣٣). وكتب ناقد يصف مهارة كارليل بقوله «إن الكتاب ربما يشهد دهاء كرومويل نفسه»^(٣٤) ومع ذلك فقد وجهت إليه انتقادات كثيرة منها عدم فهم كارليل بطبيعة المسألة الدستورية التي اشغلت القرن السابع عشر من التأريخ الانكليزي ووقع في عدد من الأخطاء في معالجته لعهد

ونبي وشاعر وقس وكاتب وملك من امال مبعود قدماء السويد والنرويج «أودن» والرسول العربي محمد (ص) والشاعر الايطالي دانتي والشاعر الانكليزي شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦) ورجال الإصلاح الديني مارتن لوتر (١٤٨٣-١٥٤٦) وجون نوكس (١٥٠٥-١٥٧٢) والكاتب الانكليزي جونسون (١٧٠٩-١٧٨٤) وروسو (١٧١٢-١٧٧٨) وبيزنز (١٧٥٩-١٧٩٦) وكرومويل (١٥٩٩-١٦٥٨) ونابليون (١٧٦٩-١٨٢١)^(٣٥).

٦ - كتاب الماضي والحاضر Past and Present

قدم كارليل نكرة التأريخي في كتبه التالية في سنة ١٨٤٣ نشر كتاب الماضي والحاضر وهو الكتاب الرابع من كتبه العظيمة لخص فيه آراءه السياسية والتأريخية وضحت فيه قوة تصويره العاطفي في ترجمة حياة Abbott Samson المتنبسة من التأريخ الوسيط «تأريخ جوسيلان البريكلندي».

قدم لنا كارليل صورة واضحة عن انسان القرن الثاني عشر Abbot في مدفن ادموندز ورهبانه، كانت رؤيته واضحة رغم كراهيته الموروثة للكنيسة الكاثوليكية. استعرض حالة المجتمع الانكليزي في زمانه وقارله مع مجتمع الرهبان في العصور الوسطى بلغة بليغة. وفي الحقيقة فإن دقة وصفه لمجتمع القرن الثاني عشر تظهر المؤلف كأنما عاش في ذلك القرن. جاء الكتاب في اربعة اجزاء الاول «مقدمة» والثاني بعنوان «الراهب القديم» والثالث «العالم الجديد» والرابع «كشف الطوائف»^(٣٦).

٧ - خطب ورسائل اوليفر كرومويل :

كان الكتاب الخامس من اعماله التأريخية هو كتاب اوليفر كرومويل وكان كارليل قد قرأ المادة التأريخية لفترة الجمهورية Commonwealth (١٦٤٩-١٦٦٠)^(٣٧) منذ سنة ١٨٢٢ لغرض كتابة تأريخ انكلترا في تلك الفترة لكنه غير رأيه واتجه لدراسة كرومويل وعهد الميثاق في انكلترا واسكتلندا. وبعد ان توضحت لديه طبيعة كرومويل بصورة تدريجية بدأ يرله واحداً من اعظم الأشخاص الذين انجبتهم انكلترا.

(٣٨) كارليل، الأبطال، ترجمة محمد السباعي (القاهرة ١٩٣٠)

29. Carlyle, Past and Present (London 1960). p.1. 40, 81, 102; 141 245, Trevelyan, op. cit., p.8.

(٣٩) قام في عهد آل ستوارت ١٦٠٣-١٦٨٨ صراع بين انصار الملك الذي اراد ان يحكم وفقاً لنظرية الحق الإلهي وبين البرلمان وانصاره من الشعب الانكليزي. واندلعت الحرب الأهلية في عهد شارل الاول بين انصاره وانصار البرلمان ١٦٤٢-١٦٤٩ انتهت بانتصار جيوش البرلمان بقيادة كرومويل. فأعدم الملك واعلنت الجمهورية باسم «كومويلث».

30. Carlyle, Oliver Cromwell's Letters and Speeches (London 1926) Vol.1, p.V111, 1X, X.

31. Carlyle, Oliver Cromwell Vol.1, p.X. X1; Smith, op. cit. p.1029.

32. Carlyle, Oliver Cromwell Vol.1, p.X. X1; Smith, op. cit. p.1029.

32. Carlyle, Oliver Cromwell, p.10.

33. Grieson, Carlyle and Hitler, p.35-37.

34. J.M.Thompson, A History of Historical Writing (New York 1942) p.302.

١٠ - فردريك الثاني ملك بروسيا (فردريك الكبير) :

كان تاريخ فردريك الكبير (١٧٤٠-١٧٨٦) احد اعمال كارليل العظيمة شرع فيه سنة ١٨٥٢ حيث زار المانيا ليشاهد بعينه الاماكن التي وقعت فيها احداث ايام فردريك وحملاته العسكرية . وقد استمر العمل بصورة متواصلة ست سنوات انجز الجزئين الاولين سنة ١٨٥٦ وبعد ان زار المانيا مرة اخرى في تلك السنة ليثبت في ذهنه منظر القائد في سوح المعارك ، اصدر الاجزاء الاخرى تباعاً ، الثالث ١٨٦٣ والرابع ١٨٦٤ والخامس والسادس ١٨٦٥ . وقد طبع الكتاب عدة طبعات (٣٩) .

كان الكتاب قطعة من البحث التاريخي الجيد ، وترجم الى الالمانية حالاً ، وقوم في كل من انكلترا ومانيا ، واخذ طلاب الكلية العسكرية في المانيا يدرسون معارك فردريك في تاريخ كارليل دليلاً على دراسته الجيدة ودقة ملاحظته . قال مساعده في العمل H. Larken ان كارليل فكر في كتابة تقرير كامل عن اصلاحات فردريك والتي اعتبرها الدرس الاكثر اهمية ، ولكن الكتاب كان اطول مما يتوقع ، والسيدة كارليل اعلنت «ان الكتاب كان اعظم اعمال زوجها» اما امرسون فقد ذكر «انه اطرف كتاب كتب» (٤٠) .

وكان لهذا الكتاب اثر في دفع كارليل الى اظهار اعجابه بالمانيا بل وانحيازه الي جانبها سنة ١٨٧٠ وربط بين فردريك الكبير وعدالة قضية المانيا في حروبها مع فرنسا (حرب السبعين) فكتب مقالة بعنوان «دفاع عن قضية المانيا في الحرب مع فرنسا» قال فيها «ان المانيا يجب ان تكون زعيمة لاوريا» (٤١) .

Reminiscences

١١ - تذكريات

في سنة ١٨١٣ كتب كارليل «تذكريات» وهي «تذكريات» التي اشيدت بها وقتها «تذكريات» (١٨١٨-١٨٩٤) فيها نتج ان سيرة حياته كتبها رسم زفاعة ليوينه . و«تذكريات» الهامة والمشوشة حياً بتضع منها شعور كارليل نحو الناس الذين احبهم واعجب بهم في حياته المبكرة : أبيه وزوجته واصدقائه ، ارفنك . اللورد جيفري . وهي كما يقول فروود مجموعة مفككة كان قد تسلمها من استاذة مع توصية بوجوب نشرها ، تضمن الكتاب اربعة اقسام «سيرة حياة والده جيمس كارليل» و «ادوارد ارفنك» و «اللورد

الكومنولث . لقد شرع في دراسة الفترة قبل ان تيسر مصادرها المهمة وكانت وثائق الحكومة الاهلية ووثائق لجان الكومنولث واوراق وزارة الخارجية لم تنشر بعد وجاءت نصوص الخطب والرسائل رديئة في الغالب لعدم اعتماده على النسخ الاصلية المحفوظة في المتحف البريطاني (٣٥) .

٨ - كراسات الوقت الحاضر Latter Day Pamphlet :

في اواخر ١٨٤٩ نشر كارليل مقالة بعنوان «حديث عرضي عن مسألة الزنوج» Question Occasional Discourse On The Nigger اظهر فيها طابعاً من التمييز العنصري التي كانت تسود الغرب . وشهر بما دعاه «المواطن الانسانية» التي دمرت جزر الهند الغربية التي ادت - كما يزعم - الى «ان يفوض الزوج في البربرية» وقد سببت المثالية سخطاً عاماً ضده وصدمة للانسانيين الاحرار وادت الى قطيعة تامة بينه وبين بعض اصدقائه وخاصة من (٣٦) .

كانت هذه المقالة مقدمة لثاني مقالات نشرت بعنوان «كراسات الوقت الحاضر» اظهرت «اراءه المتوحشة وطبيعة حياته القاسية» . شن فيها حملة تهكية على السجناء والمشردين و «السود» و «مظاهر البذل في سبيل الانسانية دون تمييز» على الديمقراطية ، وحملات لاتلين ضد «السلطات التصفية» وعبر عن اعتقاده في «فضائل السوط» . كل ذلك كان تعبيراً واضحاً عن شعور كارليل بخيبة المجتمع .

وفي احدى هذه الكراسات «السجون المثالية» (Model Prisons) حاول اقناع الجمهور «ان المتوحشين والمشردين» كانوا يعيشون مدللين في السجون الجديدة للقرن التاسع عشر» . وقد ادت هذه الكراسات الى توسيع الفجوة بينه وبين جمهور قرائه وتراجع عدد من المعجبين بكتابات بل انقلب بعضهم ضده واعتبروه رجعيّاً وان ثورته ضد انحاء العصر كان ردده «مما يثير المراءى» (٣٧) .

٩ - حياة جون سترلنك (١٨٠٦-١٨٤٤) :

جمعت بين كارليل وبين تلميذه جون سترلنك صداقة دائمة وبعد وفاة الاخير نشر كارليل سيرة حياته سنة ١٨٥١ . وجاء الكتاب رصيناً وصف يانه من اعظم اعمال كارليل الادبية نجاحاً (٣٨) .

35. Carlyle, Oliver Cromwell, p.XV, X1X; Barnes, op. cit. p.189.

36. Smith, op. cit. p.1030; Carlyle, Selected Writings, p.283.

37. J.P.Seigel, Thomas Carlyle, The Critical Heritage, (London 1971), 18; The New Encyclopadia, p.924, Smith, op. cit. p.1030.

38. Carlyle, Selected Writings, p.313

39. Smith, op. cit. p.1032; Carlyle, Selected Writings, p.325.

40. Gooch, op. cit. p.308-309. Thompson, op. cit. p.303.

41. The New Encyclopadia, p.924.

جيفري» و «سيرة حياة جين ويلش» كتبت عند وفاتها سنة ١٨٦٦ وكانت مقدمة لجمع رسائلها التي نشرت سنة ١٨٨٣ بعنوان «رسائل ومذكرات جين ويلش كارليل»^(٤٢).

— ١٢ —

Shooting Niagara: and Alter? :

كتب كارليل هذه المقالة سنة ١٨٦٧ بمناسبة البحث عن لائحة الإصلاح الثانية لتوسيع حق الانتخابات وزيادة عدد المنتخبين في عهد وزارة المحافظين التي يرأسها دزرائيلي. بين فيها رأيه في السياسة المعاصرة «بصورة وحشية خاصة فيما يتعلق بالعمال»^(٤٣) ودافع عن حاكم جزيرة جامايكا E. J. Ayre الذي عزل بسبب استخدامه القسوة والبطش للقضاء على ثورة سكان الجزيرة سنة ١٨٦٥ ودعا كارليل الى انقاذ جزر الهند الغربية وشق من اسماهم «مشيري القلاقل»^(٤٤) اي «الزنج» سكان تلك الجزر.

١٣ - اعمال اخرى :

ولكارليل مقالات ومؤلفات اخرى منها «الملوك النرويجيون الاوائل» ومقالة عن «جون نوكس» سنة ١٨٧٥ و «مذكرات عن رحلتي الى ايرلندة» وحول «اختيار الكتاب» و «الكلمات الاخيرة لتوماس كارليل» بالاضافة الى مقالات اخرى نشرت في الصحف في حينها ولم تجمع لحد الآن.

آراء كارليل :

يمثل كارليل الصورة المعقدة للفكر والمجتمع في بريطانيا واوربا خلال القرن التاسع عشر. فن الناحية السياسية عاصر كارليل حروب نابليون وما جرت على اوربا من ويلات وما تلاها من مؤتمرات ومحالفات. كما شهد الثورات الديمقراطية الاوربية في منتصف ذلك القرن وما سببه اخفاق تلك الثورات من صدمة لأمامي الحرية الصاعدة وعودة الحكم الاستبدادي. كذلك عاصر الحركات القومية الاوربية التي توجت بوحدة ايطاليا سنة ١٨٧٠ ووحدة المانيا سنة ١٨٧١.

ومن الناحية الاقتصادية شهد كارليل انتشار الثورة الصناعية في اوربا ومارافقتها من تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وفكرية. ادت

42. Carlyle, Selected Writings, p.13, 345.

43. Smith, op. cit. p.1032; Gooch, op. cit. p.903.

44. D.J.Delaure, Arnold and Carlyle. (New York 1965) p.1-8.

45. Smith, op. cit. p.1034, The New Encyclopadia, p.924.

الى زيادة الثورة وتوسيع التجارة وظهور الطبقة البرجوازية وزيادة السكان وهجرة آلاف من الفلاحين الى المدن للعمل في المصانع الجديدة مما ادى الى سوء احوالهم وتفشي المبادئ المادية والنفعية بينهم. هذا اضافة الى التقدم الكبير الذي حصل في مختلف انواع العلوم والمعرفة. وقد ظهرت آثار هذه التحولات في كتابات كارليل وآرائه التي يغلب عليها البلية والتشويش احياناً والتناقض وعدم الرؤية فيما تحيط به من احداث.

١ - فكره التاريخي :

لم يجد كارليل الحرية الا في التأليف التاريخي وكتابة الرسائل في القضايا المعاصرة. وقد ظهر ميله للتاريخ منذ صباه اذ كان يقول :- «هناك شيء يسمى التاريخ ، واني انا ايضا لابد ان اودي يوءاً من الايام نصبي منه باللسان وباليد !»^(٤٥). والتاريخ في نظره «حق ودوافع لكنه يشمل ما هو مثالي ايضاً. وهو كالحاضر واقع حي يخلع عليه تقادم الزمن غرابة رومانسية».

لقد رفض الصورة المتداولة للتاريخ القومي الانكليزي والتي كتبها المؤرخون السابقون. اذ انه لم يكتب التاريخ الا بعد ان مارس كتابة القصة والشعر والترجمة والنقد الادبي ، وان ما زاوله من هذه الفنون علمه ما ينبغي ان يكون عليه البحث التاريخي «ان للتاريخ اهدافاً عدة يجب ان يتوافر على خدمتها فهو رسالة صادرة من السماء . . . واول شرط من الشروط الضرورية لكل الاهداف هو ان نرى الاشياء كما جرت وان نصورها كاملة كما لو كانت امام اعيننا»^(٤٦).

ومن هنا جاء تأكيد كارليل على اهمية التراجم او سيرة حياة الرجال في تدوين التاريخ. وكانت دقة ملاحظته المشوبة بالفكاهة حياً وبالاسلوب الشعري احياناً اخرى وتصويره الواضح للرجال وللأوضاع والاحداث تصويراً يثير الإعجاب ، يبعث فيها الحياة من جديد وان عصور العالم الخالية كانت حافلة بالواقع بالناس الاحياء. لا بالبروتوكولات والاوراق الرسمية. ومحاولات الناس وتجرباتهم ، لم تكن تجريدات ورسوماً واشكالاً ونظريات ، وانما كانت اناساً يرتدون الخلل والسرابيل ولهم لغة الناس الحقيقيين وسماهم وقواهم الحيوية»^(٤٨).

(٤٦) كارليل ، فلسفة اللباس ، ترجمة طه السباعي (القاهرة ١٩٣٠) ص ٧٩
47. Alexander Carlyle (ed.), Letters of Thomas Carlyle to J.S.Mill (London 1923) p.82-83.

(٤٨) اجوي نف ، المهدعون وروح السفر ، ترجمة توفيق اسكلندر (القاهرة ١٩٦٥) ص

ان المسائل الأكثر أهمية في التاريخ في نظر كارليل هي الرسالة التي يحويها . انه حلقة الاتصال التي تربط الماضي بالحاضر ولا بد من اختصاصه بحياة الرجال قبل كل شيء . يجب ان يخلص نفسه بحياة الأبطال ، لكنه لا يتعامل معهم برؤية منعزلة^(٤٩) . وهو يؤكد أيضاً العلاقة الجدلية بين ماضي الإنسانية وحاضرها وان كل القرون بعضها أبناء بعض مباشرة وغالباً ما نجد ان السمات المختلفة المميزة لاهداث الاجيال تكشف في صورة الاجداد الاول عن نفسها يتوضح كل منها الآخر . ان جوهر التاريخ لديه هو الحركة الدائمة والتجديد المستمر وان عملية الانشاء والافناء تجري سوية « وكل انواع المثل العليا لها حدودها المقدرة لها ولها حظها وفتراتها المعينة للشباب والنضج والكمال والانحلال والانحطاط والموت النهائي والزوال ولا يولد شيء الا ليموت ! »^(٥٠) . ان التاريخ في نظره هو « الذي يعالج العمل الجدير بالاعتبار وهو في الوقت الحاضر شأنه شأن العصور القديمة يدرج بين الفنون الراقية ، وبما لا يقف اعلى منه في وقتنا الحاضر »^(٥١)

لم يكن كارليل - شأنه شأن مؤرخي القرن التاسع عشر - يهتم بصورة عامة في فلسفة التاريخ . وان شهرته التاريخية جاءت من اعتناده «المذهب البطولي في التاريخ» والذي ينسب اليه احياناً ويسمى بالمذهب «البطولي الكارليلي» والذي يؤكد دور الفرد في التاريخ وتعظيم القيادة الفردية والرجل البارز والافراط في اجلاله افراطاً لاحد له فهو من اكثر دعاة التأويل البطولي للتاريخ غلواً .

وكانت هذه المسألة - دور الفرد البارز - تؤلف إحدى المشكلات النظرية في التحليل والتأويل التاريخي في القرن التاسع عشر . ان بعض المؤرخين يميلون الى اعتبار النشاط الذي يمارسه هؤلاء الرجال السبب الرئيسي بل الاوحد في مسرح الحركة التاريخية . بينما يجزم الآخرون بان ذلك المفهوم محدود المدى وان على علم التاريخ ان يراعي العوامل الأخرى او مجموع الحياة التاريخية .

ولم يكن كارليل هو الذي اوجد عبادة الأبطال بل سبقه في ذلك هيفل . وكان الرجل العظيم في نظر هيفل ليس نتاج الاحوال المادية او الاجتماعية والبيولوجية بل هو في المقام الاول تعبير عن «روح العالم» في زمنه . او انه «روح» حضارية . وكانت عبادة الهيغلة للأبطال باعتبارهم خدماً للروح الكلي^(٥٢) .

49. Carlyle, Selected Writings, p.23-25; Barnes, op. cit. p.189.
50. Carlyle, Past and Present, p.41, 80.
51. F.Stern, The Varieties of History from Voltaire to the present, p.92.

(٥٢) بليخانوف ، دور الفرد في التاريخ ، ترجمة احسان مركيس (دمشق ١٩٧٤) ص ٧٧ . بليخانوف ، تطور الوحدانية الى التاريخ ، ترجمة محمد مستنجد مصطفى (القاهرة ١٩٦٩) ص ٢٤٦

لقد استغل كارليل التاريخ لتوضيح فلسفته في عبادة الأبطال فهو في كل كتاباته يؤكد دور البطل وعدم امكان الاستغناء عن الزعامة وان التاريخ في نظره انما هو تاريخ عظماء الرجال «هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء فهم الأئمة وهم المكيفون وهم الاسوة والقذوة وهم المبدعون لكل ماوفق اليه اهل الدنيا وكل ما بلغه العالم . وكل ما تراه قائماً في هذا الوجود كاملاً متقناً فأعلم انه نتيجة افكار اولئك العظماء » . وان عبادة البطل «موجودة برغم كل شيء وفي كل آن وفي كل بقعة ولن تغنى حتى يغنى الانسان»^(٥٣) . ويرد على الذين ينكرون دور البطل وعلى القائلين بان ما يأتي به الأبطال ، انما تقرره النوايس التاريخية في الفترة التي ظهر فيها وانه مستمد من احوال العصر الذي ظهر فيه البطل او ان العصر هو الذي احدث ذلك البطل بقوله «وا اسفاه لقد طالما صاحت الاوقات تنادي ابن البطل ولا بطل ! ابن العظيم ولا عظيم . تصرخ الاوقات يا للفتى فيذهب نداؤها صيحة في واد وتنفضه في رماد ، وما ذاك الا لان البطل والفتى لم يكن وقت النداء موجوداً ، ولم يكن الله قد ارسله رحمة للعالم»^(٥٤) .

واذا استثنينا العامل الديني فان كارليل اسقط كل العوامل الأخرى في مسرح الحركة التاريخية واكد دور الأبطال فقط . وكان يعتقد جازماً بان هؤلاء الرجال هم «المتون الملهمة لذلك السفر المقدس الذي بدعوه بعضهم التاريخ . اما من عدا اولئك العظماء من غار الناس والدماء فهم لتلك المتون الملهمة حواش وتعليقات وما كنت لاجعل موضوع بحثي ودراستي الا المتون نفسها»^(٥٥) . لكننا نجد كارليل يناقض نفسه ويعود ليؤكد دور العوامل الأخرى في اشهر كتبه التاريخية وهو «تاريخ الثورة الفرنسية» حين تقرأ ما كتبه عن اسباب الثورة «ان الدافع الاول للثورة الفرنسية هو الجوع والعري والاضطهاد باسم العدل الجاثم على افئدة خمسة وعشرين مليوناً . هذا وحده هو الدافع وليس التفاهات المبرحة او الفلسفات المتناقضة للمحاميين الفلاسفة واصحاب الحوانيت الاغنياء ونبيلات الريف . هذا ما يحدث في كل الثورات الماثلة»^(٥٦)

اما من حيث المنهج واستخدام المصادر فان كارليل لم يكن يهتم كثيراً بالوثائق او المصادر الأولية . ولعل ذلك راجع الى عدم تيسر دراسة الارشيفات او امكان الاطلاع على الوثائق المتعلقة بالموضوعات التي تناولها وللصعوبات التي يواجهها في مثل تلك الدراسة . لقد وصف العمل الذي يقع على عاتق المؤرخ في البحث عن الوثائق ودراستها بانه

(٥٣) و (٥٤) كارليل ، الأبطال ، ص ١ ، ٢ ، ١٥ ، ١٦

(٥٥) مارليل ، فلسفة الملايس ، ص ١٤٥

(٥٦) ادوارد كار ، ماهو التاريخ ، ترجمة أحمد حمدي محمود (القاهرة-١٩٦٢) ص ٦٥

وعمل أشبه بعمل الخُل الحفَّار في الظلام تحت الأرض^(٥٧) . ويؤخذ عليه أيضاً أنه لم يكن دقيقاً في نقل الأحداث وتركيز اهتمامه في اختيار الالفاظ التي تشد القارئ مما يبعده عن الهدف الحقيقي كمتورخ . وهكذا فقد جاءت بعض افكاره عن الرجال الذين تناولهم مشوشة ويناقض نفسه في بعض الاحيان . لقد هاجم في احدى مقالاته (Historia Of The Revolution) عدم دقة تيرمر مع ان دقته كما يذكر الاستاذ كوج^(٥٨) لم تكن بعيدة عن اللوم .

ان كارليل لم يترك مدرسة تاريخية ، ولم تكن له فلسفة واضحة او منهج او رأي ثابت تجاه الاحداث . وكان تلميذه الوحيد الذي ابدى اهتماماً بالتأريخ هو جيمس انطوني فروود الذي دون تأريخ حياته ونشره عدة كتب بناء على وصية منه .

٢ - آراؤه الدينية

ورث كارليل العقيدة الكافية من عائلته لكنه لم يلتزم بتعاليمها ولا بأية تعاليم دينية اخرى . ان اساس عقيدته تدور دائماً حول فكرتين الاولى هي ان الاديان تقوم بصورة عامة على اساس الخوف من عظمة الله ، والثانية هي خلود الروح . وكان يظهر احتفاظه بالدين لكنه ينبذ شرائعه ويكره المسيحية المتعصبة والكنيسة الكاثوليكية^(٥٩) .

كان كثير الشك حول مصير الانسان وماهية الروح وقد نقض كفه كما فعل ابو العلاء المعري من قبل من الوصول الى حقيقتها ويبدو ذلك واضحاً في كتاب «فلسفة الملايس» فتقرأ له مثلاً «ماذا كنت وماذا نكون نحن؟ ألسنا ارواحاً او اطيافاً سريلت هياكل الابدان فأبرزت للعيان . وماهي الا طرفة العين حتى تتلاشي كالهباء وتدرج في ظلي الخفاء؟ . . . انا نشأ من العدم وتظهر في صورة البدن» . او هذا القول الاكثر وضوحاً «كذلك سنة الله في خلقه من البداية الى النهاية ، جيلاً بعد جيل يكتسي رداء الجسم ويخرج الى عالم الشهادة من ضمير الغيب حاملاً رسالة الله بين يديه . . . وماهي الا كرة الطرف حتى يدعى الرسول الى وطنه السهاوي فيسقط عنه الرداء الدنيوي . . . كذلك نطلع معشر البشر من ظلام الغيوب فتعبر الارض مسرعين ثم نغطس مرة اخرى في ظلام الغيوب . ولكن ناشدتك الله من اين والى اين؟ المشاعر لا تدرك والقلب لا يعرف انما تنقل من الغيب الى الغيب ومن الرب الى الرب ! ! !»^(٦٠)

(٥٧) امري ليف ، المردعون ، ص ١٥٨

59. The New Encyclopadia, p.303.

(٦٠) فلسفة الملايس ، ص ٢١٦-٢١٨

ورغم هذا الشك الواضح فانه لم ينكر اهمية الدين للمجتمع بل اعتبر الديانة الصحيحة اساس وجود المجتمع واستمراره «لئن كانت الحكومة للمجتمع بمثابة جلده الظاهر فان الديانة هي بمثابة النسيج العصبي الدخيل والجهاز الدموي الباطن يبعث الحياة في جميع الاعضاء ويبعث الدم جارية في كل الاجزاء»^(٦١) .

لقد كان رأي كارليل في الدين عملياً ، يشبه الى حد كبير رأي أبي العلاء المعري . فهو يفضل العمل الصالح والاعتقاد الصحيح على المبادئ الشكلية . ويجب من البشر ان يكونوا مؤمنين مثل هذا الايمان الفلسفي ويتساهل في امر اعتناق دين بعينه وان اهم ما في الرجل دينه ولست اذهب بلفظة الدين الى النحلة التي يتخذها الفرد والمذهب الذي يتسبب اليه . ولكن ذلك الشيء الذي يعتقد حق الاعتقاد ويوقن به كل اليقين فيما يتعلق بالروابط الجوهرية التي تربطه بهذا الكون وفيما يتعلق بواجبه في هذا الدار ووظيفته ذلك هو دينه»^(٦٢) .

وهكذا فأننا لانجد في كل ما كتبه كارليل انه قد تعصب لدين معين او ينكر ديناً معيناً بل انه هاجم حتى من يقول «ان الوثنية باطل وغش» ودعا الى دفع «هذا الحكم الجائر» - كما وصفه - عن الادميين وعن اعمالهم وتأريخهم . «واني لادفعه الان عن الوثنية وعن كل ديانة حاول ان يسير بها الانسان دهرأ ما في هذه الحياة فلم يك دين قط الا وفيه عنصر من الحق . . . بل لأرى الحق حتى في وثنية اهل التبت»^(٦٣) .

لقد اظهر كارليل اعجابه بالاسلام وهاجم من يطعن فيه من الاوربيين هجوماً شديداً ولقد اصبح من اكبر العار على اي فرد متحدين من ابناء هذا العصر ان يصغي الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب وان محمداً خداع مزور . ان لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس امثالنا . . . فوا اسفاه ما اسوأ هذا الزعم . انه نتائج جيل كفر وعصر جحود والحادة وان ما اودع الدين الاسلامي من قواعد كان برأيه هي الشيء الوحيد الذي للانسان ان يؤمن بها»^(٦٤) .

وكان ايمان كارليل ايضاً وراء الحملة التي شنها ضد المادية والفلسفة النفعية لانها تنكر وجود الله وتزعم ان الكون ماهو الا مادة جامدة تتحرك بدوافع غريزية فيه»^(٦٥) .

(٦١) المصدر نفسه ص ١٧٧-١٧٨

(٦٢) كارليل ، الابطال ، ص ٢-٣

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ٥ ، ٥٤ ، ٨٣

(٦٤-٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ، ١٧٢ ، ٢٢٩

اما البروتستانتية فكانت - رغم ما أحدثت من ديمقراطية موضوعية كما يقول - منشأ ملوكية حرة صادقة منشأ نظام وقهي ثورة ضد اشرار الملوك واكاذيبهم والخطوة الاولى لاقامة احرار الملوك. ووصف حضور لوثر مؤتمرو رمز الذي عقده البابا سنة ١٥٢١ بأنه اجل مشهد في تاريخ اوربا والمنبع الذي قاض منه تاريخ المدينة الحديثة. بل ان تلك الساعة كانت اخطر ساعة في التاريخ الحديث وعليها قامت دعائم الدستور الانكليزي وبرلماناته والحرية الامريكية واستقلالها والثورة الفرنسية وناتها في انحاء الارض^(٦٦).

٣ - اراؤه السياسية :-

اذا كان كارليل قد ادرك سعة الدور الذي يلعبه العامل الديني في الصراع ، فإن تفسيره للسياسة كان بعيداً عن الاقتاع . لقد فشل في تقدير قوة المطالبة بالاستقلال السياسي كما انه لم يهتم كثيراً بالمؤسسات النيابية^(٦٧) وعلى العموم فإن افكاره السياسية غير واضحة اذ انه لم يكن يلتزم بسياسة حزب من الاحزاب ويرى المؤرخ ترفليان^(٦٨) انه لم يكن يعرف كثيراً عن سياسات الاحزاب المعاصرة ، ولم يبد اهتماماً بهذه السياسات . لكنه كان يمتلك رؤيا واضحة اكثر من غيره في سيكولوجية الطبقة الدنيا من المجتمع .

ويبدو التناقض واضحاً على مواقفه الساسية ويبدو من بعض ما كتبه انه كان يميل الى فلسفة الراديكاليين بل انه اقام علاقات وطيدة مع قادتهم من امثال جون سترلنك . وجون ستوارت مل . وفي الوقت نفسه اعلن نفسه نصيراً للحق المطلق . وقد تغلب ميله للحق المطلق على راديكاليته بعد ان اجتاز مرحلة الشباب . وعارض بقوة الراديكاليين من حزب الويلك (الاحرار فيما بعد) وعلن ان الطرق التي اتبعها هذا الحزب فيما يتعلق بالعمل كانت بسيطة وهاجم اللائحة الانتخابية لسنة ١٨٦٧^(٦٩) التي اعطت عمال النقابات حق الانتخاب .

اما فلسفته في الحكم فقد كانت اكثر وضوحاً ، اذ تميز بكرهه الشديدة للبرلمان وللنظام الديمقراطي بصورة عامة . ورغم تعاطفه مع حركة المطالبة بالاصلاح لكنه اعتبر لائحة الاصلاح لسنة ١٨٣٢ فاشلة وان البرلمان كان سبباً من اسباب ضعف الحكومة وليس قوة لها ، عائقاً لها عن العمل وليس أداة لها . وبلغ من ازدرائه للحياة البرلمانية ان اخبر احد اصدقائه بصورة جادة «انه يرغب في إغلاق باب البرلمان ويُلقي اعضاءه الى الخارج»^(٧٠) . وكان الثوري الذي قدمه لهذه الكراهية

الشديدة للديمقراطية «انها تستبدل الملوك باوعية اوراق الانتخابات واصوات الانتخاب وتقضي على طاعة الانسان للانسان في الدينويات والدينيات» ولان المثل الاعلى للديمقراطية برأيه هو «الغاء التنظيمات القديمة للاشياء وتترك فراغاً في التشريعات والانظمة الجديدة ، في العلاقات بين المعلمين واساتذتهم ، الرعايا المخلصين وملكيهم القائد . هذه العلاقات تحت شكل واحد او آخر هي «العنصر الحيوي للمجتمع البشري ، شيء لا بد منه وبدونه مثل الجسم الذي يفقد الروح فإنه يموت»^(٧١).

ان معارضة كارليل للديمقراطية لم تكن محصورة داخل بريطانيا حسب بل وفي امريكا واوروبا . فهاجم موقف «الانسانيين احرار» من مشكلة سكان جزر الهند الغربية (الزنج) الذين وصفهم «بالمجرمين» لانهم ثاروا مطالبين بالاستقلال . وزعم ان العواطف الانسانية هي التي دمرت هذه الجزر وجعلت سكانها «يتمرعون في البربرية»^(٧٢).

وهاجم الثورة الفرنسية ايضاً وصور الشعب الفرنسي كوحش تسوقه التعاسة والظلم وانه مجبول - على حد قوله - منذ البداية على الفوضى والاضطراب وكانت الثورة في نظره مجرد تخريب ، انها مصاب كبير من الفتن والمحن جلبت شر الفضائح واشنع البلاء «انها حق ولكنه حق ملتفع في شواطئ الجحيم ولظى جهنم» ويرى ان هذه الثورة «هدمت جميع التقاليد والانظمة والعقائد والملل والنحل» وهاجم الامة الفرنسية ومفكرها بحاسة فولتير الذي وصف حياته بانها «نقيض حياة المسيح وكان شيطاناً مريداً»^(٧٣).

لقد وضع كره كارليل للديمقراطية واثماته بالحكم المطلق في تصوره «للكبتاتور الصالح» . كان يعتمد ان الرجل العظيم المطلق هو وحده القادر على انقاذ العالم . وان المجتمع يمكن ان يحكم بامان في حالة واحدة هي اعطاء الحكومة الى حكم من هؤلاء الذين دعاهم «العيون المبصرة» وان النظام يمكن ان يسود عندما يحكم العامل وينحضع الجاهل^(٧٤) . ان خلاصة اعمال المجتمع للانسان كما يقول هو «الاهتداء الى اعقل رجال بلدك وفضلهم واحزمهم ثم تقليده الحكومة والسلطة واعطاؤه الخضوع والطاعة حتى يستطيع بذلك ان يهدي الناس حسباً يلهمه عقله . . . وانما الى ذلك قصدت البرلمانات وخطبها ولوائح الاصلاح والقرارات . اهتد الى اعقل رجال بلدك واكفئهم وارفعه الى المكان الاعلى ويجله واكبره تحمزه لبلدك خير حكومة»^(٧٥).

71. Carlyle, Selected Writings, p.20.

72. Grierson, Carlyle and Hitler, p.11. 18.

(٧٣) الابطال ص ١٨ ، ٥٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦

74. Grierson, op. cit. p.27; Thompson, op. cit. p.300.

(٧٥) كارليل ، الابطال ص ٢٦٦-٢٦٧

67. Gooch, op. cit. p.306.

68. G.M.Trevelyan, British History in The Nineteenth Century and After 1782-1919.

69. Smith, op. cit. p.1027, Thompson, op. cit. p.305.

70. Carlyle, Past and Present, p.9-10.

كهربائيتين مشتملتين على بطاريات متضادة احدها ذات بطاريات سالبة وهي طبقة الفقراء تجذب اليها كل مافي الامة من كهربائية سلبية (الجوع) والثانية وهي طبقة المتأنفين ذات بطاريات موجبة تجذب اليها كل مافي الامة من كهربائية ايجابية (المال) كل منها مشحون بمفرده في بطاريته الخاصة ، ويكفي ان يحرك طفل اصبعه حتى تقع الواقعة (٨٢) . لم يستمر كارليل في تعاطفه مع اصحاب الاعمال الشاقة فبعد بلوغه سن الاربعين وبعد ان اجهده القشل المتكرر وذاق كرب الفقر والمرض اخذ يتحول عن موقفه حتى اصبحت بينه وبين الفقراء هوة سحيقة خاصة بعد ان اخذت المبادئ المادية والنفعية تنفشي بينهم وتعمل على انحلال المجتمع الانكليزي وتفكك اوصاله وتدمر انظمته وتهدم مؤسساته . وقد التى اللوم في ذلك على عاتق الاحرار والاقتصاديين والنفعيين «اني لانظر الى طوائف الاحرار والاقتصاديين والنفعيين يحملون نعش المجتمع ميممين كومة الحطب حيث يوقد على الجنة الموقرة . . . ألا ترى الى جمهور العمال والصناع تلك الطوائف المنتشرة في كل مكان كيف تنفشي بينهم هذه المبادئ المادية والمذاهب النفعية كانها نوع من الكلب ذريع لايزال تنتشر عدواه وتم يلواه» (٨٣) .

هاجم الفيلسوف المادية بعنف وهاجم مازعمة الماديون من ان الكون ماهو الا آلة جامدة «لست ارى سقطة اشنع من ان يتجرد رأي الانسان في هذه الخليفة من كل معنى آلمي . فالمادية تحمل اهلها على عبادة شيطان حديدي ميت ! عجباً لها اذا جردت الكون من الهة تبا لها لقد جردت الوجود الرائع من كل ايات الشرف والجلال والروعة والقدس . . . وبالاختصار هي الكفرة» (٨٤) ويضيف قائلاً «لعل اقرب مافي الانسان من وجود الشئ - الى اليوم تلك الفكرة التي تمثله اليوم ، فكرة المادية وارجاع كل شئ الى اصلين او باعثن من الم ولذة» (٨٥) .

وفي كل كتاباته يبدي كارليل اهتماماً بالافراد اكثر من اهتمامه بالمجتمع بل انه لم يكن يسلم بوجود حياة اجتماعية او اهداف جماعية . ان اساس فلسفته الاجتماعية تقوم على فكرة ان الرجال لايمكن ان ينظموا انفسهم وانهم بحاجة دائمة الى الرجال الاقوياء لقيادتهم . ان اساس المجتمع في نظره هو عبادة الابطال ، وانه لايمكن الاستغناء عن الزعامة في كل حياة اجتماعية وفي كل شكل من اشكال التنظيم الاجتماعي .

وهاجم المفكر الفرنسي روسو وكتابه «العقد الاجتماعي» ووصف كتاباته بانها «مريضة كعقله» يغلب عليها «الحيوانية والمادية» وان آراءه

ان الحرية الحقيقية في نظره هي ان يجد الرجل او يجبر على ايجاد الطريق الصحيح ليسير عليه . «هي ان يتمكن رجل حكيم نظور نحاسي او بأية طريقة اخرى ان يمسكه عندما يخطئ وتلزمه بالعمل الصحيح» (٧٦) . وبناء على ذلك فان مبدأ الحرية والمساواة التي بشرت بها الثورة الفرنسية لاتعني في نظره سوى «الاستغناء عن القادة الابطال والاستعاضة عنهم بالجواهر العديدة المتساوية في ضئولة القدر وخسة القيمة» (٧٧) . فوقف ضدها وعارضها اشد معارضة .

ولابد من القول بان رفض كارليل للديمقراطية والحرية كان قد استوى الاراء الفاشستية في اوربا في عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن في كل من المانيا وايطاليا ، بل انهم اعتبروا كارليل (نبياً) بشرمبادتهم . حتى ان هتلر نفسه كان يحمل معه كتاب كارليل «فردريك الكبير» . ويبدو ان اعجاب هتلر بمادة الكتاب كان اكثر من اعجابه بالمؤلف (٧٨) .

٤ - اراؤه الاجتماعية :-

ان حياة الفقر التي عاها كارليل جعلته يأتلف حياة الفقراء والصناع الاجراء ويتعاطف معها في بداية الثورة الصناعية . وكان موضوع الصناعة والفقر موضوع كتبه المهمة بخاصة كتاب «الماضي والحاضر» و «الحجارية» و «كراسات الوقت الحاضر» و «عصر الماكينة» وغيرها . وطلب البرلمان بالتدخل ومعالجة الحالة السيئة التي يعاني منها العمال (٧٩) . وقدم لنا وصفاً دقيقاً للمجتمع الانكليزي في بداية الثورة الصناعية ومحاولات العمال التخلص من التسلط والاستغلال «فقراء كالأنعام المهملات يهلكون جوعاً وهزالاً وتعباً ، واغنياء اسوأ حالاً واشد بؤساً يهلكون كسلًا وكظة وبشماً» (٨٠) . وشبه الطبقة العليا (النبلاء) والتي ليس لها واجبات تقوم بها بالشجرة المزروعة على هوة حيث تكون جميع التربة مفتحة عند الجذور ، ويتساءل «هل يوجد رجل يتظاهر بالعيش مترقاً في بيته محجوباً عن اي عمل وجميع اشغاله تقضي من قبل الآخرين ؟ هل يمكن ان يسمى هذا الرجل نبيلاً» (٨١) . ووصف في «فلسفة الملايس» مسكن الفقير (الاجير) ومسكن النبيل (المثلق) وقسم المجتمع الى طبقتين : الاجراء والمتأنفين . ولاحظ ان طبقة الاجراء آخذة في الازدياد عدداً وقوة لكنها متفرقة احزاباً . وان طبقة المتأنفين كانت قوية متحدة تعتمد على مواردها الوراثية العظيمة ، وشبه الفريقين بآلتين

(٧٧) كارليل ، الابطال ، ص ٢٧٧

76. Carlyle, Past and Present, p.218-219.

78. Carlyle, Selected Writings, p.22; Grierson, op. cit. p.11-18.

79. Trevelyan, Carlyle, p.161-162.

(٨٠) فلسفة الملايس ، ص ١٩٠

81. Carlyle, Past and Present, p.185.

(٨٢) فلسفة الملايس ، ص ٢٣٠-٢٣٣

(٨٣) فلسفة الملايس ص ١٩١

(٨٤) كارليل ، الابطال ، ص ٢٣٠-٢٣١

(٨٥) فلسفة الملايس ص ١٨٢

شبية بالجنون «لتمضي له عيش التوحشين على عيش المتمدنين»^(٨٦) .
ولمحتماً لابد من القول انه رغم ايمان كارليل الشديد بدور الافراد
وعلم تسليمه بحياة اجتماعية لكنه اظهر في كتاب الثورة الفرنسية ما يدل
على حروجه عن ذلك وان المجتمع كان لا يغيث عن بابه في بعض
الاحداث التي اعطاها طابعاً شعبياً والاهتمام بحياة العامة من باعة وكسبة
وهو يرى ان وسط اكبر الحوادث واعنفها تسير حياة معظم الناس سيرها
الريب «اعدم لويس السادس عشر بالمقصلة ، لقد تم ذلك في مدى
نصف ساعة او نحو ذلك وتفرقت الجموع ، اما باعة الحلوى والقهوة
والالبان فانهم ظلوا يطلقون نداءاتهم اليومية التافهة كما لو كان هذا اليوم
يوماً عادياً»^(٨٧) . وفي ذروة الارهاب ازدهرت في باريس على ما يذكر
ثلاث وعشرون داراً للتمثيل وما يقرب من ستين قاعة للرقص^(٨٨) .



(٨٦) كارليل ، الابطال ، ص ٢٤٩-٢٥١

87. Carlyle, F.R, Vol.11, p.66.

(٨٨) اميري نف ، المورخون ص ٢٥٨

النُظُمَاتُ المَالِيَّةُ فِي البَصْرَةِ خِلَالِ النِصْفِ الثَّانِي

مِنْ

القرنُ السَّادِسُ عَشَرَ
علي شاكِر علي
كلية الاداب/قسم التاريخ
جامعة الموصل

المقدمة

يتناول هذا البحث التنظيمات المالية في اىالة (ولاية) البصرة خلال القرن الاول من الحكم العثماني في العراق ، وهو من وجهة نظرنا لوحة جديدة ضرورية لاستكمال ابعاد الصورة التي حاولنا رسمها في بحث سابق تناول التنظيمات الادارية العثمانية في هذه المنطقة وتوكيدا للمبررات التي تتعلق باهمية دراسة هذه الحقبة من تاريخ العراق الحديث فان التنظيمات المالية تعبر عن الناحية الواقعية عن نفوذ الادارة وقدرتها على تجسيد واقع الدولة العثمانية في الاقاليم التابعة لها ، اما عن الناحية التاريخية وقدر تعلق الامر بمنطقة البصرة ، فان تطبيق النظم المالية بعد المرحلة التالية للتواجد السياسي العثماني فيها .

خلال تلك الحقبة التاريخية يؤدون للدولة العثمانية مهمة جمع نصف ايرادات الامبراطورية جميعاً⁽¹⁾ . ولما لم تكن مهمة الاقطاعيين تقتصر على استيفاء ايرادات الاراضي ، وانما تعدت ذلك الى الرسوم والضرائب الاخرى ، وهي الرسوم المفروضة على الصناعات والتجارة والحيوانات والجوارك ، يتجلى حينئذ الدور الذي لعبه هؤلاء في بناء مالية الدولة العثمانية . ومن ناحية اخرى يظهر لنا ان الدولة العثمانية نجحت في انشاء جهاز مالي يضم عشرات الالاف من الحياة بصورة الية . ومع افتراض عناصر القوة في الدولة العثمانية ، فان هذا الجهاز الكبير

١ . اسس التنظيمات المالية العثمانية :-

استقر التنظيم الاداري والعماني في اىالة البصرة ، خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ، وظهرت منذ ذلك الحين ضرورة ربط الاىالة ، شأنها في ذلك شأن الاىالات البعيدة بهيكل التنظيم المالي العثماني ، الذي كان يعتمد اعتمادا رئيسا على الادارة المحلية الذاتية في مجالي الايرادات والنفقات ، مع الاحتفاظ بالارتباط الرمزي او الشكلي بمركز الدولة العثمانية ، الذي يتجسد بارسال كمية مناسبة من الاموال الى استانبول سنويا وبشكل دائم .

وعموما فقد كانت الدولة العثمانية تعتمد خلال القرن السادس عشر على ايرادات الاقطاعات ، ويذكر المؤرخ التركي عمر لطفي بركان ، ان ٣٨٠٠٠ من اقطاعيي البلاد و اصحاب الخصاص والزعامة والتجار ، كانوا

(1) Omer lutfi' Barkan' Research in the Ottoman Fiscal Surveys in Studies in the Economic of the Middle East . Edited . M. A. Cook . London 1970 .

كان أيضا يعمل بطريقة الرقابة الذاتية ، بدليل أن الدولة العثمانية لم تعان من ازمات مالية خلال القرون الاولى التي صاحبت ازدهار النظام الاقطاعي العثماني غير ان التطورات اللاحقة التي رافقت توسع الدولة العثمانية ، وبقدرة ما ترتب عليه من عوامل ضعف تدريجي ، انعكست دون شك على شؤون الادارة وعلى الاوضاع الاقتصادية والمالية حيث مالت الدولة منذ ذلك الحين الى استخدام اساليب جديدة تضمن لها ايرادات مناسبة من الاموال تستطيع ان تغطي بها التزاماتها المالية تجاه حملاتها العسكرية المستمرة واعباء مئآت الاف من قوات الانكشارية .

ان عدم استطاعة الاقطاعيين تلبية حاجات الدولة في الميدان العسكري بسبب انتشارهم اولا والصعوبات الناجمة عن اعدادهم وتجهيزهم وتسييرهم نحو جبهات القتال ثانياً ، جعل الدولة تميل الى الاستغناء تدريجياً عن خدماتهم والتركيز على الجيش الانكشاري وقد دفع ذلك الدولة العثمانية للتفكير بالتخلص من التزاماتها السابقة التي منحها للاقطاعيين وخاصة مهمة قيامهم بجمع ايرادات الدولة . فقامت الدولة في الاقاليم ضعيفة فان الاموال المجدبة ستكون قليلة واسباب التحايل والتهرب من الدفع قائمة ومن هنا ظهرت الحاجة الى نظام الالتزام الذي حل تدريجياً محل النظام الاقطاعي^(٢) . وتبدو هذه الصورة اكثر وضوحاً في الولايات البعيدة عن مركز الدولة العثمانية التي تميزت اضافة لبعدها ، ببيئتها الاجتماعية الخاصة . وحيث ان الدولة ادركت في وقت مبكر ان ظروف هذه الاقاليم لا تسمح بتقسيمها على اساس اقطاعي ، فانها لم تجد من يتولى جباية الايرادات بالصورة والكيفية القائمة في الحاء الاناضول . ومن هنا خرجت فكرة السليانة التي اربطت بشخص الوالي مع منحه حرية التصرف لاتباع الاسلوب الذي يضمن جباية الايرادات من اجل ارسال السليانة والاتفاق على متطلبات الادارة في الايالة^(٣) . ان السليانة وفقاً لهذا الاعتبار تقترب من اسلوب الالتزام الذي اعتمدته الدولة العثمانية في وقت لاحق .

ومهما يكن من امر فان فلسفة العثمانيين المالية اعتمدت على الاسس الشرعية التي تقرها الشريعة الاسلامية ، التي تعد من الناحيتين العلمية والتاريخية امتداداً للنظم التي كانت مطبقة في الدول الاسلامية لما دام السلطان هو حامي الشريعة ، لاجل ذلك اقرت الدولة الضرائب الشرعية والتي تعتبر كافة القاعمين عليها متمسكين نظرياً باهداب الدين .

(٢) للوقوف على تفاصيل ذلك انظر :-

فيلقون جب - هارولد برون - المجتمع الاسلامي والغرب ترجمة د . احمد عبد الرزاق مصطفى . دار المعارف - مصر . ١٩٧١ ج ٢ ص ٨٠ - ٨٢ .

(٣) فيلقون جب - هارولد برون - المجتمع الاسلامي والغرب ج ١ - ص ٢٠٩ .

ومن هذا المنطلق ايضا كانت صيغة التمييز النسبية التي اختص بها الرعايا المسلمون على الرعايا غير المسلمين ، فأقر العثمانيون تكاليف ضريبية اضافية على الرعايا غير المسلمين بالنظر لاعفائهم من الواجبات العسكرية التي كان يؤديها المسلمون . وجدير بالذكر ان التنظيمات المالية العثمانية ظلت تتطور تبعاً للظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية ولم يتأت لهذه التنظيمات ان ترسي على اسس ثابتة الا في عهد السلطان سليمان (١٥٢٠ - ١٥٦٦) حين وضع قوانينه المعروفة باسم وقانونامه سليمان التي عرف لاحقاً باسم سليمان القانوني ، وقد استندت اليها كافة قوانين الولايات التابعة للدولة العثمانية^(٤) .

٢ - تطبيق التنظيمات المالية في ايةالة البصرة :-

كان الغزو العثماني للبصرة وتعزيز النفوذ العثماني عليها بعد حملة اياس باشا سنة ١٥٤٦م^(٥) ايذاناً بالغاء الضرائب والرسوم وكافة التنظيمات المالية التي كانت الدولة الصفوية قد فرضتها في (ولاية البصرة سابقاً) . وقد اشارت بعض المصادر الى الضرائب والرسوم الملغاة ومنها ضريبة الامر وضريبة رسوم البيوت^(٦) ، وكانت الاولى يجمعها الحكام الصفويون باسم الشاه الصفوي لتغطية جهود الصفويين في نشر افكارهم والثانية من الضرائب التي عرفت في العهد الايلخاني المغولي ، وقد فرضت على اصحاب البيوت والمباني والعقارات بصورة عامة^(٧) ، خلافاً للشرع الاسلامي . غير ان الصفويين استمروا على استيفائها ، وكانت اوامر السلطان سليمان القانوني صريحة باقرار الضرائب الشرعية فقط . والتي تشمل الاعشار والنسب المتعارف عليها من الضرائب والرسوم على التجارة والصناعة والمحاصيل الزراعية^(٨) . كما سنفصل

(٤) انظر دراسة عامة عن قانونامه سليمان والتشريعات الصادرة على عبثه وخاصة بالولايات العربية :-

Omer L. Barkan 'Xvi ve Xvi İnci Asirtarda Osmanlı İmparatorluğunda Zıral Eknonminini Hukuki ve Mali Esasları. ol - I. Kanunlar İstanbul. 1945-5-174.

والظروما تذكره ليلي الصباغ حول تطبيق القانون المذكور في سورية . المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني . دمشق . ١٩٧٣ ص ٣٠ - ٣٩ .

(٥) صالح (اوزبران) . الاتواك العثمانيون والبرغاليون في الخليج العربي ١٥٣٣ - ١٥٨١ ترجمة د . عبد الجبار ناجي . مطبعة الارشاد بغداد . ١٩٧٩ ص ٣٢ .

(٦) ابن الفلاس . ولاية البصرة ومستلزمها . مطبعة دار البصري بغداد ١٩٦٢ ص ٥٦ . الشيخ محمد بن خليفة بن حمد بن موسى . النحلة النهائية في تاريخ الجزيرة العربية (البصرة) من منشورات مركز دراسات الخليج العربي سلسلة ٣٧ البصرة - (لا ، ت) ص ٢٩٩

(٧) Cagatutay Osmanlı İmparator Luğun arazi ve erqi . İstanbul . 1950 . P. 498

(٨) الفت الدولة العثمانية جميع الضرائب والرسوم التي فرضت في عهد الصفويين واعتبرتها من اليدع التي حدثت في عهد قزلباش (الصفويين) انظر : اقدم وليقة عثمانية مؤرخة في ١٤ شباط ١٥٣٧ / ٤ رمضان ٩٤٣ هـ تعريب وتعليق ونحشية عطا تریز باشي . مجلة المورد ، المجلد الثامن العدد الرابع ، سنة ١٩٧٠ ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

ذلك في الصفحات التالية من البحث .

اشرنا سابقا الى ان الدولة العثمانية اعتبرت البصرة من ايلات الساليانة التي ترتبط بشخص الوالي ، ولجل ذلك فهي تعرف احيانا باسم «مقطوعة مربوط» كما تعرف في احيان اخرى باسم «ميرلي» اي انها تابعة للخزانة الاميرية «خزانة الدولة» والتنظيم المتبع في ايالة السليانة هو ان يقوم الوالي بجمع ايرادات الايالة المقررة شرعا ومن ثم يستقطع مصاريف الوالي والسنجد بكية وبقية المرافق الادارية في الايالة واخيرا يرسل الفضلة الى الخزانة المركزية في استانبول تحت اسم «ارسالية» أو «سليانة»^(٩) .

وعلى الرغم من ان الصورة المشار لها تفترض موعدا متأخرا نسبياً لارسال الارسالية ، الا انه ليس من الواضح تماما ، ان كانت هذه الصيغة مطبقة بشكل دقيق حينذاك ، ويعود السبب في ذلك الى ان الولاة العثمانيين ، ومن اجل اظهار كفاءتهم فيبادرون لارسال الارسالية في وقت مبكر معتمدين في جمعها على امكانياتهم العسكرية ونفوذ السنجد بيكات وخاصة شيوخ العشائر . وثمة حقيقة ينبغي ان لا تغيب عن الأذهان ، هي ان عدم استقرار التقويم العثماني^(١٠) كان يتيح للولاة جمع الايرادات لاكثر من مرة في السنة ، دون ان يعني ذلك بالضرورة ارسال اكثر من ارسالية خلال سنة تقويمية واحدة .

والمصادر المتوفرة لا تسعف في بيان مقدار الارسالية التي كان ولاية البصرة يرسلونها الى استانبول غير انه بالامكان تقديم صورة عن حجم ايرادات ايالة البصرة استنادا الى المعلومات والوثائق المتعلقة بالتقسيمات الادارية ذات المسحة الاقطاعية ، والتي تظهر سنجد ايرادات الايالة الثمانية عشر اقطاعا من درجة «خاص» ايراد كل منها السنوي ٢٥٠ ألف اقجة في عام ١٥٧٢م^(١١) وبذلك فان مجموع ايرادات الايالة استنادا الى هذه التقديرات هي ٣٦٠٠٠ ر ٣٠٠٠ اقجة .

وكما اكدنا سابقا فان هذه التقديرات لم تكن مبنية على اساس واقعي . وانما على اساس افتراضات اقطاعية ، تتعلق بالقيمة المقررة للاقطاع الخاص المتعارف عليها في استانبول وهذا يعني انه ليس من

(٩) جوب و برون ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٠٩ .

(١٠) عن عدم استقرار التقويم العثماني واعتماده على التقويمين الشمسي والقمرى انظر : Halil Sahilli Oglu , Sixty year Orises in the Ottoman Empire , FFP , 231-241 . in . Studies in the Economic History of the Middle east .

(١١) انظر رؤوس دفترى ١ رقم ٢٥٥ .

المروحة في ٢٧ ذى القعدة ١٢٨٠ / ٣٠ نيسان ١٥٧٢ المنشورة في ملحق كتاب ، صالح اوزيران . المصدر السابق ص ٨١-٨٢ . وقد اظهرت بعض الوثائق التي تعود الى فترة سابقة اختلافات نسبية في ايرادات سنجد الايالة انظر :

Basvekalet— Arsliv Dairesi . Tapu Defteri Ozel Sayi : 534 .

الضرورة دائما ان يكون بوسع السنجد بك تحصيل هذا الايراد في سنجه ، بدليل ان والي البصرة علي باشا اضطر الى بيع «الولاية» سنة ١٥٩٦ م بمبلغ زهيد قدره ثمانية اكياس رومية الى كاتب الجند افراسياب الديري^(١٢) ، والمبلغ يقابل ٤٠٠٠ قرش اي ١٦٠٠٠ ر ١٦٠٠٠ اقجة^(١٣) . ان هذه الصفقة التي تمت بين علي باشا وافراسياب ربما يكون لها دلالتها على مقدار الارسالية المطلوبة ، فعلي باشا الذي كان يريد ان يتخلص من اعباء المسؤولية في ايالة البصرة ، كان عليه ان يضمن تسليم خزانة الدولة في استانبول الارسالية المترتبة في ذمته للسنة المذكورة ومع ذلك فانه لم ينج من عقاب ولاة الامر هناك الذين انكروا عليه هذا التصرف غير القانوني فتم شنقه^(١٤) .

ومهما يكن من امر فان ولاية البصرة يساعدتهم السنجد بيكات والبكوات وشيوخ العشائر كانوا يتولون جمع ايرادات ايالة البصرة كل حسب منطقته ، ودون أن تكون هناك قواعد واسس ثابتة في عملية التحصيل اذ يتشابك في هذه العملية اسلوب الاقطاعي باسلوب الضمان في المناطق الزراعية واسلوب الالتزام بالنسبة لايرادات المرافق الاقتصادية الاخرى كاللجاعة والصناعة . ولعل من الاسباب التي ساعدت على هذا الاشتباك هو اعتبار اراضي البصرة عشرية مملوكة لاصحابها^(١٥) الامر الذي اصبح فيه من المتعذر تسديد جميع مخصصات البكلر بكية او السنجد بكية من ايرادات الاراضي فقط واضطر الى اعتبار الضرائب والرسوم بمثابة «خاص» يُعين في تسديد المخصصات المقررة^(١٦) وقد اشارت وثيقة عثمانية يرجع تاريخها الى ١٥٥٢م الى أن «خاص» سنجد زكية يشتمل على رسوم «البوخانة» اي المصبة و«القصاصخانة» المجزرة و«جرم جنات» اي الغرامات التي تفرض على المخالفين للاداب العامة ، علاوة على الاعشار والضرائب الاخرى المتعلقة بالزراعة . وفي (سنجد اخر) وهو سنجد القطيف ، تعيد الوثيقة

(١٢) محمد هليل الجابري ، امانة المشيعين . اطروحة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ١١٦ .

(١٣) القرش ، جاء في وثيقة عثمانية مروحة في ١٥/١١ موجية من السلطان الى قاضي استانبول يأمره الا تكون قيمة القرش اكثر من ٤٠ اقجة ، ولا كان الكبش الواحد يساوي ٥٠٠ قرش فقد تم حساب المبلغ وفقا لهذه التقديرات انظر : يعقوب مركيس ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وعظمت بغداد جمع وتنقيص . معن حمدان علي ، بغداد ١٩٨١ ، القسم الثالث ص ٦٣ .

(١٤) س . هـ . لونكيرك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ترجمة جعفر عياط ، الطبعة الخامسة ، بغداد (لا ، ت) ص ١٢٧ .

(١٥) اوليا جلي محمد ظلي بن درويش . اوليا جلي سياعتمائة س . اينك طلي اقدم مطبعة س . استانبول ١٣١٤ - ج ١ ص ١٨٦ .

(١٦) Basvekalet— Arsliv Dairesi Tapu Defteri Ozel Sayi : 282 .

البضائع والسلع الواردة بطريق البحر مثل التمر الهندي واحد الى خمسة عشر، وينطبق الامر على الاقشة وبضائع اخرى مثل القنفذ والدراسيني والصندل وعود البخور كما فرض ضريبة مقدارها ٦٪ على الصوف المستورد من حلب، اما الصوف المستورد من القطيف والبحرين وعمان فقد فرض عليها ضريبة مقدارها ٢٪ وتستوفي الدولة ٢٤ أقة (٢٣) على حمل من المحاصيل الزراعية التالية : الماش والبصل والخيار والترعوزي (الخيار القثاء) وهذه الضرائب هي محبة حددتها الوثيقة العثمانية تحت اسم رسوم الكيال.

والملاحظ ان رسوم الكيال على بعض الموارد المستوردة حددت بثان اقجاة على كل وزنه، واشتملت بضائع الفلفل والزنجبيل والدارسين والسكر، كما يلاحظ ايضا ان رسم الكيال يقل تبعاً لزيادة الكمية من هذه البضائع. اذ انه لا يتقاضى غير ٥ اقجاة عن الوزن الواحدة اذا زادت الكمية عن عشر وزنات.

وحددت الوثيقة المذكورة الرسوم المفروضة على بعض البضائع المستوردة بين الحويزة والشوشر والمناطق الاخرى المجاورة، فكانت عشرون اقجة على الجاموسة الواحدة وثمان اقجاة على السجادة الواحدة واقجتين عن كل بالة من الكتان، وثمان اقجاة عن كل بالة من الخبال، وخمس اقجاة وهشني (٢٤) واحد عن كل صفيحة من السمن الحيواني، واقجتين عن كل كيس من الحناء وخمس اقجاة وهشني واحد عن حمل الصابون ٤٨ اقجة عن كل بالة من القطن. كما حدد أربع اقجاة عن كل خمسة حصران (١٥) وفي الدفتر المرقم ٢٨٢ من اللوحة ٩٦ المذكورة معلومات تفصيلية اخرى حول الرسوم والضرائب المفروضة على القوافل القادمة من بلاد الشام وخاصة الاقشة المصنوعة من الجوخ والصوف وقلاطون والعباءة والحال حيث حددت بمقدار خمس اقجاة على كل حمل تبلغ قيمته ١٠٠ اقجة ويضاف الى ذلك اقجة واحدة اضافية باسم رسم «الغالبية» أو الحالية. اما بالنسبة للبضائع التي تحملها القوافل القادمة من شيراز ولارده (٢٦) وغيرها من

ذكر الضرائب والرسوم نفسها بالاضافة الى رسم اخر هو رسم العروس وذلك «كخاص» السنجق المذكور (١٧). وثمة معلومات اخرى حول ايرادات خاص سنجق ابو الخصيب الذي يتردد فيها ذكر ايرادات الاراضي الزراعية من نهر عيسى ونهر ناصر ونهر ابو الغراية ونهر درلع ورسوم الجاموس والعروس و«جرم جنات» والمصبغة والمجزرة والرعي (١٨).

ولا شك ان الضرائب والرسوم كانت تشكل العمود الفقري لايرادات الولاية ويمكن تصنيفها حسب المرافق التي كانت تجني منها وهي كما يلي:

اولاً: اعشار الاراضي، ومقدارها العشر فان الاراضي المزروعة في ايلة البصرة كانت محدودة نسبياً، ويتولى امر زراعتها رجال العشائر شبه الرحالة (١٩). ويعتبر القمح المحصول الرئيس في المنطقة بالاضافة الى الفواكه والخضراوات والحبوب (٢١).

والحقيقة ان كون اراضي البصرة اراضي عشيرة من ناحية وعدم تطبيق النظام الاقطاعي العسكري من ناحية ثانية ادى الى اعفاء الولاية من ضريبتين مهمتين كانت الدولة العثمانية تحصل عليها من الفلاح في اراضي الميرى «الناطقة للدولة» التي تكون معظم اراضي الدولة العثمانية تقريباً وهما: ضريبة «جفت اقجة سي» اي حق زراعة الاراضي الاميرية والتصرف فيها وكذلك ضريبة «جفت بوزان» اي محرم الحقل والتي يجبر الفلاح على دفعها عند تركه الأرض بدون زراعة بعد ان عهد اليه التصرف فيها (٢٢).

٣- الضرائب المفروضة على التجاريتين الخارجية والداخلية :- (التمقا). ان مركز البصرة التجاري ادى الى زيادة اهمية الضرائب والايرادات التي تحصل عليها الدولة العثمانية وبالنظر لتلك الاهمية فقد اشارت سجلات الدولة العثمانية الى معلومات تفصيلية حول الرسوم والضرائب المفروضة في اللوحة رقم ٩٦ من الدفتر ٢٣٤ (٢٣) حددت الرسوم المفروضة على

(17). Basvekalet Arşiv Dairesi. Tapu İstifari Özel No1- 22.

(18). Basvekalet Arşiv Dairesi Tapu Defteri. Özel sayı- NO- 282.

(19). جب برون، المصدر السابق ج ٢ ص ٨٩.

(20). جب برون، المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٩.

(21). خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي ١٦٣٨ - ١٧٥٠ م اطروحة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد. ١٩٧٥ ص ٢٩٤. وقارن ما يذكره الدكتور عمر لطفي بركان حول هاتين الضريبتين في ايلة الموصل في نهاية القرن السادس عشر.

O. L-Barkan 'Xv ve XVI İnci Asırlardaki Osmanlı İmparatorluğu' a Ziraat Ekonomisi, Hukuk ve Mali Esasları. of. I-P-I 740

(22). Basvekalet Arşiv Dairesi Tapu Defteri Özel Sayı 543-no-96.

(23). اقجة AKCE عملة فضية وهي وحدة النقد القياسية في الدولة العثمانية حتى النصف الاول من القرن السابع عشر، وقد ضربت في زمن الغازي اورخان سنة ١٣٢٩/١٣٢٨ - ١٣٢٩ واستخدمت لدى العثمانيين بمطابقة الدرهم. وقد سكبت الاقجة في ليداية بعام ٩٠ ووزن ٦ غرامات، اى ربع المقاتل باعتباره القيراط ٢٤/١ من المقاتل لمزيد من التفاصيل انظر: فالترهنتش.

مكايل واوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٧٠، ص ٤٤-٤٥ خليل علي

مراد، المرجع السابق، ص ٣٧ الملحق الخاص بالنقود.

(24). هشني: وهي عملة مضروبة من النحاس وبنسبة ١/٦ البارة وكل (٦) هشني يساوي بارة واحدة انظر: - خليل علي مراد، المرجع السابق ص ٤٤٧.

(25). Basvekalet Arşiv Dairesi. Tapu Defteri Özel Sayı. 534

(26). لم اجد في المعاجم الجغرافية تعريفاً لهذه المدينة، ومن المحتمل ان المقصود بها جزيرة اللار التي تقع بالقرب من مدينة سرياف وتشتهر بصناعة اللؤلؤ، انظر بالقول الحموي،

معجم البلدان، بيروت ١٩٧٥، ج ٥ ص ٧

عن كل خصافة واردة من منطقة الجزائر (الحمار) وأقجتان عن خصافة التمر الذي تنتجه بساتين البصرة . اما الحمضيات كالبون والتارنج فان الرسم المفروض عليها هو ١٠٪ من الكمية المباعة ، ويستوفى ايضا أقجة وهشتي واحد عن صفحة الزيت المخصص للوقود . واثنين هشتي عن وزنة القير المخصصة لاغراض البناء (٢٨) .

رابعاً : رسوم العبور المحلية :- خصصت حكومة ايالة البصرة قوارب كثيرة استخدمتها لاغراض النقل المحلي غير انهار ومستنقعات ايالة البصرة وفرضت لاجل ذلك رسوما على الاشخاص والحيوانات والبضائع التي يجرى نقلها بواسطة هذه المراكب الحكومية وتشير الوثائق العثمانية الى اهمية وضرورة تنوع ايرادات الايالة المالية ، وقدر تعلق الامر بهذا النوع من الرسوم . فقد ارسلت الدولة الى والي البصرة الاسس التي يتم بموجبها استيفاء رسوم العبور في سناجق الولاية الواقعة قرب الاهوار وهي سناجق القرنة ، وصدر سوب ، وزكية وتحت عنوان (دمتور العمل) .

وتبلغ هذه الرسوم (٨٠) أقجة عن كل حمل يعبره السوب و ٣ أقجة عن كل جاموسة ، و (٨٠) أقجة عن كل بالة من الكتان وعشرين بالمائة عن الكمية التي يتم نقلها من حاصلات الحنطة والشعير . وفي القرنة يستوفى عن مواد التمر والملح والديس والحنطة والشعير والعنب والسلك نسبة واحد من ثلاثين ويستوفى عن الأغنام أقجة واحدة عن كل رأسين من الغنم اما السابلة فلا يستوفى منهم شيئا . وفي لواء الزكية يستوفى من البضائع التي يتم شحنها في مركب واحد (٨٠) أقجة كما يستوفى محمدى واحد عن كل جاموسة (٣٠) .

٤ - ادارة الواردات المالية في ايالة البصرة
اناطت الدولة العثمانية مهمة الاشراف المالي في ولاية البصرة - شأنها شأن الايالات الاخرى - بمؤسسة يشرف عليها موظف كبير يدعى الدفتردار يعاونه عدد من الموظفين الذين يتولون مهمة تسجيل الايرادات وبيان مصادرها وتنظيم اوجه صرفها وتحويل الباقي منها الى خزانة الدولة المركزية .

ان حرص الدولة العثمانية على ايراداتها من الايالات جعلها تمنح الدفتردار سلطات ادارية وسياسية واسعة ، تمكنه من مواجهة الوالي في

الاقاليم الفارسية فان الرسوم المفروضة عليها تتراوح من ٤٠ الى ٥٠٪ من قيمة البضاعة ، فاذا كانت قيمة البضاعة ١٠٠ أقجة يؤخذ منها ٤٢ أقجة يضمنها اقجتان باسم رسم العثمانية كما يستوفى عن كل قطعتين قطعة واحدة منها كانت البضاعة اذا كان حسابها يتم بواسطة القطع . كما حددت الوثيقة المذكورة الرسم المستوفى من الكتان بمقدار ٣ عثماني «أقجة» وهشتي واحد عن كل من واحد ، وعن البكوفية الحمراء اقجتان وهشتي واحد ، وعن كل عباءة من الشعر المعروفة باسم «بشت» اقجتان كما يطلب من التجار الايرانيين دفع رسم اخر باسم حق البواب وقدره ٣٠ أقجة عن كل حمل يعبر بهما اعفت الوثيقة التجار القادمين من حلب ويقداد والشام من دفع هذه الضريبة . والملاحظ ان رسم البوابية الذي فرضته الدولة على التجار الايرانيين ، كان يستوفى من البضائع الايرانية مرة اخرى عند نقلها من سنجق الى سنجق اخر داخل ايالة البصرة (٢٧) وذلك امعانا في تقييد التجارة مع الفرس وتشير الوثيقة العثمانية المرقمة ٥٣٤ من وثائق Bas Vekale . A.D . بانه يحق لحكام السناجق استيفاء هذا الرسم بمقدار أقجة وهشتي واحد عن كل بالة من القطن . كما يستوفى نفس الرسم عن كل قطعة من قماش النيل . وأقجتان عن كل عكة دهن (طلوخ) ، وهشتي واحد على كل حمل من حاصلات الجوز أو البندق أو الزبيب .

ثالثاً : الرسوم المفروضة على المنتجات المحلية المباعة في اسواق ايالة البصرة «باج» ان هذه الرسوم كانت تستوفى كرسوم استهلاك للبضائع والمواد الغذائية التي يستهلكها الاهالي في ايالة البصرة وقد حددتها الوثائق العثمانية بأنها ٨ أقجات عن كل رأس غنم يذبحها القصاب و ٥٦ أقجة عن كل جاموسة مخصصة للذبح هذا اذا تمت عملية الذبح في الجزيرة التابعة للايالة أما اذا ذبح في البيت فلا يستوفى عنها غير نصف الرسم أى ٤ أقجات عن كل رأس غنم ، كما قررت رسوم اخرى عن الذبائح الصغيرة فهي أقجة واحدة عن رأس الغنم التي لا يزيد عمرها عن سنة واحدة وأقجتان عن كل رأس غنم لا يزيد عمرها عن ثلاث سنوات «ديجة» اما الحيوانات التي تنحرفي الاعياد والمناسبات وتوزع على الفقراء فلا يستوفى عنها شيء . واشارت الوثيقة الى فرض رسم استهلاك قدره هشتي واحد عن كل لوحة خشبية يستهلكها التجارون .

اما الأسماك فحدد الرسم بمقدار ٢ هشتي عن كل وزن بالنسبة للسلك الكبير الحجم وهشتي واحد عن كل وزنة من السلك الصغير الحجم وأقجة وهشتي واحد عن كل وزنة من السلك المحضف اما التمر المباع في اسواق البصرة فقد فرض عليه رسم استهلاك قدره أقجة واحدة

(28). Basvekalet Arşiv Jairesb. Tapa Defteri Ozel Sayı - 534.

(٢٩) محمدى أو محمودى : من العملات الفضية المستخدمة بشكل خاص في البصرة وكان اضمودى يساوي ٨٠ هشتي أى ٨٠ مغور من كسور الاقجة . تحليل على المراد المرجع ص ٤٥٠ .

Basvekalet Arşiv Daivesi. TapaDofteri. Ozel Sayı. No. 282

(٣٠) اوليا جلبي المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٧ .

(27). Basvekalet Arşiv Dairesi Tapa Defteri Ozel Sayı. No. 282.

الى تأمين حاجة الدولة من التجارة نفسها ، ليس أدل عليه من الصراع الذي خاضته الدولة العثمانية ضد البرتغاليين^(٣٥) على امتداد النصف الثاني من القرن السادس عشر والذي اسفر عن استعادة البصرة لمركزها التجاري بعد ضمور البرتغاليون التجارة في الخليج العربي . لقد ظهرت سريعا النتائج الايجابية على تجارة البصرة منذ ان شرعت الدولة العثمانية بمواجهة الوجود البرتغالي في الخليج العربي سنة ١٥٤٦ .

ففي سنة ١٥٥٤ تم فصل سنجق القطيف عن ايالة البصرة واتخذ شكل ايالة خاصة به^(٣٦) بالرغم من تأثير ذلك على ايرادات ايالة البصرة فحتى عام ١٥٥٤ م حين كان القطيف يستحق تابعا لايالة البصرة كانت ايراداته من اعشار الزراعة والصناعة وصيد اللؤلؤ تشكل موردا هاما لايالة البصرة ويذكر مانديفيل^(٣٧) ان سنجق بك القطيف امر في سنة ١٥٥٢ م بتجهيز خزانة البصرة بمبلغ قدره ١٥٠٠٠٠٠ ر ١٥٠٠٠٠٠ أقبجة . على انه تم الاستغناء عن ذلك على ما يبدو بعد ان تحسنت اوضاع التجارة في البصرة واستتب ذلك فصل السنجق كما اشرنا الى ذلك .

يتبين لنا من خلال البحث ما يأتي :-

اولا :- ان التنظيمات المالية التي طبقتها الدولة العثمانية في الاناضول والايالات الاخرى ، انعكست بشكل او بآخر على التنظيمات المالية في ايالة البصرة خلال القرن الاول من الحكم العثماني للايالة . فقد اتخذت هذه التنظيمات اسلوبا اقطاعيا شكليا يقوم على تأمين الالتزامات المالية بدلا من الالتزامات العسكرية ، اذ راعت الدولة ظروف الايالة وهي : بعدها عن مركز الدولة وتركيبها الاجتماعي القبلي وموقعها التجاري المهم .

(36) Ce iz Orhonlu : 1599 Bahreyn Seferi ai d bir Rapor. Tarih. Tarih Derqisi Xvii (1967) P-10

وقارن ما يذكره اوزبران ، المصدر السابق ص ٣٨ ز . حول السنة التي فصل فيها القطر حيث يحلها عام ١٥٥٥ م .

(X) كانت في القطيف دار لصباغة اللؤلؤ وصناعة المصوغات .

(37) Jon. E. Nandville.

The Ottoman Province of AL-Hasa. in the Sixteenth and Seventeenth Centuries.

Journal of the American Oriental Society - 90 - 3. 1970 - P 505.

حالة تدخل الاخير او تجاوزه على اموال الدولة فعلى الرغم من ان الوالي هو اعلى سلطة في الايالة الا ان سلطة الدفتردار تتجاوز سلطة الوالي بحيث تمكنه من الاتصال بالباب العالي مباشرة قدر تعلق الامر بشؤون الدولة المالية . وقد ترتب على هذا الوضع ان اضطر الوالي الى استحداث مؤسسة مالية خاصة به للاشراف على ايراداته الخاصة . بعد فرز حصة الخزانة المركزية وقد انيطت مسؤولية هذه المؤسسة بشخصية عرفت باسم (الخزنة دار)^(٣٨)

ومها يكن من امر ، فان الشغل الشاغل لهاتين المؤسستين الماليتين ، كان محصورا ببذل الجهود للحفاظ على مستوى ثابت من الايرادات والعمل على تقليل الاثارة الناجمة عن التقلبات بسبب الظروف الطارئة .

ولا شك فان انخفاض الايرادات يرتبط بمسألتين مهمتين اولاهما :- حالة الامن في ايالة البصرة والثانية : حجم التجارة المارة من والى البصرة . وعلى قدر تعلق الامر ، بالمسألة الاولى ، تمت ملاحظة ظاهرة انخفاض الايرادات في السناجق التي يتردد في المصادر التاريخية كثرة الاضطرابات فيها . فعلى سبيل المثال ان حكومة ايالة البصرة كانت مضطرة لقبول ايراد رمزي من سنجق بك الحجاز وقدره ٨٠٠ أقبجة فقط^(٣٩) .

ومعروف ان هذا السنجق شهد ثورات متواصلة على امتداد النصف الثاني من القرن السادس عشر^(٣٤) . ان هذا الانخفاض في الايرادات كانت تعوضه سلطات الايالة عن طريق التشدد في جباية الضرائب والرسوم من السناجق الاخرى وخاصة القريبة من مركز الايالة ، حيث كانت تصل ايراداتها احيانا الى ٥٠٠ ر ٢٠٠ أقبجة^(٣٥) .

اما حجم التجارة فقد ارتبط عموما بسلامة مسالك التجارة وطرقها عبر الخليج العربي وكذلك عبر الصحراء بين البصرة وحلب ، وليس ادل على رغبة الدولة العثمانية في تأمين موارد ثابتة من التجارة بالاضافة

(31). Basvekalst Arxiv Deivesi Tapu Defteri Ozel Sayi-534.

(٣٢) لوحة ٢٢٨ .

(٣٣) للوقوف على هذه الثورات واسبابها انظر .

ابراهيم مجوي ، تاريخ مجوي ، عامرة مطبعة س . استانبول ١٢٨٣ ، ج ١ ص ٤٩٧-٤٩٩ .

عباس الغزالي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٤٩ ج ٤ صفحات ٧٤٠-٧٤١-١٠٨-١٠٩ .

(34). Bas' Wekalit Arxiv Dairesi Tapu Defteri Ozel Sayi 1022

لوحة ٩

(٣٥) (اوزبران) ، المصدر السابق ، ص ٥٩-٦١ .

جج لوزيير ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ترجمة مكتب حاكم قطر ، الدوحة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ١٠-١٣ .

ثانياً : بالنظر لظروف ايالة البصرة المشار لها في النقطة الاولى والتي يقع ضمنها قلة ايرادات الایالة من اعشار الاراضي فقد أسهبت الدولة في الضرائب والرسوم المفروضة على التجارة باعتبارها تشكل المورد الاساسي لمالية الایالة . ولم تترك صغيرة او كبيرة من المسائل المتعلقة بالتجارة الا وفرضت عليها ضريبة لمصلحة الخزنة .

ثالثاً : تساهلت الدولة العثمانية مع التجار المحليين ، كما شجعت نشاطهم التجاري المحلي والخارجي مع الهند وجنوب شرق اسيا ، وانعكس ذلك على قيمة الضرائب والنسب المثوية المفروضة على تجارتهم بينما وضعت قيودا على التجارة مع بلاد فارس كما انعكس ذلك قيمة الضرائب والنسب المثوية المفروضة عليها . وهذا الوضع الاخير يتوافق مع طبيعة العلاقات العثمانية - الفارسية التي استحكمت فيها العداء كما هو معروف .

رابعا : بالرغم من ظروف ايالة البصرة وخاصة بعدها عن مركز الدولة العثمانية وقلة السليانة الواردة منها ، فان مجريات الاحداث تدلل الاهتمام الشديد الذي اولته الدولة العثمانية بهذا الثغر الثاني ، ويعود سبب ذلك الى تقدير الدولة لاهمية التجارة بين الشرق والغرب والتي تمثل عصب الحياة في الدولة العثمانية بأكملها .

حَقَائِقُ جَدِيدَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ الْمَرَابِطِيَّةِ :

إِنْدِفَاعُ الْمَرَابِطِينَ

إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى

الدكتورة صباح ابراهيم الشبيخي
كلية الاداب | قسم التاريخ
جامعة بغداد

ثانياً : بالنظر لظروف ايالة البصرة المشار لها في النقطة الاولى والتي يقع ضمنها قلة ايرادات الایالة من اعشار الاراضي فقد أسهبت الدولة في الضرائب والرسوم المفروضة على التجارة باعتبارها تشكل المورد الاساسي لمالية الایالة . ولم تترك صغيرة او كبيرة من المسائل المتعلقة بالتجارة الا وفرضت عليها ضريبة لمصلحة الخزنة .

ثالثاً : تساهلت الدولة العثمانية مع التجار المحليين ، كما شجعت نشاطهم التجاري المحلي والخارجي مع الهند وجنوب شرق اسيا ، وانعكس ذلك على قيمة الضرائب والنسب المثوية المفروضة على تجارتهم بينما وضعت قيوداً على التجارة مع بلاد فارس كما انعكس ذلك قيمة الضرائب والنسب المثوية المفروضة عليها . وهذا الوضع الأخير يتوافق مع طبيعة العلاقات العثمانية - الفارسية التي استحكمت فيها العداء كما هو معروف .

رابعاً : بالرغم من ظروف ايالة البصرة وخاصة بعدها عن مركز الدولة العثمانية وقلة السليانة الواردة منها ، فان مجريات الاحداث تدلل الاهتمام الشديد الذي اولته الدولة العثمانية بهذا الثغر الثاني ، ويعود سبب ذلك الى تقدير الدولة لاهمية التجارة بين الشرق والغرب والتي تمثل عصب الحياة في الدولة العثمانية بأكملها .

حَقَائِقُ جَدِيدَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ الْمَرَابِطِيَّةِ :

إِنْدِفَاعُ الْمَرَابِطِينَ

إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى

الدكتورة صباح ابراهيم الشبيخي
كلية الاداب | قسم التاريخ
جامعة بغداد

تعتبر الحركة المرابطة في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد واحدة من أعظم الحركات الإسلامية التي شهدتها جزء كبير من القارة الأفريقية . وبالرغم من كثرة الدراسات عن الحركة المرابطة ، فإن عدة مظاهر من تاريخها لا تزال غامضة وغير معروفة . كما شهدت بلاد المغرب في القرن نفسه ، بروز عدد من القوى القبلية الضاربة التي ملأت تاريخ هذا العصر بنشاطاتها ، ومن بين تلك القوى القبائل الصنهاجية الصحراوية التي أسست الدولة المرابطة .

ومن المعروف تاريخياً أن قبائل صنهاجة^(١) الصحراوية أو الشعب الملم^(٢) كانت قد استقرت في الأجزاء الغربية من صحراء المغرب متقاربة مناطقها فيما بينها . قبائل مسوفة الصنهاجية حلت الأجزاء الشرقية منها ، وأما قلب الصحراء فيعود إلى قبائل المتونة ، وفي الجزء الغربي الممتد من الصحراء الغربية الممتد حتى المحيط الأطلسي نجد قبائل جدالة التي تمتد مراكز استقرارها إلى حلود بلاد السودان ، أما القسم الشمالي من الصحراء الغربية فقد استوطنت قبائل هسكوزة ولمطة وجزولة (أخوة صنهاجة)^(٣) . وفي القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد ، استطاعت القبائل الصنهاجية الصحراوية من المتونة ومسوفة وجدالة من أن تنظم نفسها في اتحاد صحراوي^(٤) . وكانت رئاسة هذا الاتحاد لقبائل المتونة الصنهاجية والذي يبدو من النصوص التاريخية الوسيطة المتوفرة لدينا أن الهدف من وراء هذا الاتحاد هو حماية المصالح التجارية لقبائل صنهاجة وفلا يجع هذا الاتحاد في السيطرة على المركز التجاري المهم أودغست ، الواقع في نهاية الخط التجاري الصحراوي الذي يربط المغرب الأقصى ببلاد السودان ، والذي كان تحت سيطرة مملكة غانة السودانية .

في منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد جاءت الفرصة لقبائل صنهاجة الصحراوية ، التي مكنتهم من الانشقاق السياسي والاقتصادي معاً ، وكان ذلك يوم قامت الحركة المرابطة . فع قام هذه الحركة استطاعت قبائل صنهاجة من الخروج من صحاريها متجهة شمالاً . وبالرغم من أن اندفاع الصحراويين شمالاً له أهمية كبيرة في قضية استقرارهم في مدن المغرب الأقصى واختلاطهم وامتزاجهم مع سكان المنطقة من العرب ، لكنه لم يحظ بالناية اللازمة ، بل إن كل ما كتب يدور حول نشاط المرابطين المهاجرين في الجنوب ، أي في الصحراء وبلاد السودان . ولذا ستركز هذا البحث للدراسة نشأة الحركة المرابطة بصورة تحتمل انطلاق المهاجرين إلى الشمال ، ومن ثم التعرف على أسباب توجيههم شمالاً ، وأخيراً مناطق انتشارهم واستقرارهم في المغرب الأقصى .

ارتبط تأسيس الحركة المرابطة بعدد من الشخصيات من بينها أبو عمران الفنجومي القاسي ، الذي يعتبر أول من مصنع الاسس لقيام هذه الحركة بل يعتبره عبد القادر زمامه^(٥) . أول مفكر في تأسيس الحركة المرابطة . ولد أبو عمران في مدينة فاس عام ٩٧٣/٣٦٣ ، وقيل أنه النحدر من بني غفجوم أحد فروع قبائل زناتة البربرية المشهورة^(٦) . غير أن رواية منفردة سجلها صاحب كتاب بيوتات فاس تشير إلى أن أبا عمران كان من أسرة قريشية تدعى بيت أبي الحاج^(٧) . أصبح أبو عمران القاسي عالماً معروفاً بعد عدة رحلات علمية حملته إلى قرطبة ، مكة وبغداد . ويبدو أن الظروف السياسية في فاس ، وبخاصة الفوضى التي حلت في المغرب الأقصى بسبب استبداد قبائل صنهاجة ، أجبرته على ترك هذه المدينة إلى القيروان .

إن الذي يهتأ من حياة أبي عمران هو ذلك اللقاء الذي تم بينه وبين يحيى بن إبراهيم الجذالي رئيس الاتحاد الصنهاجي في سنة ١٠٣٥/٤٢٧ ، عند عودته الأخير من رحلة الحج . ويسجل لنا البكري بعد ثلاث وثلاثين سنة من هذا اللقاء قوله ، أنه في أثناء حضور يحيى ابن إبراهيم إحدى حلقات العلم التي يعدها أبو عمران في جامع القيروان ثم التعارف بين الاثنين ، والذي يبدو أن وجود هذا الخريف في حلقة أبي عمران قد أثاره ، أسأله عن أصله ومذهبه وقبيله . عجب أبو عمران من الجهل الذي كان عليه يحيى بن إبراهيم وقومه بني أدنى وتعاليم الدين

(١) صنهاجة إحدى قبائل البربر البرانس ، ويقال بأنها تشكلت لك سكان البربر ، وتختلف من قبائل مختلفة تسطر في مناطق المغرب والصحراء (ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٦ ص ٣٠٩ . ابن أبي زرع ، وصف القيروان ، ص ٧٥) . وقد أعطت هذه القبائل النسب من قبل العرب (الطبري ، تاريخ ج ١ ص ٤٤٢ ، ابن خلدون ، وصف القيروان ، ج ٦ ص ٣٠٩ ، البلاغري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ ، صالح بن عبد السلام ، الأنساب ، ورقة ١٧ ، البكري ، المسالك والممالك ، ص ٢٦) . وقد قسم ابن خلدون في وصفه الشامل لقبائل البربر قبائل صنهاجة إلى ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى القبائل الصنهاجية المسخرة في خدمة العرب ، الطبقة الثانية صنهاجة الصحراء البدوية أو الملقين الذين يحتلون الصحراء الطويلة أما الطبقة الثالثة فيدعوها عسكرة والتي تقع مستقراتها في جبال الأطلس وتجمع بين الأعراف والبداد (تاريخ ، ج ٦ ص ٣١٢ ، ٤٩٠ - ٤٩٢ ، ٤٩٣ - ٤٩٤) .

(٢) أطلق على بربر صنهاجة اسم الملقين لأنهم ارتدوا عن الإسلام ، منهم بنو كندة ولايكشون وجوههم أصلاً .

(٣) انظر البكري ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) عن اتحاد صنهاجة انظر ابن خلدون ، صورة الأعراس ، ص ٤٢٢ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ ، ٩٦٣ ، مؤلف مجهول ، الاستيعاب ، ص ١٠١ ، ابن أبي زرع - المفسر ، ص ٨٩ .

(٥) أوله مفكر في تأسيس الحركة المرابطة ، مجلة البنية ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، يوليو ١٩٧٢ .

(٦) انظر يحيى بن إبراهيم ، وصف القيروان ، ج ١ ص ٢٠٦ . ابن خلدون ، الاستيعاب ، ص ١٠١ .

القبائل المرابطة في المغرب .

الاسلامية^(٨). كما علم منه ان سبب هذا الجهل هو عدم تواجد من يعلمهم الفروض الاسلامية وان كل الذين يصلون الى مناطق استقرارهم في الصحراء هم انا معلمون جهلة أو تجار. ويستمر البكري فيسجل لنا نتيجة هذا اللقاء بقوله ، ان يحيى بن ابراهيم قد دفعه اهتمام القاضي بقضيته وشعوره بالخلل من جهله ، سائلاً ان يبعث معه احد مريديه ليعلم الصنهاجيين الصحراويين مبادئ الاسلام ، وليكون لهم مرجعاً في قضاياهم الدينية^(٩).

وقد انفرد صاحب كتاب بيوتات فاس بذكر رواية عن الاجتماع الذي تم بين عمران القاضي ويحيى بن ابراهيم الجدالي ونصها ولما اجتمع مع يحيى نديه ابو عمران الى قتال برغواطة ببلاد السوس وقتال زناتة على ماصدر منهم من الظلم واستتال رؤسائهم من الولاية ، فوعده يحيى بالنهوض وطلب منه ان يوجه الى بلاده بعض طلبته لينظر في امور ديارتهم^(١٠). اذا كانت هذه الرواية المتأخرة صحيحة ، فانها تغير لنا ليس نتيجة اللقاء فحسب وانما طبيعته ايضاً. فاجاء عند البكري من وصف لهذا اللقاء ونتيجته هو امر طبيعي ليس فيه أي غرابة ، حيث ليس غريباً أن طبيعة يوجهها فقيه الى رجل لا يعرفه. أما نتيجة هذا اللقاء التي سجلها البكري فهي الاخرى عادية ، فطلب يحيى وتغنيه بأن يرسل معه رجل يعلم قبيلته مبادئ الاسلام لم يكن امراً غير مؤلوف ، فقد جرت العادة ان يتشر رجال الدين المسلمين في المغرب وصحاريه حاملين معهم مبادئ وتعاليم الدين منذ وقت مبكر من دخول العرب الى المغرب.

اما رواية بيوتات فاس. فهي كما قلنا تعتبر تغيراً في طبيعة اللقاء ونتيجته ولكن ما الذي دعا ابو عمران الى ان يطلب من يحيى الطلب الذي سجله كتاب بيوتات فاس ؟ بل ما الذي جرى بينهما من حديث ؟ وعلى الرغم من ان صاحب بيوتات فاس لم يذكر شيئاً من الحديث الذي جرى بين يحيى وابي عمران ، لكنه سجل لنا نتيجة هذا الحديث. ان هذه النتيجة تقودنا الى الافتراض بأن موضوعات سياسية دار حولها النقاش في هذا اللقاء ، واغلب الظن ، ان قبائل زناتة التي كانت سبب طرد القاضي من مدينة فاس ، كانت في الوقت نفسه العدد التقليدي لقبائل فهاجة ، لاسيما اذا عرفنا بأنها كانت تخضع لسيطرتها الصنهاجيين المتواجدين في بلاد المغرب الأقصى. وبكلمة اخرى ربما يمكن القول بأنه كان لدى الشخصين ما يجمعهما على عداء زناتة ، وان هذا العداء يمكن ان نعتبره دون حرج السبب الذي حدا بأبي عمران ويحيى للحديث عن الفوضى السياسية والدينية التي كانت تتم في المغرب الأقصى بسبب سيطرة زناتة. واذا ماصح لنا ان نفرض هذا كله ، فيصبح لنا القول ان ابا عمران القاضي قد ادرك من حديثه مع رئيس قبائل صنهاجة الصحراوية الكبيرة ، القوة الكامنة فيهم. ونعني بذلك ان ابا عمران رأى

بأنه من الممكن ان تحول هذه القوة الكامنة عند الصنهاجيين الى قوة مؤثرة ، وبالتالي امكانية اندفاع الصنهاجيين الى الشمال لانهاء الفوضى السياسية والدينية التي عمت هناك بالقضاء على زناتة. والذي يبدو ان ابا عمران رأى أن يبدأ أولاً وقبل كل شيء بأصلاح عقيدتهم الدينية ، لذا نجده يفتش بين تلاميذه عن رجل راغب في ان يعجب يحيى الى الصحراء وقادر على تحمل مشاق هذه الرحلة. وعندما لم يجد ابو عمران ذلك الرجل في القيروان نجده يوجه يحيى بن ابراهيم الى احد تلاميذه وهو محمد وجاج بن زلول المظني ، من اجل إيجاد الشخص الملائم لهذه المهمة الكبيرة.

من استقرائنا للنصوص التي تتوفر لدينا ، يبدو ان ابا عمران كان قد اختار وجاج لإشراكه في هذه القضية لجملة أمور ، فاولا كان وجاج بن زلول المظني هو تلميذ سابق لابي عمران القاضي ، أي انه كان عارفاً بفكره ومبذله ، وثانياً انه صاحب مدرسة دينية في العقيدة الاسلامية تدعى «دار المرابطين» في مدينة ملكيس او (ملكوس) في السوس^(١١) ، اي ان ابا عمران كان ايضاً بامكانه وجاج بمساعدة يحيى بأن يختار له احد تلاميذه الكثيرين. ان اختيار احد تلاميذه «دار المرابطين» له دلالة ومعنى آخر. ذلك لأن مدرسة المرابطين كانت في السوس أي في منطقة يسكنها كثير من قبائل فهاجة^(١٢). وعلى الاغلب فان ابا عمران كان قد خطط لاختيار رجل يشتمى اصلاً الى قبائل صنهاجة ، وهذا ماحدث فعلاً ، ليكون قادراً على انجاز مارسمه لقاء القيروان بين القاضي ويحيى. فوجاج ، على ما يبدو كان قد ادخل طرفاً آخر في الخطة الموضوعة من قبل ابي عمران ويحيى في القيروان ، ويتأكد هذا الامر اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ماسجله لنا مؤلف كتاب الحلل الموشية الذي يقول وعظامة (خاطب ابو عمران وجاج) في القضية واكد عليه المشاركة فيها^(١٣). فالقضية لابد ان تكون خطة القيروان التي رسمها القاضي ويحيى ، بل ان تأكيد أبي عمران على وجاج بالمشاركة فيها لدليل على خطورة القضية واهميتها. أما الشخص الذي اختير من قبل وجاج ليصحب يحيى بن ابراهيم الى الصحراء كفتية لقبائل صنهاجة فهو عبد الله بن ياسين. ولابد لنا هنا من ان نعدد الاسباب التي دعت الى اختياره والامكانيات والقدرات التي يحملها والتي مكنته من التأثير على صنهاجة الصحراء وجعلها قادرة على الحركة والتغير. كان ابن ياسين اصلاً من جدالة ، وهي احدى قبائل صنهاجة الصحراوية ، وربما كان حسن اطلاعه على اللهجات المحلية المختلفة في اللغة البربرية ، ومعرفة بعبادات وتقاليد بربر صنهاجة ، الذي هو منهم ، قد أدت الى اختياره. بالإضافة الى ذلك ثقافته العالية التي كان قد حصل عليها في قرطبة خلال السنوات السبع التي بقي فيها هناك^(١٤) ، وما حصل عليه من مدرسة المرابطين. واخيراً فأن نحسه للذهاب ، ربما جاء نتيجة لطموحه في ان يصبح قائداً لقبائل صنهاجة الصحراوية.

(١١) البكري ، ص ١٦٥ ، التادلي ، الشوف الى رجال الصوف ، ص ٦٦ ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٤ ص ٦٨ - ٨١ ، السوس الماله ، ص ١٧.

(١٢) البكري ، ص ١٥٢ ، ١٦١.

(١٣) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص ٢٠.

(١٤) البكري ، ص ١٦٥.

(٨) البكري ، المصدر السابق ، ص ١٦٥.

(٩) البكري ، ن. م. ، ص ١٦٥.

(١٠) بيوتات فاس ، ص ٢٨.

هذه المؤهلات التي ساهمت في اختياره من قبل وجاج كانت على ما يبدو هي السبب نفسه فيما احرز عبد الله بن ياسين من ولاء القبائل الصنهاجية ، وبالتالي النجاح في المهمة التي عهدت اليه .

على انه لا يهيننا في هذا البحث ان تتبع خطوات ابن ياسين في الصحراء والقبائل والصعوبات التي جابهته فيها ، والتي يمكن ان نعتبرها امراً طبعياً يواجهه أي حركة في بداية نشأتها ، كما لا يهيننا الخطوات التي اتخذها ابن ياسين في التغلب عليها^(١٥) . وكالذي يهيننا هو ان ابن ياسين استطاع اخيراً من أن يخضع قبائل صنهاجة ، وان يجعل من المجموعة التي جمعها حوله من الاتباع والذين ساهم المرابطون قوة قادرة على مسك زمام السيطرة في الصحراء جميعها^(١٦) .

من المعروف ان الحملات التقليدية الصحراوية الصنهاجية كانت موجهة جنوباً ضد الممالك السودانية^(١٧) . ولكن مع انشاق الحركة تغير اتجاه هذه الحملات .

فتحت قيادة عبد الله بن ياسين بدأت صنهاجة الصحراء ولأول مرة في تاريخها بالاتجاه الى الشمال (المغرب الأقصى) بدلاً من الجنوب (بلاد السودان) . وهنا السؤال الذي يطرح نفسه عن ماهية الدوافع وراء اندفاع المرابطون الصنهاجيين شمالاً في منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ؟

يمكننا ان نلخص هذه الدوافع بالنقاط التالية :

اولاً ، يجزئنا كل من ابن ابي زرع^(١٨) وابن الخطيب^(١٩) انه في سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥ استلم قائد المرابطون عبد الله بن ياسين ، دعوة جادة من فقهاء سجلماسة ودرعة ، ورؤساء من ضمنهم استاذ وجاج ، للاسراع شمالاً وانقاذ المغرب من الظلم والاستبداد الذي يمارسه حكام زناتة . فاذا ما صحت هذه الرواية ، فن المقول الاقتراح بأن رسالة اولئك الفقهاء يمكن اعتبارها رسالة تذكير للصنهاجيين بوعدهم الذي قطعه يحيى ابن ابراهيم الى ابي عمران في لقاء القيروان ، لقتال زناتة وانقاذ المغرب من سيطرتهم . وفيما يخص هذا الامر كتب صاحب كتاب مفاخر البربر (القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد) يقول : «وهما ، اعني وجاج وعبد الله ، كانا السبب في خروج الملتصين المعروفين بالمرابطون من الصحراء بأمر الفقيه ابي عمران القاسي»^(٢٠) . ولذا يبدو بأن مجمل القضية في حركة صنهاجة الى

(١٥) الحلل الموشية ، ص ٢٠ .

(١٦) انظر في ذلك البكري ص ٦٦ . ابن عذارى ، ج ٤ ص ٩ ، ابن الاثير ، ج ٩ ص ٦٠٩ ، القاضي عياض ، ن . م . ج ٤ ص ٦٨١ - ٨٢ ، ابن ابي زرع ، ص ٧٩ ، ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٤ .

(١٧) البكري ، ن . م . ص ١٦٦ ، ابن ابي زرع ، ن . م . ص ٨٠ ، مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص ٢١ N. Levtzion, The early states of the western sudan vol. p. 12

(١٨) البكري ، ن . م . ص ١٦٤ ، ابن زرع ، ن . م . ص ٧٩ .

(١٩) الايبس المطرب ، ص ٨١ .

(٢٠) اعمال الاعلام ، ص ٢٢٩ ، على الرغم من ان الكتاب العرب الآخرين لم يذكروا شيئاً عن هذه الانتفاضة ، فانهم من الناحية الاخرى على اتفاق حول اندفاع المرابطون نحو الشمال لوضع حد لظلم زناتة . انظر البكري ، ن . م . ص ١٦٦ ، القاضي عياض ، ن . م . ج ٤ ص ٦٨١ - ٢ ، ابن عذارى ، ج ٤ ص ١٣ ، مؤلف مجهول الحلل الموشية ص ٢٢ .

الشمال كانت قد خططت من قبل فقهاء الشمال ، ابي عمران ، وجاج ، وعبد الله بن ياسين وضمنهم الرؤساء الصنهاجيون . كما ان الفوضى السياسية التي عمت المغرب في تلك الفترة ، بسبب انعدام القوة السياسية الموحدة والقادرة على الحكم^(٢١) ، قد يكون لها الاثر في قبول مثل هذه الدعوة .

ثانياً ، ان هذه الدعوة قد وجدت استجابة سريعة من قبل الصنهاجيين^(٢٢) الذين كانوا يعيشون في صحراء قاحلة وكانوا في تزايد مستمر في اعدادهم . ولعل هذا مانسنتجه من رواية النويري الذي قال «في سنة اربع مائة وخمسين ، ثارت منطقة الملتصين من جماعة ولذلك أمر عبد الله بن ياسين اتباعه بالخروج من الصحراء الى السوس الأقصى»^(٢٣) . فاذا ما صحت هذه الرواية المتأخرة ، فأنها تعني بأن

(٢١) مؤلف مجهول ، ص ٥٣ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ص ٦٢٢ .

(٢٢) كانت القبائل الحلالية العربية في تلك الفترة قد اجتمعت المغرب وأدت الى تفتيت القوى السياسية في كل من المغرب الأدنى والأوسط ، كما انها هي نفسها لم تكن قادرة على الادارة السياسية لتلك المناطق . اما المغرب الأقصى فكان يشكو هو الآخر من عدم وجود سلطة موحدة فيه .

(٢٣) ابن ابي زرع ، ن . م . ص ٨١ .

الوضع الاقتصادي أو الضائقة الاقتصادية لقبائل صنهاجة في الصحراء قد جعلت ابن ياسين يطلب من اتباعه المرابطين الخروج من الصحراء والتوجه شمالا ، لاسيما وأنه كان عازما تماما غنى تلك المناطق .

ثالثا ، أن الدوافع الاقتصادية لا تقل أهمية عن غيرها في قضية اندفاع المرابطين شمالا . فسيطرة المرابطين على المغرب . كان ذات أهمية للصنهاجيين لأنه يعني سيادته التجارية على تجارة القوافل التي تربط سجلماسة بأودغست . فاحتلالهم لمدينة واحدة من مدن المغرب الأقصى مثل سجلماسة كان يعني سيطرتهم على البوابة الشمالية لطرق لتجارة الصحراوية (٢٦) . فما بهم لو سيطروا على جميع المراكز التجارية في المغرب الأقصى .

رابعا ، ان تحرك المرابطين شمالا كان قد ارتبط بدافع قبلي ايضا ، خصوصا وأن الاصقاع الشمالية (المغرب الأقصى) كانت خاضعة للسيطرة زناتة ، اعداء صنهاجة من البربر ، فكان من الطبيعي ان تقوم بتوجيه هجماتها ضد الزناتين حالما امتلكت القدرة العسكرية لذلك (٢٧) . كما يمكن ان يفترض ايضا ان الصنهاجيين الصحراويين ربما كانوا يطمحون الرغبة في الانضمام الى ذوي قرباهم من الصنهاجيين المستقرين في المغرب الأقصى ، بل ربما تخليصهم من تسلط زناتة (٢٨) .

خامسا ، ان الروح الاسلامية القوية والتي نشأت عن العقيدة الدينية الجديدة التي غرسها ابن ياسين بين الصنهاجيين كان لابد لها من ان تثمر ، وقد برهنت على نفسها بشميتها للفوضى الدينية في الشمال . فأبن ياسين الذي اعتبر المرابطين أبطال العقيدة الاسلامية ، طلب منهم انقاذ المغرب من الفوضى الدينية التي تشابه (٢٩) . وبالرغم من ان معظم المصادر العربية الوسيطة تؤكد على الطابع الديني لحملات المرابطين الى الشمال (٣٠) ، لكن المؤرخين المحدثين اختلفوا في تقدير أهمية الدافع الديني في حركة المرابطين نحو الشمال . فهم من اكد على أهمية (٣١) ، في حين ان البعض الآخر اتجه الى التقليل من دور (٣٢) ، وكل الذي نستطيع تأكيده هو ما قاله فرياس Farias في هذا المجال ، حيث يرى أنه «انه من المعقول جدا التخمين من ان العقيدة الدينية التي قدمها ابن ياسين لعبت الدور الرئيسي في الحركة . فالعقيدة الجديدة التي ادخلت الى الصحراء الغربية قد زودت البدو الملتصين لتلك المنطقة بقوة دافعة جديدة قد جعلتهم قادرين لإنجاز لم سبق له مثيل (٣٣) » .

٢٤) نهاية الأرب ، ج ٢٢ ص ١٧٤ .

R25 J. S. Taiming ham, Ahistory of islam in west Africa Rlondon, 1969 P.18

R26 H T Norris RAbdallah Ibn Yasin, Jeune, Les Africains R1979R.

(٢٧) انظر التي الطوي ، اصول المغاربة ، البحث العلمي ، ج ٢٢ (١٩٧١) ص ١٣٥ .

(٢٨) ابن عذارى ، ج ٤ ، ص ١٠ ، مؤلف مجهول ، الحقل الموشيه ، ص ٢٢ .

(٢٩) انظر مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٩ ، ابن عذارى ، ج ٤ ص ١٠ مؤلف مجهول ، الحقل الموشيه ،

ص ٢٢ ، ابن أبي روع ، ص ٨١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢١ .

R30 S.J Hogbenand A H Kirk — Greene, The Emrutes of Northern Nigera Rlondon, 1966 .

p 48

R31 Trningam Rop cit, P 24

بعد امتناع الدوافع التي كانت وراء عملية تقدم المرابطين شمالا ، نود التساؤل عن الفرص الجديدة التي منحت للقبائل الصنهاجية الصحراوية للاختلاط مع العرب في المغرب الأقصى في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد . من المؤسف القول ان معلوماتنا عن هذه الظاهرة ضئيلة ومبعثرة في بطون الكتب العربية ، وحتى في حالة وجودها . فهي لا تكشف الشيء الكثير عن عملية اختلاط هذه . ومع ذلك فسوف نحاول من هذه الشتات ان نصف تواجد صنهاجيين الصحراويين في مدن المغرب الأقصى ، وهي أول وأهم فرصة منحت لهم للاختلاط والافراج ، مع عرب تلك المناطق .

من خلال التعرف على العمليات العسكرية التي نفذها المرابطون في الشمال ، سواء تحت قيادة عبد الله بن ياسين ، ابو بكر بن عمر ، ويوسف بن تاشفين ، فأنا تظهر لنا المدى الذي انتشرت فيه القبائل الصنهاجية الصحراوية في مدن الشمال . كانت الخطوة الأولى في اندفاع المرابطين نحو الشمال قد بدأت عام ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م . في تلك السنة احتل ابن ياسين وادي درعه (٣٤) وتقدم باتجاه مدينة سجلماسة حيث دحر السلطة الزناتية فيها بحلها المدينة (٣٥) ، كان الانتصار الادل هذا على زناتة قد فتح الطريق امام المرابطين للتقدم شمالا . وهنا يحذر أن نشير الى ان اعداد القبائل الصنهاجية المشتركة في عملية التقدم شمالا ، كانت من دون شك ضخمة (٣٦) .

في دراستنا للعمليات العسكرية التي قادها عبد الله بن ياسين ابو بكر بن عمر لأخضاع عدة مدن في المغرب الأقصى لسيطرة المرابطين . يمكننا الاقتراح بأنه من الممكن ان تكون للمرابطين معرفة سياسية وجغرافية بتلك المناطق . فعلى سبيل المثال ، فأنهم في اندفاعهم الى الشمال بعد احتلال سجلماسة لم يحتاجوا جبال الاطلس العالية الوعرة ، بل أنهم اتجهوا غربا متخذين طريقا اخر هو طريق بلاد الواس وسواحل المحيط الاطلسي . لينفذوا من هذه المناطق السهلة الى مدن المغرب الأقصى . في عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م غزا الجيش المرابطي منطقة الواس واحتل عاصمتها تارودنت (٣٧) ، ثم توجه الى اغات حيث دخلها عام ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م (٣٨) . في السنة التالية (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨) وصلوا الى اراضي معمودة وتمكنوا من دحر هذه القبائل البربرية الكبيرة (٣٩) . وأخيرا وفي نفس السنة وصل ابن ياسين بجيوش المرابطين الى سهول تامسنا ، حيث استعد لحملة أخرى ضد البربر من برغواطة هذه سجلماسة ومقاطعاتها وكل منطقة السوس وأغات

R32 Farias, The Almoracids PP 3 — 4

(٣٣) البكري . ن . م . ص ١٦٧ . أن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٢٩ ، ابن أبي روع ، ن . م . ص ٨١ .

(٣٤) البكري . ن . م . ص ١٦٧ . ابن الخطيب ، رقم الحقل ، ورقة ٢٠ .

(٣٥) قدر البكري عدد الجيش المرابطي المتوجه الى الشمال بحوالي ٣٠٠٠ رجل . أنظر السالك ، ص ١٦٧ .

(٣٦) البكري ، ص ١٦٧ ، مؤلف مجهول . الحقل الموشيه ، ص ٢٣ ، ابن أبي روع ، ص ٨١ ، بيوتات ص ٢٨ .

(٣٧) البكري ، ص ١٦٨ .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن المرابطين في أثناء اندفاعهم شمالا لم يجدوا قوة موحدة تواجههم ، ولذا فقد نجحوا في القضاء على القوى الحاكمة كل على انفراد وان يتغلبوا على الأسر المختلفة ويخضعوا الإمارات الصغيرة والضعيفة في أغات ، تادلا ، تامسنا ومقاطعات فاس والريف^(٤٠) .

استمر انتشار المرابطين الصحراويين في مدن الشمال خلال حكم أبي بكر ويوسف بن تاشفين . كما استمر معها تدفق العناصر الصنهاجية من الصحراء الى الشمال . في رواية لصاحب كتاب الحلل الموشية نجد ما يؤكد بوضوح على أن عهد أبو بكر قد شهد قدوم المزيد من الصنهاجيين بما هو نصه «لما كان في ستة سنين وأربعمائة استقامت الأمارة للأمير أبي بكر بن عمر ، وطالت له البلاد ، ووجه عاله إليها ، واستوطن مدينة أغات ، وتوالت عليه الوفود والجيوش في الصحراء ، وكثر الخلق ، وعظم الأزدحام في الأغات»^(٤١) .

أما تحت قيادة يوسف بن تاشفين ، الذي كان أكثر المرابطين شهرة بعد عبده بن ياسين ، فقد نجح المرابطون في السيطرة على ما تبقى من مدن المغرب الأقصى مثل مكناس ، فاس وطنجة بل أنهم تقدموا الى المغرب الأوسط حيث سيطروا على تلمسان ووصلوا الى مدينة الجزائر^(٤٢) . وأخيرا في عام ٤٧٠ / ١٠٧٧ تم نهائيا سحق قوة زناتة وحلفائها في المغرب الأقصى تماما . واستبدلت بقوة أخرى وهي قوة الصنهاجيين الصحراويين^(٤٣) . بالانتصار النهائي للمرابطين في الشمال فتح الطريف تماما للصنهاجيين الصحراويين للتدفع الى مناطق المغرب . فرة أخرى يسجل لنا صاحب كتاب الحلل الموشية رواية فريدة ومفصلة عن دعوة مفتوحة ليوسف بن تاشفين لقبائل صنهاجة المختلفة للقدوم الى الشمال ، ونص هذه الرواية «لما كان (يوسف بن تاشفين) في ستة سبعين وأربعمائة شرع في تجديد العساكر ووفورها ، وبعث الى الصحراء الى لتونة ومسوقة وجدالة ، وغيرهم ليعلمهم بما فتح الله عليهم من ملك المغرب وطاعة اهله ويؤكد عليهم في القدوم اليه ، فوجد عليه فهم جموع كثيرة . ولأهم الأعمال وحرف اعيانهم في مهات الأشغال ، فأكتسبوا الأموال ، وملكوا رقاب الرجال ، وكثروا بكل مكان»^(٤٤) .

لأجنا من نتيجة العمليات العسكرية التي قام بها المرابطون في شمال الانتشار الواسع للقبائل الصنهاجية الصحراوية في هذه المنطقة فقط . بل مانع عن هذا الانتشار من استقرار الصنهاجيين في مدن المغرب الأقصى واختلاطهم ومتزاجهم ، سكان تلك المدن من العرب .

ان دراسة اصول القبائل الصنهاجية التي استوطنت مدن المغرب الأقصى في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، ليست قضية سهلة طالما ليس بين يدي الباحث الا معلومات ضئيلة نادرة ذات صلة مباشرة ، ولكن بدراسة مايتوفر بين ايدينا من نصوص نجدتها في نصوص الكتب العربية الوسيطة ، يمكننا ان نتعرف على القبائل الصنهاجية الصحراوية والأسر التي استقرت في مدن المغرب الأقصى كنتيجة لتوسع سيطرة المرابطين شمالا . اما الطريقة التي ستبناها في معالجة هذه القضية ، هي تتبع مناطق توزيع قبائل صنهاجة الصحراوية مبتدئين من الشمال (شمال المغرب الأقصى) ومتبين الى جنوب ، أمام المناطق الخمس التي سندرسها فهي : -

١ - المنطقة الأولى (المهبط) .

أن المنطقة الأولى التي نتم بدراستها في المنطقة المعروفة ب «المهبط» والممتدة ما بين مدينة مليلة والمحيط الاطلسي نزولا الى وادي ورغة ونهر سبيو في الجنوب . وكما هو معروف تاريخيا أن الفاتحين العرب الأوائل كانوا قد التقوا بقبائل غمارة ومعودة في هذه المنطقة في القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد^(٤٥) ، وقد تبع هذا أن الفاتحين العرب الأوائل هذه المنطقة مثل عقبة بن نافع وموسى بن نصير قد اسكنوا بعض المجموعات العربية بين سكانها الأصليين من البربر^(٤٦) . ويبدو أن أولئك العرب واحفادهم قد استمروا في سكني هذه المنطقة حتى الفترة موضوعة البحث . في رواية للبكري في منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد تشير الى ان سكان منطقة سبته «كانوا عربا وبربرا ، وعربا تنسب الى جد»^(٤٧) ، بالإضافة الى وجود بعض المجموعات العربية من كهلان (قحطانية) في المقاطعات الجنوبية لطنجة^(٤٨) . أما البربر من سكان مناطق طنجة في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد . فإن البكري يؤكد على أنهم بشكل رئيس من صنهاجة^(٤٩) . وعلى الرغم من أننا نجد صعوبة بالغة في تحديد الوقت الذي وصلت فيه صنهاجة الى هذه المنطقة . لكننا يمكن ان نفترض ، مستنديين في الفرضيات على ما جاء عند البكري ، من ان وصولهم كان في حدود النصف الأول من القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، حيث شهدت هذه الفترة اختفاء قبائل غمارة ومعودة تماما من هذه المنطقة تحت تأثير عناصر جديدة دفعهم نحو الجنوب والجنوب الشرقي ، وهذه العناصر هم الصنهاجيون الذين سيطروا على هذه المنطقة بعد طرد القوى الأخرى منها . ويبدو من المحتمل جدا ان تدفقهم الى هذه المنطقة قد استمر خلال القرنين التاليين (السادس والسابع للهجرة / الثاني والثالث عشر للميلاد) . ولا سيما اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار رواية كل من الادريسي^(٥٠) وابن عذاري^(٥١) . والتي تشير الى ان العاصر الصنهاجية لم تتركز في مدينة طنجة فقط ، بل انتشرت ايضا في المناطق الواسعة المحيطة بها الى الشرق والجنوب^(٥٢) .

(٤٥) مؤلف مجهول . الحلل الموشية . ص ٣٣
(٤٦) بن عبد الحكم . فتح ميمر . ص ١٩٨
(٤٧) البلاذري . ص ٢٣٠ . ابن حوقل . ص ٧٩ .
(٤٨) المسالك والممالك . ص ١٠٣

(٤٩) مصدر نفسه . ص ١٠٩
(٥٠) المصدر نفسه . ص ١٠٥
(٥١) رقة المشتاق . ص ١٦٩
(٥٢) البيان . ج ١ ص ٢٠٦

(٣٨) المصدر نفسه

(٣٩) قتال برعواطة حبيب من البربر ينسبون الى معودة . وقد انعموا منذ عام ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م بيمين الحامص .

مسمى صالح . يزيد بن عبد الحميد بن عبد البر . ص ١٣٠ ، ٤٠ . ابن أبي روج . ص ٨٣

(٤٠) السكري . ص ١٦٨ . القضي عيسى . ج ٤ ص ٦٨١

(٤١) السكري . ص ١٦٨ . مؤلف مجهول . معاصر البربر . ص ٥٢

(٤٢) مؤلف مجهول . الحلل الموشية . ص ٣٣

(٤٣) ابن أبي روج . ص ٨٢ ، ٩٢ . ابن الخطيب . أعمال الاعمال . ص ٢٣٥

(٤٤) ب . ج . ص ٢٩١

أما فيما يخص أصل الصنهاجيين الذين استقروا في منطقة المحيط في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، فقد قيل بأنهم من صنهاجة الشمال ، أو من الطبقة الأولى حسب تصنيف ابن خلدون ^(٥٣) ، ولكن بالرغم مما جاء به ابن خلدون عن أصل صنهاجة في هذه المنطقة ، فمن المحتمل أن فرصته تزايد الصنهاجيين الصحراويين لابد أن تكون قد برزت نوافر الجيوش المرابطية إلى منطقة المحيط التي كانت قد أصبحت بمثابة قاعدة انطلاق إلى الأندلس ^(٥٤) ، وبما يؤكد هذا الاحتمال رواية نادرة للبيزق يشير فيها إلى أن الصنهاجيين في طنجة كانوا من بين المجموعات التي قاومت الحركة المرابطية الموحدية بقوة ^(٥٥) ، ولعل هذا يشير إلى صلة هؤلاء الصنهاجيين بالمرابطين .

٢ - المنطقة الثانية : وادي ودغه .

إلى الجنوب من منطقة طنجة ، حيث وادي أحد فروع نهر سبيو ، نجد تواجد العناصر الصنهاجية بكثرة ، أما صنهاجة هذه المنطقة فيمكن لنا أن نؤكد على أنهم من العناصر الصحراوية المتدفقة إلى الشمال مع الحركة المرابطية . ففي كتاب نزعة المشتاق للأدرسي نجد إشارة إلى أن هذه المنطقة كانت مستقرا لقبائل غارة ، إلى أن طردوا من هذه الأرض ، أما طردهم فكان من قبل المرابطين الصحراويين ^(٥٦) . وهذا يعني أن الصنهاجيين الصحراويين . قد حلوا في مستقرات قبائل البئر في هذه المنطقة ، بل لم يكتفوا بذلك فقد ابعدهم عنها .

من بين قبائل الملتجئين الأخرى التي استقرت في حوض الوردغة بعد اندفاع المرابطين نحو الشمال ، كانت قبيلة لمطة (أخوة صنهاجة) وهي إحدى القبائل المشاركة في الحملة المرابطية إلى المغرب الأقصى ^(٥٧) . استقرت لمطة في المنطقة التي تقع بين فاس وتاودا . ويفصل الأدرسي هذا الأمر بقوله «وهذه المدينة (تاودا) بناها أمير من قبل الملتئم وكانت على مقربة من جبل غارة وكانت يمكنها شبه الثمر سدا مانعا من طاعة غارة» ^(٥٨) . أن تشيد هذه المدينة له أهمية ، حيث يعني أن المرابطين لم يقتصروا في استقراهم على مدن المغرب الأقصى ، بل أنهم وجدوا لأنفسهم مستقرا جديدة في هذه المنطقة أيضا .

٣ - المنطقة الثالثة : فاس

شهدت المنطقة الواقعة إلى الجنوب من حوض الوردغة ، حيث مدينة فاس ، في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد تدفق أعداد كبيرة من الأسر الصنهاجية الصحراوية بالمقارنة مع مدن المغرب الأقصى الأخرى . وهنا نجد أن معلوماتنا عن مدينة فاس وفيرة ، أما سبب ذلك فليس من الصعوبة معرفته . فالمصادر العربية ، لاسيما كتب التراجم عن مدينة فاس تزودنا بمعلومات شاملة عن تعداد كبير من الأسر الصنهاجية والعربية التي عاشت فيها ^(٥٩) .

قبل أن نشرع في دراسة استقرار صنهاجة في فاس خلال الفترة المرابطية نجد من الضروري أن نضيف كلمة عن مدينة فاس وسكانها من العرب والبربر والفرس التي منحت لهم للاختلاط ببعضهم ، فكما هو معروف تاريخيا أن مدينة فاس قد أسست أيام أدريس الثاني في عام ٨٨ / ١٩٣ ^(٦٠) . وقد سكنت العناصر العربية في هذه المدينة منذ تأسيسها سواء من القحطانية أو العدنانية . فمن بين تلك المجموعات الأزدي ، الحزرج ، يحصب ، حذف وملحج وهؤلاء جميعا من القحطانية ، أو المجموعة الثانية العدنانية ، فقد تألفت من مجموعات من قبس وكثانة ^(٦١) .

استمر هؤلاء العرب بأستيطان مدينة فاس حتى مجيء المرابطين في منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد . فعلى سبيل المثال أن احداث عمير بن مصعب الأزدي ، وزير أدريس الثاني والذين عرفوا بأسم «بني ملجوم» في العهد المرابطي ، كانوا قد ورثوا منصب القاضي في فاس ، وعندما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس وجد أحد أفراد هذه الأسرة وهو يوسف بن عيسى بن ملجوم لا يزال يشغل هذا المنصب فيها ^(٦٢) . واعترافا بمهارته القضائية ، كما يشير إلى ذلك أحمد بن القاضي ناه ، يوسف بن تاشفين في ولايته للمغرب ولاء (يوسف بن عيسى بن ملجوم) قضاء مكانة ثم قضاء الجماعة بمراكش ^(٦٣) .

يضاف إلى ذلك بأن مؤلف كتاب بيوغات فاس يسجل لنا بأن «جدهم الفقيه العالم يوسف بن عيسى من أهل الفتوا والشورى ، وهو الذي استفاد يوسف بن

(٥٣) البكري ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٣

(٥٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٣١٢ أنظر تقسيم ابن خلدون لقائل مهاجرة اعلاء .

(٥٥) أنظر الفتي العدي . أصول مغاربة . البحث العلمي ، العدد ٢٧ (١٩٧٧) . ص ٢٢٠

(٥٦) أبو بكر بن علي العجاج المعروف بالبيزق ، تاريخ توحدين ، تحقيق لقي بروفسال (باريس ، ١٩٢٨) ص ١٠٨

(٥٧) الأدرسي ، ص ١٧

(٥٨) مؤلف مجهول ، الخلف الرشيد ، ص ٣٣

(٥٩) نزعة المشتاق ، ص ٨١

(٦٠) أنظر عن لاسر الفهاجرة والعربية في فاس ، بيوغات فاس الكبرى . محمد بن القاضي ، حلوة الاقتباس

(٦١) ابن الأثير ، ج ١ ص ١٣ ، ٤٠ ، صهر بن القاضي الكعابي ، جنود الأندلس (الرباط ، ١٩٧٤) ، ج ١ ص ٢٧

(٦٢) أنظر كتاب بيوغات فاس عن العناصر القحطانية والعدنانية التي سكنت فاس .

(٦٣) بيوغات فاس ، ص ١٥ ، ابن القاضي ، حلوة ، ج ٢ ص ٥٤٩

تاشفين المستوفي لما اراد الجواز الى الأندلس ... فلما ائتم له بذلك جاز امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى الأندلس^(٦٤) . فعلاقة يوسف بن تاشفين بني الملجوم الأردبين تمكنتا القول بأن المرابطين قد عبروا عن اهتمامهم وتقديرهم للأرض العربية العريقة الموجودة في فاس .

من المجموعات العربية الكبيرة التي سكنت مدينة فاس ، الأنصار من الخزرج ، الذين شكلوا الجزء الأعظم من سكانها ، كان من بينهم بيت بنوعشرين^(٦٥) ، وهم أسرة فقهاء ، منهم الفقيه علي بن عشرين المعاصر للمرابطين^(٦٥) ، ومن الأسر الانصارية في فاس بيت بني حنود الخزرجي الأنصاري ، وبيت فراقجة الخزرجي^(٦٦) .

أما من المجموعات العربية العدنانية التي سكنت مدينة فاس منذ أيام الادارة وحتى زمن تقدم المرابطين شمالا . فنجم لقبسين . في باب الفتح في حي الاندلسيين في فاس ، نجد أسرة السلاجي التي يشير صاحب بيوتات فاس وهو يتكلم عن أبي عثمان بن عبدالله القيسي المعروف بالسلاجي^(٦٧) . ومن الأسر القيسية في فاس بيت بنوبكار . فهم الفقيه بكار بن عبدالرحمن القيسي (ت ٤٥٠ / ١٠٤٥)^(٦٨) .

بالعودة الى الفترة التالية مباشرة لأمتداد نفوذ وسلطة المرابطين شمالا ، فأننا نجد تزايداً مستمرا في عدد الصنهاجيين الصحراويين في فاس^(٦٩) . فبعد فتح هذه المدينة من قبل يوسف بن تاشفين . يبدو ان اعدادا كبيرة من الصنهاجيين الصحراويين بدأوا بالاستقرار في المدينة وضواحيها . في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد اشار الادريسي الى أن العيون التي كانت تزود النهر الكبير في فاس كانت تعرف «بعيون هاجة»^(٧٠) . ولعل السبب الوحيد لهذه التسمية لا يمكن أن نغزوه الا الى السيطرة الصنهاجية على مناطق العيون هذه . وربما كانت قبيلة لمتونة من بين المجموعات الصنهاجية الصحراوية الأولى التي دخلت واستقرت في فاس . متميزة . بمنونة ، أبنه يوسف بن داسفين . كاتب قد

سكنت في فاس وعرفت بذكائها وكرمها . كما يظهر ايضا باسم : تدركت في بعض المسائل الادارية في فاس^(٧٣) . أما بيت بني الخلوفا المشهور . الذين اعتبروا من قبل مؤلف كتاب يوتاس فاس «عربا صنهاجين في صنهاجة الصحراء وصنهاجة من حمير»^(٧٣) فقد

(٦٤) جلوة الاقياس . ج ٢ ص ٥٤٩ .

(٦٥) بيوتات فاس . ص ١٥ .

(٦٦) بيوتات فاس . ص ١٩ .

(٦٧) المصدر نفسه . ص ٣٨ . ٥١ .

(٦٨) ابو عبيد الله بن جعفر الكتاني . سلوة الانضاس ومعادلة الاقياس (فاس . ١٣١٦) ج ٢ ص ١٨٣ .

(٦٩) بيوتات فاس . ٤٦ . ابن القاضي . المصدر نفسه . ج ١ ص ٦٦٩ .

(٧٠) بيوتات فاس . ص ٣٩ .

(٧١) كانت نهضة من بين القبائل البربرية التي استقرت في فاس خلال القرون الأولى لتأسيسها ، ولكننا مع الأسف لانعرف شيئا عن اصولهم . انظر ابن أبي زويج . ص ١٣ - ٤ . ابن القاضي . المصدر نفسه . ج ١ ص ٢٧ .

(٧٢) نزهة المشتاق . ص ١٥٧ .

(٧٣) ابن القاضي . المصدر نفسه . ج ١ ص ١٧٣ - ٧٤ .

كان أحد أعضائها المدعو حسين بن الخلوب الصباحي الحميري شيخ فقهاء أهل فاس^(٧٤)، وربما كان أيضاً من بين أفراد هذه الأسرة خلوف ابن خلف الله الصباحي، الذي شغل منصب القاضي للمسلمين في غرناطة عام ١١٦٠/٥١٠ وفي فاس ومراكش بعد ذلك. وقد عرف بكونه رجل علم وتقوى^(٧٥)، سلك هذا بالطبع يرهن على الدور الذي أداه الصباحيون في مدينة فاس، كما يظهر أنهم عرفوا في فاس والمناطق الواقعة إلى شاطئها كعرب من حمير.

من الأدلة المذكورة أعلاه، يمكن للباحث أن يستنتج كيف كان الصباحيون والصحراويون يعيشون جنباً إلى جنب مع العرب من القحطانيين والعدنانيين في مدينة فاس في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وقد اتاحت هذه الظروف المجال للاختلاط ببعضهم. بحيث لم يمض وقت طويل حتى ظهرت نتائجه. فالأدرسي (في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد) أشار إلى أنه كان «يسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون العربية وهم بنو يوسف ومنذلاوة وبلول وزواوة وبخاصة وبخياته وسلاجيون»^(٧٦). إن الفحص الدقيق لنص الأدرسي يجعلنا نقول أن اختلاط القبائل العربية والبربرية في منطقة... يبدو واضحاً واكيداً.

فالقائل السلاجية، على سبيل المثال، اعتبرت قبائل بربرية متربة من قبل الأدرسي وكانوا في الحقيقة عرباً قيسيين قطنوا مدينة فاس منذ أيام الإدارة^(٧٧)، والذي يبدو أن اندماجهم مع القبائل البربرية في فاس والتي استمرت في الازدياد عددياً بعد تقدم المرابطين شمالاً، كان السبب في عدم قدرة الأدرسي على تمييز نسبهم القبسي - العربي. فضلاً عن ذلك، فإن الأثر العميق للاختلاط العربي - البربري في فاس قد انعكس في هيمنة اللغة العربية بين القبائل في هذه المنطقة. والأكثر من ذلك، فإن قبيلة بني بلول، ليتكلم العربية في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد، كانوا أصلاً قبيلة بربرية^(٧٨). عاشت في فاس منذ أيام الإدارة وتزاوجت مع العرب الأدرسيين الذين كانوا قد استقروا في فاس، فعلى سبيل المثال فإن مصعب بن عمير الأدرسي، وزير الأدرسي الثاني، كان قد تزوج امرأة من قبيلة بني بلول البربر^(٧٩). وهذا يعكس إلى درجة الاستزاج العربي - البربري في فاس والذي أصبح يبرز بوضوح في القرنين التاليين.

الإشارة إليه هو أن الاختلاط العربي البربري، وكما يبدو، قد أصبح بمرور الزمن أكثر تعقيداً. فمؤلف بيوتات فاس (في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد) لجده بلافي صعوبة بالغة في تمييز الأصول النسبية لعديد من الأسر في فاس. فقد سجل عن أسرة بني قوري قوله «بيت بني القوري»، وهم من العرب، وأظهروا من صنهاجة، وبينهم بيت عام، وفقه وعدالة وثروة وحسب، ولهم أملاك كثيرة داخل فاس وحرجها»^(٨٠).

فهذا النص ربما نستطيع أن نستخدمه دليلاً إضافياً عن حالة الاختلاط بين الصنهاجيين والعرب في فاس وعن التأثير العربي على صنهاجة.

٤ - المنطقة الرابعة: مكناس

في منطقة مكناس، جنوب غربي فاس كانت قد شهدت إنشاء مستقرات جديدة للصنهاجيين. فالأدرسي أثناء وصفه لتلك المستقرات والمناطق التابعة لها يقول «ولاد مكناس منها التي تعرف ببني زياد وهي مدينة عامرة لها أسواق عامرة مصصمات وديار حسنة، ولم يكن في أيام الملم بعد تاقورت، أعمر قطراً من بني زياد... وهي تاوورة وبني زياد مدينتين صغيرتين أحدهما القصر... وهذه المدينة بناها أمير من أمراء الملمين وجعل لها سوراً حصيناً... كان ذلك الأمير يسكنها مع جلة من بني عمه»^(٨١). ولعل من المعقول القول أن أبناء مثل هذه المدن من قبل الصنهاجيين الصحراويين قد قاد إلى استقرارهم وربما اقترانهم مع مزاهجهم مع سكان المنطقة.

٥ - المنطقة الخامسة: سلا

في سلا، الواقعة في منطقة خصبة على المحيط الأطلسي، كانت الحركة المرابطية قد قادت قبائل الملمين للاستقرار فيها^(٨٢). ففي الوادي الذي يقع بين سلا ومراكش... فليستد بني أنجه حنوبي، عاش هناك في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد. وقد بالتأكيد القبائل البربرية من جزلوله. لمطه وصنهاجة^(٨٣)، وإذا ما تذكر دور هذه القبائل في الترحيل المرابطي شمالاً... من المراكش إلى هنا... الصنهاجيين الذين كانوا قد استقروا في السوس والصحراء... كما... كسجحة... أخرى... أن تطبق

(٧٤) بيوتات فاس، ص ٤٨.

(٧٥) المصدر نفسه.

(٧٦) محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأثير، كتاب التكملة، كتاب السلا، ص ٢٦٦.

(٧٧) الأدرسي، ص ٢٦٦.

(٧٨) الكافي، ص ٨٣.

ثبت بالمصادر والمراجع

(١) - مصادر ومراجع عربية:

- ابن الاثير. عز الدين علي بن محمد. كتاب الكامل في التاريخ. ١٢ جزء (بيروت. ١٩٦٥ - ١٩٦٩).
- ابن الابار. محمد بن عبد الله بن أبي بكر. كتاب التنكية لكتاب الصلة. ٢ جزء (مدريد. ١٨٨٧).
- ابن أبي زرع. علي بن عبد الله الفاسي. الألبس المطرب بورحن القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس تحقيق سي. جي. تورنبرغ (أو بسالة. ١٨٤٣).
- ابن الأحمر. اسماعيل (شارك في تأليفه). بيونات فاس الكبرى (الرباط. ١٩٧٢).
- ابن حوقل. أبو القاسم محمد بن علي. كتاب صورة الارض تحقيق H. J. Kramers (لندن. ١٩٣٨).
- ابن الخطيب. لسان الدين. كتاب اعمال الاعلام (تاريخ العرب العربي في العصر الوسيط) تحقيق احمد مختار العادي واهرون (الدار البيضاء. ١٩٦٤).
- ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد. كتاب البصر وديوان المتنبي والخير. ٧ جزء (بيروت - ١٩٦٧ - ٩٨).
- ابن عبد الحليم. أبو علي صالح بن صالح. الاسباب مخطوط. الخزانة العامة في الرباط. برقم ك ١٢٧٢.
- ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب. ٤ جزء (بيروت. ١٩٦٧).
- ابن فرحون. ابراهيم بن علي محمد. كتاب الدباج المذهب في اعيان المذهب تحقيق محمد الاحمدي أبو النور (القاهرة. ١٩٧٤).
- ابن القاسمي. احمد. جدوة الاقباس. ٢ جزء (الرباط. ١٩٧٤).
- الادريسي. محمد بن عبد العزيز. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق تحقيق M. J. De Goeje, R. Dozy (امستردام. ١٩٦٩).
- اسماعيل. عثمان عثمان. تاريخ دولة الاسلام (بيروت. ١٩٧٥).

اما بالنسبة لمدينة مراكش التي اوجدها المرابطون كعاصمة لمملكتهم. فقد أصبحت بحضي الوقت المستقر الرئيسي لقبائل صهاحمة الصحراوية^(٨٣). في السنوات التالية مباشرة لبناء هذه المدينة وبعد استقرار يوسف بن تاشفين هناك. فقد شهدت مراكش تدفقا متزايدا في عدد من المهاجرين والبربر الذين جاءوا من مناطق مختلفة في المغرب والصحراء^(٨٤). وحتى من الاندلس^(٨٥). ويبدو من المرجح تماما ان وجود كل هذه العناصر من المغرب والبربر بالقرب من بعضها البعض وقد ساعد على بعض الامتزاج والتواصل بينها.

واذا ما وصفنا كل هذه الحقائق امامنا فانا نستطيع ان نعلن باطمئنان بان التأثير المراكشي في المدن الشمالية لمغرب لم يكن مقتصر على وضوئه هناك. بل انه ارتبط ايضا باستقرارهم في تلك المناطق واحتلالهم مع أهلها وعاصمة العرب.

(٨٣) الادريسي. ص ٧٠

(٨٤) المصدر نفسه. ص ٦٧ - ٨

(٨٥) التادلي. التنوير. ص ٣٤٨ - ٤٢٥

(٨٦) ابن فرحون. الدباج. ج ١ ص ٢١١

ب - مصادر أجنبية :

(2)

1. Fage, J.D. A history of West Africa (Cambridge 1969).
2. Farias, Paulo Fernando De Moraes, The Almoravids, some questions concerning the character of the movement during its periods of closest contact with Western Sudan; Bulletin de l'Institut Fundimental d'Afrique Noire, Tom XXIX, No.3-4 (Juillet-Octobre, 1967), pp.794-878
3. Hogben, S.J. and Kirk A.H., The Emirates of Norther Nigeria (London, 1966).
4. Levtzion, N., The early states of the Western Sudan to 1s00, in History of West Africa, ed. J.F.Ade. Ajaya and M.Crowder, 4vols (London, 1971).
5. Norris, H.T., Abdallah Ibn Yassin Jeune Afrique Les Africains (1979).
6. Trimmingham, J.S., A History of Islam in West Africa (London, 1962).

البكري . ابو عبيد بن عبدالعزيز . كتاب المسالك والممالك . تحقيق M.G.De Slane (الخرائط - ١٨٥٧) .

البلاذري . احمد يحيى . فتوح اليبندان تحقيق دي عويبة (ليدن - ١٨٦٦) .

البيدي . ابو بكر بن علي الفهاح . تاريخ الموحدين . تحقيق ليبي بروفنسال (باريس - ١٩٢٨) .

التادلي . ابو يعقوب بن يحيى . كذب المشوف الى رجل انصوف (الرباط - ١٩٥٨) .

التقي العلوي . اصول المذبة . البحث العلمي . الجزء ٢٢ (١٩٧٤) : ص ٢٠١ - ٢٣٩ .

زمانه . عبدالقادر . أول مفكر في تأسيس الحركة الوطنية . ابيه . السنة الأولى . العدد الثالث . (يوليو - ١٩٦٢) . ص ٦٥ - ٧٢ .

السومى . محمد مختار . الموسوعة (الرباط - ١٩٥٩) .
الطبري . ابو جعفر محمد بن حرير . تاريخ الرسل والملوك . ١٠ جزء القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٩) .

القاضي عياض . ابو فضل عياض بن موسى اليحصبي الميني ترتيب المدارك وتقريب المسالك . تحقيق احمد بكير محمود (بيروت - ١٩٦٧) .

الكتاني . ابو عبد الله محمد بن جعفر . سورة الاحقاف ومحادثة الاكياس من أفت من العلماء والصلحاء (فاس - ١٨٩٨) .

مؤلف مجهول . كتاب الاستبصار في عجائب الامصار . تحقيق سعد زعلول عبدالحميد (الاسكندرية - ١٩٥٨) .

مؤلف مجهول . الخلل الموشيه في ذكر الاحبار المراكشيه تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمانه (الدار البيضاء - ١٩٧٩) .

مؤلف مجهول . كتاب معاصر الزبير تحقيق ليبي بروفنسال (الرباط - ١٩٣٤) .

المويري . احمد بن عبد الوهاب بن محمد . نهاية الادب في فنون الادب . ١٩ جزء (القاهرة ١٩٤٩ - ٧٠) وجزء ٢٢ (غرنطة - ١٩١٧) .

دور أمراء العراق في حركات تحرير المشرق في العصر الأموي

٧٨ - ١٣٢ هـ / ٦٩٧ - ٧٤٩ م

الدكتور عبد القادر سلمان المعاصيدي

جامعة بغداد كلية التربية - قسم التاريخ

التي تمت في المشرق خلال هذه الفترة التي استغرقت اربعة وخمسون عاماً انما هي محاولة لالقاء الضوء على دور امراء العراق في حركات تحرير المشرق ثم نوضح اثر الاحداث السياسية في الدولة الأموية على هذه الحركات .

بعد ان حقق الاسلام وحدة العرب دينياً وقومياً خرجوا من شبه الجزيرة العربية لنشر الرسالة العربية من جهة ، ولتحرير الأرض العربية من السيطرة الاجنبية من جهة اخرى . فقد كان العراق تحت السيطرة الساسانية ، وبلاد الشام وشمال افريقية تحت السيطرة البيزنطية . وبعد معارك حاسمة انتصر فيها العرب على الفرس والروم تمكنوا من القضاء على الامبراطورية الفارسية والى الابد^(١) . ثم حرروا بلاد الشام

لقد نشرت عدة دراسات عن حركات التحرير العربية في المشرق نخص بالذكر منها دراسات الاستاذ هاملتون جب في كتابه : (The Arab Conquest in Central Asia) والدكتور شكري فيصل في كتابه « حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول » وبوليوس ولها وزن في كتابه « الدولة العربية وسقوطها » والدكتور محمد عبد الحلي شعبان في كتابه « الثورة العباسية » . وقد عنيت هذه الدراسات بحركات التحرير العربية ودور ولاية المشرق فيها . وقد جاء ذكر دور امراء العراق في هذه الحركات عرضياً وذلك ضمن الكلام عن الحوادث السياسية والعسكرية . مع ان هؤلاء الامراء في فترة - موضوع البحث - كانوا لا يكتفون بوضع الخطوط العامة لهذه الحركات ، وانما كانوا يقومون باعداد الحملات العسكرية ، ويشتركون في تنفيذها ، ويستطلعون اخبارها ، وذلك لأن الادارة في الدولة الأموية في هذه الفترة اصبحت ادارة لامركزية ، فأصبح امراء العراق يشرفون على ادارة المشرق ، وقد منح الخلفاء الأمويون امراء العراق صلاحيات واسعة في الادارة المدنية والعسكرية ، فأصبح هؤلاء الامراء يشرفون بصورة مباشرة على حركات التحرير ، وقد ظل هذا الاشراف قائماً حتى سقوط الدولة الأموية سنة ٥٣٢ / ٧٤٩ م . ان الهدف من هذا البحث ليس الكتابة عن اخبار حركات التحرير

(١) في سنة ٣١ هـ قتل يزدجرد ملك الفرس ، فانتهت المقاومة الفارسية من الناحية العملية فخرج البلاذري - فخر البلدان ٣٨٧ ، ٣٨٨ الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٢٤٣٧ ، ٣٨٠

وجزه من شمال افريقيا من السيطرة البيزنطية^(٢) . الا ان الفتنة التي حدثت في زمن الخليفة عثمان بن عفان (رض) (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) ادت الى توقف حركات التحرير العربية ، كما حالت الفتنة التي قامت في عهد الخليفة علي بن ابي طالب (رض) (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م) دون استمرارها .

ومع ان العرب كانوا قد حرروا شعوب هذه الأقاليم مما كانوا فيه من ظلم في ظل دولة كسرى الفارسية نجد ان هؤلاء كانوا قد انتهزوا فرصة انسحاب القوات العربية من المشرق وذلك لاشتراكها في هذه الفتنة فسيطروا على الاراضي التي حررها العرب ، واخرجوا عمال الخلافة منها وامتنعوا عن رفع الخراج الى الدولة العربية^(٣) . وموقفهم هذا سببه هو ان الفرس كانوا قد وقفوا من الاسلام موقف العداء ومنذ البداية وانهم دخلوا بالدين الجديد بعد ان عجزوا عن مقاومته وبدون ان يقتنعوا به ، وكان هدفهم ، وما يزال ، هو العمل من داخل الاسلام على القضاء على السيادة العربية بأسم الدين وبمجة التمسك به والدعوة له^(٤) .

وعندما تقلد الخليفة الأموي الأول معاوية بن ابي سفيان الخلافة سنة ٤٠هـ/٦٦٠م استأنف حركات التحرير ، وقد تم في عهده تحرير عدد من المدن في المشرق والمغرب^(٥) . ال هن حركات التحرير هذه كانت قد تقلصت في أيام الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م) وذلك لانشغال يزيد بقمع حركات المعارضة التي قامت في عهده^(٦) .

ولما تقلد الخليفة عبد الملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م استأنف حركات التحرير بعد ان تمكن من القضاء على حركات

(٢) عن حركات التحرير في المشرق وبلاد الشام وشمال افريقية في هذه الفترة انظر :

البلاذري : فتوح البلدان ١٢٨ - ١٧١ ، ٢٤٩ - ٢٦٥ ، ٤٩٩ - ٥٠٥

الطبري : تاريخ ٣٤٣/٣ - ٣٨٢ ، ٣٩٤ - ٤١٨ ، ٤٣٤ - ٤٧٩ ، ٤٨٠ - ٥٧٩ ، ٥٩٨ ، ٦١٣ ، ٦٢٠ - ٦٢٣ ، ٣٨٠٥/٤ ، ٤٩ - ٩٤ ، ١٠٤ - ١١٢ ، ١١٤ - ١٣٩ - ١٦٠ ،

١٧٣ - ١٨٣ ، ٢٦٩ - ٢٧١ ، ٢٨٨ - ٣٠٣ ، ٣٠٩ - ٣١٣

(ابن اعثم : الفتح : ٨٨/١ - ٣٣٤ - ١/٢ - ١٤٥)

(٣) انظر : البلاذري : فتوح البلدان ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، تاريخ خليفة بن عياط : ١٥٩/١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، الطبري : تاريخ : ٦٤/٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨

(٤) لمعلومات أوسع انظر : د. خاضع المعاصيدي : العداء الفارسي للعرب وقادسية صدام : ٩٢ - ٨٠ ، د. نزار الخديبي : العلاقات العربية - الفارسية : ٢٤ - ٢٩

(٥) انظر : البلاذري : فتوح : ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، البقولي : تاريخ : ٢١٧/٢ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، الطبري : تاريخ : ١٧٢/٥ ، ١٨١ ، ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ - ٢٨٨ - ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ - ٢٩٩ ،

٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ابن اعثم : الفتح : ١٩٠/٤ - ٢٠٣

(٦) عن المعارضة هذه انظر : البقولي : تاريخ : ٢٤١/٢ ، ٢٥٣ ، الطبري : تاريخ : ٣٤٧/٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٢ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٦٢٦

المعارضة^(٧)

ويبدو ان الخليفة عبد الملك بعد ان توسعت الدولة في عهده أراد ان يخفف من اعباء اشرافه على الأقاليم البعيدة منها فاتبع نظام اللامركزية في ادارة الدولة فقد ذكر الطبري انه في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م اقصى الخليفة عبد الملك ، أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن ولاية خراسان وسجستان وضمها الى عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي^(٨) .

وقد منح الخليفة عبد الملك عامله الحجاج صلاحية واسعة لحل مشاكل المشرق^(٩) . والظاهر ان الحجاج بعد ان قضى على معارضة الخوارج اهتم بأمر حركات التحرير في المشرق^(١٠) . فقد ذكرت المصادر ان الحجاج ولي المهلب بن ابي صفرة على خراسان ، وعبيد الله بن ابي بكرة على سجستان^(١١) . وقد وقع اختيار الحجاج عليهما نظراً لما عرفه فيها من قابليات عسكرية^(١٢) .

ف عندما امتنع زنبيل ملك الترك في سنة ٧٩هـ/٦٩٨م عن دفع الخراج (مال الصلح) الى الحجاج ، أمر الحجاج واليه على سجستان عبيد الله ابي بكرة الثقفي ان يتقدم على رأس قوة عسكرية لقتاله وعندما تقدم عبيد الله على رأس القبائل العربية في العراق تمكن جيشه من التوغل في بلاد زنبيل في أول الأمر وحرر أراضي واسعة ، الا ان الترك كانوا قد نصبوا كميناً للجيش العربي أدى الى استشهاد عدد كبير من الجيش العربي وهزيمته فاسترجع زنبيل الأراضي التي كان قد حررها العرب^(١٣) . ويبدو ان هذه الحادثة كانت قد أثرت في نفس أمير العراق الحجاج ، فقد ذكر الطبري أنه عندما وصلت اليه اخبار هزيمة الجيش العربي «بلغ ذلك منه كل مبلغ» وكتب رسالة الى الخليفة عبد الملك بين فيها الموقف العسكري للجيش العربي في سجستان ، ويستأنذه في توجيه

(٧) عن حركات المعارضة في أيام عبد الملك انظر : تاريخ خليفة بن عياط : ٢٥٧/١ - ٢٧٥ ، البقولي : تاريخ : ٢٥٨/٢ - ٢٧٦ ، الاخبار الطول : ٢٩٩ - ٣١٦ ، الطبري :

١١١/٥ - ١٢٦ ، ٧/٦ - ٣١٧ ، د. دكسن : الخلافة الأموية : ١٩٧ - ٣٠٧

(٨) تاريخ الرسل والملوك : ٣١٩/٦ ، انظر : البقولي : تاريخ : ٢٧٦/٢ ، الاخبار الطول : ٢٨٠

(٩) شعبان : الثورة العباسية : ١٠٦

(١٠) يقول الطبري : ان المهلب بن ابي صفرة لما فرغ من الازالة قدم على الحجاج وذلك سنة ثمان وسبعين - فأجلسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من اصحاب المهلب فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلاً من اصحابه بلاء حسن الا صدقه الحجاج بذلك ، فحملهم الحجاج وأحسن عطايهم ، وزاد في اعطياتهم ثم قال : هؤلاء اصحاب الفعّال ، وأحق بالأموال ، هؤلاء حماة الثغور ، وعظ الأعداء ، تاريخ الرسل والملوك : ٣١٩/٦ .

(١١) البقولي : تاريخ : ٢٧٦/٢ ، الطبري : تاريخ : ٣٢١ - ٣٢٩

(١٢) الطبري : ٢١٩/٦ - ٣٢٠

(١٣) الطبري : تاريخ : ٣٢٢/٦ ، ٣٢٣ ، ابن اعثم الكوفي : الفتح : ١١٢/٧ - ١١٤

جيش كبير للتأثر لهم (١٤).

والظاهر ان الحجاج أراد الا تتكرر هزيمة الجيش العربي ، فها كل اسباب الصبر له في هذه المرة ، فاهم بعدد الجيش وعدته وتجهيزه يقول الطبري (١٥) : «ان الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وجد في ذلك وشمير واعطى الناس أعطياتهم كملأ ، وأخذهم بالخيول الروائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة الا أحسن معونه . . . » وقد عهد بقيادة هذا الجيش الى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي (١٦).

تقدم ابن الأشعث في سنة ٨٠/٦٩٩م على رأس جيشه الذي أطلق عليه اسم «جيش الطواويس» لحسن هيته ، في بلاد الترك وحرر مساحات واسعة ثم قرر قائده التوقف لكي يتعرف على البلاد ، وينظم ادارتها ثم يواصل حركات التحرير في العام المقبل ، وكتب بذلك الى الحجاج (١٧). الا ان الحجاج لم يوافق على اجراءات ابن الأشعث ، وكتب اليه يأمره بمواصلة القتال للانتقام من زنبيل الذي نكب الجيش العربي (١٨).

ويبدو ان ابن الأشعث لم ينفذ أوامر الحجاج فقد ذكر الطبري ان الحجاج كتب اليه كتابين آخرين ، طلب فيها تنفيذ أوامره أو تسليم قيادة الجيش الى اخيه اسحق بن محمد بن الأشعث (١٩).

وكان يزيد بن المهلب بن ابي صفرة عامل الحجاج على خراسان وقائد الجيش العربي هناك على اتصال دائم مع الحجاج ، فقد ذكر الطبري أنه عندما فتح يزيد في سنة ٨٤/٧٠٣م ناحية «باذغيس» كتب الى الحجاج بالفتح ووصف في الكتاب كيف جرت المعركة مع الأعداء ثم

بين نتائج المعركة (٢٠).

وفي سنة ٨٥/٧٠٤-٧٠٥م أمر الحجاج عامله على خراسان يزيد بن المهلب بفتح خوارزم ، الا ان يزيد اعترض عن فتحها حيث كتب الى الحجاج متلعثراً بأنها «قليلة السلب شديدة الكلب» (٢١) ان هذا الموقف من يزيد أدى . على ما يبدو - الى غضب الحجاج عليه ، فقد ذكر الطبري ان الحجاج كتب الى يزيد يستدعيه من خراسان الى واسط (٢٢).

والظاهر ان يزيد خاف من عاقبة عدم تنفيذه لأمر الحجاج ، فكتب كتاباً اليه يستأذنه لتحرير خوارزم ثم توجه الى هذه المدينة وحررها على الرغم من عدم مواقة الحجاج (٢٣).

ان عدم استجابة يزيد لأمر الحجاج كان - على ما يبدو - أحد الأسباب المهمة التي أدت الى عزله عن خراسان ، فقد ذكر الطبري أنه في سنة ٨٥/٧٠٤-٧٠٥م استأذن الحجاج الخليفة عبدالملك بعزل يزيد فتم عزله (٢٤) ، ولما وصل يزيد الى واسط أمر الحجاج بسجنه وتعذيبه (٢٥).

ويبدو ان المفضل الذي ولاه الحجاج ولاية خراسان بعد اخيه يزيد سنة ٨٥/٧٠٤-٧٠٥م أراد ان لا يثير غضب الحجاج عليه ، فتوجه على رأس قوة عسكرية وحرر «باذغيس» و «أخرون» و «شومان» على الرغم من ان ولايته دامت تسعة اشهر فقط (٢٦).

وعندما ولي الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي في سنة ٨٦/٧٠٥م ولاية خراسان ضم اليه جيشاً وقال له : «انزل خراسان فجاهد الكفار الذين بها من الترك والسغد والرقس (كذا) ، وكن بها الى ان يأتيك أمري ان شاء الله ولا قوة الا بالله» (٢٧). فتوجه قتيبة في هذه السنة على رأس جيشه وحرر «الصغانيان» و «أخرون» و «شومان» (٢٨) ثم خلف أخاه

(٢٠) الطبري : ٣٨٦/٦ ، ٣٨٧. ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ . معجم البلدان : ٣١٨/١

(٢١) طبري : ٣٩٦/٦

(٢٢) م. ن. ٣٩٦/٦

(٢٣) م. ن. ٣٩٦/٦

(٢٤) الطبري : ٣٩٦/٦

(٢٥) الطبري : ٤٢٦/٦ ، ٤٤٨. ابن اعثم : الفتح : ٢٠٨/٧ ، ٢٠٩.

(٢٦) فوج البلدان : ٥١٤. الطبري : ٣٩٧/٦

أخرون : بلدة بخراسان تقع قرب باذغيس . فوج البلدان : ٦٨١ شومان بلد بالصغانيان من وراء نرجيبون ، وهو من الثغور الاسلامية . معجم البلدان : ٣٧٣/٣ . ٣٧٤

(٢٧) ابن اعثم : الفتح : ٢٠١/٧

(٢٨) ان سبب تردد اخبار تحرير المدن في المشرق هو ان حكام هذه المدن المحليين كانوا ينتهزون فرصة الشغال الدولة العربية بقمع المعارضة ، فيقتضون عهدهم مع العرب . ويسيطرون على المدن التي حررها العرب ، ويمنعون بها الخلافة ويمنعون عن دفع الحراج فيؤدي موقفهم هذا الى توجيه حملات اليهم وتحرير مدنهم مرة اخرى

(١٤) تاريخ الرسل والملوك : ٣٢٤/٦ ، ٣٢٥. وكان جواب الخليفة : «اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان ، ولولت قوم كتب الله عليهم القتل . . . وعلى الله توأيم ، واما ما أردت ان يأتيك فيه رأي من توجه الجند وامضاتها الى ذلك الفرج الذي اصيب فيه المسلمون لو كفها ، فان رأي في ذلك ان تعني وأيك راشدة موقاة» الطبري : ٣٢٧/٦

(١٥) تاريخ الرسل والملوك : ٣٢٦/٦ ، ٣٢٧. انظر : ابن اعثم : الفتح : ١١٥/٧. المزلق مجهول : تاريخ الخلفاء : ٢٨١. ويذكر البلاذري ان عدد الجيش اثنا عشر وثمان مائة ألف من أهل الكوفة وثلثمائة من أهل البصرة. انساب الاشراف : ٣١٩ (١ هاروت) ويذكر ان حملة ابن الأشعث كانت في سنة ٧٩ هـ. انساب الاشراف : ٣٢٠ (هاروت).

(١٦) البغدادي : تاريخ ٢٧٧/٢ الطبري : تاريخ : ٣٢٦/٦. ابن اعثم الكوفي : الفتح : ١١٤/٧

(١٧) البلاذري : انساب الاشراف : ٣٢٣ (هاروت). البغدادي : تاريخ : ٢٧٧/٢. الطبري : ٣٢٩/٦

(١٨) البلاذري : انساب الاشراف : ٣٢٣ (هاروت). الطبري : ٣٤٣/٦

(١٩) تاريخ الرسل والملوك : ٣٣٥/٦

صالح على قيادة الجيش ورجع قبلهم الى «مرو» فلما بلغت ابناء وصول قتيبة الى «مرو» قبل جنده الى الحجاج وكتب اليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند ثم كتب اليه : اذا غزوت فكن في مقدم الناس ، واذا قفلت فكن في اخرياتهم وساقهم» (٢٩).

وعندما توجه قتيبة في سنة ٨٧هـ/٧٠٥م لتحرير «بيكنده» كان الحجاج يستطلع أخبار هذه الحملة ، فقد ذكرت للمصادر أنه لما تأخرت اخبار الجيش عن الحجاج ، نتيجة الحصار الذي فرضه الأعداء عليه «اشفق الحجاج على الجند» وأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد ، وكتب بذلك الى الأمصار» (٣٠).

وكان قادة الجيش العربي على اتصال دائم مع الحجاج يأخذون رأيه - على ما يبدو - في جميع الأمور فقد ذكر الطبري انه عندما حرر قتيبة «بيكنده» غنموا غنائم كبيرة ، وكان في الخزائن اسلحة وتجهيزات حربية كثيرة ، ارسل خمس هذه الغنائم الى الحجاج ثم استأذنه في توزيع السلاح على الجند ، فأذن له ، فقسمه بينهم واستعدوا لمواصلة الفتوحات» (٣١).

وبعد ان حرر قتيبة بن مسلم في سنة ٨٩هـ/٧٠٧م «راميشة» أمره الحجاج ان يحرر «بخارى» فتوجه اليها الا انه لم يستطيع فتحها فلما رجع الى «مرو» كتب الى الحجاج بذلك ، فكتب اليه الحجاج ان يصور له أرض المعركة ، فلما بعث اليه بصورتها ، رسم له الحجاج الخطأ العسكرية لتحريرها وهي ان يحرر «كس» و «نسف» ثم يتوجه الى تخوير «بخارى» على ان يسير بطريق مستقيم الى هذه المدن .

فتوجه قتيبة في سنة ٩٠هـ/٧٠٨م الى «بخارى» وكان الترك بقيادة ملكهم «وردان خذاه» فلما دارت معركة حامية بين الفريقين انتصر الجيش العربي ، فكتب قتيبة باخبار المعركة ، واخبار النصر الى الحجاج» (٣٢) . والظاهر انه كان لامراء العراق اشخاص ينقلون لهم اخبار المعارك التي كان يخوضها الجيش العربي في المشرق فقد ذكر الطبري انه مولى

للحجاج كان قد شهد معركة بخارى فأخبر الحجاج ان قتيبة في أثناء المعركة ترك القيادة الى اخيه عبدالرحمن ورجع الى «مرو» فأدى هذا الخبر الى غضب الحجاج على قتيبة ، فلما وصل نبأ غضب الحجاج الى قتيبة أرسل وفداً الى العراق «فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعانهم ودعا بالحجام بيده مقرضس فقال : لا قطعن الستك أو لتصدقني ، قالو : الأمير قتيبة . . . فسكن الحجاج» (٣٣).

وفي سنة ٩٠هـ/٧٠٨م حرر قتيبة الطالقان بخراسان» (٣٤) . كما حرر في هذه السنة الفارياب ، والجوزجان ، وبلغ» (٣٥) ، وسمرقند» (٣٦) وكان قتيبة كلما يحرر مدينة يبعث بخبر الفتح وخمس الغنائم الى الحجاج في العراق» (٣٧).

وعندما رأى نيزك طرحان حركات التحرير العظيمة التي تمت على يد القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي ، نقض العهد الذي كان بينه وبين قتيبة» (٣٨) وهرب من جيش قتيبة والتجأ الى قلعة «باذغيس» وأعلن خلعهم لقتيبة ، ثم كتب الى كل من اصبيد «بلغ» وملوك كل من «مرو الروذ» و «الطالقان» و «الفارياب» و «الجوزجان» وكابل شاه يدعوهم الى خلع قتيبة ومساعدته في قتاله له فأجابوا طلبه على الرغم من انهم كانوا على عهد مع قتيبة» (٣٩).

توجه قتيبة الى «مرو الروذ» و «الطالقان» و «الفارياب» و «الجوزجان»

(٣٣) تاريخ الرسل : ٤٤٧/٦ - ٤٤٤

(٣٤) الطبري : ٤٤٧/٦ - ٤٥٤ . ابن اعم : الفتح : ٢٣١/٧ . ويذكر هذا المصدر أيضاً ان قتيبة فتح سجستان صلحاً : ٢٣٤/٧ . الطالقان : بلدة بخراسان بين مرو الروذ وبلغ ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل . معجم البلدان : ٦/٨ - ٨

(٣٥) الطبري : ٤٥٤/٦ - ٤٤٥ . ابن اعم : الفتح : ٢٣١/٧ - ٢٣٥ . ويقول ابن عساکر ان هذه المدن فتحت سنة ٩١هـ . تهليل ابن عساکر ٢٤٩/٤ . انظر أيضاً : النجوم الزاهرة : ٢٢٢/١ . الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان من اهل جوزجان قرب بلغ غربي جيحون .

معجم البلدان : ٢٢٩/٤ . والجوزجان : كورة واسعة من كور بلغ بخراسان وهي بين مرو الروذ وبلغ . معجم البلدان : ١٨٢/٢

بلغ : مدينة مشهورة بخراسان . انتصها الاخنف بن قيس في ايام الخليفة عثمان بن عفان . معجم البلدان : ٤٨٠ ، ٤٧٩/١

(٣٦) الطبري : ٤٤٥/٦ . الجفري : البلدان : ٢٩٣ . ابن اعم : الفتح : ٢٣٩ - ٢٤٧ . سمرقند : بلد يقع بما وراء النهر وهو قصبة الصغد : معجم البلدان : ٢٤٦/٣ - ٢٥٠

(٣٧) انظر على سبيل المثال : الطبري : ٤٤٤/٦ ، ٤٧٩

ابن اعم : الفتح : ٢٢٣/٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨

(٣٨) عن غير اهل المشرق ونفسهم للمهود التي كانت تعقد بينهم وبين العرب في فترة - موضوع البحث - انظر الطبري : ٤٣٠/٦ ، ٤٣١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٧٢ ، ٤٨٠ ، ٥١٢ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٢ ، ١٦١٣ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، ١٦١٨ ، ١٦١٩ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣٠ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، ١٦٣٣ ، ١٦٣٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٠ ، ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، ١٦٤٣ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٧ ، ١٦٤٨ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥١ ، ١٦٥٢ ، ١٦٥٣ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٦ ، ١٦٥٧ ، ١٦٥٨ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦٠ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٢ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٧ ، ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧١ ، ١٦٧٢ ، ١٦٧٣ ، ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٨ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨٠ ، ١٦٨١ ، ١٦٨٢ ، ١٦٨٣ ، ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ ، ١٦٨٨ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٠ ، ١٦٩١ ، ١٦٩٢ ، ١٦٩٣ ، ١٦٩٤ ، ١٦٩٥ ، ١٦٩٦ ، ١٦٩٧ ، ١٦٩٨ ، ١٦٩٩ ، ١٧٠٠ ، ١٧٠

و «بلغ» وادخلهم في طاعته^(٤١)، ثم توجه الى قلعة نيزك وكانت قلعة حصينة، فحضر الحصار عليها، وأقام مدة إلا أنه لم يتمكن من فتحها، فأرسل صورة منطقة القلعة الى الحجاج في العراق وربما كان ذلك بطلب من الحجاج - فاستشار الحجاج عثمان بن مسعود التيمي وآخرين ممن كانوا قد ساهموا في حركات تحرير المشرق وكانوا على اطلاع تام في هذه المنطقة^(٤٢).

وفي سنة ٧٠٩/هـ حرر قتيبة كل من «شومان» و «كس» و «نسف» بأمر من الحجاج^(٤٣).

وبما ان الحجاج كان يشرف على ادارة الجزء الشرقي من الدولة العربية فقد كان حريصاً على المحافظة على أمن سكان تلك الأقاليم، فقد ذكرت المصادر ان بعض النسوة العربيات قد تعرضن الى مهاجمة اللصوص قرب مدينة «الديبل»^(٤٤) فتأدت امرأة منهن، وكانت من بني يربوع، «يا حجاج» فلما بلغ الخبر الى الحجاج أرسل الى «داهر» ملك السند لتخليه النسوة، الا ان «داهر» لم يستجب لطلب الحجاج، فأمر الحجاج عامله على «عمان» ان يتوجه على رأس حملة عسكرية الى «الديبل» وينقذ النسوة من اللصوص^(٤٥).

وكان دور الحجاج في حركات تحرير السند دوراً متميزاً ايضاً فقد ذكرت المصادر ان الحجاج في سنة ٧١٠/هـ وجه محمد بن القاسم التقي على رأس حملة عسكرية لتحرير بلاد السند، وان الحجاج كان قد هيا لهذه الحملة كل أسباب النصر، فقد أمده الحجاج بستة آلاف مقاتل «وخلقاً من غيرهم» ورسم له الطريق الذي يسلكه، وهو طريق الري - السند، وأن يكون على مقدمته «ابو الأسود جهم بن زحر الجعفي» وجهزه بكل ما احتاج اليه حتى «الخيل والمسال» والخل وقال «إذا صرتم الى السند فان الخل فيها ضيق، فانقعوا هذا القطن في الماء ثم اطبخوا به واصطبغوا»^(٤٦). وأمره ان يقيم بشيراز حتى يتنام اليه اصحابه ويوافيه ما أعدله^(٤٧).

تقدم القائد محمد بن القاسم وحرر كل من «مكران» و «وكتزبور» و

(٤٠) الطبري : ٤٤٧/٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ . ويذكر ابن اعثم ان قتيبة أدخل هذه المدن في طاعته بعد القضاء على نيزك : الفتح : ٢٣١/٧ - ٢٣٥

(٤١) ابن اعثم : الفتح : ٢٣٠/٧

(٤٢) الطبري : ٤٦٧/٦ . انظر : فتح البلدان : ٥١٧ ، ٥١٩ . البقوي : تاريخ :

٢٨٦/٢ . ويقول خليفة بن عياط ان تحرير هذه المدن تم سنة ٧٠٢ هـ (تاريخ : ٣٠٧/١)

(٤٣) الديبل : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند . معجم البلدان : ٤٩٥/٢

(٤٤) البلاذري : فتح البلدان : ٥٣٤ . البيهقي : المجاهري معرفة الجواهر : ٤٧ ، ٤٨

معجم البلدان : ٣٥٠/٥

(٤٥) البلاذري : فتح البلدان : ٥٣٤ . البقوي : تاريخ : ٢٨٨/٢ . المجاهري في معرفة الجواهر : ٤٨

(٤٦) البلاذري : فتح البلدان : ٥٣٤

«أرماتيل» ولما وصل الى «الديبل» أمده الحجاج بالسفن التي كانت تحمل «الرجال والسلاح والأداة» ثم ضرب الحصار عليها ونصب عليها منجنيقاً - يبدو انه كان كبيراً - فقد ذكر البلاذري انه كان يدار من قبل خمس مئة رجل ، وانه كان يعرف «بالعروس»^(٤٧)

وكان الحجاج على اتصال دائم مع قائده محمد بن القاسم ، قال البلاذري^(٤٨) :

«وكانت كتب الحجاج ترد على محمد ، وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة ايام» .

والظاهر ان محمداً كان قد رسم المنطقة وارسلها الى الحجاج لأخذ رأيه فيها فقد ذكر البلاذري انه ورد على محمد كتاب من الحجاج رسم له فيه الخطة العسكرية الخاصة بتحرير مدينة «الديبل»^(٤٩).

وبعد ان تم تحرير مدينة «الديبل» كتب محمد الى الحجاج يستأذنه في التقدم في بلاد السند ، فكتب اليه الحجاج : «أن سر» ، فأنت أمير على ما فتحته^(٥٠) . وكتب الحجاج الى عامله على خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي : «ايكما سبق الى الصين» ، فهو عامل عليها وعلى صاحبها»^(٥١) تقدم محمد بن القاسم في بلاد السند وحرر عدد من المدن بعد ان نجح في معارك حامية مع سكان البلاد ، ولما قتل «داهر» ملكهم تم تحرير بلاد السند^(٥٢).

والخبر بالذکر ان الحجاج كان قد اتفق على تحرير السند ستين مليون درهم^(٥٣).

وفي سنة ٧١٠/هـ أمر الحجاج عامله على خراسان قتيبة بن مسلم ان يتوجه الى «ربيل» ملك سجستان ، فلما سار اليه قتيبة صاحله «ربيل»^(٥٤)

(٤٧) البلاذري : فتح البلدان : ٥٣٥ . البقوي : تاريخ : ٢٨٨/٢

مكران : ولاية واسعة تشمل على مدن وفري ، يحدها كرمات من الغرب وسجستان من الشمال ، والبحر من الجنوب والهند من الشرق . معجم البلدان : ١٧٩/٥ ، ١٨٠

قزوين : إحدى مدن السند . فتح البلدان : ٧٦٨

أرماتيل : مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند . معجم البلدان : ١٥٩/١

(٤٨) فتح البلدان : ٥٣٥

(٤٩) م . ن . ٥٣٥

(٥٠) البقوي : تاريخ : ٢٨٩/٢ . خليفة بن عياط : تاريخ : ٣٠٨/١

(٥١) البقوي : تاريخ : ٢٨٩/٢

(٥٢) عن هذه المعارك انظر : البلاذري : فتح البلدان : ٥٣٦ - ٥٣٩

خليفة بن عياط : تاريخ : ٣٠٨/١ ، ٣١١ . البقوي : تاريخ : ٢٨٨/٢ ، ٢٨٩

(٥٣) البلاذري : فتح البلدان : ٥٣٨ . أما مقدار الدائم التي أرسلها محمد بن القاسم الى

الحجاج فقد بلغت مائة وعشرين مليون درهم وهذا المقدار يمثل خمس ثلث الحملة .

م . م . ٥٣٨

(٥٤) خليفة بن عياط : ٣٠٧/١ . ابن اعثم : الفتح : ٢٣٤/٧

وعندما حرر قتيبة «خوارزم» سنة ٧٩٣هـ/٧١١م بعث بخبر التحرير وخمس الغنائم الى الحجاج في العراق ، واستأذنه بالتقدم الى تحرير «سمرقند» (٥٥) . فكذب الحجاج اليه : «أما بعد فأني لست بأئس اذ فتح الله علينا وعليك خوارزم وأغنمنا أموالها وخزائنها وغنائمها ان يفتح الله عليك وعلينا مابعدا ، وقد بلغني أنك تريد المسير الى سمرقند ، وأنا أنشدك ان غزوت بالمسلمين ، وأنا اسأل الله أن يعز نصرك وأن يحسن عاقبتك ، وان يحمذك بالملائكة المردفين ، وان يرعب قلوب اهل سمرقند ، وان يخالف بين كلمتهم ، وأن يلقي بأسهم بينهم وان يورثنا أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأن يجعل دائرة السوء عليهم ، انه علي كل شيء قدير - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» (٥٦) .
فلما سار قتيبة الى «سمرقند» صاحلة ملكها بعد معارك ضارية جرت بين الطرفين (٥٧) .

وفي سنة ٧٩٤هـ/٧١٢م حرر قتيبة «الشاش» (٥٨) و «كابلي» (٥٩) كما حرر في هذه السنة «خجندة» و «كاسان» وهما من مدن فرغانة (٦٠) وبعد ان انتهى قتيبة من تحرير هذه المدن كتب الحجاج الى محمد بن القاسم الثقفي عامله على السند «أن وجه من قبلك من اهل العراق الى قتيبة ووجه اليهم جهنم بن زحر بن قيس» ومع ان محمداً كان واداً لجهم الا أنه نفذ أمر الحجاج وأرسله على رأس اهل العراق الى قتيبة (٦١) . كما وجه الحجاج جيشاً من العراق الى قتيبة (٦٢) .
ولكي تقلل اخبار حركات التحرير في المشرق بسرعة اتخذ الحجاج

المنظر (٦٣) بين مدينة واسط (٦٤) ، وقزوين (٦٥) وكان اذا دخن اهل قزوين دخنت المناظر ان كان ناراً ، وان كان ليلاً أشعلوا نيراناً فخرج الخيل اليهم (٦٦)

ولما تولى يزيد بن ابي كبشه السكسكي امانة العراق والمشرق بعد وفاة الحجاج سنة ٧٩٥هـ/٧١٣م كتب الى قتيبة يخبره بولايته على العراق ويأمره بالمسير الى فرغانة ، ويحثه على ذلك ، فلما ورد كتاب يزيد على قتيبة توجه على رأس جيشه الى فرغانة وحررها بعد ان خاض عدة معارك مع ملكها ، ثم أرسل بأخبار النصر وخمس الغنائم الى يزيد في العراق (٦٧) . ثم تقدم قتيبة وحرر مدينة كاشغر سنة ٧٩٦هـ/٧١٤م (٦٨) .
وما تجدد الاشارة اليه هنا هو ان حركات التحرير العظيمة التي تمت على يد القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي كانت قد توقفت وذلك بسبب الفتنة التي قامت في المشرق والتي أدت الى قتل قتيبة .

فبعد ان حرر قتيبة «كاشغر» توجه على رأس جيشه لتحرير «الصين» (٦٩) الا ان وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٩٦هـ/٧١٤م وتولي اخيه سليمان الخلافة من بعده حال دون تحقيق ذلك ، فقد ذكرت المصادر ان سليمان عزل قتيبة عن ولاية خراسان وولى مكانه يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الأزدي (٧٠) . وكان رد قتيبة على ذلك انه دعا جيشه لخلع الخليفة ، فانقسم الجيش الى مؤيد له ومعارض ، وقد ترأس المعارضة وكيع بن ابي سود التميمي ، وذلك لأن قتيبة سبق وان أقصاه عن رئاسة تميم وولى بدله ضرار بن حصين الضبي (٧١) ، فلما جرى القتال

(٦٣) معجم البلدان : ٣٥٠/٥

(٦٤) ابن اعثم : الفتح : ٢٤٩/٧ ، ٢٥٠

(٦٥) الطبري : ٥٠٠/٦ ابن اعثم : ٢٥١/٧ كاشغر : مدينة وقرى وساتق يسافر اليها من سمرقند وتلك النواحي وهي في وسط بلاد الترك . معجم البلدان : ٤٣٠/٤

(٦٦) الطبري : ٥٠٠/٦ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٣١١ - ٣١٤

(٦٧) الطبري : ٥٠٩/٦ . ابن اعثم : الفتح : ٢٥٧/٧ ، ٢٥٣ . وسبب ذلك هو ان قتيبة كان قد أيد الوليد بن عبد الملك عندما أراد ان يعزل اخاه سليمان عن ولاية العهد ويصلها لابنه عبد العزيز . انظر الطبري : ٥٠٧/٦ . المؤلف مجهول : العيون والحدائق : ١٧/٣

(٦٨) الطبري : ٥١٢/٦

(٥) المناظر : اشراف الأرض لانه ينظر منها ، والمنظرة : موضع في رأس جبل فيه رقب ينظر العدو ، والمنظرة : الرقبة . لسان العرب ، مادة (نظر)

(xx) قد أصبحت مدينة واسط منذ ان تم انشائها سنة ٨١٩م مقراً لأمراء العراق ومركزاً لإدارة العراق والمشرق الاسلامي . انظر : الدكتور عبد القادر الماحدي : واسط في العصر الأموي : ١٦١ وما بعدها .

(xxx) قزوين : مدينة مشهورة بينا وبين الري سبعة وعشرون فرسماً . في العرب في أيام الخليفة عثمان بن عفان . معجم البلدان : ٢٤٧/٤

(٥٥) ابن اعثم : الفتح : ٢٣٩-٢٣٥/٧ . انظر ايضاً فتح البلدان ٥١٨

خليفة بن عياض : تاريخ : ٣٠٩/١ . الاخبار الطوال : ٣٢٧-البغوي : تاريخ : ٢٨٧/٢ الطبري : ٤٦٩/٦ - ٤٨٠

(٥٦) ابن اعثم : الفتح : ٢٣٩/٧

(٥٧) البلاذري : فتح البلدان : ٥١٨ . خليفة بن عياض : تاريخ : ٣٠٩/١ . الاخبار الطوال : ٣٢٧ . البغوي : تاريخ : ٢٨٧/٢ . الطبري : ٤٦٩/٦ - ٤٨٠ .

ابن اعثم : الفتح : ٢٤٧-٢٣٩/٧

(٥٨) البلاذري : فتح البلدان : ٥١٩ . تاريخ خليفة بن عياض : ٣١٠/١ . الطبري : ٤٨٣/٦ الشاش : إقليم بما وراء النهر ثم ماوراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك . معجم البلدان : ٣٠٨/٣

(٥٩) تاريخ خليفة بن عياض : ٣١٠/١

(٦٠) الطبري : ٤٨٣/٦ ، ٤٨٤ . ويقول ابن اعثم الكوفي ان قتيبة حرر فرغانة في عهد امير العراق يزيد بن ابي كبشه (الفتح : ٢٤٩/٧ ، ٢٥٠)

(٦١) الطبري : ٤٨٤/٦

(٦٢) الطبري : ٤٩٧/٦

بين الفريقين انتهى بمقتل قتبية وجاعة من أهله ومؤيديه (٧٩).

والجدير بالذكر هو ان الفرس كانوا قد لعبوا دوراً كبيراً في اثاره هذه الفتنة ، فقد ذكر الطبري ان رئيسهم حيان أرسل الى وكيع : أرأيت ان كلفت عنك واعتك تجعل لي جانب نهر بلخ وخواجه مادمت حياً ومادمت والياً ، قال : نعم ، فقال (يعني حيان) للعجم : هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً ، قالوا : نعم فبايعوا وكيعاً سراً (٧٠) وقال الناس لقتبية «ليس يفسد أمر الناس الا حيان» (٧١) . وكان حيان وجاعته مع وكيع في اثناء القتال (٧٢) .

ويقول البلاذري (٧٣) : «فقال حيان : يا معشر العجم ! لم تقتلون انفسكم لقتبية ؟ الحسن بلاته عندكم ؟»

ويذكر ابن اعثم الكوفي أنه أقبل رجل من موالي بني أسد يقال له يزيد بن مسلم ، فجعل يحرض الناس على قتبية ويذكر من قتله قتبية منهم . . . ويحدد احقادهم (٧٤) .

وهكذا نجد ان الفرس كانوا قد رأوا ان الفرصة مواتية للانتقام من قتبية وأهله لأنهم يعتبرون هؤلاء هم المسؤولين عن رفع راية الاسلام والحضارة العربية في ربيع بلادهم .

وفي رأينا انه لو عاش قتبية مدة أكثر لاستطاع بقدرته الحربية ان يجر بلاد الصين ، وربما بلدان اخرى ولاستعت الدولة العربية اكثر مما كانت عليه .

وعندما ولي الخليفة سليمان بن عبد الملك ، يزيد بن المهلب بن ابي سفرة الأزدي اميراً على العراق ، والمشرق في سنة ٩٧هـ ، ٧١٥م استأذن الخليفة وسار الى خراسان وأقام هناك (٧٥) ، وقد اهتم يزيد بأمر حركات التحرير فتوجه في سنة ٩٨هـ/٧١٦م على رأس حملة عسكرية

(٦٩) البلاذري : فتح البلدان : ٥٢١ . الطبري : ٥١٥/٦ . ابن اعثم : ٢٧٢/٧ - ٢٧٦ . العيون والحدائق : ١٩/٣ .

يقول الطبري . قال رجل من أهل خراسان عندما قتل قتبية يا معشر العرب قتلتم قتبية . والله لو كان قتبية منافات فينا جعلناه في نابوت فكنا نستفتح به اذا غزونا . تاريخ الرسل والملوك : ٥١٩/٦ . انظر العيون والحدائق : ١٩/٣ .

(٧١) تاريخ الرسل والملوك : ٥١٢/٦ . ويذكر الطبري ان وكيع وفي حيان بما كان اعطاه تاريخ : ٥١٨/٦ .

(٧١) الطبري : ٥١٢/٦ .

(٧٢) الطبري : ٥١٥/٦ . البهقي : تاريخ : ٢٩٦/٢ . العيون والحدائق : ١٩/٣ .

(٧٣) فتح البلدان : ٥٢١ .

(٧٤) الفتح : ٢٧٢/٧ .

(٧٥) الطبري : ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٢٣/٦ .

وحرر «دهستان» (٧٦) ثم سار في هذه السنة وحرر «جرجان» (٧٧) و «طبرستان» (٧٨) و «الرويان» (٧٩) و «دنياوند» (٨٠) .

والظاهر ان أمير العراق عمر بن هبيرة الغزاري (١٠٣-١٠٦هـ/٧٢١-٧٢٤م) كان مهتماً بحركات التحرير فقد ذكر الطبري أنه عندما حرر عامله على خراسان سعيد بن عمر الحرشي «أشروسنة» في سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م كتب بأخبار التحرير الى الخليفة يزيد بن عبد الملك «ولم يكتب الى عمر بن هبيرة ، فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة» (٨١) .

وحرر الحرشي في هذه السنة «خجندة» (٨٢) و «كش» و «رينجن» و «خزار» (٨٣) .

وفي سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م حرر عامله على خراسان مسلم بن سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي مدينة «أفشين» (٨٤) .

(٧٦) البلاذري : فتح البلدان : ٤١٢ . الطبري : ٥٣٢/٦ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٣٤٢ . دهستان بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان . معجم البلدان : ٤٩٢/٢ .

(٧٧) البلاذري : فتح البلدان : ٤١٢-٤١٥ . تاريخ خليفة بن خياط : ٣٢٠/١ . الطبري : ٥٣٢/٦-٥٤١ . ابن اعثم الفتح : ٢٨٩/٧ . المؤلف مجهول : العيون والحدائق : ٢١/٣ . التهمي : تاريخ جرجان : ١٠ .

جرجان : مدينة مشهورة عظمى بين طبرستان وخراسان ، وليل اول من احدث بناءها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة . معجم البلدان : ١١٩/٢ .

(٧٨) البلاذري : فتح البلدان : ٤١٣ ، ٤١٤ . الطبري : ٥٣٥/٦ . ابن اعثم : الفتح : ٢٨٩/٧ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٣٤٢ . العيون والحدائق : ٢٤/٣ . معجم البلدان : ١٥/٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٣٢٨/٥ . طبرستان : بلد واسعة كثيرة يشتملها هذا الاسم . والغالب على هذه النواحي الجبال . فن اعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراياد وأمل وهي قصبها . معجم البلدان : ١٣/٤ .

(٧٩) فتح البلدان : ٤١٥ . الرويان : مدينة كبيرة من جبال طبرستان وكورة واسعة . وهي اكبر مدينة في الجبال هناك . معجم البلدان : ١٠٤/٣ .

(٨٠) فتح البلدان : ٤١٥ . دنياوند : كورة من كور الري بينها وبين طبرستان فيها لواءه وبساتين وعدة قرى عامرة وعيون كثيرة وهي بين الجبال . معجم البلدان : ٤٧٥/٢ ، ٤٧٦ .

(٨١) عمر بن هبيرة بن معة بن سكين بن عبد بن الغزاري ، تولى إمرة العراق والمشرق سنة ١٠٣هـ . قام بأعمال ادارية مهمة ، واهتم باصلاح العملة . ولعلومات أوسع عنه انظر : الدكتور عبدالقادر المعاصيدي : واسط في العصر الأموي : ١٩٥-١٩٠ .

(٨٢) تاريخ الرسل والملوك : ١٠/٧ أما عن مصادر تحرير أشروسنة فانظر : الطبري : ٧/٧ .

ابن اعثم : الفتح : ٢٩/٨ أشروسنة : بلدة كبيرة بما وراء النهر بين سيحون وسمرقند ، بينها وبين سمرقند سنة وعشرون فرسخاً . معجم البلدان : ١٩٧/١ .

(٨٣) الطبري : ١٠-٨/٧ .

خجندة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً وهي مدينة نزهة في وسطها نهر جار . معجم البلدان : ٣٤٧/٢ .

(٨٤) الطبري : ١١/٧ . ابن اعثم : الفتح : ٢٩/٨ .

رينجن : بلدة من نواحي الصغد ثم من أعمال سمرقند . معجم البلدان : ٢٦/٣ .

خزار : موضع قرب نسف بما وراء النهر : معجم البلدان : ٣٦٤/٧ .

ولما تولى خالد بن عبدالله القسري ولاية العراق (١٠٦-١٢٠هـ/٧٢٤-٧٣٧م) (٨٥) كتب الى اخيه وعامله على خراسان اسد بن عبدالله القسري يأمره ان يواصل حركات التحرير (٨٦) ، فتوجه اسد في سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م على رأس جيشه وحرر «الفرستيان» (٨٧) ثم توجه الى «الغور» وحررها (٨٨) . كما صد غارات الترك على سمرقند (٨٩)

وفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م حرر عامله على خراسان أشرس بن عبدالله السلمي «الصفد» و «بخاري» و «كمرجه» و «كردر» بعد ان نقضوا عهدهم مع العرب ، وارتدوا عن الاسلام (٩٠) وكان أشرس على اتصال دائم مع أمير العراق خالد القسري (٩١) .

وفي سنة ١١٢هـ/٧٣٠م حرر عامله على خراسان الجند بن عبدالرحمن المري «الكبيج» و «المزند» و «المندل» و «دهنج» و «البروصس» و «سرس» و «اليلمان» و «المالبة» (٩٢) .

وفي سنة ١١٨هـ/٧٣٦م حرر عامله على خراسان اسد بن عبدالله القسري «آمل» (٩٣) كما حرر في سنة ١١٩هـ/٧٣٧م «الختل» (٩٤) و «الجوزجان» (٩٥) .

وكان اسد يرسل بأخبار حركات التحرير الى اخيه بخالد في

(٨٥) البلاذري : فتح البلدان : ٥٢٥ . الطبري : ٢١٧/٧ . الا انه يذكرها باسم «الشيعة»

(٨٦) خالد بن عبدالله بن يزيد بن اسد القسري . من أهل دمشق ، من قبيلة بجيلة البمانية . كان كرمياً جواداً ، كما كان من عطاء العرب المشهورين بالقصاحة . قام بأعمال مهمة بالعراق . د . عبدالقادر المعاضدي : واسط في العصر الأموي / ١٩٥-٢٠٩

(٨٧) ابن اعثم . الفتح : ٩٧/٨

(٨٨) تاريخ خليفة بن خياط : ٣٥١/١ . الطبري : ٤٠/٧ . المؤلف مجهول . كاتوب الخلفاء : ٤٢٥ . الفرستيان : ولاية بالشرق بعدها هراة من العرب والغور من الشرق و«مرو»

الروز من الشمال وغزنة من الجنوب . معجم البلدان : ١٩٣/٤

(٨٩) الطبري : ٤١٠/٧ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٤٢٥ . ويقول خليفة بن خياط انه تم تحريرها سنة ١٠٨هـ (تاريخ : ٣٥١/٢)

(٩٠) البلاذري : فتح البلدان : ٥٢٦

(٩١) الطبري : ٥٤/٧-٦٦ . كمرجة : قرية من قرى الصفد . معجم البلدان : ٤٧٩/٤ . كردر : ناحية من نواحي بخوارزم أو ما يتاخمها من نواحي الترك

معجم البلدان : ٤٥٠/٤

(٩٢) الطبري : ٥٢٧/٧ . البغون والحدائق : ٨٩/٣

(٩٣) البغوي : تاريخ . ٣١٦/٢ . المؤلف مجهول . تاريخ الخلفاء : ٤٢٦ . وهذه المدن جميعها تقع في بلاد السند . انظر : ابن خردادبه : المسالك والممالك : ٥٦٠ ، ٥٧٠ .

(٩٤) الأزدي : تاريخ الموصل : ٣٩

آمل : وهي قصبة طبرستان . تقويم البلدان : ٤٣٥

(٩٥) الطبري : ١٣٥/٧

(الختل) : أول كورة على جيحون من وراء البر ، وهي على تخوم السند يقال لقصبها

هليك . معجم البلدان : ٣٤٦/٢

العراق (٩٦)

وكان أمير العراق يوسف بن عمر الثقفي (١٢٠) وكان (١٢٦هـ/٧٣٧-٧٤٣م) (٩٧) يوجه الكتب الى عامله على خراسان نصر بن سيار الكتاني لاستئناف حركات التحرير في المشرق ، ويأمره بعلم المخاطرة بأرواح الجيش العربي (٩٨) . وقد توجه نصر الكتاني في سنة ١٢١هـ/٧٣٨م للتحرير مرتين ، كانت الأولى من «بلخ» بما وراء النهر من ناحية باب الحديد ، أما الثانية فكانت الى «ورغسر» و «سمرقند» (٩٩) . وفي هذه السنة توجه الى «الشاش» وقتل كورصول ملك الترك (١٠٠) . وحرر «فرغانة» (١٠١) و «أشروسنة» (١٠٢) و «الشاش» (١٠٣) .

لم نسمع اخباراً عن حركات تحرير في المشرق في أيام الأمراء الذين تولوا ولاية العراق والمشرق بعد الأمير يوسف بن عمر ، وحتى نهاية الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وذلك لأن هذه الحركات كانت قد توقفت بسبب تردي الأوضاع في الدولة الأموية بعد وفاة الخليفة المعتز هشام بن عبدالملك بن مروان سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م (١٠٤) . ففي سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م قام يزيد بن الوليد بن عبدالملك بن مروان بثورة على الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالملك أدت الى قتله وتولي يزيد أمر الخلافة (١٠٥) وقد رافق قيام هذه الثورة انقسام القبائل العربية على نفسها وتناحر هذه القبائل فيما بينها وبصورة خاصة القبائل البمانية والقبائل القيسية في بلاد الشام والعراق والمشرق الاسلامي (١٠٦) . وقد انعكس هذا الوضع على العلاقة بين أمير العراق وعامله على المشرق ، فلما

(٩٦) الطبري : ١٢٤/٧

(الخورجان) : كورة واسعة من كور بلخ لخراسان ، وهي بين مرو الروذ وبلخ . معجم البلدان : ١٨٧/٢

(٩٧) الطبري : ١٢٦/٧ . ١٢٧

(٩٨) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي : كان أميراً على اليمن قبل ان يتول امره العراق والمشرق . قام بأعمال ادارية ، وتشدد في ضرب النقود . وكان من الأمراء الذين تمتعوا بثروة واسع في الدولة الأموية . د . عبدالقادر المعاضدي : واسط في العصر الأموي

٢١٨-٢٠٩

(٩٩) الطبري : ١٧٥/٧

(١٠٠) الطبري : ١٧٤/٧ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٤٢٩ .

ورغسر : مدينة بسمرقند : معجم . ٣٧٢/٥

(١٠١) الطبري : ١٧٣/٧-١٧٥ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٤٢٩ .

(١٠٢) الطبري : ١٧٥/٧-١٧٨

(١٠٣) ن . م . ١٧٦/٧

(١٠٤) ن . م . ١٧٧/٧

(١٠٥) ن . م . ١٩٢/٧

(١٠٦) عن الخليفة هشام انظر : عبدالمجيد الكبيسي : عصر هشام بن عبدالملك

عزل الخليفة يزيد امير العراق يوسف بن عمر االثقي في سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م^(١٠٧) وولى مكانه منصور بن جمهور الكلبي ، لم يعترف نصر بن سيار الكتاني والي خراسان الذي كان يتعصب للقبائل القيسية على الجمانية بتبعيته لمنصور وتلقى الأوامر منه^(١٠٨) ولما عين منصور أخاه منظورا واليا على المشرق ، رفض نصر الاعتراف به^(١٠٩) .

والظاهر ان الخليفة يزيد اراد ان يعيد الهدوء والاستقرار الى ربوع العراق والمشرق ، فرأى من الأوفق ان يولي اميراً يقف على الحياد ولا يتعصب الى القبائل الجمانية أو القيسية فولى عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ابن مروان من قبيلة قريش سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م^(١١٠) وعندما جاء مروان الثاني عزل في سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م عبدالله عن ولاية العراق وولى النضر وابن سعيد الحرشي مكانه^(١١١) الا ان عبدالله برفض ان يسلم ولاية العراق الى الحرشي^(١١٢) فانقسم جند الشام على نفسه ، فأصبحت الجمانية مع عبدالله في الحيرة ، والقيسية مع النضر في الكوفة^(١١٣) واقتل الفريقان عدة مرات بين الكوفة والحيرة^(١١٤) . وقد استمر القتال بينهما أربعة اشهر^(١١٥) .

وعندما اقترب الخوارج بقيادة الضحاك بن قيس الشيباني من الكوفة أرسل عبدالله الى النضر يطلب منه ايقاف القتال بينهما . فقال له : وهذا لا يريد غيري وغيرك فهل تجتمع عليه^(١١٦) فانفقاً على العمل معاً لمواجهة خطر الخوارج^(١١٧) . وعندما نزل الضحاك في «النخيلة» سارا اليه والتقى الفريقان عند «النخيلة» ودارت بينهما معركة ضارية انتصر فيها الضحاك على جند الشام الذين انسحبوا الى واسط^(١١٨) .

(١٠٧) عن هذه الثورة : انظر : الاخبار الطوال ٣٤٨ ، ٣٤٩ الامامة والسياسة : ١١٢/٢ .

١١٣ . البطولي : تاريخ : ٣٣٣-٣٣٤ . الطبري : ٢٣٧-٢٣٨ .

(١٠٨) انظر : الاخبار الطوال : ٣٥١ . الطبري : ٢٤٤-٢٥٢ ، ٢٨٥-٢٩٣ العيون والحدائق : ١٨٦/٣ .

(١٠٩) عن اسباب عزل يوسف بن عمر انظر : ٥ . عبدالقادر المعافدي : واسط في العصر الأموي : ٢٩١ .

(١١٠) الطبري : ٢٧٧/٧ - ٢٨٠ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٤٩٣ .

(١١١) تاريخ خليفة بن عياض : ٤٠٣/٢ . الطبري : ٢٨٤/٧ . العيون والحدائق : ١٥٢/٣ . المؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء : ٤٩٠ .

(١١٢) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ . الطبري : ٣١٨/٧ .

(١١٣) الطبري : ٣١٨/٧ .

(١١٤) م . ن . ٣١٧/٧ .

(١١٥) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ١٨ . الطبري : ٣١٨/٧ .

(١١٦) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ١٨ . الطبري : ٣١٨/٧ .

(١١٧) الطبري : ٣١٨/٧ . انظر البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ . ب . ب . ب .

كتاب التاريخ : ١٢٢ . المؤلف مجهول : غرر السير : ورقة ١١٩ .

(١١٨) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ ، ب . الطبري : ٣١٨/٧ .

سار الضحاك الى واسط وفرض الحصار عليها^(١١٩) واقتل الفريقان مرات عديدة عند ابواب المدينة^(١٢٠) وطال حصار الضحاك لواسط . وقد اختلف المؤرخون في رواياتهم عن مدة الحصار ، فيرى كل من خليفة بن عياض ، والبلاذري ان الحصار استمر ستة اشهر وفي رواية سنة^(١٢١) في حين يرى الطبري انه استمر ثلاثة اشهر^(١٢٢) . ويبدو ان عبدالله بن عمر كان قد ادرك ضعف موقعه ، فقد ذكرت المصادر أنه أرسل رسلاً الى الضحاك لطلب الصلح وانهاء الحصار^(١٢٣) فترددت الرسل بينها واصطلحا وعلى ان يسير الضحاك الى مروان فان قتل الضحاك فليس لأحد في عتق ابن عمر بيعة ، وان قتل مروان صار ابن عمر مع الضحاك^(١٢٤) ثم تسلم الضحاك بموجب هذا الصلح الكوفة وسوادها ، وتسلم عبدالله ما كان بيده من كسكر وميسان ودستميسان وكور دجلة والاحواز وفارس^(١٢٥) . كما بايع عبدالله والجمانية الضحاك^(١٢٦) .

أما القيسية فأنهم أبو مبيعة الضحاك^(١٢٧) وتوجه بهم النضر بن سعيد الحرشي الى الشام^(١٢٨) .

أما الضحاك فانه بعد ان عقد الصلح مع عبدالله بن عمر توجه باصحابه الى منطقة الجزيرة لقتال مروان الثاني هناك^(١٢٩) . عندما بلغت أنباء العراق الخليفة مروان الثاني ولي يزيد بن عمر بن هبيرة الغزاري^(١٣٠) اميراً على العراق والمشرق سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م^(١٣١) وامره ان يتوجه الى الكوفة لاستردادها من

(١١٩) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ . ب . الطبري : ٣١٨/٧ ، ٣١٩ .

المؤلف مجهول : غرر السير : ورقة ١١٩ ، النخلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام . معجم البلدان : ٢٧٨/٥ .

(١٢٠) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ . ب . الطبري : ٣٢١/٧ . ب . ب . ب .

التاريخ : ١٢٢ . انظر : تاريخ خليفة بن عياض : ٤٣٠/٢ .

(١٢١) عن حوادث القتال راجع الطبري : ٣٢١/٧ ، ٣٢٢ .

(١٢٢) تاريخ خليفة بن عياض : ٣٩٧/٧ . انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ . ب .

(١٢٣) تاريخ الرسل والملوك : ٣٢١/٧ .

(١٢٤) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ . الطبري : ٣٤٥/٧ .

انظر تاريخ خليفة بن عياض : ٣٩٨/٢ .

(١٢٥) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ .

(١٢٦) الطبري : ٣٢٧/٧ . المؤلف مجهول : غرر السير : ورقة ١١٩ . ب .

(١٢٧) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ . الطبري : ٣٢٧/٧ ، ٣٤٥ .

الأزدي : تاريخ الموصل : ٦٩/٢ . العيون والحدائق : ١٥٨/٣ .

(١٢٨) البلاذري : انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ٨ .

(١٢٩) الطبري : ٣٢٧/٧ ، ٣٢٨ .

(١٣٠) م . ن . ٣٢٧/٧ .

(١٣١) يزيد بن عمر بن هبيرة : ابو خالد يزيد بن الي اللقي عمر بن هبيرة بن معية بن سكين

الغزاري ، من اهل الشام . ولد سنة ٨٧هـ ثم نشأ بدمشق . ولاء الوليد بن يزيد بن

عبد الملك على القسرين . كان مع مروان الثاني عندما هرب على دمشق . وفاته الأحيان :

٣٥٧/٥ . انظر الطبري : ٢٣٧/٧ .

سار ابن هبيرة على رأس قوة عسكرية كبيرة قلدتها البلاذري بستان الف مقاتل (١٣٢) قاصداً الكوفة فتزل وعين القره في حين خرج من الكوفة المثني بن عمر العائلي على رأس قوة من الخوارج . والتقى الفريقان عند عين القره ودارت بينهما معركة ضارية استمرت عدة أيام ، انتصر فيها ابن هبيرة ، وقتل المثني وانسحب الخوارج الى الكوفة (١٣٢).

سار ابن هبيرة قاصداً الكوفة فتزل والروحاء وقدم اليه الخوارج بقيادة منصور بن جمهور الكلبي ، فاقتتل الفريقان عند الروحاء فانصر ابن هبيرة وانهم الخوارج (١٣٣) . وبهذا الانتصار الحاسم تمهد السبيل امام ابن هبيرة لدخول الكوفة ، فسار نحوها ودخلها في شهر رمضان سنة ١٢٩هـ / مايس ٧٤٦م بدون مقاومة (١٣٤).

وعندما بلغت الضحاك اخبار الهزائم التي لحقت اتباعه في العراق وجه عبيدة بن سوار التغلبي على رأس قوة من الخوارج ، عسكر بهم شرق «الصراة» . ولما بلغ ابن هبيرة خبر تجمع الخوارج في الصرة ، سار نحوهم وعسكر غرب الصرة ، فدارت معركة بين الفريقين قتل فيها عبيدة ، وانتصر ابن هبيرة ، وانهم الخوارج وتفرقوا في الأمصار (١٣٥).

سار ابن هبيرة الى واسط ودخلها بدون اية مقاومة من قبل عبدالله بن عمر (١٣٨) فأخذ عبدالله وقيده ثم بعث به الى مروان الثاني فسجنه في مدينة حران (١٣٩).

إضافة الى ما تقدم فإن امير العراق ابن هبيرة منذ ان تولى حكم

(١٣٢) تاريخ خليفة بن عياط : ٤٠٣/٢ . انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ١٠ أ . الطبري : تاريخ ٣٣٩/٢ . الأزدي : تاريخ الموصل : ٧٤/٢ . العيون والحدائق : ١٩٤/٣ . الطبري : ٣٤٧/٧ .

(١٣٣) انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ١٠ أ . انظر العيون والحدائق : ١٦٤/٣ . (١٣٤) تاريخ خليفة بن عياط : ٤٠٣/٢ ، ٤٠٤ . انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ١٠ أ . الطبري : ٣٢٨/٧ . العيون والحدائق : ١٦٤/٣ .

(١٣٥) انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ١٠ أ . الطبري : ٣٢٨/٧ . العيون والحدائق : ١٦٤/٣ . الروحاء : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى : معجم البلدان : ٧٦/٣ .

(١٣٦) الطبري : ٣٢٩/٧ . (١٣٧) الطبري : ٣٢٩/٧ ، ٣٥١ . تاريخ خليفة بن عياط : ٤٠٤/٢ . انساب الاشراف : ح ٨ ورقة ١٠ أ . العيون والحدائق : ١٦٤/٣ ، ١٦٥ . المؤلف مجهول : غر السير : ورقة ١٢١ أ .

(١٣٨) تاريخ خليفة بن عياط : ٤٠٥/٢ . ابن قتيبة : المعارف : ٣٦٩ . (١٣٩) الاعيان الطوال : ٣٥٨ . الامامة والسياسة : ١١٦/٢ . المعارف : ٣٦٩ . انساب الاشراف : ح ٣ ورقة ٣٢ ب . الأزدي : تاريخ الموصل : ٧٧/٢ . المؤلف مجهول : غر السير : ورقة ١٢١ ب .

(١٣٨) تاريخ خليفة بن عياط : ٤٠٥/٢ . ابن قتيبة : المعارف : ٣٦٩ . (١٣٩) الاعيان الطوال : ٣٥٨ . الامامة والسياسة : ١١٦/٢ . المعارف : ٣٦٩ . انساب الاشراف : ح ٣ ورقة ٣٢ ب . الأزدي : تاريخ الموصل : ٧٧/٢ . المؤلف مجهول : غر السير : ورقة ١٢١ ب .

حران : إحدى مدن الجزيرة وهي قصبة ديار مصر ، تقع على طريق الموصل - الشام ، حررها القائد عباس بن هاشم في زمن الخليفة عمر بن الخطاب . معجم البلدان : ٣٣٥/٢ .

العراق كان قد انشغل بالامور التي كانت سائدة في المشرق الاسلامي ، فقد تكونت هناك عدة قوى كانت مناوئة للحكم الأموي (١٤٠) ورغم محاولات والي خراسان نصر بن سيار الكتاني لكسب بعض هذه القوى الى جانبه الا ان محاولاته باءت بالفشل ، مما ادى الى تكتل هذه القوى فيما بينها فأدى هذا التكتل الى ضعف الحكم الأموي هناك (١٤١) .

وبما ان الخليفة مروان الثاني كان مشغولاً بقتال الخوارج (١٤٢) فقد عهد الى امير العراق ابن هبيرة معالجة الوضع في المشرق باعتباره انه كان تابعاً لادارته (١٤٣) . وقد بذل ابن هبيرة جهوداً كبيرة للقضاء على القوى المناوئة للحكم الأموي (١٤٤) ، الا ان جهوده باءت بالفشل وذلك لأن أخطر هذه القوى وهم دعاة العباسيين كانوا قد ركزوا جهودهم في هذه الرقعة من الدولة الأموية وتعاونوا مع بقية القوى المناوئة للحكم الأموي هناك فأعلنوا ثورتهم واستولوا على المشرق ، ثم توجهوا غرباً للاستيلاء على بقية أقاليم الدولة الأموية (١٤٥) .

يتبين مما تقدم انه نتيجة لجهود امراء العراق بلغت الدولة العربية أوج سعتها في فترة البحث ، فقد سجلت الجيوش العربية انتصارات عظيمة في المشرق ، على الرغم من صعوبة وسائل التنقل ، وقلة عددهم وعدتهم اذا ما قارناهم بعدد وعدة الامم التي اجتمعت عليهم وحرروا اراضي واسعة ومجتمعات عديدة كانت تعاني من الاستغلال والاستبعاد من قبل حكامها ، واستطاعوا ادارة هذه الأقاليم بكفاءة عالية ، وأقاموا حضارة متقدمة لاتزال آثارها شاخصة لحد الآن .

هذا ومن الجدير بالذكر هنا هو اننا لم نسمع عن حركات تحرير عربية بهذه السعة بعد هذا التاريخ بل ان الدولة العباسية لم تتمكن حتى من المحافظة على الأرض التي حررت في هذه الفترة لاسباب هي خارجة عن نطاق هذا البحث .

(١٤٠) عن هذه القوى انظر : الدكتور فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية : ١٦١-٢٠٤ . الدكتور محمد عبدالحفي شعبان : الثورة العباسية : ٢١٨ - ٢٥٦ . الدكتور عبدالقادر المعاصيدي : واسط في العصر الأموي : ٢٢٧ - ٢٤٣ .

(١٤١) انظر : الدكتور عبدالقادر المعاصيدي : واسط في العصر الأموي : ٢٢٦ . (١٤٢) الطبري : ٢٩٢/٧ ، ٣٤٤ وما بعدها .

(١٤٣) د . عبدالقادر المعاصيدي : واسط في العصر الأموي : ٢٢٦ ، ٢٢٧ . (١٤٤) انظر : تاريخ خليفة بن عياط : ٤٠٨/٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ . الاعيان الطوال : ٣٦٩ . المعارف : ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٤١٨ . انساب الاشراف : ح ٣ ورقة ٣٣ ب ، ٣٤ . الطبري : تاريخ : ٣٤١/٢ ، ٣٤٣ . الطبري : ٣٥١/٧ ، ٣٣٣ ، ٣٩١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١٣ . الأزدي : تاريخ الموصل : ١٠٧/٢ ، ١١٦ ، ١١٧ . غر السير : ورقة ١٢١ ب ، ١٣٨ ب ، ١٤٠ أ . اعيان الدولة العباسية : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ . العيون والحدائق : ١٦٥/٣ ، ١٦٦ ، ١٦٣ ، ١٩٤ .

(١٤٥) الدكتور عبدالقادر المعاصيدي : واسط في العصر الأموي : ٢٢٧ .

مصادر ومراجع البحث

- ابن اعثم : احمد بن عثمان الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)
 وكتاب الفتوح ط ١ (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر
 آباد ، الدكن - الهند ١٣٩٠ - ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٠ - ١٩٧٥ م
 الازدي : ابو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م)
 وتاريخ الموصل تحقيق : علي حبيبة (القاهرة ١٩٦٧)
 البلاذري : احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)
 وانشاب الاشراف نسخة مضمومة بالفوتستات في مكتبة الدراسات
 العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد تحت رقم (١٦٣٤ ، ١٩٤٤) ١١ جزء
 عن النسخة الاصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط رقم (٦٨)
 وفتح البلدان نشر صلاح الدين المنجد (القاهرة ١٩٥٧)
 البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٤٨ م)
 وكتاب الجواهر في معرفة الجواهر (حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ)
 ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم
 بن ابي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)
 ووفيات الأعيان وابناء الزمان ٨ اجزاء تحقيق الدكتور احسان
 عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م
 ابن خياط : ابو عمر خليفة بن خياط العصفري (ت
 ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
 «تاريخ خليفة بن خياط» تحقيق الدكتور اكرم ضياء العمري
 (مطبعة الآداب ، النجف ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م)
 الدينوري : ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)
 «الاخبار الطوال» تحقيق عبدالمعزم عامر (القاهرة ١٩٦٠)
 دكسن : الدكتور عبدالأمير : «الخلافة الأموية» بيروت ١٩٧٣
 الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
 «تأريخ الرسل والملوك» تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار
 المعارف (القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٩)
 ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت
 ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)
 «الامامة والسياسة» تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، الناشر مؤسسة
 الحلبي وشركاه (القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م)
 «المعارف» تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب القاهرة
 (١٩٦٠)

المعاصيدي : الدكتور خاشع

والعداء الفارسي للعرب وقادسية صدام منشورات وزارة الثقافة

والاعلام بغداد ١٩٨١

- المعاصيدي : الدكتور عبدالقادر سلمان
 «واسط في العصر الأموي» دار الحرية للطباعة ، بغداد
 ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
 المؤلف مجهول :
 «تاريخ الخلفاء» نشر بطرس غرياز نيويج ، دار العلم للنشر (موسكو
 ١٩٦٧)
 المؤلف مجهول :
 «العيون والحدائق في اخبار الحقائق» ج ٣ ط . دي غوية . لندن
 ١٨٧١ م.
 المؤلف مجهول :
 «غور السيرة» (رقيقة) عن مخطوطات مكتبة البولديان في اكسفورد
 رقم (٥٤٢) نسخة الدكتور عبدالأمير دكسن .
 المؤلف مجهول :
 «اخبار الدولة العباسية» تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور
 عبدالحبار المطلي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (مطابع دار صادر
 بيروت ١٩٧١)
 ابن منظور : ابو الفضل محمد بن كرم الانصاري
 (ت ٧٢١ هـ / ١٣١١ م)
 «لسان العرب المحيط» دار لسان العرب ، بيروت ١٩٧٠ .
 ياقوت : شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت
 ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
 «معجم البلدان» ج دار صادر بيروت ١٩٥٧
 اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت
 ٢٨٤ هـ / ١٨٩٧ م)
 «تاريخ اليعقوبي» ٢ جزء ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ .
 «البلدان» لندن ١٨٩٢
 الكيسي : عبدالحيد محمد صالح
 «عصر هشام بن عبدالملك» بغداد ١٩٧٥
 عمر : الدكتور فاروق
 «طبيعة الدعوة العباسية» بيروت ١٩٧٠
 شعبان : الدكتور محمد عبدالحلي
 «الثورة العباسية» دار الدراسات الخليجية ١٩٧٧
 السهمي : حمزة بن يوسف بن ابراهيم (ت ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م)
 «تأريخ جرجان» مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد (الدكسن
 الهند ١٩٥٠)

نظرة في مصنفات وموارد الخزرجي مؤرخ اليمن

الدكتور : شاكر محمود عبدالمتم

معهد المعلمين - بغداد

عن مولد لا يتعدى الحدس والتخمين . لقد كانت وفاته في آواخر سنة ٨١٢ هـ وقد جاوز السبعين^(٣) ، لذلك فإن مولده قد يكون محصوراً بين سنة ٧٣٢ وسنة ٧٤٢ . أما المدينة التي ولد فيها فلعلها مدينة زبيد التي أكدت المراجع على نسبه اليها .

أما أسرته فكانت عريقة في نسبها الذي ينتهي بقبيلة الخزرج العربية التي ساعدت على نصرة الاسلام في بواكير محنته مع الشرك والضلال ، فجعلهم الرسول (ص) من الانصار . والمشهور من أسرته هو جده المعروف بابن وهاس الذي نسب الى الزمخشري^(٤) قوله فيه :

لولا ابن وهاس وسابق فضله
رعبت هشياً واستقربت مصرداً^(٥)

تعليمه واشتغاله بالتأليف :

نشأ الخزرجي في اسرة كانت حاضراً في اكتساب العلوم والحرف ، كما كانت لها وجادة لدى ملوك اليمن وخاصة من بني رسول . لم يبق الخزرجي عذبة مناسبة من قبل المؤرخين قديماً وحديثاً . ولذلك فقد كان نصيبه النسيان . الأمر الذي يصعب معه معرفة تفاصيل

(٣) انظر :

العيني ، عقد الجمان ، ج ٢٥ في ٢ الورقة : ٣٠٢ . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٥ ص ٢١٠ . ابن العباد ، الشنوات ، ج ٧ ص ٩٧ . العيني ، الملحق التابع للبر الطالع ، ص ١٦١ .

(٤) صاحب الكشاف المشهور

(٥) انظر : الضوء اللامع ، ج ٥ ص ٢١٠ . شنوات الذهب ، ج ٧ ص ٩٧ .

هذه نظرة سريعة ، ولكنها فاحصة ، في مصنفات واحد من المؤرخين المهمين في التاريخ العربي الاسلامي . حداني لتدوينها ما وقع من خلط بين أغلب الباحثين في تحديد مؤلفات الخزرجي وتسميتها ولا بد من اعطاء معلومات أولية تقليدية في البحث عن هذا المؤرخ .

نسبه :

هو موفق الدين أبو الحسن علي^(١) بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي بن وهاس الخزرجي الزبيدي الشافعي الأنصاري ويعرف بابن النقاش وينسب الى قبيلة الخزرج العربية .

مولده وأسرته :

ان المراجع لا تشير الى التاريخ الذي ولد فيه الخزرجي ولا الى المدينة التي ولد فيها ، غير انه ولد في اليمن على الأرجح وانتسب الى احدي مدنه المشهورة ، وهي مدينة زبيد فلقب بالزبيدي^(٢) . ونهاية ما عرفناه

(١) وودت ترجمته في :

ابن حجر ، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ، الورقة : ٤٤٣ . العيني ، عقد الجمان ، ج ٢٥ ، الورقة ٣٠٢ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٥ ص ٣١٠ . والاعلان بالتاريخ لمن لم التاريخ ، ص ١٦٠ وص ٢٢٧

حاجي خليفة ، كشف ، الطنون ، ج ١ ص ٣١٠

ابن العباد ، الشنوات ، ج ٧ ص ٩٧ .

محمد بن زبارة العيني ، الملحق التابع للبر الطالع ، ص ١٦١ .

البغدادي ، هدية العارفين ، ص ٧٢٨ .

مجلة المنهل ، مجلد ٦ ج ٥ ص ٢٠٨ - ٢١٢ .

وترجمته وآخرون لاجمال لذكرهم .

(٢) انظر : مراجع لمخرج ترجمته المذكورة آنفا .

تعليمه وشيوخه . ومع ذلك فلا يستبعد انه تشبع بثقافة عصره كاللغة والاداب والحديث والفقه والتاريخ والنحو والانساب . وهذا ما نلمسه في مؤلفاته . قال عنه العيني ^(٦) : وكان قد اشتغل بالادب ناظماً ونائراً وكان متولماً بالتاريخ . وأوضح السخاوي انه اشتغل بالادب ولجج بالتاريخ فهر فيه وقال « ذكره شيخنا » ^(٧) في معجمه . . . وقال في انبائه ^(٨) كان ناظماً نائراً ^(٩) . ان مصنفات الخزرجي التي بين ايدينا لا تدع مجالاً للشك في قول السخاوي المذكور آنفاً . ولم يكن الخزرجي بارعاً في كتابة التاريخ فحسب بل لقد كانت له وجهة نظر خاصة فيه . فهو يقول في مقدمة تاريخ اليمن : « حداني على جمعه ما رأيت من اعمال الناس لئن التاريخ مع شدة احتياجهم اليه وتغويلهم في كثير من الأمور عليه لما يندرج في ضمنه من المواعظ والآداب وتفصيل شوايك الارحام والانساب ولولا معرفة التاريخ ما اتصل أحد من الخلف بشي من اخبار السلف ولا عرف فاضل مفصول ولا امتاز معروف عن مجهول » ^(١٠) . اهتم الخزرجي بتاريخ اليمن فجمع له تاريخاً كبيراً على السنين وآخر على الاسماء وآخر على الدول أو الملوك ^(١١) ، كما كتب تاريخاً لزيد وعدن ^(١٢) . وأرخ الدولة الرسولية ^(١٣) منذ بدايتها حتى وفاة الملك الاشرف اسماعيل .

علاقته بالاشرف الغساني ^(١٤) :

اهتم الاشرف اسماعيل بالعلم والعلماء وتقريبهم والاحسان اليهم ، ويبدو أن الخزرجي كان من بين اولئك الذين حباهم الاشرف وقربهم منه وادناهم . ورغم علاقته الوثيقة ببعض ملوك بني رسول وخاصة الأفضل وابنه الاشرف فقد جاءت لهجته صادقة - فيما ظهر لنا - وهو يدون

تاريخهم ^(١٥) . وأشار الخزرجي الى ان الاشرف أتقده للحج عن والدته ، ولما رجع ساعده بخراج ارضه ونخله فساعده مستمرة مستقرة ^(١٦) .

وصنف الخزرجي كتابه « طراز اعلام الزمن » ^(١٧) نزولاً على رغبة الملك الاشرف الذي حدد له شكل الكتاب وتنسيق محتوياته ^(١٨) . ويبدو ان الخزرجي نبغ ^(١٩) في أيام الاشرف اسماعيل . . وربما كان ذلك بسبب ما كان يلقاه من قبل الاشرف من تشجيع ومكافأة . مؤلفاته :

- ١ - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ^(٢٠) ، وقد صكر المؤلف كتابه هذا بفصل عن نسب بني رسول . وينتهي بوفاة الملك الاشرف سنة ٨٠٣ . قال عنه هنري كسلي كاي « ولثلاث كاملان من الكتاب نقلا في اغلبها من كتب ثلاثة هي السيرة المظفيرة والمقد الثمين وتاريخ الجندي » ^(٢١) . و « العقود اللؤلؤية » مرتب على السنين والدول ، وفيه يذكر المؤلف حوادث ووفيات كل سنة متبعا نظام الحوليات حسب تسلسل السنوات الهجرية وقال محقق هذا الكتاب « وجنح في كثير من الاحايين الى التعبير عن الحوادث بعبارات يظهر أنها بمانية عامية » ^(٢٢) . وترجم الى الانكليزية ونشره أربعة من أئمة المستشرقين هم : ريد هوس Sir J.W Redhouse وبراون BROWN ونيكلسون NICHOLSON وروجرس ROGERS أما الاصل العربي فقد عني بشره محمد بسيوني عمل وطبع على نفقة أوقاف ذكرى الاستاذ جب سنة ١٩١١-١٩١٤ .
- ٢ - طراز الزمن في طبقات اعيان اليمن ^(٢٣) :

(١٥) ورغم ذلك فلقد كانا حلبيين ونحن نعتد على مؤلفات الخزرجي ونقارن ما كتبه بالمصادر الاخرى التي تحدثت عن بني رسول ، عند دراستنا لهم في الكتاب المنوه عنه في الحاشية السابقة .

(١٦) العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ١٧٥ .

(١٧) سيأتي ذكره . بعد قليل .

(١٨) انظر : نجم الدين عارة بن ابي الحسن علي الحكيم اليمني (ت ٥٦٩هـ) ، تاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٧٩/١٩٥٧ (المقدمة التي كتبها هنري كسلي كاي ، ص ٢٢) .

(١٩) انظر : جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢٠ (٢٠) وهو الكتاب المطبوع الوحيد من بين مؤلفات الخزرجي .

(٢١) انظر : تاريخ اليمن ، لعمارة اليمني ، (المقدمة بقلم كاي ص ٢١) ، وسنذكر بإيجاز المصادر التي اعتمد عليها الخزرجي .

(٢٢) انظر العقود اللؤلؤية ، ج ١ المقدمة ، ص ٥ .

(٢٣) ويورد اسم الكتاب إيجازاً طراز اعلام الزمن في طبقات اعيان اليمن أما عنوان النسخة التي رأيناها بالمكتبة المتجربة تحت رقم (٧٨٣ تاريخ) ، فهو ما اشتهر اعلاه . ومن هذا الكتاب نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٢٦٥٧ ح .

(٦) عقد الجمان ، ج ٢٥ ق ٢ الورقة : ٣٠٢ .

(٧) ريفضد السخاوي ، وشيخنا ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ .

(٨) والقصود هنا انباء العمر بأبناء العمر .

(٩) انظر : السخاوي ، الضو اللامع ، ج ٢ ص ٢١٠ .

(١٠) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، ص ٦٢ .

(١١) انظر : العيني ، عقد الجمان ، ج ٢٥ ق ٢ الورقة : ٣٠٢ . السخاوي ، الضو اللامع .

ج ٥ ص ٢١٠ . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ص ٣١٠ . ابن العماد .

الشملات ، ج ٧ ص ٩٧ . اليمني الملحق التابع ، ص ٦١ . البهتادي ، هدية العارفين ، ص ٧٢٨ .

(١٢) واسمه «مرآة الزمن في تاريخ زيد وعدن» . انظر هدية العارفين ، ص ٧٢٨ .

(١٣) انظر : كشف الظنون ، ج ١ ص ٢٨٢ . وسنذكر أسماء كتبه كاملة فيما بعد .

(١٤) هو الملك الأفضل الناصر الغساني (٧٦١هـ - ٨٠٣هـ) من ملوك الدولة الرسولية في اليمن . وقد كتبت عنه دراسة نشرت عام ١٩٧٥ بعنوان الملك الاشرف الغساني وكتابه المسجد النبوي ، دار التراث الاسلامي ، بيروت / ١٩٧٥ . فلتراجع .

ويقع في جزأين بمجلد واحد . اطلعنا عليه في خزانة المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية . يتحدث في الجزء الاول عن اليمن وقضائيه ، وبين فضل التاريخ وفي خلال ذلك يستشهد بأحاديث نبوية وأقوال عدد من البارزين والصحابه وفي الورقة ١٤ يقول وأول من وضع تاريخ هذه الامة عمر بن الخطاب (رض) ، ثم تحدث عن سيرة (٢٤) الرسول (ص) . والخلفاء الراشدين والخلفاء من بني امية وبني العباس . ويخصص الجزء الثاني للذكر تراجم من اعيان أهل اليمن وبدأ الجزء الثاني بآيات شعر مطلعها :

هذا كتاب حسن وضعه مستوعب اعيان أهل اليمن
وقد رتب تراجمه حسب حروف المعجم وتنتهي بحرف الحاء يلي ذلك نقل من تاريخ مختصر لمؤرخ معاصر للسلطان قايتباي في القرن التاسع الهجري .

ثم جداول بأسماء الخلفاء منذ وفاة النبي (ص) حتى الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين .

ولم يشأ السخاوي أن يذكر اسم هذا الكتاب ، بل ذكر وصفاً له وأطلق عليه «تاريخ اليمن» . وذكر بيت الشعر المذكور آنفاً (٢٥) . والواقع ان الوصف الذي أورده السخاوي لا ينطبق تماماً على النسخة التي اطلعت عليها في المكتبة التيمورية ذات الرقم (٧٨٣ تاريخ) (٢٦) . وهذا يدفعنا الى الاعتقاد بأن السخاوي قد وقع في اشتباه بين مصنفات الخزرجي أو ان النسخة التي راجعناها كانت ناقصة وليس من سبيل الى ترجيح أحد الاعتقادين في الوقت الحاضر وقال كاي عن هذا الكتاب هو : «تراجم مرتبة على الهجاء اقتبس أكثرها من الجنتي مع مقدمة في سيرة الرسول (ص) ومنه نسخة في لندن والمتحف البريطاني» (٢٧) . ونقل جرجي زيدان هذا القول حرفياً (٢٨) . وربما كان كتاب الخزرجي الموسوم «بالعقد الفاخر» مكملاً لهذا الكتاب ولكن الأمر يحتاج الى دراسة وتحقيق .

٣ - العنجد المسبوك والزبرجد المحكوك (٢٩) في من ولي اليمن من الملوك .

ويقع في عدة مجلدات على مايلو ، اطلعنا على مجلد واحد (٣٠) منه كُتب عليه «الجزء الرابع من تاريخ الخزرجي المرتب على السنين والمهم من الاخبار» . ويبدأ بالفصل الرابع فيمن ملك عدن وصنعاء ويحتوي هذا الباب على عشرة فصول . ثم الباب الخامس فيمن سكن زبيد (٣١) ويتضمن اثني عشر فصلاً حينما يتكلم عن دولة الملك الاشرف اسماعيل (٣٢) وفي الورقة ٣٦٣ زيادة ذكر انها مأخوذة من مختصر الشهاب المحلي المسمى بالكفاءة والاعلام وفيه تكملة اخرى مأخوذة من العقود اللؤلؤية للخرجي . ووجدنا نسخة مشابهة لهذه النسخة في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية (٣٣) . وذكر الاستاذ حمد الجاسر (٣٤) بأنه اطلع على مجلدين مشاهين لهذه النسخة احدهما في المكتبة المحمودية بالمدينة ورقها ٢٥٥ تاريخ ، والآخر في مكتبة الحرم المكي واثبت فهرساً لنسخة مكتبة الحرم المدني (٣٥) . وعن قيمة هذا الكتاب قال ابن الديبع هو أحسن مؤلف عن اليمن فنقل عنه وزاد عليه باقي تاريخ دولة الملوك من بني رسول (٣٦) .

(٣٠) انظر نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥ ميكروفيلم المصورة عن نسخة مكتبة الامام يحيى رقم ٥٢ تاريخ .

وعند ورقات هذه النسخة ٣٩٩ ورقة ذات لوح واحد . ويتحدث عن فضائل اليمن واخبار عدن وعسل صنعاء من دور ومساجد وجهات ثم يذكر اسلام أهل اليمن وعمل النبي (ص) أهل اليمن ويتطرق ذلك الحديث عن بعض الاحداث التاريخية ، ثم يذكر عمل بني امية وبني العباس ، ويتكلم عن القرامطة والدولة الصليبية وملوك صنعاء بعد الصليبيين . ثم يبدأ بعد ذلك بالباب الخامس . وقد احتضت قائمة المخطوطات العربية بنسبة هذا الكتاب للملك الاشرف النساني :

انظر : قائمة المخطوطات العربية المصورة بالميكروفيلم من الجمهورية العربية السورية التي صورتها دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ص ٢٩ . وانظر : مقالنا «توثيق المسجد المسبوك» - وهل هو كتاب واحد ؟ ، المجلة التاريخية / العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٧٥ ص ٢٤١ فابعد .

(٣١) انظر : الورقة : ٩٦

(٣٢) انظر : الورقة : ٣٢٧ وما بعدها .

(٣٣) ورقها ٧٣٦ تاريخ ميكروفيلم الا ان العنوان فيها : المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك .

(٣٤) والمؤرخون المسبون : مجلة المنيل ، المطبعة العربية بمكة ، ١٣٦٥ ، مجلد ٦ ج ٥ ص ٢٠٨ - ٢١٢ .

(٣٥) وضع نسخة الحرم المكي في ٥٠٥ صفحات كبيرة كل صفحة ٢٥ سطراً بخط النسخ الواضح وفيها ذيل منقول من كلام ابن الديبع من صفحة ٤٩١ الى صفحة ٥٠٥ وهي بخط النسخ عبدالله بن يحيى بن علي بن ابراهيم بن المهدي بن احمد بن جعاف أمها يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ٩٩٥ . انظر : مجلة المنيل ، مجلد ٦ ج ٥ ص ٢١٠ - ٢١١ . (٣٦) انظر : قرة العيون ، نسخة دار الكتب المصرية ، رقم ٢٢٤ ، الورقة : ٢ . ولدى مقارنة قرة العيون مع المسجد المسبوك للخرجي (رقم ٢١٥ ميكروفيلم) بين ان كتاب قرة العيون يتبع نفس المنهج الذي سار عليه الخزرجي مع الاختلاف في السنة التي ينتهي بها تاريخ كل من الكتابين .

(٢٤) وذلك من الورقة ١٩ حتى الورقة : ١٠٨ .

(٢٥) انظر : الاعلان بالتبويب ، ص ٢٢٧ .

(٢٦) والنسخة المصورة عنها بخزانة دار الكتب المصرية (رقم ١٢٦٥٧ ح ١)

(٢٧) انظر : تاريخ اليمن ، المقدمة بقلم كاي ص ٢١

(٢٨) تاريخ ادب اللغة العربية ، ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٢٩) ذكره ابن الديبع في قرة العيون ، نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ ، الورقة : ١٢ .

وينسب للخزرجي كتاب «الكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الاسلام» ، ولدى مقارنتنا لكثير من فقراته مع كتاب المسجد المسبوك الذي تحدثنا عنه قبل قليل وجدنا تشابها كبيرا في ترتيب الفصول والمنهج والاسلوب (٣٧) وقال المرحوم الاستاذ فؤاد سيد بهذا الصدد معلقا على كتاب الكفاية والاعلام والمرجح ان هذا الكتاب هو القسم الخاص باليمن من كتاب المؤلف المسمى المسجد المسبوك . . وهو ينسب للملك الاشرف بن رسول (٣٨) . غير انه لا بد من الاشارة الى ان المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك الذي أثبتنا (٣٩) نسبه للملك الاشرف هو كتاب آخر يختلف في ترتيبه وفصوله وأقسامه عن المسجد المسبوك المنسوب للخزرجي .

وعلى الرغم مما تقدم فيلوح لنا أنه لمن الضروري تقديم فكرة عن هذا الكتاب المسمى ب «الكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الاسلام» . وذلك لكثرة ورود ولوجود نسخ عديدة منه .

ويبحث أيضاً في تاريخ اليمن وملوكه وعلمائه (٤٠) . تحدث المؤلف في بدايته عن فضائل اليمن ثم ذكر اسلامهم (٤١) وعمال الرسول (ص) وعمال بني امية على اليمن وعمال بني العباس . وتكلم عن الدولة الصليحية والدولة الايوبية والدولة الرسولية في اليمن .

(٣٧) انظر الكفاية والاعلام : نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٠٦ ميكروفيلم ونسخة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية رقم ١١٨٢ ميكروفيلم . وقد صورنا نسخة دار الكتب المصرية وهي من مقتنيات الشخصية .

(٣٨) فهرس المخطوطات المصورة ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ج ٢ ق ٣ ، ص ٢٤٥ حاشية (١) و ص ٢١٢ حاشية (١) .

(٣٩) انظر : «دولتي المسجد المسبوك» ، المجلة التاريخية ، العدد الرابع ، بغداد / ١٩٧٥ ص ٢٤١ ق ١ .

(٤٠) وهو موجود في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٦ ميكروفيلم وكانت قد صورته عن مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وهو من الكتب المصادرة في المكتبة المذكورة ويرجع تاريخ نسخه الى سنة ١٢٢٥ وعيد أوراقه ٢٢٧ ورقة ذات لوجين ويتفص قليلا من بدايته ونسخة مماثلة من هذا الكتاب موجودة في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية تحت رقم ١١٨٢ ميكروفيلم كما توجد منه نسخ اخرى تتباين من حيث تاريخ نسخها ومنها : نسخة ثانية في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بخط صلاح بن علي سنة ١٠٠٤ ثم نسخة المكتبة البلدية بالاسكندرية ونسخة ليدن رقم ٩٤٧ ونسخة باريس رقم ٥٨٣٧ ونسخة الفاتيكان رقم ١٠٢٢ ونسخة المتحف البريطاني رقم ٦٩٤١ ونسخة بغداد بنفش سنة بالهند ٢٨٨٣ - ف ٣٩٠١ . ونسخة جامعة برنسن رقم ٥٣٢ مكتوبة سنة ١٠٢٩ . وغيرها كما اعتبرني المرحوم الاستاذ رشاد عبدالمطلب أمين معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية : وانظر : فؤاد سيد ، فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ ق ٣ ص ٢٤٥ و ص ٢١٢ .

بروكلمان ، ملحق ٢ ص ٢٣٨ ، كوركيس عواد ، جولة في دور الكتب الامريكية ، بغداد ، ١٩٥١ ، ص ٨٠ ، وله أيضاً والمخطوطات العربية في دور الكتب الامريكية ، مجلة سومر ، بغداد ، ١٩٥١ ، مجلد ٧ ج ٢ ص ٢٤ .

(٤١) يعني اسلام أهل اليمن .

ونجد الاشارة الى أن مؤلفات الخزرجي بحاجة الى دراسة خاصة وان هناك خلطا بين مؤلفات الخزرجي واختلافا في نسبتها ، حتى لقد تجاوز بعض الباحثين تسمية هذه المؤلفات دفعاً للاخراج كما فعل على سبيل المثال الاستاذ كاي ، فلم يشأ ان يسمى مؤلفات الخزرجي كلها فقال «وكتب الخزرجي الاخرى التي ذكرها حاجي خليفة في معجمه قد تمثلها المخطوطات المحفوظة بمكتبة ليدن تحت ارقام ٧٠٥ ، ٧٤٨ ، (١١)» . وهو قول مبسر تنقصه الدقة ويفتقر الى الدليل . بينما مزج آخرون بين مؤلفات الخزرجي أو بين ما ألفه هو وما ألفه غيره .

٤ - العقد الفاخر الحسن من طبقات أعيان أهل اليمن (١٢) .

وهو مجلد يشتمل على الجزأين الثاني والثالث أوله باب الظاء المعجمة وهو الباب السابع عشر وآخره الباب الثلاثون ، وهو باب في تراجم اعلام النساء آخرهن السيدة الحرة ملكة اليمن . وهو مرتب على حروف المعجم . وربما اعتبر هذا الكتاب مكملاً لكتاب «طراز الزمن» الذي تحدثنا عنه قبل صفحات .

وتنسب للخزرجي كتب اخرى مثل مرآة الزمن في تاريخ زبيدة وعدن (١٤) .

مصادر الخزرجي :

اعتمد الخزرجي على مصنفات الذين سبقوه وأشار هو الى ذلك . ويستعمل كثيراً عبارة «قال علماء السير والتواريخ» (١٥) اما الذين اعتمد عليهم فأبرزهم :

١ - الشريف عماد الدين ادريس (١٦) (ت ٧١٤) .

هو ابو محمد ادريس بن علي بن عبدالله بن سليمان كان أميراً على القحمة ولحق في زمن الدولة الرسولية بأيام الملك المؤيد وكان محباً للعلم . له كتاب «كثر الاخبار في معرفة السير والاخبار» . اعتمد فيه على تاريخ

(٤٢) انظر : مقدمة كتاب تاريخ اليمن ، ص ٢٢ بقلم هنري كسلي كاي

Brockelmann, Geschichte Der Arabischen Literatur Von, op. cit. 11. P. 238

(٤٣) اطلعنا على هذا الكتاب الذي ينسب للخزرجي في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية وهو تحت رقم ٣٣٧ ميكروفيلم مصور عن نسخة كيمبرج ومكتوب بخط النسخ الجيد ولقد لاحظنا على الصفحة الاخيرة تعديلات غير واضحة . وذكر هذا الكتاب كل من :

فؤاد سيد ، فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ ق ١ ص ١٨٤ .

الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ٨٣-٨٤ . وذكره حمد الجاسر وقال لا اعرف عنه شيئاً . انظر : المنيل ، مجلد ٦ ج ٥ ص ٢١٢ .

(٤٤) انظر : الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ٨٣ - ٨٤ . البغدادي ، هدية العارفين ، ص ٧٢٨ .

(٤٥) انظر مثلاً . الكفاية والاعلام ، نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٠٦ ، الورقة : ٩ ب

(٤٦) انظر ترجمته في : يحيى بن الحسن ، غابة الإمامي ، ص ٤٩١ . ادريس بن الحسن الآف ، نزهة الأفكار ، الورقة : ١٥٨ ب ، جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ص ٢٢٠ .

الطبري وتاريخ ابن الاثير وتاريخ المسعودي ، ثم اضاف اليه اخبار العراق ومصر والشام الى سنة ٧١٣ واخبار اليمن الى سنة ٧١٤ . ولقد تقدم ذكره فيما سبق ، وأشار الخزرجي الى اعتماده على كثير الاخبار تصريحا في اغلب مصنفاته .

٢ - الجندي (ت ٧٣٢) :

القاضي ابو عبدالله يوسف بن يعقوب المعروف بالبهاء الجندي صاحب كتاب « السلوك في طبقات العلماء والملوك »^(٤٧) رتبته بشكل طبقات ووصل به الى آخر سنة ٧٣٠ ويقع في عدة اجزاء اطلعنا على قسم منه في دار الكتب المصرية . وأكد الخزرجي انه اعتمد على الجندي ونهل من فيض علمه الغزير وانه سار على منواله^(٤٨) .

٣ - عمارة اليمني (ت ٥٦٩) :

هو نجم الدين عمارة بن أبي الحسن الحكيم اليمني ، له كتاب تاريخ اليمن الذي طبع عام ١٣٧٦/١٩٥٧ وقد كتب مقدمة له هنري كسلي كاي ، كما أن الخزرجي اعتمد على كتاب آخر لعمارة اليمني هو المفيد في اخبار زيد^(٤٩) .

٤ - ابن عبد المجيد اليمني (ت ٧٤٣) :

تاج الدين عبد^(٥٠) الباقي ابن عبد المجيد اليمني صاحب كتاب يهجة الزمن في تاريخ اليمن . وقد طبع هذا الكتاب . ويبدو ان الخزرجي اطلع على هذا الكتاب واعتمد عليه^(٥١) .

٥ - السيرة المظفرية^(٥٢) . وهي في سيرة الملك المظفر يوسف بن رسول (٦٤٧-٦٩٤) . وقد اشار كاي الى اعتماد الخزرجي على هذا الكتاب^(٥٣) .

٦ - ابن الجاور الشيباني (ت ٦٩٠) .

جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بأبن الجاور الشيباني الدمشقي . صاحب تاريخ المستبصر أو وصفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز . وقد طبع عام (١٩٥١-١٩٥٤) في ليدن باشراف

(٤٧) منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩٦ تاريخ مصورة عن مخطوطة كوبرلي رقم ٩١٠٧ ولخصه كاي تحت رقم ٩٩٦ تاريخ لندن ١٨٩٢ . والحزب الثالث منه موجود في الخزانة المتوكلة بالجامع الكبير بصنعاء . انظر : فهرست الخزانة المتوكلة بالجامع المقدس بصنعاء ، صنعاء ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٤٨) العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٣٢ ، ص ٣٦ ، ص ٥٧ . مقدمة كتاب تاريخ اليمن ، ص ٢١ - ٢٢ . المنهل ، مجلد ٦ ج ٥ ص ٢١٢ .

(٤٩) المنهل ، مجلد ٦ ج ٥ ص ٢١٢ .

(٥٠) انظر ترجمته في ابي حمزة ، تاريخ لفر عدن ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٣ .

المنهل مجلد ٦ ج ٥ ، ص ٢١٢ .

(٥١) لم نستطع التعرف على هذا الكتاب ولعله من الكتب المفقودة .

(٥٢) انظر : عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، (المقدمة بقلم كاي) ص ٢١ .

أوبهكر لوفيرين .

٧ - الحاتمي الهمداني :

يبرالدين محمد بن حاتم الهمداني . وكتابه الذي اعتمد عليه الخزرجي يطلق عليه اسم العقلم الغمين^(٥٤) . وفي دار الكتب المصرية اطلعنا على نسخة خطية كتب عليها : والسمط الغالي الثمن في اخبار الملوك من الغز باليمن رقم (٥٣٠) وهو مجلد ضخم يشتمل على ٣٠٥ صحيفة من القطع المتوسط ، تعرض فيه لذكر سلاطين بني أيوب كما تكلم بأسهاب عن سيرة الملك المظفر الرسولي وولده الاشرف ومناقبها في اليمن^(٥٥) .

٨ - وذكر الشيخ حمد الجاسر ان الخزرجي نقل ايضاً عن الشيخ مسلم الشيرازي في كتابه عجائب وغرائب الاشعار الذي افه للملك المعز طغتكين . كما نقل عن جياش بن نجاح عن كتابه المفيد في اخبار زيد^(٥٥) .

يعتبر الخزرجي من المؤرخين الموثقين والمتخصصين بتاريخ اليمن . ومع أن كتاباته كانت شبه رسمية لكنك تجد فيها لهجة الصادقة . وخاصة في المدة التي عاشها والمدة التي عاصرها . أما بالنسبة لتاريخ اليمن المبكر فان أهمية كتاباته تكمن في اعتماده على مصنفات تعتبر مفقودة في الوقت الحاضر على انه لا بد من الاشارة الى ان الخزرجي في منهجه كان متأثراً الى حد كبير بأسلوب عصره . الذي ازدهرت فيه الكتابات الموسوعية والتي اتسمت في بعض الاحيان بتدوين الفث الى جانب السمين ، وشابتها عامة طفيفة ، لكنها على ما فيها من هبات لا بد من ان يصار الى دراستها وتحققها بدقة وحذر وحيث لا توثق ثمارها في مجال دراسة التاريخ والله الموفق .

(٥٣) انظر : المنهل . مجلد ٦ ج ٥ ص ٢١٢ .

تاريخ اليمن . المقدمة ، ص ٢١ .

(٥٤) منه نسخة في مكتبة المتحف البريطاني تحت عنوان «السمط الغالي الثمن في اخبار ملوك اليمن» برقم (٢٧٥٤١) زيادات .

(٥٥) المنهل . مجلد ٦ ج ٥ ص ٢١٢ .

الكتابة في مثالب العرب

« جَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِ التَّحْدِي الشَّعْوِيِّ لِلأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ »

الدكتور : محمد جاسم حمادي الشهداني

معهد الدراسات القومية والاشتراكية

قسم الدراسات التاريخية \ الجامعة المستنصرية

من هنا بدأت مؤامرة التحدي الفارسي للأمة ابتداءً من قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب من قبل أبي لؤي الفارسي ، ومروراً بالتحدي الفكري للأمة العربية مثلاً بحركتي الزندقة والشعوذية والغزو البوحي . وانتهاءً بالدور المتميز السني الذي قام به نصير الدين الطوسي الفارسي والذي كان يرافق المغول ، وحشّه لهم بضرورة الاسراع والتعجيل في عزو العراق .

وشمل التحدي الفارسي للعرب كل جوانب الحياة العربية الإسلامية ، سواء كانت دينية او ثقافية او فكرية او احتاجية او اقتصادية و سياسية وعسكرية .

وعبر التحدي الفارسي عن نفسه اصدق تعبير في حركتي «زندقة» و«شعوذية» اللتين كانتا مترابطتين مع بعضهما البعض ، فمن هدف احياء العقائد الجوسية القديمة ، وهدم الاسلام الى محاولة القضاء على القومية العربية وقيمها .

وستتطرق هنا الى جانب من جوانب التحدي الشعوي للأمة العربية مثلاً في الكتابة في مثالب العرب التي ابتدعها الفرس للطعن بالاسباب العربية والظعن في القيم والمثل العربية الإسلامية ، ودور المفكرين العرب في مواجهة هذه البدعة والانتصار عليها وابطالها .

يمثل التحدي الشعوي اختباراً صعباً لقوة شخصية الأمة العربية وفيها ومثلها السامية ، اختباراً صعباً لقوة مبادئ الاسلام ، اختباراً اصعب للأرادة والسيادة العربية ، ودورها القيادي الانساني في التاريخ البشري .

فبعد نجاح عمليات التحرير التي قام بها العرب المسلمين وتواقيم تحرير بلاد فارس من يرائن الوثنية ، والظلم والاستعباد نهاوت ، والى الابد اعنى واعظم قوة في عالم العصور الوسطى حينذاك الا وهي الامبراطورية الساسانية في وقت كانت فيه تلك الامبراطورية تستهن بالعرب طوال عصورها السالفة

وبدلاً من ان يشكر الفرس للعرب حسن فعلهم معهم كما فعلت شعوب اخرى في مختلف انحاء العالم ، فأنهم انتهوا من تاريخهم كس صغيرة وكبيرة ، فكان حافظاً لهم لاستعادة محادهم الكسروية المندثرة ، وقد كشف هزماتهم عن حقيقة نظرتهم الى العرب عندما قال للخليفة عمر بن الخطاب (رض) : «انا واباكم معاشر العرب ما خلق الله بيننا وبينكم كذا نغصبكم ونقتلكم فلما كان الله معكم لم تك لنا بكم يدان»^(١) .

١ - خليفة بن خياط ، التاريخ ، ج ١ (التجف ١٩٦٧) ١١٩

ان هذا الجانب من التحدي يكشف عن النزعة العنصرية الاستعمارية التي كانت تتميز بها القومية الفارسية عندما عمدت الى اختلاق المثالب للطعن في الانساب العربية وفي الشخصية العربية لانهم كانوا يشعرون بمركز الثقل الذي كان يتمتع به العرب في الدولة العربية الاسلامية .

وقد وضع هذا الثقل من خلال تأكيد القرآن الكريم على اهمية العرب ، من خلال نزول القرآن الكريم بلغة العرب فقال تعالى : «وهذا لسان عربي مبين»^(١٢) ، وقال تعالى : «ونزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين»^(١٣) ، وقوله تعالى : «انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون»^(١٤) وقوله تعالى : «وكذلك انزلناه قرآناً عربياً»^(١٥) وقوله تعالى : «قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون»^(١٦) وقوله تعالى : «كتاب فصلت اياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون»^(١٧) وقوله تعالى : «انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون»^(١٨) وقوله تعالى : «وكذلك اوحينا اليك قرآناً عربياً»^(١٩) وقوله تعالى : «وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا»^(٢٠) ، وقوله تعالى : «وكذلك انزلناه حكماً عربياً»^(٢١) .

وخاطب الله تعالى نبيه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : «وكذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها اسم . . .»^(٢٢) ، وقال تعالى : «كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . .»^(٢٣) ، ويؤكد ابن قتيبة ان المقصود بالامة في هذه الآية هي الامة العربية لانه لم يكن قد دخل في الاسلام بعد احد من غير العرب بالقدر الذي دخله العرب ، عندما نزلت تلك الآية ، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «من غش العرب لم يدخل شفاعتي ولم تنله مودتي» .

يتبين هنا مدى اهمية دور العرب وفضلهم ، وتأكيد القرآن الكريم والرسول (ص) على هذا الدور ، اما الفرس فما هو دورهم ؟ وما هو

٢ - القرآن الكريم - سورة النحل ، اية ١٠٣

٣ - سورة الشعراء ، اية ١٩٥

٤ - سورة يوسف ، اية ٢

٥ - سورة طه ، اية ١١٣

٦ - سورة الزمر ، اية ٢٨

٧ - سورة فصلت ، اية ٢٣

٨ - سورة الزخرف ، اية ١١٣

٩ - سورة الشورى ، اية ٧

١٠ - سورة الاحقاف ، اية ١٢

١١ - سورة الرعد ، اية ٣٧

١٢ - سورة الرعد ، اية ١١٠

فضلهم على الامم الاخرى ؟ وقال ابن سعيد المغربي مقارناً بين العرب والفرس بقوله « . . . وشتان بين العرب والعجم ، وقد شرف الله تعالى العرب بان بعث منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وانزل فيهم كتابه ، وجعل فيهم الخلافة والملك ، وابتنر بهم ملك فارس والروم ، وقرع بأسنتهم تاج كسرى وقبصر وكفى بذلك شرفاً لا يطاقول ، وفخراً لا يتناول»^(٢٤) غير ان الفرس تجاهلوا هذا الدور المشرف للعرب ، وكشفوا عن حقدهم للعروبة والاسلام . قال الجاحظ : «ان عامة من ارتاب بالاسلام ، انما كان اول ذلك رأي الشعوبية ، والتمادي فيه وطول الحدال المؤدي الى الضلال ، فإذا ابغض شيئاً أبغض

اهله وان ابغض اللغة ابغض تلك الجزيرة ، واذا ابغض تلك الجزيرة احب من ابغض تلك الجزيرة ، فلا تزال الحالات تتعمل فيه حتى ينسلخ من الاسلام ، اذ كانت العرب هي التي جاءت به وهي السلف والقادة»^(٢٥) . وقال ابن قتيبة : «جعلنا الله واباك على النعم شاكرين . . . واعاذنا من . . . تحامل الشعوبية فانها بفرط الحسد ونعل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة ، وتلتحق بها كل رذيلة ، وتغلوفي القول ، وتسرف في الذم ، وتهت بالكذب ، وتكابر العيان ، وتكاد تكفر ثم بمنعها خوف السيف وتغص من النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر بالشجاء ، وتطرق منه على القذى ، وتبعد من الله بقدر بعدها من قرب واصطفي ، وفي الافراط الهلكة ، وفي الغلو البوار والحسد هو الداء العيان . . .»^(٢٦) ، ويضيف ابن قتيبة قائلاً : «ولم ار في هذه الشعوبية ارسخ عداوة ولا اشد نصباً للعرب . . .»^(٢٧) . «ومهم من اقام على خصامة ينافح عن لؤمه ويدعي الشرف للعجم كلها . . . ويظهر بغض العرب يتقصصها ويستفرخ مجهوده في مشائنها واظهار مثالها وتحريف الكلم في مناقبها ، وبلسانها نطق ، وبهممها انف ، وبآدابها تسليح عليها ، فان هو عرف خيراً ستره ، وان ظهر حقره . وان احتمل التأويلات صرفه الى اقبحها ، وان سمع سوءاً نشره وان لم يسمعه نفر عنه ، وان لم يحده تحرصه ، فهو كما قال القائل :»^(٢٨)

ان يعلموا الخير يخفوه وان علموا

شراً اذيسع وان لم يعلموا بهتوا

١٤ - القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، (القاهرة ، ١٩٦٣) ٧٤

١٥ - الجاحظ كتاب الحيوان ٢٢٠/٧

١٦ - ابن قتيبة كتاب العرب او الرد على الشعوبية ، ص ٢٦٩

١٧ - نفسه ، ٢٧٠

١٨ - نفسه ، ٢٧٠

وكانت التحديات الفارسية في هذا الجانب قد تمثلت بالتكابة في مثالب العرب ، ولتحقيق هذا الهدف فأنهم اتخذوا عدة اجراءات تمهيداً لتحقيق ما يهدفون اليه وذلك عن طريق التعاون بين الفرس ومن ولاهم من بعض المتعاونين معهم ، وان من بين الامور التي ابتدعها الشعوبيون والزنادقة لتحقيق هذا الهدف هو قيامهم بنشر كل ما يتعلق بالتراث الفارسي القديم والتفاخر به ، وقد عبر الشاعر الفارسي الشعوبي المتوكلي في قصيدة له عن مدى تعلقه في تراث اجداده ، وذمه للعرب عندما قال . (١٩)

انا ابن الاركام من نسل جَمِّ وحائزُ ارث ملوك العجم
وطالب اوتارهم جهرة فمن نام عن حقهم لم أنم
فقل لبني هاشم اجمعين هلموا الى الخلع قبل الندم
وعودوا الى ارضكم بالحجاز لاكل الضباب ورعي الغنم
فأني سأعلمو سرير الملوك تجذ الحسام وخرف السقم

وكان ابرز ممن كتب في ميدان احياء التراث الفارسي هو عبد الله بن المقفع ابو عمرو واسمه بالفارسية روزبه ، وكان احد النقلة من اللسان الفارسي الى العربي وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها «كتاب خديانماة في السير» و «كتاب ائين نامه في الاين» ، و «كتاب كليله ودمته» ، و «كتاب مزدك» و «كتاب التاج في سيرة انوشروان» و «كتاب الادب الكبير» ويعرف بمقرا جنس» ، «كتاب الادب الصغير» ، كتاب «سوامع كليله ودمته» ، وقد قتله سفيان بن معاوية بموافقة الخليفة ابو جعفر المنصور (٢٠) .

اما ابو القاسم عبد الله بن احمد بن خرداذبة الفارسي ، فإنه صنف كتاب «جمهرة انساب الفرس والوفال» (٢١) اما علي بن عبيدة ابو الحسن الرضائي المعروف بالكاتب ، فإنه كان يرمى بالزندقة (٢٢) ، وصنف عدة مؤلفات منها كتاب «مهرزاد جشنش» و «كتاب كيلهراسف الملك» و «كتاب ادب جوانشير» و «ابن الملك» (٢٣) .

اما ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي اللاحقي فإنه نقل

كتاب «كليله ودمته» و «كتاب «سيرة اردشير» و «كتاب «سيرة انوشروان» و كتاب : «بلوهر وبرداسف» (٢٤) .

وبعد ان دون هؤلاء الشعوبيين في اخبار الفرس وسيرهم نجد انهم انتقلوا الى مرحلة اخرى هو التحدي الصريح والواضح للعرب ، فكان اسحاق بن سلعة الفارسي الكاتب الذي صنف كتاباً في «فضل العجم على العرب» (٢٥) .

اما سهل بن هارون بن راهبوني الديلميسي الفارسي ، الذي كان يخدم المأمون العباسي ، وصاحب خزنة الحكمة ، فإنه كان : «شعوبي المذهب» ، شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب ورسائل كثيرة ، منها كتاب : «ادب اشك بن اشك» ، كتاب «ثعلبة وعفرة على مثال كليله ودمته» (٢٦) .

وكان سليم صاحب بيت الحكمة مع سهل بن هارون ، قد ترجم عدة كتب من الفارسية الى العربية (٢٧) .

وكتب ابو الحسن محمد بن القاسم البصري كتاب : «اخبار الفرس وانسابها» و «كتاب «المنافرات بين القبائل و اشراف العشائر» (٢٨) .

اما ابو عثمان بن حميد بن البختكان الفارسي فإنه كان شديد العصبية على العرب وكان يدعى انه من اولاد ملوك الفرس وله من الكتب : كتاب «انتصاف العجم من العرب» ، ويعرف بالنسوية ، و «كتاب «فضل العجم على العرب وافتخارها» (٢٩) .

وصنف ابو الحسن علي بن فضيل بن مروان الفارسي كتاب «الاصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله تبارك اسمه» (٣٠) . اما اسحاق بن سلمة الفارسي الكاتب فإنه صنف كتاب «فضل العجم على العرب» (٣١) .

وكتب حمزة بن الحسن الاصمعي كتاب «الشعوبية» (٣٢) في حين صنف ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن غالب الاصمعي الملقب باح كتاب : «التوشيح والترشيح في بعض الثبوتية بين الشعوبية» (٣٣)

٢٤ - نفسه ، ١٣٢

٢٥ - نفسه ، ١٤٢

٢٦ - نفسه ، ١٣٣ ، ١٣٤

٢٧ - نفسه ، ١٣٤

٢٨ - نفسه ، ١٢٧

٢٩ - نفسه ، ١٣٧

٣٠ - نفسه ، ١٣٨

٣١ - نفسه ، ١٤٢

٣٢ - نفسه ، ١٥٤

٣٣ - نفسه ، ١٥١

١٩ - انظر شوقي صيف ، تاريخ الادب العربي ١٠٠/١

٢٠ - ابن النديم الفهرست ، ١٣٢

٢١ - نفسه ، ١٦٥

٢٢ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ (القاهرة ، ١٩٣١) ، ١٨ ، الذهبي ميزان

الاعتدال في نقد الرجال ، ج ٣ (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ١٤٤

٢٣ - ابن النديم الفهرست ١٣٣

التأليف في مثالب العرب :

المثالب هي «العيوب» مفردتها المثبة ، والمثلبة ، ورجل ثَلَبٌ مثْلَبٌ أي معيب^(٣٤) ، وجمعها - المثالب وهي العيوب ، قال الزبيدي : «وما ثلبت مسلماً قط ومالك ثلَبُ الناس وتلَم اعراضهم ، وما اشتبهى الثلب الا من اشبه الكلب ، وما عرفت في فلان مثلبةً ، وفلان مثلوب وذو مثالب وما انت الا مثلب اي عادتلك الثلب ، ومثالب الامير والقاضي معاوية...»^(٣٥) .

تكاد المصادر تجمع على ان زياد بن ابيه المعروف بأبن سمية ، هو اول من الف في المثالب لما طعن عليه وعلى نسبه^(٣٦) ، وعمل الكتاب لابنائهم وقال لهم : «من غيركم فقرعوه بمنقصته ، ومن ندد عليكم فابذوه بمثلته فان الشر بالشر يتقى والحديد بالحديد يفلح»^(٣٧) ، وفي رواية قال لهم : «استظهروا به على العرب فانهم يكفون عنكم»^(٣٨) . واتسع نطاق التأليف في مثالب العرب ، وقاد حركة التوسع هذه اقطاب الحركة الشعوية ، وعلى رأسها علان الشعوي الفارسي الوراق الذي كان منقطعاً الى البرامكة ، وصنف كتاباً في مثالب جميع القبائل العربية ، وبرز كتبه في المثالب كتابه «الميدان في المثالب عمله للبرامكة ، والذي هتك فيه بالعرب واظهر مثالبها»^(٣٩) وتناول فيه :

- ١ - مثالب قريش .
- ٢ - مثالب تميم بن مرة بن كعب .
- ٣ - مثالب بني اسد بن عبد العزى .
- ٤ - مثالب بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب .
- ٥ - مثالب سهم .
- ٦ - مثالب جمح .
- ٧ - مثالب سامة بن لؤي .
- ٨ - مثالب عبد الدار بن قصي .
- ٩ - مثالب ولد زهرة بن كلاب .
- ١٠ - مثالب بني عدي بن كعب .
- ١١ - مثالب سعد بن لؤي .
- ١٢ - مثالب الحارث بن لؤي .

- ١٣ - مثالب خزيمه بن لؤي .
- ١٤ - مثالب عوف بن لؤي .
- ١٥ - مثالب عامر بن لؤي .
- ١٦ - مثالب اسد بن خزيمه .
- ١٧ - مثالب هذيل بن مدركة .
- ١٨ - مثالب بني امروه القيس بن زيد مناة بن تميم .
- ١٩ - مثالب بني طابخة بن الياس .
- ٢٠ - مثالب بني ضبة بن اد .
- ٢١ - مثالب مزينة - بن اد .
- ٢٢ - مثالب الرباب .
- ٢٣ - مناكب عكل .
- ٢٤ - مثالب بلعم بن تميم .
- ٢٥ - مثالب تميم : ويشتمل على :
أ - مثالب عمرو بن تميم .
ب - مثالب اسد .
ت - مثالب اللخم .
ث - مثالب القين .
ج - مثالب مأرب .
ح - مثالب الحبط .
خ - مثالب يربوع .
د - مثالب بنودارم .
ذ - مثالب ابراهيم .
ر - مثالب ربيعة الجوع .
ز - مثالب بنو سعد بن زيد مناة بن تميم .
- ٢٦ - مثالب قيس عيلان .
- ٢٧ - مثالب عذرة .
- ٢٨ - مثالب عذرة .
- ٢٩ - مثالب بني سليم بن منصور .
- ٣٠ - مثالب نعيم .
- ٣١ - مثالب عامر بن صعصعة .
- ٣٢ - مثالب ربيعة .
- ٣٣ - مثالب فزارة : ويشتمل على :
أ - مثالب بنو مرة بن غطفان .
ب - مثالب عيس بن يغيص .
ت - مناكب ثقيف .
- ٣٤ - مثالب عجل بن لخم .

- ٣٤ - ابن منظور ، لسان العرب . م ١ (بيروت ١٩٥٥) ٢٤١
- ٣٥ - محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من خواهر القاموس . م ١ (مصر ١٣٠٩) ١٦٧
- ٣٦ - ابن النديم ، الفهرست ١٠١
- ٣٧ - ابن كتيبة ، العرب او الرد على الشعوية ٢٧١
- ٣٨ - ابن النديم ، الفهرست ١٠١
- ٣٩ - نفسه ١١٨

- ٣٥ - مثالب تغلب بن وائل .
 ٣٦ - مثالب بني يشكر بن بكر .
 ٣٧ - مثالب النمر بن قاسط .
 ٣٨ - مثالب سديوس بن شيان .
 ٣٩ - مثالب عترة بن اسد .
 ٤٠ - مثالب تميم اللات (قاسط) بن ثعلبة .
 ٤١ - مثالب قيس بن ثعلبة .
 ٤٢ - مثالب خنيفة بن لجم .
 ٤٣ - مثالب بني شيان .
 ٤٤ - مثالب عبد القيس .
 ٤٥ - مثالب اياد .
 ٤٦ - مثالب اليمن ويشمل على :
 أ - مثالب الاوس .
 ب - مثالب الخزرج .
 ت - مثالب قضاة .
 ث - مثالب طي .
 ج - مثالب بنو الحارث بن كعب .
 ح - مثالب النخع .
 خ - مثالب خزاعة .
 د - مثالب غسان .
 ذ - مثالب كندة .
 ر - مثالب الاشعريون .
 ز - مثالب لخم .
 س - مثالب جذام .
 ش - مثالب عس .
 ص - مثالب مراد .
 ض - مثالب السكاسك .
 ط - مثالب القين .
 ظ - مثالب نهد .
 ع - مثالب زبيد .
 غ - مثالب بجيلة .
 ف - مثالب همدان .
 ق - مثالب حضرموت .

ومن كتب في مثالب العرب ابو عبيدة معمر بن الجثن البصري مولى
 بني تميم (ت/ ٢١٠هـ) والذي كان يطن في نسبة (٤٠) ، قال ابن حجر :
 «وكان مدخول النسب» (٤١) . وروى ابن حجر عن ابن قتيبة قوله عنه :
 «وكان يفيض العرب وصنف في مثالبها كتاباً» (٤٢) . وقال عنه ابن قتيبة :
 «وكان ابو عبيدة اغرى الناس بمشائم الناس والمجهم بمثالب العرب ،
 وحاله في نسبة وايه الاقرب اليه حال نكره ان نذكرها فتكون كمن امر
 ولم يأمر ، وزجر عن القبيح ولم يزدجر ، وهي مشهورة ، ولكن كرهنا
 ان تدون في الكتب وتخلد على الدهر .» (٤٣) . . . وقال عنه الازهري :
 «كثير الخطأ في تفاسير الاعراب متبهاً في روايته مغري بشر مثالب
 العرب ، فهو مذموم من هذه الجهة ، غير موثوق به . . .» (٤٤) .
 ويؤكد الدوري ان ابو عبيدة رجح الى الروايات الفارسية ، ولذلك
 تجد اثر تيار الموالي - الفرس - واضحاً عليه (٤٥) ، وقد صنف ابو عبيدة
 عدة كتب في مثالب العرب والطن في انسابهم منها :- (٤٦)

- ١ - كتاب المثالب .
 - ٢ - كتاب المثالب الصغير .
 - ٣ - كتاب المثالب الكبير .
 - ٤ - كتاب مثالب ربيعة .
 - ٥ - كتاب مثالب باهلة .
 - ٦ - وقال ابن حجر نقلاً عن ثعلب قوله عنه : « . . . وعمل كتاب
 المثالب الذي يطن فيه على بعض اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقارب
 المائة» (٤٧) .
- ومن الف في مثالب العرب الهيثم بن عدي (ت / ٢٠٧هـ) والذي
 يضعف ويخرج من قبل علماء المرح والتعديل عندما قال عنه يحيى بن
 معين (ت / ٢٣٣هـ) والبخاري (ت / ٢٥٦هـ) «ليس بثقة كان يكذب»
 وقال علي بن المديني (ت / ٢٣٤هـ) : «لا ارضاه في شيء» وقال ابو داود
 (ت / ٢٧٥هـ) : «كذاب تركوه» ، وقال النسائي (ت / ٣٠٣هـ) وغيره :
 «متروك الحديث» ، وقالت عنه جاريته « . . . فاذا اصبح جلس
 يكذب» (٤٨) .

- ٤٠ - نفسه ، ١١٢ .
 ٤١ - ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج ١ (حيرو اباد) ٣٢٥ - ١٣٢٧هـ - ٢٤٨
 ٤٢ - نفسه ، ٢٤٨/١٠ .
 ٤٣ - ابن قتيبة ، العرب ، ٢٧١ .
 ٤٤ - ابن حجر ، التهذيب ، ٢٤٨/١٠ .
 ٤٥ - د . عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ١٣٤
 ٤٦ - الفهرست ، ١١٢ .
 ٤٧ - تهذيب التهذيب ، ٢٤٨/١٠ .
 ٤٨ - الذهبي ، المعني في الضعفاء ، ج ٢ (حلب ، ١٩٧١) ٧١٧ ، وميزان الاعتدال
 ٣٢٥/٤ .

وكتب في «مثالب ربيعة» ، وكتاباً بعنوان «لصوص العرب»^(٤٩) .
 أما تلميذه أبو حفص عمر فإنه كما يبدو قد تأثر بشيخه عندما صنف كتاب
 «الزناة الاشراف» ، وكتاب «ذكر سباب العرب وما جرى بينها»^(٥٠) .
 ومن كتب في مثالب العرب أبو الحصين محمد بن علي الاصفهاني في كتابه
 «مثالث ثقيف وسائر العرب»^(٥١) وكتب أبو العباس احمد بن عبيد الله بن محمد
 الكاتب (ت / ٣١٩ هـ) رسالة في «مثالب معاوية» و «رسالة في ذم بني امية
 واتباعهم»^(٥٢) .

دور العرب والمناصرين لهم في الرد على اصحاب المثلث :

كان للمدرسة التاريخية العراقية دوراً مميزاً ومشرفاً في الرد على ادعاءات الحركة
 الشعبية ومطاعها في الانساب العربية وابتداعها المثلث العربية ، الام الذي دفع
 المؤرخين العراقيين للدفاع عن العروبة والاسلام .

واول ادانة للمسلك الشعبي هذا من القرآن الكريم الذي نهى فيه الناس عن
 اللجوء الى هذا المسلك السئ عندما قال تعالى : «يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم
 من قوم .. ولا تبارزوا بالالفاظ بشئ الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك
 هم الظالمون»^(٥٣) .

ان الكتاب العرب قد بدأوا حملة منظمة لدحض الاراء والافكار الشعبية
 ويبدو ان تفاخر الفرس كان عنيفاً ورد العرب كان اعنف ، حتى ان المؤرخ علي بن
 محمد المدائني البغدادي (ت / ٢٢٤ هـ) قد ألف كتاباً بعنوان «مفاخر العرب
 والعجم» .

وقد اكد المؤرخون والنسابون تأكيداً كبيراً وواضحاً على الانساب العربية ،
 والكتابة فيها ، حتى انها دخلت كفرع مهم من فروع الفكر التاريخي في العراق ،
 بحيث دونوا التاريخ العربي الاسلامي في اطار النسب ، وبرز من دون في الانساب
 العربية ، منجور بن غيلان الضبي البصري (ت / في حدود ٨٥ هـ) الذي كان
 خطيباً ونسابة . وصنف كتاباً في الانساب ، وكتب خراش بن اسماعيل الشيباني
 (ت . ١٤٦ هـ) كتاب «اخبار ربيعة وانشابها» وكتاب «النسب العتيق في اخبار
 بني ضبة» . وكتب عوانة بن الحكم الكلبي (ت / ١٤٧ هـ) «ديوان العرب
 واشعارها واخبارها وانشابها ولغاتها الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك» .
 اما ابو اليقظان سحيم بن حفص (ت / ١٩٠ هـ) فإنه صنف كتاب «نسب
 خندف واخبارها» و «النسب الكبير» ويحتوي على نسب ابياد ، اسد بن خزيمه ،

المون بن خزيمه هذيل بن مدركة ، قريش بن طابخة ، قيس عيلان ، ربيعة بن
 نزار ، تميم بن مرة ، وكتب مؤرخ بن عمرو السدوسي (ت / ١٩٥ هـ) كتاب
 «حذف نسب قريش» وكتب هشام ابن محمد الكلبي (ت / ٢٠٤ هـ) كتاب
 «الفريد في الانساب» و «الملوكي في الانساب» و «الموجز في النسب» و «نسب
 العباديين» ، وصنف محمد ابن عمر الواقدي المدني نزيل بغداد (ت / ٢٢٤ هـ)
 كتاب في انساب القبائل ، وكتب سعيد بن الحكم بن ابي مريم (ت / ٢٢٤ هـ)
 كتاباً في النسب ، وكتب علي بن محمد المدائني (ت / ٢٢٤ هـ) كتاب «نسب
 قريش واخبارها» وكتب محمد بن سلام الجمحي (ت / ٢٣٢ هـ) كتاب «نسب
 قريش» وفي رواية «انساب قريش واخبارها» اما مصعب بن عبد الله الزبيدي
 المدني نزيل بغداد (ت / ٢٣٦ هـ) فإنه صنف كتاب «النسب الكبير» و «نسب
 قريش» ، وصنف محمد بن حبيب بن امية (ت / ٢٤٥ هـ) عدة كتب في الانساب
 منها «النسب» و «المؤتلف والمختلف في النسب» و «العائر والربائع في النسب» .
 اما أبو عبد الله محمد بن صالح البصري الهاشمي المعروف بأبن النطاح (ت /
 ٢٥٢ هـ) فإنه صنف كتاب «انساب ازدغان» ، وكتب احمد بن الحارث الخزاز
 البصري (ت / ٢٥٨ هـ) كتاب «النسب» و «جمهرة نسب الحارث بن كعب
 واخبارهم في الجاهلية» . وكتب عمر ابن شبه الغزي البصري (ت / ٢٦٢ هـ)
 كتاب «النسب» ، ويعد احمد بن يحيى البلاذري البغدادي الكاتب (ت /
 ٢٧٩ هـ) من ابرع علماء التاريخ والانساب ، ويعد كتابه «انساب الاشراف»
 من ابرع الكتب التاريخية المكتوبة في اطار الانساب . وكتب ابو الفضل احمد بن
 ابي طاهر طيفور (ت / ٢٨٠ هـ) كتاب «جمهرة نسب بني هاشم» . وصنف محمد
 بن يزيد المبرد (ت / ٢٨٥ هـ) كتاب : «نسب عدنان وقحطان» ، وكتب السكري
 كتاب : «انساب بني عبد المطلب»^(٥٤) .

وهناك بعض المؤرخين ممن كتبوا في تاريخ القبائل العربية ، فكتبوا في
 اصنافها ، ومآثرها ، ومناقبها ، والاحلاف فيما بينها ، واخبارها . وتاريخها الامر
 الذي لعب دوراً مهماً في تنفيذ واسقاط اساليب الدس والتزوير التي لجأت اليها
 الشعبية في تشويه تاريخ القبائل العربية ، ومثلها وقيمها . ويعلى ابن دريد (ت /
 ٣٢١ هـ) سبب تأليفه لكتاب الاشتقاق بقوله : «ان قوماً ممن يطعن على اللسان
 العربي ، وينسب اهله الى التسمية بما لا اصل له في لغتهم» ، والى ادعاء مالم يقع
 عليه اصطلاح من اوليئهم ، وعدوا اسماء اشتقاقها ، ولم ينقد علمهم في المحص
 عنها...»^(٥٥) .

في حين اتجه قسم اخر من المؤرخين بالرد المباشر على الادعاءات الشعبية
 وتفنيد مطاعها في العرب وقيمهم ، فكتب علي بن بلال المهلب كتاباً بعنوان «فضل

٥٤ - محمد جاسم المشداني ، موارد البلاذري عن الاسرة الاموية في كتابه انساب
 الاشراف - المطروحة دكتوراه ج ١ (بغداد ١٩٨٣) ص ٦٤ - ٩٠ .
 ٥٥ - ابن دريد ، الاشتقاق (القاهرة ١٩٧٩) ص ٤ .

٤٩ - ابن النديم ، الفهرست .
 ٥٠ - نفسه ، ١١٣ .
 ٥١ - نفسه ١٥٢ .
 ٥٢ - نفسه ١٦٦ .
 ٥٣ - سورة الحجرات ، آية ١١ .

لـعرب^(٩٦) وكتب عبد الله بن جعفر الحميري كتاباً بنفس العنوان^(٩٧) ، أما عمر بن مطرف الكاتب المتوفى في عهد الرشيد ، فإن كان عالماً بالانساب وصنف كتاباً اسمه : «مفاخر العرب»^(٩٨) ، وكتب ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور كتاباً بعنوان : «فضل العرب على العجم»^(٩٩) ، وصنف اسحق بن سلمة كتاباً بعنوان «فضل العرب على العجم» ايضاً .

وكتب ابو عبد الله احمد بن محمد بن حميد العلوي كتاباً بعنوان «الانتصار في الرد على الشعوية»^(١٠٠) ، وكتب محمد بن سلام الجسفي (ت / ٢٣٢هـ) وكان عالماً بالانساب كتاباً اسمه : «الانتصار في الرد على الشعوية» وكتب عمر بن مطرف الكاتب كتاب «مفاخرة العرب» و «مفاخرة القبائل في النسب» .

حتى ان ابن قتيبة الذي لم يكن عربياً ، بل كان منصفاً للعرب ، والدفاع عنهم فإنه ألف كتاب «العرب او الرد على الشعوية»^(١٠١) ومن ثم ظهرت كتب اخرى لتصبح الاوهام والافتراءات التي جاءت بها الحركة الشعوية ، ومنها كتاب الجاحظ الموسوم : «الصرحاء والمجنأ»^(١٠٢) وما كتبه في البيان والبيان في «باب المعاص» وقد فيه ارائهم السيئة في العرب ، ورد عليهم رداً عنيفاً .

ومن الامثلة على تصحيح اخطأ وكتب الشعوية ان احمد بن ابي دؤاد قد دعي في اباد ، وهو ابو عبد الله احمد بن ابي دؤاد بن جرير بن مالك بن عبد هند بن لحم بن مالك بن قصص بن منعة بن دوس بن الدبل بن امية بن حنافة بن زهر بن اباد بن نزار بن معد ، البصري المولود سنة ٢٤٠هـ ، يروى انه دعي في اباد ، وقد ذكرت حاله في احدي كتب المثالب ، عندما قال مخلد بن بكار يهجو :

انت عِنْدِي من اباد لَيْسَ في ذاك كلام
عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ لا يَضْمَنُ
شعر سَالِكٍ وفَخْذِيكَ عِزَامِي ونِجَامِ
وَضُلُوعُ الشَّلْوِ من صَدْرِكَ نَجْمٌ وبِشَامِ
لو نَحَرْتُ كَذَا لَانْجَلْتُ بِمَنْكَ نَعَامِ
وَضِلْبَاءُ مُخَضَّبَاتٍ وِيسَارِيحِ عِظَامِ
اَنَا مَآذِنِي اَنْ كَذَّبَنِي فَيْكَ الْاَنَامِ
ثُمَّ قَالُوا حَاسِمِي من بَنِي الْاَبَاظِ حَسَامِ
عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ حَاسِمِي وَالسَّلَامِ

٩٦- الطوسي ، الفهرست (النصف ١٣٥٦ هـ) ٩٦ .

٩٧- ابن النديم ، الفهرست ، ١٠٢ .

٩٨- نفسه ، ١٤١ .

٩٩- نفسه ، ١٦٣ - ١٦٤ .

١٠٠- نفسه ، ١٧٤ .

١٠١- الكتاب منشور ضمن كتاب «كتوز العرب» ونشر تحت عنوان «العرب او الرد على للشعوية»

١٠٢- ابن النديم ، الفهرست ، ٢١١ .

كما ان الكتاب بدأوا بايراد الادلة والاستشهاد بوقائع التاريخ التي تؤكد قوة وبطولة العرب حتى في عصور ما قبل الاسلام ، ولعل اروع نصر نوره هنا لابن قتيبة عندما قال : «... واما الشجاعة فإن العرب في الجاهلية اعز الامم انفساً واعزها حريماً ، واحاها ائوفاً واختشها جانباً ، وكانت تغير في جنبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها واخذ الرهن منها ، والعجم تفخر بأساورة فارس ومرازيها ...» غير ان بين العرب وبينها في ذلك فرقاً منه ان العجم كانت اكثر اموالاً واجود سلاحاً واحصن بيتاً ... والعرب يومئذ ... ليس لها نظام وبطرفة ليس لها التمام واكثرها يحارب راجلاً بالسيوف الكليل ... والاغلب على قتال العجم الرمي ، والاغلب على قتال العرب السيف والرمح وهما ادخل في الجدل واجد من الفرار وادل على الصنع»^(١٠٣) .

اما بعد ظهور الاسلام ، وتوحد العرب فإن ابن قتيبة يقارن بين العرب والفارس بقوله : «... ثم تساوى العرب وفارس في ان الفريقين ملكوا وتفضلها الحرب بأن قواعد ملكها نبوة وقواعد ملك فارس استلاب وغلبة ، وتفضلها العرب بأن ملكها ناسخ وملك فارس منسوخ ، وتفضلها بأن ملكها متصل بالساعة وملك فارس محدود ، وتفضلها العرب بأن ملكها داخل في اقاصي البلاد داخل في افاق الارض ، وملك فارس شظية منه وليس فيه شام ولا جزيرة ولا خراسان في اكثر مدبرهم ولا اليمن الا في ايام وهز وسيف بن ذي يزن»^(١٠٤) .

وقد نجحت جهود مواجهة التحدي بأيقافه والكف في الكتابة في مثالب العرب ، بل تعداه للرد حتى على الزنادقة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد ان ابو الحسن احمد بن يحيى صنف كتاباً في «الرد على

١٠٣- نفسه ، ٢١٢ .

١٠٤- ابن قتيبة ، العرب ، ٢٨٩ .

١٠٥- نفسه ، ٢٧٦ .

الزنادقة» (٦٦) ، وكتب محمد بن هارون بن محمد ابو عيسى الوراق كتاباً في «الرد على المجوس» (٦٧) ، وصنف ثمامة الاصم كتاباً بنفس العنوان اضافة الى كتاب آخر في الرد على الزنادقة (٦٨) ، وصنف بشر بن المعتز كتاباً اسماء : «الرد على المجوس» (٦٩) ، وصنف ابو محمد بن الحكم الكوفي نزيل بغداد كتاباً بعنوان : «الرد على الزنادقة» واخر بعنوان «الرد على اصحاب الاثني» (٧٠) ، وصنف ضرار بن عمرو ابو عمرو المعتزلي كتاباً اسماء : «الرد على الزنادقة» (٧١) ، وكذلك صنف محمد بن الليث الخطيب كتاباً بنفس العنوان ولذلك كانت البرامكة تبغضه لهذا السبب (٧٢) . وغيرها من الكتب الكثيرة .

وادت هذه الجهود المخلصة الى المحافظة على الاصالة العربية وصيانة المثل والقيم العربية ، والمحافظة على روح الاسلام الذي حمل لوائه العرب .

ولذلك فإن صراعنا مع الفرس اليوم هو امتداد تاريخي لذلك الصراع الطويل معهم على مر التاريخ وفي مختلف الجوانب ، وما نصرنا اليوم الا امتداداً لانتصاراتنا السابقة عليهم في مختلف الازمنة وعلى مختلف الاصعدة : «... فذو الهمة تسمو به نفسه الى معالي الامور وترغب به عن الشائعات فيخاطر في طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف في ابتغاء المكارم بكرمته ، ويركب الهول ويدرع الليل ، ويحط الى الخفيض ، وتأتي نفسه الا علواً حتى يسعد بهيمته ويظفر ببنيته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته...» (٧٣) .

- ٦٦ - ابن النديم ، الفهرست ، ٢١٧
- ٦٧ - نفسه ، ٢١٦
- ٦٨ - نفسه ، ٢١٤
- ٦٩ - نفسه ، ١٨٨ - ١٨٥
- ٧٠ - نفسه ، ٢٢٣ ٢٢٤
- ٧١ - نفسه ، ٢١٥
- ٧٢ - نفسه ، ١٣٤
- ٧٣ - ابن قتيبة ، العرب ، ٢٨٩

أَشْرُ الْعِرَاقِ الْحَضَارِيِّ

عَلَى الْأَنْدَلُسِ فِي الْقَرْنَيْنِ

الثَّانِي وَالثَّلَاثُ لِلْهَجْرَةِ

١٠١ - ٣٠٠ هـ / ٧٢٠ - ٩١٢ م

الدكتور خليل ابراهيم السامرائي
كلية التربية - قسم التاريخ
جامعة الموصل

الزنادقة»^(٦٦) ، وكتب محمد بن هارون بن محمد ابو عيسى الوراق كتاباً في «الرد على المجوس»^(٦٧) ، وصنف ثمامة الاصم كتاباً بنفس العنوان اضافة الى كتاب آخر في الرد على الزنادقة^(٦٨) ، وصنف بشر بن المعتز كتاباً اسماء : «الرد على المجوس»^(٦٩) ، وصنف ابو محمد بن الحكم الكوفي نزيل بغداد كتاباً بعنوان : «الرد على الزنادقة» واخر بعنوان «الرد على اصحاب الاثني»^(٧٠) ، وصنف ضرار بن عمرو ابو عمرو المعتزلي كتاباً اسماء : «الرد على الزنادقة»^(٧١) ، وكذلك صنف محمد بن الليث الخطيب كتاباً بنفس العنوان ولذلك كانت البرامكة تبغضه لهذا السبب^(٧٢) . وغيرها من الكتب الكثيرة .

وادت هذه الجهود المخلصة الى المحافظة على الاصالة العربية وصيانة المثل والقيم العربية ، والمحافظة على روح الاسلام الذي حمل لوائه العرب .

ولذلك فإن صراعنا مع الفرس اليوم هو امتداد تاريخي لذلك الصراع الطويل معهم على مر التاريخ وفي مختلف الجوانب ، وما نصرنا اليوم الا امتداداً لانتصاراتنا السابقة عليهم في مختلف الازمنة وعلى مختلف الاصعدة : «... فذو الهمة تسمو به نفسه الى معالي الامور وترغب به عن الشائعات فيخاطر في طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف في ابتغاء المكارم بكرمته ، ويركب الهول ويدرع الليل ، ويحط الى الخفيض ، وتأتي نفسه الا علواً حتى يسعد بهيمته ويظفر ببنيته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته...»^(٧٣) .

- ٦٦ - ابن النديم ، الفهرست ، ٢١٧
- ٦٧ - نفسه ، ٢١٦
- ٦٨ - نفسه ، ٢١٤
- ٦٩ - نفسه ، ١٨٨ - ١٨٥
- ٧٠ - نفسه ، ٢٢٣ ٢٢٤
- ٧١ - نفسه ، ٢١٥
- ٧٢ - نفسه ، ١٣٤
- ٧٣ - ابن قتيبة ، العرب ، ٢٨٩

أَشْرُ الْعِرَاقِ الْحَضَارِيِّ

عَلَى الْأَنْدَلُسِ فِي الْقَرْنَيْنِ

الثَّانِي وَالثَّالِثُ لِلْهَجْرَةِ

١٠١ - ٣٠٠ هـ / ٧٢٠ - ٩١٢ م

الدكتور خليل ابراهيم السامرائي
كلية التربية - قسم التاريخ
جامعة الموصل

للهجرة ١٤١ - ٢٠٠ هـ والثالث للهجرة ٢٠١ - ٣٠٠ هـ فيها يوافقان
عصر الولاة بالاندلس : ٩٥ - ١٣٨ هـ وعصر الامارة الاندلسية
١٣٨ - ٣١٦ هـ .

ففي عصر الولاة وبداية عصر الامارة كان التأثير الشامي الحضاري
كبيراً على الاندلس ، ثم بدأ التأثير الحجازي الحضاري ، وتبعه بعد ذلك
التأثير الحضاري العراقي .

واذا أخذنا بالتقسيم السياسي لعصر الامارة الاندلسية
١٣٨ - ٣١٦ هـ حسب منهج الدكتور احمد بدر ، وهو على الترتيب
التالي (٣) :

١ - عصر التأسيس ١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٦ - ٧٨٨ م وهو عصر عبد
الرحمن الداخل .

٢ - عصر التوطيد ١٧٢ - ٢٠٦ هـ / ٧٨٨ - ٨٢٢ م وهو عصر هشام
الاول ١٧٢ - ١٨٠ هـ ، وعصر الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ .

٣ - عصر الاستقرار والازدهار ٢٠٦ - ٢٧٣ هـ / ٨٢٢ - ٨٨٦ م وهو
عصر الامير عبد الرحمن الاوسط ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ ، وعصر ابنه الامير
محمد ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ .

٤ - عصر الحرب الاهلية ٢٣٧ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٦ - ٩١٢ م وهو عصر
الامير المنذر ابن محمد ٢٧٣ - ٢٧٥ هـ وعصر الامير عبد الله بن محمد
٢٧٥ - ٣٠٠ هـ ، نرى أن التأثير الحضاري الشامي دخل الاندلس في
عصر الولاة وعصر التأسيس من عصر الامارة ، وأن التأثير الحضاري
الحجازي دخلها في عصر التوطيد من عصر الامارة ، والتأثير الحضاري
العراقي دخلها في عصر الاستقرار والازدهار من عصر الامارة وما تلاه
من عصور .

ومحور هذا البحث يدور حول توضيح اثر العراق الحضاري على
الاندلس خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة موضعاً النقاط التالية :

١ - التأثيرات الحضارية المشرقية على الاندلس قبل التأثير الحضاري
العراقي .

٢ - التأثير الحضاري العراقي على الاندلس متناولاً فيه ما يأتي :

أ - توضيح معالم ازدهار الحضارة في العراق في هذين القرنين .

ب - إبراز عوامل الجذب الاندلسية للحضارة العراقية .

ج - بيان طرق انتقال الحضارة من العراق الى الاندلس .

د - أثر الحضارة العراقية على الأندلس ونتائجها .

لهيد :

بدأ الفتح العربي الاسلامي للاندلس عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ،
واستكمل فتحها عام ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم
الحكم العربي في الاندلس الى العصور التالية :

١ - عصر الولاة ٩٥ - ١٣٨ هـ / ٧١٤ - ٧٥٦ م ، وفي هذا العصر كانت
الاندلس ولاية تابعة للخلافة الاموية بدمشق .

٢ - عصر الدولة الاموية : وهذا العصر ينقسم الى قسمين :

أ - عصر الامارة الاموية ١٣٨ - ٣١٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٢٩ م .

ب - عصر الخلافة الاندلسية ٣١٦ - ٤٢٢ هـ / ٩٢٩ - ١٠٣١ م .
وفي هذين العصرين صارت الاندلس مستقلة سياسياً وروحياً عن
الخلافة العباسية بالمشرق ، وحكمتها اسرة عبد الرحمن الداخل الاموي .

٣ - عصر امراء الطوائف ٤٢٢ - ٤٧٩ هـ / ١٠٣١ - ١٠٨٦ م ويبدأ بالغاء
الخلافة الاموية بالاندلس ، وتفكك الدولة الى امارات ضعيفة
متنازعة .

٤ - عصر السيطرة المغربية ٤٧٩ - ٦١٢ هـ / ١٠٨٦ - ١٢١٤ م وفيه
تحولت الاندلس الى ولاية تابعة للمغرب في عصر دولة المرابطين
٤٧٩ - ٥٤٠ هـ / ١٠٨٦ - ١١٤٥ م ، وفي عصر دولة الموحدين
٥٤٠ - ٦٢٠ هـ / ١١٤٥ - ١٢٢٣ م .

٥ - عصر مملكة غرناطة ٦٢٠ - ٨٩٧ هـ / ١٢٢٣ - ١٤٩٢ م وهو عصر
دولة بنس الاحمر ، ويمثل سقوطها نهاية الحكم العربي بالاندلس
وذهاب سلطان المسلمين السياسي فيها (١) .

واذا كانت الاندلس قد طمحت الى الاستقلال السياسي عن
المشرق ، منذ بدء تاريخها ، فانها لم تستطع ان تغلب من الخضوع له في
المجال الحضاري ، فكانت على بعدها عنه ، قطعت منه ، قبل ان تكون
قطعة من اوربا . ولم يمنعه بعدها عن قلب العالم الاسلامي من ان يتدفق
عليها التراث العربي من المشرق في شتى العصور (٢) .

ان التأثير الحضاري المشرقي على الاندلس مر بمراحل تاريخية معينة ،
وقد رافق كل عصر من عصور الاندلس تأثير مشرقي معين . فالقرن الثاني

١ - احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، (بيروت : ١٩٧٢ ص
٢٨٥ - ٢٨٧ - عبد الرحمن الحجي ، التاريخ الاندلسي ، (دمشق : ١٩٧٦ ، ص ٣٩
٤٠ .

٢ - لطفي عبد الباقع الاسلام في اسبانيا ، (القاهرة : ١٩٦٩ ، ص ٣٩ .

وهذا لا يعني بان التأثير الحضاري العراقي لم يدخل الاندلس الا في فترة الازدهار من عصر الخلافة ، بل واقع الامر ان هذا التأثير دخل الاندلس قبل هذه الفترة ، وبالتداخل مع التأثيرات الحجازية والشامية ، الا ان تأثيره الكبير والواسع برز في فترة الازدهار وما بعدها .

المبحث الاول :

اولى التأثيرات المشرقية التي دخلت الاندلس قبل الاثر الحضاري العراقي ، هما التأثير الشامي والتأثير الحجازي .

أ - التأثير الحضارس الشامي على الاندلس :

من المعروف ان الحضارة الاندلسية ، لم تنشأ فجأة ، بل مرت في ادوار مختلفة ، وخضعت لمؤثرات حضارية مشرقية تربطها بالوطن الاسلامي الام باعتبارها جزءا منه ، كما خضعت ايضا لمؤثرات حضارية محلية بحكم البيئة التي نشأت فيها^(١) .

ففي الفترة الاولى من تاريخ الاندلس وحتى عصر عبد الرحمن الداخل كانت الاندلس خاضعة للسيادة الاموية سواء في بلاد الشام او في قرطبة ، ولهذا كان من الطبيعي ان تتأثر بالحضارة الشامية في جميع مظاهرها ، وهو ما يسمى بالتقليد الشامي :

فن الناحية الدينية : اعتنق الاندلسيون في هذه الفترة مذهب الامام الازاعي (عبد الرحمن بن محمد الازاعي ٨٨-١٥٧هـ)^(٢) ، والذي كان من المجاهدين الذين رابطوا في مدينة بيروت لصد غارات العدو البيزنطي . ولهذا اهتم مذهب - بصورة خاصة - بالشريعات الحربية واحكام الجهاد ، وهذا الاهتمام كان يناسب وضع الاندلسيين في هذه الفترة من حياتهم القائمة على حروب الجهاد ، ولهذا اعتنقوا هذا المذهب .

وتختلف الروايات حول العالم الاول الذي نقل مذهب الازاعي الى الاندلس ، فترجح بين القاضي الغرناطي اسد بن عبد الرحمن السبائي (توفي عام ١٥٠هـ) ، وبين أبي عبد الله صمصمة بن سلام الشامي الاندلسي (توفي عام ١٩٢هـ أو ٢٠٢هـ)^(٣) . وبذلك كانت الفتيا بالاندلس على هذا المذهب في عصر الداخل وبداية عصر ابن

٤ - احمد مختار العادي . المرجع السابق . ص ٣١٦

٥ - ابن خلكان . وفیات الاعيان . تحقيق احسان عباس . ج ٣ (بيروت : ١٩٦٨) ص ١٢٧

٦ - ينظر . ابن الفرضي . تاريخ علماء الاندلس (القاهرة : ١٩٦٦) ج ١ ص ٧٤ (رقم ٢٣٩) ، ج ١ ص ٢٠٤ (رقم ٦١٠) الذهبي . العبري غير من غير ، ج ١ . تحقيق صلاح الدين المحمد (الكويت : ١٩٦٠) ص ٣٠٩ - ابن سعيد الاندلسي . المغرب في حل المغرب ج ١ ، تحقيق شوقي ضيف . (القاهرة : ١٩٦٤) ، ص ٤٤

هشام^(٧) .

اما من الناحية المعمارية : فنجد المؤثرات الشامية المقتبسة من المسجد الاموي بدمشق ، عندما أعاد الأمير الداخل تجديد بناء جامع قرطبة عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م ، والدليل على ذلك العقود المزججة التي تزيد من ارتفاع السقف وتجعله ارتفاعا متناسبا مع اتساع مساحة المسجد . وكذلك يلاحظ هذا التأثير في وضع المئذنة ، وفي الممر الذي يصل المسجد بقصر الامارة وهو المعروف بالسباط ، وكذلك بنى الأمير الداخل في شمال غربي قرطبة مئنة (قصر-بيت ريفي) على سفح جبل قرطبة سماء قصر الرصافة مقلدا في ذلك جده الخليفة هشام بن عبد الملك الذي بنى رصافته خارج دمشق في بادية الشام ، ولم يلبث امراء بني امية في الاندلس ان اخذوا يقلدون الأمير الداخل في اتخاذ القصور الريفية ، ومثال ذلك القصر الذي بناه ابنه عبد الله في مدينة بلنسية واطلق عليه اسم الرصافة ايضا^(٨) .

وفي ميدان الزراعة : فقد حرص الأمير الداخل على جعل قرطبة صورة من دمشق في منازلها البيضاء ذات الاحواش الداخلية المزينة بالازهار والورود ونافورات المياه . واشتهر الأمير الداخل بانه كان يرسل بعض رجاله الى المشرق لجلب اشجار الفاكهة من بلاد الشام ، فنسج عن احد رجاله المدعو سفر بن عبيد الكلافي والذي تنسب اليه اسماء بعض الفواكه التي غرسها في جنانة بكورة رية واثمرت مثل التين السفرى والرمان السفرى ، ثم اهتم بها الأمير الداخل وغرسها في مئنته ، وانتشرت بذلك زراعتها في سائر أنحاء الاندلس^(٩) .

وبلغ من اهتمام الاندلسيين بالزراعة ، انه عندما حل المذهب المالكي بالاندلس محل مذهب الازاعي - هذا المذهب الجديد لا يفر زراعة الاشجار بالمساجد ، عكس مذهب الازاعي - بقي اهل الاندلس مقلدين مذهب الازاعي في مجال الزراعة^(١٠) .

اما الحياة الادبية بالاندلس في هذا العصر ، فقد كانت صدى حياة الشام الادبية ، فالشعر الاندلسي كان يحاكي شعر الفرزدق والاختل وجريز بالمشرق . ومن اهم شعراء الاندلس في هذه الفترة الولاة والامراء

٧ - ابن الفرضي . المصدر السابق . ج ١ ص ٢٠٤ (رقم ٦١٠) - الحميدي ، جنوة المقيس . (القاهرة : ١٩٦٦) . ص ٢٤٤ (رقم ٥١٠) .

٨ - ينظر . احمد مختار العادي . المرجع السابق ، ص ٣١٨ - ٣١٩ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ص ١٥٨ .

٩ - ينظر . ابن الابار . الحلة السيرة . ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس ، (القاهرة : ١٩٦٣) . ص ٣٧ . ابن خلدون ، البيان المغرب ، ج ٢ ، تحقيق كولان وبروفنسال (بيروت : لا تاريخ) . ص ٦٠ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ص ١٤٨ - احمد مختار العادي ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

١٠ - الحميدي . المصدر السابق . ص ٢٤٤ (رقم ٥١٠)

الذين حكموا الاندلس امثال ابي الجفاز حسام بن ضرار الكلبي ١٢٥-١٢٨ هـ ، والصميل بن حاتم صاحب الوالي يوسف الفهري ١٢٩-١٣٨ هـ والامير عبد الرحمن الداخل وابنه هشام ، ومن ثم الحكم بن هشام^(١١) .

ب - التأثير الحضاري الحجازي على الاندلس :

بدأ هذا التأثير في عصر التوطيد ، اي في عصر الامير هشام والامير الحكم . ولعل السبب الذي ادى الى ضعف التأثير الشامي على الاندلس في هذه الفترة ، هو : ان سليمان وعبد الله من اولاد عبد الرحمن الداخل قد تمردوا على اخيهم هشام ، وكان سليمان بالذات وراءه الحزب الشامي في الاندلس ، فلما انتصر هشام على اخوانه ، هربوا الى شمالي افريقية ، وضعف الحزب الشامي بالاندلس ، فتج عن ذلك ضعف شأن الحضارة الشامية التي سيطرت على الاندلس . وبذلك نجد الاندلسيين ، بخاصة اميرهم يحيثون عن أفاق حضارية جديدة غير الشامية ، فوجدوا بغيتهم في حضارة الحجاز .

وكان الحجاز في القرن الثاني للهجرة مركزا حضاريا هاما للفنون والموسيقى والعلوم الدينية . ففي مجال الفنون : ظهرت المدارس الموسيقية الاولى في الحجاز ، وهي عبارة عن الموسيقى العربية الاصلية المزوجة بالمؤثرات الاجنبية والبيزنطية نتيجة حركة الفتوحات العربية ، وكان هناك تنافس بين مكة والمدينة في هذا المجال . وسرعان ما انتقل هذا الفن الى الاندلس عن طريق الجوارى والمغنيين والمغنيات الذين رحلوا الى الاندلس ، ونقلوا معهم هذه المظاهر الحضارية . وفي المقدمة تأتي المغنية المدنية (عجفاء) التي اثارت أعجاب الاندلسيين في عهد الامير هشام ١٧٢-١٨٠ هـ ، وبأبي بعدها الثاني الغنائي الحجازي (علون وورقون) في عهد الامير الحكم ١٨٠-٢٠٦ هـ^(١٢) .

أما في مجال العلوم الدينية : فقد كانت المدينة المنورة مركز العلوم الدينية في هذا القرن ، وقد توج نضوج هذه العلوم وجود مالك بن أنس فيها (توفي عام ١٧٩ هـ) ، صاحب كتاب الموطأ (السهل الواضح) ، وقد ذاعت شهرة الامام مالك في العالم الاسلامي ، فأقبل الاندلسيون على اعتناق مذهبه في عهد الامير هشام .

شاع المذهب المالكي في الاندلس بعد ان استهوى اميرها هشام ومن

حزله من الفقهاء ورواد الاحاديث ، تاركين مذهب الاوزاعي . والروايات المختلفة تعزو هذا التحول الى الاعجاب المتبادل بين مالك والامير هشام ، هذا الاعجاب الذي جسده الفقهاء الاندلسيين بلاميذ مالك ، دون ان يرى احدهما الاخر^(١٣) . بالاضافة الى التعاطف بين الامير هشام ومالك الناجم من عداوة الاثنين للعباسيين ، اذ ساند مالك حركة محمد النفس الزكية في المدينة عام ١٤٥ هـ ضد الخليفة العباسي المنصور ، وقد اتفق مالك بمجواز تحمل المسلمين من بيعة المنصور ، ولذا لقي كبير عناء من العباسيين^(١٤) .

كذلك لا ينسى دور علماء الاندلس الذين رحلوا الى الحجاز ودرسوا على يد الامام مالك ، فقلوا مذهبه الى الاندلس . وفي مقدمتهم ابو عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي (توفي ٢٠٤ هـ أو قبلها) المعروف (شبطون) ، الذي ادخل مذهب مالك الى الاندلس ، واخذ عنه يحيى بن يحيى الليثي عاقل الاندلس كما لقبه الامام مالك . وتذكر الروايات ان يحيى بن يحيى أخذ عن مالك بن أنس بالذات وروى عنه الموطأ ، وتعتبر روايته من اصح الروايات^(١٥) . ويليهِ عيسى بن دينار الفقيه المشهور ، وعبد الملك بن حبيب السلمي الذي أخذ من طبقة اصحاب مالك وعاد الى الاندلس ليكون كتاب الواضحة^(١٦) .

وتعلل الروايات ان الشبه الكبير بين طبيعة اهل المغرب والاندلس وطبيعة اهل الحجاز ، من حيث البساطة والبعد عن التعقيد ، كان من اسباب انتشار المذهب المالكي في مغرب العالم الاسلامي . ولهذا فان عقلية اهل المغرب والاندلس كانت تغلب عليها نزعة اهل الحديث ، وجانبوا نزعة اهل الرأي والقياس (مذهب أبي حنيفة)^(١٧) .

ولم يقف الامر عند انتشار المذهب المالكي في الاندلس في هذه الفترة فقط ، بل تمداه الى انتشار قراءة اهل المدينة للقرآن ، وبالذات

١٣ - ابراهيم يشون ، الدولة العربية في اسبانيا ، (بيروت : ١٩٧٨) ، ص ٢٢٤ احمد بئر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٠ - ١٧١ - لي بروفنسال ، العرب في الاندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط (بيروت : لا تاريخ) ص ٤٣ .

١٤ - ينظر ، السمرودي . مروج الذهب ، ج ٣ (بيروت : ١٩٦٦) ص ٣٤٠ - ابن الانير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ . (بيروت : ١٩٦٥) ص ٥٣٢ .

١٥ - ينظر ، ابن فرحون ، الديباج الذهب ، ج ٢ تحقيق محمد الاحمدى ابو النور (القاهرة : ١٩٧٢) ، ص ٣٥٢ - لطفي عبدالبقيع ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .

١٦ - ينظر ابن الفرغني المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٩-٢٧١ (رقم ٨١٦) . ج ١ ، ص ٢٠٣ (رقم ٦١٠) ، ج ٢ ، ص ١٨٠ (رقم ١٥٥٦) - المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٧ ، ص ٩ - احمد امين ، ظهر الاسلام ج ٣ (القاهرة ١٩٦٧) ، ص ٤٨-٤٩ - احمد بئر ، المرجع السابق ، ج ١ ص ١٧٢-١٧٣ .

١٧ - احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦-٣٢٧ - احمد امين ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

١١ - ينظر ، الحلة السرياء ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧ - ص ٤٧ - ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٢ ، ص ٧٩ - احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣١٧ ، ص ٣٣٦ .

١٢ - المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٣ ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت : ١٩٦٨) ، ص ١٣٠ - احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ - السيد عبدالعزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ٢ (بيروت : ١٩٧٢) ، ص ٨٦ .

قراءة نافع للقرآن (قارئ اهل المدينة) ، في الاندلس . وينسب الى الغازي بن قيس ادخال هذه القراءة على عهد الامير الداخل ، وقد امتدح مالك هذه القراءة وكذلك قلدت الاندلس الحجاز في تنقيط القرآن وتشكيله (١٨) .

المبحث الثاني :

التأثير الحضاري العراقي على الاندلس :

ان الامام بهذا الموضوع يتطلب معرفة عدة امور نوضحها كما يأتي :
١ - توضيح معالم ازدهار الحضارة في العراق في القرنين الثاني والثالث للهجرة :

والعراق خلال هذين القرنين يعاصر للدولة العباسية وبالذات العصر العباسي الاول ١٣٢-٢١٨ هـ ، والعصر العباسي الثاني ٢١٨-٣٣٤ هـ ، هذان العصران يعتبران عصر النضوج الحضاري للعراق . هذه الحضارة التي بدأت بالازدهار كانت مدفوعة بعدة عوامل منها :

أ - رغبة الخلفاء العباسيين في تفوق دولتهم العلمي ، وبذلك شجعوا حركة الترجمة ، اي ترجمة كتب الامم القديمة في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها الى العربية ، وبدلوا جهود جيلة في هذا المضمار . وخير دليل على ذلك جهود الخليفة المنصور والرقييد والمأمون وغيرهم في تنشيط الحركة العلمية وبناء دور الحكمة (مراكز العلم) ، والاغداق على العلماء والمترجمين بدون حساب (١٩) .

ب - نضوج العلوم العربية الدينية منها والصرفة . فهذان العصران شهدا وضوح مناهج المفسرين للقرآن ، ووضعت الطرق العلمية لتأليف كتب الحديث ، وظهور المذاهب الفقهية ، ورسوخ اسس مدارس النحو والتاريخ والجغرافية ، كما شهدا بداية نضوج الفكر الفلسفي بفروعه

١٨ - ابن الفريسي ، المصدر السابق ، ج ١ . ص ٣٤٥ (رقم ١٠١٥) - الحميدي .
المصدر السابق ، ص ٣٢٤ (رقم ٧٤٨) - احمد بدر . المرجع السابق . ج ١ ص ١٧٣ .

١٩ - ينظر . حكمت نجيب عبدالرحمن ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب (الموصل : ١٩٧٧) ، ص ٢٧-٢٨ - ناجي معروف ، اصالة الحضارة العربية (بيروت : ١٩٧٥) ص ٤٣٤ . - سليم طه التكريفي ، (بيت الحكمة في بغداد) مجلة العربي ، العدد ٢١٣ (الكويت : ١٩٧٦) . ص ١٢٦

التصوف وعلم الكلام والفلسفة . هذا في مجال العلوم الثقيلة التي هي علوم عربية بمحتة قوامها الدين الاسلامي ، والتي نبتت في ارض عربية اسلامية صافية - ماعدا استثناءات قليلة أثرت على تطور الفكر الفلسفي والجغرافي بعد نشاط حركة الترجمة . اما العلوم الصرفة ، فقد امتزجت اصولها العربية مع ما عرفه المسلمين من معارف الامم الاخرى في الطب والرياضيات والفلك وغيرها عن طريق الترجمة ، فنتج عنها الابداع العلمي العربي (٢٠) .

ج - الازدهار الاقتصادي في العراق : اذا كان هذان القرنان قد تميزا بالنضوج العلمي مع وفرة العلماء الافذاذ الذين ألفوا وكتبوا وأبدعوا في مختلف المجالات مع ظهور المراكز العلمية (دور الحكمة) التي كانت بمثابة واحات فكرية في العراق وفي غيره ، والتي عملت على نشر المعرفة في أرجاء العالم الاسلامي ، فان هذين القرنين شهدا ازدهار الحياة الاقتصادية في العراق . الذي انعكست اثاره على المجتمع والحركة العلمية ، هذا الازدهار الذي وفر الاموال اللازمة للدولة والافراد واستغلاله في تنشيط الحركة العلمية .

واذا اردنا التدليل على هذه الحالة المزدهرة ، نرى ان الخليفة المنصور يعمل على زيادة الثروة ونماء رؤوس الاموال . واتساع موارد الخراج ، والرخاء العام الذي تعددت مظاهره بين الناس حتى رخصت الاسعار (٢١) . وسار على نهجه ابنه المهدي الذي استبدل نظام المقاسمة بنظام المساحة ، وقد اشاد او يوسف بهذا النظام (٢٢) . ولعلنا جميعا نتصور الحالة الاقتصادية المزدهرة في عصر الخليفة هرون الرشيد ، والذي بلغت موارد الدولة سنوياً نحواً مئة ألف درهم من الفضة وعشرة الاف دينار من الذهب (٢٣) . وعندما وقعت الخلافة العباسية تحت سيطرة النفوذ التركي وبدأ الاهمال الواضح لمراقب الدولة نتيجة هذه السيطرة قام بعض خلفاء هذا العصر امثال المتوكل والمتعصدين باصلاحات اقتصادية من أجل توفير موارد للدولة وتهيئة الرخاء والنعيم لعامة الشعب (٢٤) .

٢٠ - ينظر . غوستاف لوبن . حضارة العرب . ترجمة عادل وعبد (بيروت : ١٩٧٩) ص ٥٢٩-٥٣٠ . ابو زيد شلي . تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي . (القاهرة ١٩٦٤) ص ٣٧٣

٢١ - المهشباري . الوزراء والكتاب . تحقيق السقا وآخر . (القاهرة ١٩٣٨) . ص ١١٧

٢٢ - ابو يوسف . الخراج . (القاهرة ١٩٥٢) . ص ٤٩-٥٠ صبحي الصالح . النظم الاسلامية . (بيروت ١٩٧٨) . ص ٣٨٨-٣٨٩ .

٢٣ - الطبري . تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . ج ٨ (دار المعارف مصر : لا تاريخ) ص ٣٦٤

٢٤ - حسن احمد محمود وآخر . العالم الاسلامي في العصر العباسي . (دار الفكر العربي : ١٩٧٧) . ص ١٩٢ وما بعدها . احمد مختار العبادي المرجع السابق ، ص ١٩٠ ١٩١

ونمت التجارة وازدهرت في العصر العباسي الاول والثاني بعد ان اختلط العرب بغيرهم . ومن العوامل التي ادت الى هذا الازدهار بناء مدينة بغداد وجعلها عاصمة العراق وعاصمة الخلافة العباسية والتي كانت على ملتقى الطرق البرية والنهرية الداخلية ، وقد اشتهرت محلة الكرخ بانها مركز للتجار (طولها انذاك ١٠ كم - فرسخين - وعرضها ٥ كم - فرسخ واحد) (٢٥) .

كما كان العراق اهم مركز تجاري بين الجزيرة العربية والشام ومصر من جهة ، وبين ايران والهند من جهة ثانية ، ثم بين الصين واسيا الوسطى من جهة ثالثة . واذا اضفنا الى ذلك ما كان للعراق من هيمنة على الخليج العربي ، الذي كان يصل العالم الاسلامي بالهند والصين وافريقية ، ادركنا ما وصل اليه تجار العراق من ان يكونوا وسطاء التجارة بين اطراف العالم المتمدن ، وما يعكس ذلك من امارات الثراء والرخاء في المجتمع العراقي (٢٦) .

وقد اسندت الدولة العباسية الى التطور الصناعي يدا طولى ، فقد عملت على التوسع في استخراج الثروة المعدنية التي حفل بها العالم الاسلامي . وعملت على نقلها الى مراكز الصناعة في سهولة ويسر . وكان ذلك من اهم اسباب الانطلاق الصناعي الكبير الذي تحقق في العصر العباسي الاول والثاني . بالاضافة الى ان الصناعات كانت تنقل في سهولة من شرق العالم الاسلامي الى غربه ، بسبب السبل الامنة وحالة الامن المتوفرة .

واذا أخذنا ما في بغداد نموذجا لازدهار الناحية الصناعية فنجد فيها دور الصناعة المختلفة . بين معامل صناعة الزجاج ومعامل صياغة الخزف ، ومحلات الصباغة الكثيرة التي اشتهر عالمها بالدقة والجودة (٢٧) . نستنتج من كل هذا : ان بغداد في العصور الاسلامية الوسطى ، كانت عاصمة العالم الاسلامي . ومقرا للخلافة العباسية ، فهي مدينة دولية ، ولهذا السبب اكتسبت صفة عالمية ، وسكنتها عناصر من مختلف الاجناس والملل . اسلامية وغير اسلامية . هذه العناصر لم تسكن بغداد باشخاصها فقط . بل بثقافتها وتجارها وعلمها وفنها . فأصبحت بغداد المدينة الممتازة على غيرها من المدن في العلوم والصناعات والفنون المختلفة . وهذه الصفة العالمية التي اتصفت بها بغداد جعلت انتاجها ايضا يكتسب صفة عامة لا صفة محلية ، فقصص الف ليلة وليلة وكتاب

الاغاني وتاريخ الطبري كلها تقدم لنا موضوعات عامة تمثل الحياة الاسلامية بمختلف مظاهرها . هذه الصفة العالمية أثرت في انتاجها وحضارتها فلم يعد اثناجا قاصرا على العراق فحسب ، بل شمل العالم الاسلامي والحياة الاسلامية ، وهذه الصفة العالمية التي تميزت بها بغداد جعلتها محط انظار العرب والمسلمين من جميع انحاء العالم الاسلامي ، كما جعلت حضارتها تغطي على جميع الحضارات الاسلامية الاخرى كالشامية والحجازية (٢٨) .

٢ - توضيح عوامل الجذب الاندلسية للحضارة العراقية :
اذا رأينا ان العوامل السياسية والدينية قد حددت في التأثير الشامي والحجازي على الاندلس ، فان هناك عوامل غيرها كانت مراكز جذب للحضارة العراقية المزدهرة الى الاندلس ، وفي طليعة هذه العوامل :

أ - رغبة الامراء الامويين في هذه الفترة - وبخاصة الامير عبد الرحمن الاوسط ٢٠٧-٢٣٨ هـ - في ترك سياسة الانعزال عن العراق التي سار عليها اباؤه ، وان يساير حركة الازدهار الحضاري التي اشتهرت بها بغداد ، ففتح ابواب الاندلس امام التيارات الحضارية العراقية . فأخذ يقلد الخلفاء العباسيين في مظهرهم وملابسهم . وفي الاحتجاب عن الرعية ليكتسب امارته علامات الرهبة والهيبة (٢٩) . كذلك فتح ابواب الاندلس للتجار العراقيين والبضائع العراقية كالملابس وادوات الزينة التي سرعان ما انتشرت بين افراد المجتمع المجتمع الاندلسي . وتذكر لنا الروايات ان هذا الأمير اشترى من احد التجار عقدا كان للسيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد بمبلغ عشرة الاف دينار واهدها الى زوجته ، وقد كان لهذا العقد شهرة كبيرة في العراق ويعرف بعقد الشبا (٣٠) . وقد سرق هذا العقد ضمن الاشياء الثمينة الاخرى التي نهب في بغداد أيام الفتنة بين الاميين والمأمون (٣١) .

ب - الرفاه في المجتمع والقصر : توفرت العوامل بالاندلس التي ادت الى ظهور بواذر الفرف والغنى فيها . وبأني في مقدمة هذه العوامل النشاط الزراعي وازدهاره خلال عصر الامارة بالذات ١٣٨-٣١٦ هـ ابتداء من اهتمام الامير عبد الرحمن الداخل بالزراعة ، والذي بلغ من شغفه بها ان ارسل وفوده الى الشام لجلب بعض البذور ، كما استمر هذه الاهتمام خلال عصر الامارة ، ودليلنا على ذلك قيام نشاط تجاري واسع ، حيث لا يمكن ان يقوم دون الاعتماد على زراعة مزدهرة . وكذلك ازدهرت

٢٨ - ينظر . احمد مختار العبادي . المرجع السابق . ص ٦٠ . ص ٣٣٩ - ٣٤٠
٢٩ - احمد بنو . المرجع السابق . ج ١ . ص ١٦٣-١٦٤
٣٠ - ابن عذاري . المصدر السابق . ج ٢ . ص ٩١
٣١ - احمد مختار العبادي . المرجع السابق . ص ٣٤٠

٢٥ - صبحي الصالح . المرجع السابق . ص ٣٩٥ .
٢٦ - حسن احمد محمود واخر . المرجع السابق . ص ٢٠٢ وبعدها - صبحي الصالح . المرجع السابق . ص ٣٩٥
٢٧ - حسن احمد محمود واخر . المرجع السابق . ص ١٩٦-١٩٧ . ص ٢٠١ - صبحي الصالح . المرجع السابق . ص ٤٠٥ .

الصناعة خلال هذا العصر ، ولعلنا نستنتج من بعض الاعمال التي قام بها الامير عبد الرحمن الاوسط ، ان الصناعة - في بعض الفروع على الاقل - كانت متقدمة الى الحد الذي سمح له ان ينشئ داراً خاصة للطراز تصنع فيها ملابس خاصة لكل مرتبة من مراتب رجال الدولة (٣٢) .

واذا كان الاسطول الاندلسي قد نشأ في البداية كقوة عسكرية تستخدم لرد هجمات الاعداء ، او استخدامه في الحملات الجهادية ضد الممالك الاسبانية في الشمال ، وضد بعض الدول الاوربية المجاورة ، الا ان ممارسة التجارة من قبل الاندلسيين قد ازدهرت خلال عصر الامارة . فكان الاندلسيون يحملون متوجات بلادهم الزراعية والصناعية الى سواحل شتّى اريقية ، ويحلبون منها العبيد السود وبعض المحاصيل الزراعية (٣٣) . ونتيجة هذا النشاط التجاري وجدت جاليات اندلسية بصورة مؤقتة ودائمة في مدن سواحل شمالي اريقية ، وكان من نتائج وجود هذه الجاليات ان انشأت بعض المدن المغربية مثل اصيله وتنجن ووهران (٣٤) .

أدى هذا الازدهار الاقتصادي بالاندلس - وبخاصة النشاط التجاري - الى بروز مظاهر الترف والرفاه في حياة الامراء والطبقة العليا من المجتمع الاندلسي على الاقل . ويتشثل هذا الترف في فتح ابواب الاندلس نحو اسواق العراق - كما أوضحنا - بالإضافة الى مظاهر العيش الواسع للأمرء وكبار رجال الدولة ، الذي وفرته الاموال التي حصل عليها افراد المجتمع الاندلسي ، وانعكس ذلك على شراء الجواهر المشرقية الفاخرة بالادب وفنون الغناء كجوارى الامير عبد الرحمن الاوسط الذي جلبهن من بغداد (٣٥) . وانعكس ايضا على بناء عدة منى (جمع منية) وهي عبارة عن قصر ريفي في ضواحي المدينة ضمن حدائق غناء .

اذن هذه الفعاليات الاقتصادية اوجدت للاندلس الامكانيات والقدرة على اقتباس عادات المجتمع العراقي الراقية في اللبس والمأكل ، والتي كلاهما يمكن ان تنتقل الا الى مجتمع بلغ مستوى من الرفاه المادي موازنا او مقارباً لمستوى المجتمع العراقي (٣٦) .

ج - اقبال اهل الاندلس على الحياة الفكرية : كانت ظروف الاندلس في عصر الولاة وبداية عصر الامارة لم تمكنها من تطوير الثقافة ، لان غالبية اهلها من المحاربين ، ولعل في مثال الصميل بن حاتم الامي أحد زعمائهم مثلاً واضحاً على مستواهم الفكري . لذا يمكن القول ان ثقافتهم اقتصر على معارف بسيطة منها ما كان متعلقاً بالدين ، ومنها ما كان موروثاً عن المعارف البدوية ، مع توفر ما كان عدد كبير منهم قادر على نظم الشعر (٣٨) .

كما لم يتوفر للفنّانين التأثير بثقافة اسبانيا القوطية ، نظراً لضعف هذه الثقافة وضيق افقها ، واقتصارها على المجال الديني المسيحي بصورة عامة ، إضافة الى ظروف الاضطراب السياسي التي عاشتها الاندلس خلال عصر الولاة واولائل عصر الامارة ، خلقت فيها جوا لا يلائم اي تقدم في مجال الثقافة . لهذا اقتصر اقتباس اهل الاندلس من الثقافة على ما هو ضروري لتسيير امور الحياة وفق احكام الدين الاسلامي ، اقتبسوه كله من المشرق سواء من بلاد الشام او من بلاد الحجاز ، كما وضعنا . الا انه في فترة الازدهار خلال عصر الامارة هب الاستقرار السياسي وما تبعه من نشاط اقتصادي ، من زيادة الاتصال مع الخارج وبخاصة مع العراق ، فتج عن ذلك طبقة معينة من الناس - على الاقل - مكنتهم من السمو لطلب العلم .

لهذا نرى ان المجتمع الاندلسي اصبح على درجة كافية من الغنى لينفق فيها الناس على تعليم انفسهم واولادهم ، وهكذا تحرك ذوو الهمة منهم لطلب العلم كما تشير الروايات (٣٩) . ويأتي في مقدمة من اهتموا بالحركة العلمية الامير عبد الرحمن الاوسط الذي كان عالماً بالشرعية والفلسفة ، وقد شبه بالمأمون العباسي في طلبه للكتب الفلسفية (٤٠) . وكذلك ابنه الامير محمد الذي انشأ نواة مكتبة القصر ، كما انه اقطع احد العلماء الوافدين من المشرق اقطاعاً ، وعنه روى الحديث (٤١) .

وقد ساعد الناس في مساعاهم هذا حصول تطورات ملائمة في عهدهم ، منها انتقال صناعة الورق بعد انتشارها في المشرق ايام الخليفة هرون الرشيد ، واقامة مراكز لصناعته في مدينة طليطلة وشاطبة (٤٢) .

٣٨ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

٣٩ - صاعد الطليطلي : طبقات الامم ، (القاهرة : لا تاريخ) ، ص ٩٧ .

٤٠ - السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٧٤) ص ٥٢٢ - عبدالواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد

العريان ، (القاهرة : ١٩٦٣) ، ص ٤٨ .

٤١ - ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، نشر عزت المطار الحسيني ، (القاهرة : ١٩٥٦) ، ص ٨ .

٤٢ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

٣٢ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ص ١٤٨-١٤٩ .

٣٣ - البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، تحقيق دي سلان ، ج ١ الجزائر : ١٩٥٧ ، ص ١١ .

٣٤ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

٣٥ - المقرئ ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٦ ، ج ٤ ، ص ١٣٦ .

٣٦ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠-١٦١ .

٣٧ - ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق عبدالله انيس الطاع ، (بيروت : ١٩٥٧) ، ص ٦٣ .

٣ - توضيح طرق انتقال الحضارة العراقية الى الاندلس :

من اهم طرق انتقال حضارة العراق الى الاندلس هي :

أ - الوفود الرسمية : على الرغم من دور هذه الوفود كان محدودا في نقل بعض مظاهر الحضارة العراقية الى الاندلس ، الا اننا يمكن اعتبارها طريقا لنقل هذه الحضارة . فنذكر بعض الروايات ان الامير الحكم او عبد الرحمن الاوسط أرسل وفدا الى العراق برئاسة العالم عباس بن ناصح للدراسة الاثار العلمية المنقولة الى العرب عن اليونان وغيرهم واستساخها له ، وبعد رجوع الوفد حمل معه كتاب الحساب الهندي المعروف عند العرب باسم السند هند (الخلود) (١٣) ، وبذلك دخلت الارقام الهندية الاندلس ، ومنها انتقلت الى اوربا . ومعنى هذا ان الوفد الاندلسي عرف هذا الكتاب واطلع عليه في العراق ، لان العرب عرفوا في العصر العباسي الاول كتاب السد هانتا في الرياضيات من الهند ، وقد أمر الخليفة المنصور ١٣٦-١٥٨ هـ بترجمته الى العربية ، فقام بهذه المهمة ابو اسحاق ابراهيم بن حبيب الفزاري ، وعرف هذا الكتاب باسم السند هند ، والى الفزاري على غراره كتابا باسم السند هند الكبير . وفي عصر المأمون ١٩٨-٢١٨ هـ طلب من العالم محمد بن موسى الخوارزمي بتصحيح هذا الكتاب ففعل (١٤) .

وبذكر الخوارزمي نوعين لشكل الارقام الهندية كان يكتبها العرب ، وبقي احدهما المعروف بالارقام الهندية ، وهو الذي ساد في مشرق العالم الاسلامي ، بينما اندثر الشكل الاخر المعروف بالارقام البغارية الذي ساد في مغرب العالم الاسلامي ومنها انتقل الى اوربا ، وهو اصل الارقام العربية الان (١٥) .

ب - الرحلة في طلب العلم : قام العديد من طلاب العلم الاندلسيين بالرحلة الى العراق للتعزود بالعلوم من منابعها ، وقد مضى بعضهم سنوات طويلة تجاوزت العشرين سنة أحيانا من اجل هذه الهزيمة ، أمثال محمد بن عبد السلام الخشني (١٦) .

وانفق الكثيرون القسم الأكبر من ثرواتهم في شراء الكتب التي ادخلوها منها الكثير الى الاندلس . إضافة الى ان غيرهم حملوا العلم برواية في الصدور (١٧) . وللتدليل على الامر نذكر نماذج هؤلاء الرحلة

- ٤٣ - ابن سبيل ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ - بروفسال . العرب في الاندلس . ص ٤٥
- ٤٤ - عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٨) ، ص ٢٢٣
- ٤٥ - هرنكة . شمس العرب تسطع على الغرب . ترجمة فاروق بيضون واخر بيروت : (١٩٦٩) ص ٨٤ - احمد نصيف الحناي ، الرياضيات عند العرب . (بغداد ١٩٨٠) ص ٣٥ ٣٦ .
- ٤٦ - الحميدي . المصدر السابق ، ص ٩٨ (رقم ١٠٠) .
- ٤٧ - احمد أمين . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

دون الحصر : يحيى بن حكم الغزال (١٥٠-٢٥٠ هـ) بنفبه الامير عبد الرحمن الاوسط الى الاعراق لانه تصدى لزياب - كما سيذكر فيما بعد - فدخل الغزال العراق بعد وفاة الشاعر أبي نؤاس بقليل (توفي ابو نؤاس عام ١٩٥ هـ) . وفي بغداد درس شاعر الاندلس الشعر العراقي وقلد أبا نؤاس في شعره لكي يتال الخطوة ويشير اعجاب اهل العراق ، وبعد ذلك يرجع الى الاندلس ليقوم بمهام السفارات اعتبارا عن عام ٢٢٥ هـ (١٨) .

كذلك عبد الله بن محمد بن قاسم الذي رحل الى العراق ودرس فيه المذهب الظاهري ونقل اصوله الى الاندلس ، والعالم محمد بن وضاح الذي أدخل علم الحديث الى الاندلس ، رحل الى المشرق ودرس على أيدي كبار علماء الحديث ومن اشهرهم الامام احمد بن حنبل في العراق (٢٠) . كذلك اشهر عبد الله بن مسرة بن نجيج بالفلسفة وعلم الكلام وقام برحلته المشرقية الى العراق ونزل بالبصرة في اواخر عصر الامارة مع اخيه ، وقد وصف عبد الله هذا بكونه أشقر شديد الحمرة مما جعل أحد شيوخه في البصرة يحذره مازحا «اباك ان يبيعك اهل البصرة باصقلي» ، ثم رجع الى الاندلس يشر بهذه العلوم التي درسها في العراق (٢١) . وقد ازدهرت مدرسة ابن مسرة الفلسفية في عصر الخلافة (٢٢) .

ج - دور التجار في نقل كتب العلم الى الاندلس : معروف لدينا ان ابواب الاندلس فتحت امام التجار العراقيين بالبضائع العراقية ، وبخاصة في عهد الامير عبد الرحمن الاوسط . الذي ترك سياسة الانغلاق نحو العراق . ف بجانب نقل التجار البضائع العراقية المختلفة الى الاندلس ، نقلوا معهم بعض الكتب العلمية وبيعوها في اسواق الاندلس . حيث اشتراها علماء الاندلس واستفادوا منها في تنشيط حركتهم العلمية . وقد كان في مقدمة هؤلاء التجار محمد بن موسى الرازي (توفي ٢٧٣ هـ) وهو جد أسرة الرازي التي اشتهرت بكتابة التاريخ في عصر الخلافة (٢٣) . وكذلك دخل كتاب - المعروف بخبايا بن

- ٤٨ - بنظر محمد صالح البنداق . يحيى بن حكم الغزال . بيروت : ١٩٧٥ ص ٢٧ - ٥٨ . ص ٨٢ - احمد أمين . المرجع السابق . ج ٣ . ص ١٠٥
- ٤٩ - بن الفرضي . المصادر السابق ج ١ ص ٢١٩ (رقم ٦٥٥) .
- ٥٠ - ايضا . ج ٢ . ص ١٥ (رقم ١١٣٩) .
- ٥١ - ايضا . ج ١ . ص ٢١٧ (رقم ٦٥٢) . ج ٢ . ص ٣٩ (رقم ١٠٠٤) . صاحب الطبطبلي . المصدر السابق . ص ٢٨-٢٩
- ٥٢ - بنظر . لطفي عبد الديع ، المرجع السابق . ص ٤٦ احمد بدر . المرجع السابق . ج ٢ . ص ١٨٨ - احمد أمين . المرجع السابق . ج ٢ . ص ٦٩ .
- ٥٣ - بنظر . احمد مختار العادي . المرجع السابق . ص ٣٤ احمد بدر . المرجع السابق . ج ١ . ص ١٧٧ . ص ١٨٦

احمد الفراهيدي الى الاندلس على يد تاجر اهداه الى الامير عبد الرحمن الاوسط ، وبدا هذا الكتاب عسير الفهم على اهل البلاط ، وبعد ان اطلع عليه العالم عباس بن فرناس فسرّه وسهل فهمه لاهل الاندلس^(٥١) . سنذكر ذلك .

د - هجرة العلماء وبعض فئات المجتمع من العراق الى الاندلس : نتيجة الاضطراب السياسي في المشرق وبخاصة في العراق ، الذي بدأ بالتزاع بين الامين والمأمون في نهاية العصر العباسي الاول ، ومن ثم تسلط العنصر التركي على الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني ، هذه الامور كلها أدت الى هجرة بعض العلماء . وبعض فئات المجتمع الراقية من العراق الى الاندلس تخلصا من هذا الاضطهاد ، بالإضافة الى المكانة المرموقة والحفاوة البالغة التي يلقاها امثال هؤلاء في بلد الاندلس ، فالامر كان كما يصفه احمد امين : « . . . علماء يضيق بهم الشرق من الفاقة فيرحلون الى الغرب ، وعلماء من الغرب يبرزهم العلم فيرحلون الى المشرق . . . »^(٥٥) ومن العلماء الذين رحلوا من المشرق الى الاندلس في هذه الفترة - محمد بن موسى الرازي (٢٧٣هـ / ٨٨٦م) وهو من مدينة الري في المشرق ، ورأس عائلة المؤرخين المشاهير في عصر الخلافة عائلة الرازي (احمد بن محمد وابنه عيسى بن احمد) . وكان محمد بن موسى الرازي تاجرا مشرقيا اتصل بالامير محمد وعمل لديه في التجسس على ارضاع المشرق ، وهو الذي ألف كتب الروايات في التاريخ^(٥٦) . وفي عصر الازدهار تقدمت العلوم الطبية بالاندلس ، وقد ساهم في تقديمها بعض الاطباء البغداديين الذين رحلوا الى الاندلس . فعملوا اهلها ما وصل اليه اهل العراق في الطب . وبأقي في حقهم كـ «محقق بن عمران العراقي الاصل الذي رحل الى الاندلس»^(٥٧) .

وانما كان رائد الحركة الطبية بالاندلس في هذا العصر احمد بن ابياس (حمدين بن أبي) ^(٥٨) . الذي ينسب اليه (يسون = شراب - مدين) وهو يتألف من مائة صنف من الاعشاب . فقد كان استاذة طبيبا عراقيا من حران هاجر الى الاندلس في فترة الازدهار . وهذا الطبيب المشرق هو الذي أدخل للاندلس معجونا لأوجاع الجوف ، كان يبيع السقية منه بمئتين دينار . وكان حمدين أحد خمسة اطباء أخذوا

العلم منه^(٥٩) . كما انتقلت فئات من المجتمع العراقي الراقي الى الاندلس ، وبمنا منها في مجال نقل العادات فئات ، وهما فئة الجوارى ، ودلنا على ذلك بجوارى الامير عبد الرحمن الاوسط ، ثم فئة المغنين . وبأقي على رأسهم (ابو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب) .

ومهما تكن الاسباب التي دفعت زرياب الى ترك العراق والتوجه الى الاندلس - وبالرغم من اننا نحيل الى الروايات التي تؤكد هروبه الى الاندلس تخلصا من اضطهاد الخليفة المأمون ، لان زرياب كان من انصار الخليفة الامين المقتول في هذه الفتنة بين الاخوين^(٦٠) . وصل زرياب الى الاندلس في عهد الامير عبد الرحمن الاوسط وبالذات في عام ٢٠٦هـ ، ونقل معه الحياة العراقية بمظاهرها الفنية والاجتماعية ، ولقيت مدرسته الموسيقية المثلثة في شخصه وفي ابنائه وجواريه نجاحا كبيرا طغى على مدرسة الحجاز الثنائية القديمة التي اخدت في الضعف والزوال^(٦١) .

٤ - توضيح أثر الحضارة العراقية على الاندلس ونتائجها : يتناول هذا الموضوع توضيح مايلي :

أ - انتشار بعض العلوم التي تعتبر عراقية النشأة في الاندلس : على الرغم من تمسك الاندلس بمذهب مالك - كما اوضحنا ذلك في مرحلة التأثير الحجازي الحضاري على الاندلس (توفي الامام مالك عام ١٧٩هـ) ، الا انه يبدو لنا ان مذهب ابو حنيفة العراقي (توفي الامام ابو حنيفة عام ١٥٠هـ) قد طرق ابواب الاندلس في عصر الاموية ، الا ان ولادة الامر في الاندلس اغلقوا الابواب دون دخول هذا المذهب . اذ تذكر الروايات ان فريقين من علماء الحنيفة وعلماء المالكية تناظرا يوم من مجاس الامير هشام (١٧٢-١٨٠هـ) فقال لهم : من اين كان ابو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة . فقال : ومالك ؟ قالوا : من المدينة قال : عالم دار الهجرة يكفيننا ، وأمر بأخراج اصحاب أبي حنيفة وقال : لا أحب ان يكون في عملي (بلدي مذهبان)^(٦٢) .

٥٩ - ابن جليل - المصدر السابق . ص ٩٤ ٩٥ - ابن الامار - الحلة لسواء . ج ١ ، ص ١١٤ (حاشية ١) - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

٦٠ - ينظر ، احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢ - محمد عبدالمعظم خفاجة ، قصة الادب في الاندلس ، ج ١ (بيروت : ١٩٦٢) . ص ٩٢-٩٣ .

٦١ - ينظر ، ابن حبان ، المقتبس ، تحقيق محمود علي مكّي (بيروت : ١٩٧٣) ص ٨٧- لين بول ، قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الحارم (القاهرة : ١٩٤٧) ، ص ٧٩ - احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢ - السيد عبدالعزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ج ٢ ، ص ٨٩ وبعدها .

٦٢ - احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧-٣٢٨ - ينظر ، احمد امين ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

٥٤ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ١٨٤ .

٥٥ - شهر الاسلام ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

٥٦ - ينظر ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس (نص الرسالة الشريفة) ، ص ٢٠٣ ، الحميدي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٤ (رقم ١٧٥) لطفي عبدالبديع المرجع السابق ، ص ٦٨ .

٥٧ - احمد امين ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

٥٨ - ابن جليل ، طبقات الاطباء ، تحقيق فؤاد السيد (القاهرة : ١٩٥٥) ، ص ٩٤ ٩٣ .

واذا كانت البصرة المركز الاول لنشوء المدارس النحوية نتيجة لانتشار اسباب اللحن فيها^(٦٣) ، فان بلد الاندلس له ظروف البصرة نفسها. تقريبا فيما يتعلق بشيوع اللحن ، منها اختلاط المسلمين بأهل البلاد الاصليين والزواج من الاسبانيات ، ومنها تكلم العرب بلغة الرومانس (اللاتينية العامة) بجانب لغتهم العربية ، كل هذا ادى الى وجود لغة عربية عامية ، كانت خطرا على اللغة الفصحى ، فهنا ظهرت ضرورة وضع قواعد لحفظها . فن الطبيعي تبعاً لذلك ان يقوم طلاب العلم الاندلسيون - وقد اصبحت العراق قبلتهم الاولى في العلم - بالرحيل الى العراق ودراسة المناهج الصافية لعلم النحو ، ومن ثم الرجوع الى بلادهم ، حاملين معهم ما يتوفر من كتب الصافية من كتب وروايات عن هذه المواضيع النحوية .

وقد شهدت فترة الازدهار من عصر الامارة دخول النتائج العراقي من علوم اللغة والنحو ، فنزى عبدالرحمن بن موسى الهواري يدرك الاصمعي في العراق يأخذ منه علم النحو مباشرة ولكنه لم يكتف بذلك بل سلك مسلك علماء البصرة بأن داخل الاعراب وتردد في محالها وحمل ما تجمع له من رواية وشعر ، وكتب في هذا المجال ، الا ان كتبه قد غرقت ، لكن ما حفظه في صدره كان الشيء الكثير^(٦٤) . وكذلك محمد بن عبدالسلام الخشن الذي قضى في العراق خمسة وعشرين عاما ، فأخذ علم اللغة والنحو والشعر الجاهلي من شيوخ يروونها عن طبقة المشاهير في هذا الباب كالاصمعي واني عبيدة معمر بن المثنى وسيبويه^(٦٥) ومن اشهر شيوخه سهل بن محمد السجستاني والعباس ابن الفرج الرياشي^(٦٦) .

كذلك قام جودي بن عثمان النحوي (توفي عام ١٩٨ هـ) بملقاء الكسائي والفراء واني جعفر الرؤاسي اثناء رحلته للمشرق ، وهو أول من ادخل للاندلس كتاب الكسائي^(٦٧) . وقد ذكرنا اعلاء دخول العلوم الفلسفية والمعارف الطبية العراقية الى بلد الاندلس .

ب - دور زرياب وماحدثه في المجتمع الاندلسي :

تصف لنا الروايات مدى تأثير زرياب في حياة المجتمع الاندلسي حتى ليدو لنا انه زريابا قد حمل جميع هذه التغييرات التي اوجدها زرياب في المجتمع الاندلسي (مراسم زرياب) ، وهي في الواقع رمز لتلك الحضارة العراقية التي فحرت الاندلس ايام عبدالرحمن الاوسط ، والتي تمثل نزع التجديد والاناقة من ذلك العصر^(٦٨) .

ومن هذه المراسم ، فقد علم زرياب اهل الاندلس طرقا موسيقية جديدة في كيفية ابتداء الغناء وكيفية انجائه ، وجعل مضارب العود من قوادم النسر بدلا من الخشب مما يمتنع على مقام الصوت ، ثم اضاف وترا خامسا للعود . ومن مراسمه تنظيمه للاندلسيين طرق الطهي العراقي ، وضرورة الترتيب في تقديم الاطعمة بدلا من وضعها دفعة واحدة ، كما علمهم طريقة تصفيف شعورهم ورفعه خلف الاذن بدلا من تركه مسدولا على جباههم وعيونهم . كما يميزهم بين ملابس الشتاء وملابس الصيف . وفي مجال الزينة استخدم مواد جديدة لطرد رائحة البدن ، كما طور العادات القديمة المستخدمة لهذه الغاية في استخدام درور الورد وزهر الرمان ، والتي كانت تضر الملابس ، فأرشدهم على ازالتها بالملح وتبيض لونها^(٦٩) .

ج - نتائج التأثير الحضاري العراقي على الاندلس :

لا ينكر ان هذا التأثير الحضاري العراقي ساهم في تطوير المظاهر الحضارية بالاندلس ، ابتداء من فترة الازدهار في عصر الامارة ، وبقي هذا التأثير يرفد الاندلس بالمؤثرات المستمرة خلال عصر الخلافة ، سواء فيما يتعلق بهجرة العلماء المشاركة الى الاندلس ، أو برحلة علماء الاندلس الى المشرق .

ولكن يلاحظ في بدايات التأثير الحضاري العراقي على الاندلس في عصر الامارة ، وجدت حركة معارضة من قبل اهل الاندلس لهذا التأثير ، وهذه الحركة تتمثل في مايلي :

١ - حركة المعارضة التي قادها بعض العلماء ورجال البلاط :
تزعّم حركة المعارضة هذه بعض وزراء الامير عبدالرحمن الاوسط والشاعر يحيى بن الحكم الغزال ضد زرياب ومراسيمه التي ادخلها للاندلس ، وضد بعض علماء الاندلس الذين تأثروا بالحضارة العراقية

٦٨ - برونسال ، العرب في الاندلس ، ص ٤٨ وما بعدها ، احمد العبادي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣ .

٦٩ - ينظر ، القرى ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٨ - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦١-١٦٣ - لين بول ، المرجع السابق ، ص ٨٠-٨١ احمد امين ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢-٣٣ محمد عبدالحق ، دولة الاسلام في الاندلس ، ج ١ (القاهرة : ١٩٦٩) ، ص ٢٨١ - عبدالرحمن الحجي ، تاريخ الموسيقى الاندلسية ، (بيروت : ١٩٦٩) ص ٣٣ وما بعدها .

٦٣ - ينظر : فحي الدجني ، ابو الاسود الدؤلي ، (الكويت : ١٩٧٤) ، ص ٤١ وما بعدها .

٦٤ - ينظر ، ابن الفري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٧-٢٥٨ (رقم - ٧٧٨) - احمد بدر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

٦٥ - ينظر ، الحميدي ، المصدر السابق ، ص ٦٨ ، (رقم ١٠٠) - احمد بدر المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

٦٦ - ينظر ، باقر الحوي ، معجم الادباء ، ج ١١ ، (بيروت : لا تاريخ) ص ٢٦٣ ، ج ١٢ ، ص ٤٤ .

٦٧ - الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق ابراهيم ابراهيم ، القاهرة : ١٩٧٣ ، ص ٢٥٦ - لطفي عبدالباق ، المرجع السابق ، ص ٧٣ .

وأصبحوا من تلاميذها أمثال الشاعر والعالم الاندلسي المعروف عباس بن فرناس . وقد كان من حسن حظ زرياب ورجاله ان الأمير عبدالرحمن الأوسط كان يرعاهم ويظلل بجناحه عليهم فقام هذا الأمير بالمصالحة بين زرياب وبين بعض الوزراء ، كما سهر بعض رجالات البلاط أمثال (تمام بن علقمة) وودعهم بعدم التعرض لزرياب ، ونفى الشاعر الغزال خارج الاندلس حيث رحل الى العراق^(٧١) .

أما عباس بن فرناس الشاعر المشهور^(٧٢) ، والعالم الاندلسي المعروف في عصر هذا الأمير ، فقد كان من الشخصيات الاندلسية الذين هضموا الحضارة العراقية ويسروا فهمها لاهل الاندلس . فهو الذي سهل فهم كتاب العروض للخليل بن احمد الفراهيدي عالم البصرة المشهور ، حيث يروي ان الأمير ورجاله بلاطه لم يفهموا هذا الكتاب أولا ، الى ان سمع به عباس بن فرناس فطلب من الأمير ان يأذن له بالاطلاع عليه ، فلما قرأه لاحظ بذكائه ان الكتاب ناقص من اوله . فأرسل الأمير الاندلسي الى العراق من احضر هذا الجزء الناقص واستطاع عباس بن فرناس بذلك ان يفهمه ويشرحه للناس ، فكان أول من أخذ عنه علم العروض بالاندلس ، وقد منحه الأمير ثلاثمائة دينار وكساه . كما اشتهر عباس ابن فرناس بدراسة الفلك وبدراسة الكيمياء التي تطورت على يديه نتيجة تجارية الكثيرة في هذا المجال .

وعلى الرغم من كل هذه الجهود العلمية التي قام بها فقد بقي معارضة شديدة لان عقلية الناس انذاك تنفر من المشتغلين بالفلك والكيمياء وتعتبر هذه العلوم نوعا من السحر ، ولهذا اتهم عالمنا هذا بالسحر والزندقة^(٧٣) . ورفعت عليه دعوى للقضاء ، فسمع القاضي شهادة الناس المعارضين له والتي تهمة بأنه كان يعمل في بيته ليلا بإحراق النار فتصاعد الدخان ، وان المياه الملونة بالاحمر كالدسم تخرج من ساقية داره ، وانه يحجب عرض الدار وطوله يردد : «فعل بفعل» . ويبدو لنا ان القاضي كان متأثرا بثقافة العصر ، واسع التفكير ، فلم يدين العالم ببراءة من كل هذه التهم^(٧٤) .

٢ - حركة المعارضة التي قادها المستعربون في قرطبة :
إذا كانت الخطوات الاولى لامتزاج المسلمين بالاسبان تتمثل في

الزواج ، وفي نشر الاسلام بينهم ، ففي عصور تالية للفتح وبخاصة في عصر الامارة ١٣٨-٣١٦ هـ أخذت اللغة العربية تشجع بين الناس جميعا في بلد الاندلس واصبحت لغة التماهم والثقافة ، حتى يذكر ان الأمير هشام ١٧٣-١٨٠ هـ اتخذ اجراءا مهما وهو جعل اللغة العربية ، لغة التدريس في معاهد اليهود والنصارى بالاندلس ، وكان لذلك الاجراء اثر عميق في التقرب بين اصحاب المذاهب المختلفة ، وفي بث روح التماهم والوثام بينها ، وكان من اثره ان اعتنق الاسبان الاسلام بعد ان عرفوا بتعلل اصوله ومعتقداته^(٧٥) .

وقد ازداد هذا الامر اتساعا في فترة الازدهار من عصر الامارة حيث بدأت التيارات الفكرية العراقية تهب على سماء الاندلس ، وتؤثر في عقلية شعبها فتنميا ، وتؤثر في ملامح مجتمعها فطورها نحو الافضل ، فكثر الاختلاط بين عناصر المجتمع الاندلسي ، فزاد وكبر حجم ظاهرة الاستعراب بالاندلس ، أي اقبال الاسبان على تعلم اللغة العربية واوابها وتقليد العرب في عاداتهم من مأكلات وملبس وامور اجتماعية أخرى . اراء هذا الامر - والذي كان للتيار الفكري العراقي تأثير واضح في كل هذه التغيرات - كان لبعض رجال الدين الاسبان المنعصين موقفا معاديا لهذا التيار ، اطنبت الروايات الاجنبية في ذكرها ، هذا الموقف تصفه هذه الروايات بظاهرة الاستشهاد أو الانتحار الديني وقد عالجتها حكومة قرطبة هذه الظاهرة بحكمة وروية وحكمة فزال خطرها بعد حين^(٧٦) .
انحصرت اهداف هذه الحركة التي قامت منذ عام ٢٣٥ هـ/٨٥٠ م وحتى عام ٢٤٤ هـ/٨٥٩ م ، في محورين : الأول - محاولة اعادة بعض من اسلم حديثا الى دينه القديم من جديد ، والثاني - الطعن بالاسلام ومبادئه وشتم رسول الاسلام علنا في المساجد والساحات العامة . وعلى الرغم من ان الروايات الغربية اعدت اسباب هذه الحركة تحاملا الى فرض الضرائب الباهضة على رجال الدين أولا ، وإلى الاضطهاد الذي اوقعه العرب على الاسبان ثانيا^(٧٧) ، فأني أميل بأن هذه الحملة التي قادها الغلاة - اذا صح خبر هذه الروايات لان مصادرنا العربية الاندلسية لم تذكر شيئا عنها - تعود الى ظاهرة التطور الحضاري الذي حصل في الاندلس في هذا العصر بسبب التأثير الحضاري العراقي ، فأقبل الناس من مسلمين ونصارى بالاندلس الى التزود من هذه الروافد الحضارية ، فقل - نتيجة ذلك - الاهتمام بالحضارة ثلاثينية في اسبانيا

- ٧٠ - ينظر . محمد صالح البنداق ، المرجع السابق . ٥٧ - احمد امين المرجع السابق . ج ٣ ، ص ٣٣ - احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ص ٣٤٣ .
٧١ - الحبيدي . المصدر السابق . ص ٣١٨ (رقم ٣١ ث) .
٧٢ - خير الدين الزركلي ، الاعلام . ج ٤ ، (بيوت : ١٩٧٠) ص ٣٧ محمد عبد الله عنان . المرجع السابق . ج ١ ، ص ٢٥٢ .
٧٣ - ينظر . لطفي عبد التبع ، المرجع السابق . ص ٥٩-٥٧ - احمد مختار العبادي ، المرجع السابق . ص ٣٩٣-٣٩٤ - محمد صالح البنداق ، المرجع السابق . ص ٣٧ .
٧٤ - ينظر . عبدالرحمن الحبيبي ، التاريخ الاندلسي ، ١٥٧ وبعدها .

- ٧٥ - محمد عبدالله عنان ، المرجع السابق . ج ١ ، ص ٢٢٩ .
٧٦ - ينظر . عبدالرحمن الحبيبي ، الدلائل ، ج ٢ ، ص ٢٧ . وبعدها - لين بول ، المرجع السابق . ص ٢٨ وبعدها - ابراهيم يهون المرجع السابق ص ٢٤٤ وبعدها .
٧٧ - احمد بدر ، المرجع السابق . ج ١ ، ص ١٩٤ وبعدها - ابراهيم يهون . المرجع السابق . ص ٢٤٥ وبعدها .

وصفوة القول ، اذا كانت الاندلس في عصورها الاولى مقلدة للشام والحجاز حضاريا ، فان هذا الامر لم يكن كذلك بالنسبة للعراق . لان الاندلس في فترة الازدهار من عصر الازحار وبعدها استوعبت التأثير الحضاري العراقي ، ومثلته أحسن تمثيل ، وجعلته قاعدة لبناء الشخصية الاندلسية الثقافية التي بدأت بالنمو والتكوين في القرن الثاني والثالث للهجرة ، ومن ثم ازدهرت في عصر الخلافة الاندلسية ، القرن الرابع الهجري كما هو معروف .

التي بدأت بالغمور تدارجيا . وبدل على ذلك ان احد علماء الاسبان المقاصرين وهو الفارو القرطبي كتب وثيقة في عام ٢٤٠هـ / ٨٥٤م يصف فيها الذعر الذي اصاب بعض الذين كانوا يحتفظون بالعاطفة المسيحية ، فيذكر كيف ان الشبان الاسبان يتقنون اللغة العربية بفصاحة ويقتنون مؤلفاتها ويدرسونها ، في حين انهم يجهلون اداب الكنيسة ولفتهم اللاتينية (٧٨) .

٧٨ - يظفر. بالتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس (القاهرة : ١٩٥٥) ، ص ٤٨٥-عبدالرحمن الحجي ، اندلسيات ج ٢ ، ص ٢٧ ، ص ٥٩ .

Levi - Provençal , Historie del Espagne Musul man , I (Paris : 1950) , P: 225 - 226.

لقد صنف النجاشي عدة كتب في الرجال والانساب مـث كتاب «الانساب بني نصر بن قعين وابائهم واشعارهم» وكتاب «اخبار بني سني» وكتاب «الكوفة وما فيها من الآثار والفضائل» وغيرها^(١١) وحصل على اجازات علمية. منها اجازة حصل عليها من ابي عبد الله بن الحنري عام ٤٠٠ هـ وقد اجازته في مدينة النجف عند مشهد الامام علي عليه السلام^(١٢). واجازات من شيوخه الذين ذكـرهم في كتابه من امثال ابي الفرج محمد علي القناني ومحمد بن علي بن شاذان القمي وابن عبدون والفضائري والمفيد ومن ابيه علي بن احمد النجاشي وغيرهم^(١٣). تعد ثقافة النجاشي الاسدي بغدادية في معظم مراحلها، ذلك ان معظم شيوخه من بغداد، وان كان قد استمع الى غيرهم في النجف وسامراء والجزيرة والبصرة^(١٤). واستقى النجاشي معارفه في كتابه «الرجال» من مصادر عديدة. واعتمد على تصانيف عدوة مثل كتاب «الرجال» لابي عمرو محمد بن العزيز الكشي، الذي وصفه بأنه «فيه اغلاط كثيرة»^(١٥). وكتاب «الفهرست» لابن النديم^(١٦). وكتاب «الطبقات» لسند بن عباد الله^(١٧). وكتاب «ذيل المذيل» للطبري^(١٨). كما اقتبس من جماعة من الرجال. ولكنه لم يذكر مصدرا يعينه من تصانيفهم التي اقتبس منها. كالمصدق محمد بن علي بن الحسين. والبخاري ومسلم والواقدي وابن عقدة وابن بطة ومحمد بن موسى القزويني وغيرهم^(١٩). واقتبس كذلك - من خطي ابي العباس بن نوح وابن الدهقان العباس بن عمر الكلواذاني. فقد نقل من خطيهما بصورة مباشرة^(٢٠). وذكر بصوحا قد اقتبسها ولكنه لم يذكر مصادرها بصورة واضحة كقتفه من اصحاب كتب الرجال والنسب او عن جماعة من شيوخه^(٢١).

ان كتاب «الرجال» او «الفهرست» للنجاشي الاسدي، يرجع في حقيقته الى كونه «مبلا من الاصول» الرجالية المستمدة عند الامامية حتى عد «عمدة الاصول الرجالية نظير كتاب الكافي عمدة الاصول في علم الرجال»^(٢٢)، وهذا الكتاب من الكتب التي اعتمد عليها ابن طاووس في كتابه «حل الاشكال في معرفة الرجال»^(٢٣). وبفضل استناده بهد الله فياض اهمية «رجال النجاشي» بأنه يمتاز عن

لقد رتب النجاشي كتاب «الرجال» وفق حروف المعجم. مبتدئا بحرف الالف. ومن ثم بالحروف الاخرى. فهو يذكر الرجل ونسبه الى جانب مؤلفاته، ومدى وثاقته. وتسلسل رواته. وقد افرغ في نهاية الكتاب بابا لمن اشتهر بالكنية^(١٢٤). فهو قد ذكر منهجه في مقدمة الكتاب بقوله «وقد جعلت للاسماء ابوابا على الحروف ليكون على المتسلسل لاسم مخصوص». وها انا اذكر المتقدمين في التصنيف من سلفنا الصالح وهي اسماء قليلة ومن الله استمد المعونة ثم قال: «وذكرت لكل رجل طريقا واحدا حتى لا تكثر الطرق فيخرج عن الغرض»^(١٢٥). ومن هذا ندرك ان النجاشي لم يكن راغبا ان يكون كتابه في التراجم بقدر ما يكون في ابراز المصنفات والرسائل والتعريف بها. ولكنه جهد للذكر اكبر قدر منها مما كان يوسعه فهو يقول «وقد جمعت من ذلك ما استطعت ولم ابلغ غايته لعدم اكثر الكتب». وانما ذكر عذرا الى من وقع اليه كتاب لم يذكره^(١٢٦). وقد اوضح سبب تأليفه للكتاب في المقدمة، واعينه استجابة مباشرة لرغبة بعض الناس. بعد ان كثر القول باعتقاد الامامية الى كتاب يجمع مصنفاتهم. بقوله «اما بعد فاني واقفت على ما ذكره السيد الشريف اطال الله بقاءه وادام توفيقه من تعبير قوم من مخالفتنا انه لاسلف لكم ولا مصنف، وهذا قول من لا علم له بالناس. ولا وقف

- [illegible]

- | | |
|----|-------------------------------------|
| ٢٣ | مباحث: تاريخ ثرية عند الإمامية ص ٢٧ |
| ٢٤ | الحكم: الشيخ المصطفى ص ٣٦٧ |
| ٢٥ | مباحث: التوحيد ص ١ |
| ٢٦ | ن = ص ٢ |

٣ - النشاط العلمي

وفي مجال التأليف والتصنيف ، كان النجاشي يشير الى الكتب والرسائل ، ويتعرض الى بعضها بالنقد والشرح ، ولكنه في كثير منها لم يسمها ، بل يكتفي بالقول : «له نوادر ، او كتاب ، او اصل ، او مسائل» وأحياناً يصف الكتاب ان كان «كبيراً ، او صغيراً ، او لطيفاً ، او حسناً» ، ويلفت نظر القارئ في بعض الاحيان ان كان الكتاب «متحلاً» ، او فيه تخليط ، اولا بعول عليها^(٣٣) . وهذا يدل على اطلاعه على بعضها ، وبما يؤيد ذلك انه في بعض الاحيان يذهب الى التعريف بجانب من جوانب المصنفات كقوله : «كتاب في الامامة» ، وهو كتاب كبير او حسن ، وكتاب الجامع في ابواب الشريعة كبير ، وكتاب يوم وليلة حسن جيد صحيح^(٣٤) ، ونحو ذلك ، وهو في بعض الاحيان يكون دقيقاً في وصف الكتاب ، كقوله عن كتاب «العباسي» به «كتاب عظيم نحو من عشرة الف ورقة في اخبار الخلفاء والدولة العباسية» رأيت منه اخبار الامين وهو كتاب حسن^(٣٥) . ولكنه يذكر كثيراً من التصنيفات دون تعقيب او نقد اوراق ، والنجاشي على العموم قد اوصل اليها اسماء مجموعة كبيرة من الكتب والآثار .

٤ - المذاهب والفرق الفقهية والكلامية

ذكر النجاشي في كثير من تراجم كتابه ، المذهب الفقهي او الكلامي او الفلسفي لصاحب الترجمة ، ان كان احدهم امامياً ، او زيدياً ، او كيسانياً ، او افضحياناً او واقفياً او خطابياً ، ونحو ذلك . اما اذا تنقل بين مذاهب واخر فانه يشير اليه كقوله كان «معتزلاً بالواقعة ثم عاد الى الامامة ، او كان مجرداً في مذهب الامامة قبل ذلك معتزلاً ، او رجع عن مذهب المعتزلة الى القول بالامامة»^(٣٦) .

لقد اطلق النجاشي لفظ «الخاصة» على رواية الامامية ، ولفظ «العمدة» على رواية اهل السنة^(٣٧) . كما كان يشير الى مكانة صاحب الترجمة من مذهبه ، ان كان فيه «وجهاً» ، او عيناً ، او من غيرهم^(٣٨) . اما بالنسبة الى الغلاة فقد وصفهم بالعناد والتعصب ، ووصف بعض اشاهب المتفرعة عن التسلسل الاثامي بالغلو والمذاهب الزدية^(٣٩) . ووقف من المغالين موقفاً عيافاً . بالقول بانه «فاقد

على اخبارهم ولا عرف منازلهم ، وتاريخ اخبار اهل العلم ولا لقي احداً فصرّف منه ولا حجة علينا من لا يعلم ولا عرف»^(٤٠) . ولعل محيط بغداد يومئذ وما كان يزخر به من علماء ودور علم ومجالس نظر ، وتشجيع السلطة للحركة الفكرية مما حفزه هذه النوع من التأليف ، وقد هذا حلوه الشيخ الطوسي ليكتب هو بدوره كتاباً بيلوغرافياً اخر اسماء «الفهرست» الا ان النجاشي الاسدي كان رائداً بلا شك وسباقاً للتفكير به ، فالمصنفات التي ذكرها ليست كلها في العلوم الشرعية والدينية كالفقه والاصول والحديث والتفسير . وانما فيها كتب اللغة والنحو والشعر والتاريخ والنوادر ، ولكننا نستطيع ان نصف هذا الكتاب ضمن «كتب الرجال» لان التراجم الواردة فيه ، تضمنت التعريف بالراوي بذكر اسمه ونسبته وأحياناً ذكر نسبه وبلده الذي عاش فيه ، والمدن التي رحل اليها وربما ذكر بعض شيوخ المترجم له ، وبعض من روى عنه^(٤١) .

اما هيكل الترجمة الذي اقامه النجاشي في كتابه «الرجال» يتجلى بما يأتي :

١ - الاسم وتوابعه وملحقاته

يذكر النجاشي الاسم كاملاً ، ويلحقه باللقب . ومن ثم الكنية ، وأحياناً تكون الكنية سابقة على اللقب . واللفظ اما ان يكون نسبة الى قبيلة او مدينة او موضع من مدينة او مهنة ، وقد يلحق بالاسم اكثر من لقب ، إذ قد يشترك لقب القبيلة بالمهنة او المدينة او الموضع ، ولكن غالباً ما يكون اللقب الاول هو الاصيل

٢ - الوظائف الادارية والدينية

يشير النجاشي في بعض التراجم . الى وظائف صاحب الترجمة التي كان يشغلها . كمنصب القاضي ، او المحتسب . او الوزير ، او الكاتب ، او الخازن ، او الحاجب ، او النقيب ، او صاحب العسكر ، او الناصر . وفي بعض الاحيان يحدد مكان الوظيفة كقوله : وفي قضاء الكوفة او بغداد او مكة او الري^(٤٢) . او كانت له رئاسة في الكرخ من بغداد^(٤٣) . او كان نقيباً في سامراء^(٤٤) . اما الوظائف الدينية والفكرية ، فكانت تلحق بتراجم بعض الاشخاص ان كان مائلاً لتسجيد او قارئاً او استاذاً او مؤدياً ، او مثلاً ، او لمليداً ، او رواية ، او صاحب صومعة .^(٤٥)

(٣٧) ن . م ص ٢

(٣٨) العمري : بحوث في تاريخ السنة ص ١٦٦

(٣٩) النجاشي : الرجال ، ص ٧٤ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ٢٠٥ ، ٣١٠

(٣٠) ن . م ص ٢٨٠

(٣١) ن . م ص ١٩١

(٣٢) ن . م ص ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٣١١

(٣٣) ن . م ص ١٦٣ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٩٥

(٣٤) ن . م ص ٣٦ ، ٩٧ ، ٢١٦ ، ٢٤٠

(٣٥) ن . م ص ٧١

(٣٦) ن . م ص ١٦١ ، ١٩١

(٣٧) ن . م ص ٢٢٢

(٣٨) ن . م ص ٢٨ ، ص ٢٩

(٣٩) ن . م ص ١١٢ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٩٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨

الاعتقاد ، او غالباً كذاباً ، او فاسد الحديث ونحو ذلك (٤٠) . وكان
يفت من بعض الرجال موقف المتردد كقوله : «غلا في آخر عمره والله
اعلم ، وما رأينا له رواية تدل على هذا ، او انه قيل : غلا في آخر عمره
(٤١)» .

اما اصحاب المذاهب الفلسفية والكلامية فكان يشخصهم بالقول :
من الاشاعرة ، او المعتزلة ، او من الحشويين ، او من اهل الكلام ، او
يقول بالجبر والتشبيه (٤٢) . وهناك القليل من الرجال من كان نصرانياً
واسلم ، فهو يشير الى تنقله الديني هذا (٤٣) .

٥ - الاصول العربية والقوميات

حاول النجاشي ان يشخص بعض الرجال قومياً ، ان كان احدهم
عربياً ، او صليبياً في عروبته (٤٤) . او كان عريباً ويتسمى الى مدينة معينة
كقوله : عربي بصري ، او كوفي ، او قمي (٤٥) . او انه كان عريباً من
ليلة معينة ، كقوله : اللثي عربي ، او العجلي ، او من بني زهرة (٤٦) .
اما اذا كان صاحب الترجمة اعجمياً ، اشار اليه بقوله : من الاعاجم ،
او من الموالي (٤٧) .

٦ - الالقاب والمصطلحات

لقد اوضح النجاشي بعض الالقاب خاصة المتعلقة بالانساب ، اذ
قال ان لفظ «الجعفري» نسبة الى جعفر الطياره ولفظ «القنبري» نسبة
الى قنبر مولى الامام علي (ع) (٤٨) . وقال ان «الطاطري» نسبة لبني
التياب التي يقال لها الطاطرية (٤٩) ، اما لفظ «المسترق» فان صاحبه كان
يسترق الناس بشعر السيد (٥٠) ، ولفظ «المسلي» نسبة الى مسيلة .
وهي قبيلة من مذحج وهي مسيلة بن عامر بن عمرو بن علة بن خالد بن
مالك بن ادد (٥١) ، وسمي احدهم بالحجل ، لانه يعادل الحجل
الكوفي الذي يبيع الحجل فسمي باسمه ، اما السمال فهو الكحال ،
واما الشوب فنسبة الى الثياب البيض من القرز (٥٢) ، وسمي احدهم

بالرجال ، لانه رجل خمسين رحلة من حج الى غزوة (٥٣) .

٧ - المصطلحات الخاصة بالامامية

ميز النجاشي المصنفين من الامامية بالفاظ وتمايز خاصة ، فقد اطلق
عليهم لفظ «الاصحاب» بان يقول لاحدهم : من اصحابنا ، واذا كان
له مقال رفيع قال فيه : عين ، او وجه ، او شيخ ، او متقدم من
اصحابنا ، واذا كانوا جماعة قال «قوم» ، او خلق ، او غير واحد ، او
جماعة ، او جماعات او جملة ، او بعض اصحابنا (٥٤) . وفي بعض
الاحيان يذكر مقام صاحب الترجمة الديني او التعبدية ، ان كان من
الزهاد ، او الاخيار ، او الاجلاء ، ويلحق هذه الاوصاف بعبارة «من
اصحابنا» (٥٥) ، او يحدد مكانته في مدينة معينة ، ان كان شيخاً ، او
عياً ، او وجهاً بمدينة البصرة ، او الكوفة او بغداد ، او الري ، او في
مدينة اخرى ، ويلحق ذلك بلفظ «اصحابنا» ايضاً (٥٦) .

اما اذا كان صاحب الترجمة مذبذباً في «اصحاب الامامية» فيشير
اليه بالقول : جفاه صاحبنا ، او اصحابنا يغمزونه ، او يضعفونه ، او
يطعنون عليه ، وما شابه ذلك (٥٧) . اما اذا كان ممدوحاً اشار الى
وثاقته ، وتعديله ، وموقفه العلمي ، والرواية عنه ، مع ذكر عبارة «من
اصحابنا» (٥٨) .

٨ - المهن التجارية والحرف

في قلة من النصوص نجد النجاشي يذكر من بعض الرجال ، ان
كان احدهم يبيع السابري ، او يقي السوق ، او يورق ، او يصحف ،
او يبيع الخرق (٥٩) .

٩ - الخصائص الخلقية والبدنية

وفي نصوص احادية تلمس الصفات البدنية والنفسية لبعض
الرجال ، ان كان احدهم اعمى ، او انه ولد ولم ير الدنيا (٦٠) . واذا بلغ
من العمر عتياً قال عنه : وفي هذا الوقت علواء (٦١) .

١٠ - المواقع والخطط

يستفاد من نصوص تراجم كتاب «الرجال» بعض الخطط والمواقع ،
ولكن النجاشي لم يحددها . التحديد الدقيق ، فذكر من خطط الكوفة

(٤٠) ن . م ص ١٣٠ ، ص ١٧٦

(٤١) ن . م ص ٣٣

(٤٢) ن . م ص ٢٦٤

(٤٣) ن . م ص ١٧٧

(٤٤) ن . م ص ٥٢ ، ١٦٦ ، ٢٢٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٣٠٠

(٤٥) ن . م ص ١٥٥ ، ١٥٥ ، ٢٠٢ ، ٢١٩

(٤٦) ن . م ص ١٧٧ ، ٨١ ، ١٣٧

(٤٧) ن . م ص ١٤٩ ، ٢٦٩

(٤٨) ن . م ص ٢٢٤

(٤٩) ن . م ص ١٧٩

(٥٠) ن . م ص ١٣١

(٥١) ن . م ص ١١٨

(٥٢) ن . م ص ٢١٠ ، ص ٢١٦

(٥٣) ن . م ص ٦٤

(٥٤) ن . م ص ٣٧ ، ٨٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ٢٠٢ وغيرها

(٥٥) ن . م ص ٨٦ ، ١٦٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧ ، ٢٨٧

(٥٦) ن . م ص ٤٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٦

(٥٧) ن . م ص ٤٨ ، ١٦١ ، ١٦٣

(٥٨) ن . م ص ٦٧ ، ٨٨ ، ٢٧٦ ، ٣٠٢

(٥٩) ن . م ص ٥٠ ، ٦١ ، ٢١١ ، ٢٨٣

(٦٠) ن . م ص ١٢١

(٦١) ن . م ص ٥٣

بالامام الحادي عشر الحسن العسكري (ع). واذا كان لاحدهم كتاب او مسائل او رسالة كتبها عن امام من الائمة اشار اليه (٧٦). او انه صاحب ، او اختص ، او وقف على امام معين ذكر مكانته وعلاقته بذلك الامام (٧٧). واذا كان كاتباً او وكيلاً ، او مولى ، او والياً ، ذلك مبيناً مكان عمله (٧٨) ، وقد تكون علاقته باكثر من امام . ومن الجدير بالذكر انه لم ينوه باصحاب الحسين (ع) سوى وهب بن عامر الذي قال عنه «وهو الذي قتل مع الحسين بكر بلا» (٧٩) . ولم يؤرخ وفيات الائمة الا الامام الرضا (ع) الذي قال انه «مات بطوس سنة اثنتين ومائتين يوم الثلاثاء ثمان عشر خلون من جمادى الاولى» (٨٠) .

١٢ - الاطالة والاقتضاب

جاءت بعض تراجم كتاب «الرجال» طويلة ، حتى بلغت عند صفحات وبخاصة الذين لهم مؤلفات كثيرة ، اولهم مقام رفيع من العلم من امثال اهان بن تغلب ، وابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى ، والحسن بن علي بن فضال ، والحسن بن محمد بن سماعه الكندي ، والحسن بن عبيد الله السعدي وغيرهم (٨١) . في حين ان الكثير من التراجم لم تعد الكتابه عنهم باكثر من سطرين .

١٣ - التخصص الثقافي والفكري

يمكن التعرف على اتجاهات التراجم العلمية من خلال ما عرفوا به في ازمانهم وقد يطفى علم من العلوم على نشاط بعضهم ، وعلى هذا يمكن توزيع هذا النشاط على النحو الآتي :

أ - علم التفسير والحديث والقراءات :

ان اهم ما عني به العلماء المسلمون هو القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، فالنجاشي قد وصف بعض الرجال بالمفسر او من اهل القراءات (٨٢) . واذا كان الشخص محدثاً اشار اليه وذكر درجة علمه في الحديث ، ان كان كثير الحديث او قليله ، او من حفاظه ، او من رواته ، او من اصحاب الحديث (٨٣) ، وقد يوجه النجاشي نقداً الى بعض الرجال بالقول : «مجتلط الامر في حديثه» (٨٤) . او قد يجمع بعض

«طاق الماهل وطاقت عربة ، وكندة ، وصحن اجرم ، وسكة بني خزام» (٨٥) . وذكر قسماً من الرجال قد سكنوا في حي من احياء قبيلة معينة ، كقوله : يسكن في بني هلال او ذهل ، او شيان ، او نعيم ، او اشجع ، وغيرهم (٨٦) ، وقد اوضح ان «عايدة قريش ليس لها بالكوفة وهو مجاور» (٨٧) . ولعله كان يقصد من لفظة «مجاورة» انه في مدينة النجف ومجاورته مرقد الامام علي عليه السلام وذكر من مساجد الكوفة : مسجد سمالك ، وبجيلة . ودار اللؤلؤ ، وورد ذكر جامع الكوفة والاسطوانة منه (٨٨) . وقال عن احدهم انه دفن في جعفة (٨٩) .

اما بالنسبة لمدينة بغداد فقد ذكر من خططها : سوق العطش ، وقطيفة الربيع ، والكرخ ، وميدان الاشنان ، وباب الكوفة ، والنويحية ، ومقابر قريش ، ومشهد العتيقة ، ومسجد الربيع (٩٠) ، وقد حدد موضع الدعاجة بانه خلف باب الكوفة ببغداد (٩١) .

وحدد النجاشي بعض المواقع واعطاها ، او جعل لها تعريفاً جغرافياً بسيطاً كقوله : «ينبى قرية على العلقمي الى جانب الحايرة» (٩٢) ، والساية قرية قريبة من المدينة (٩٣) ، وكرمي من ناحية فساوبين هذه الناحية وبين فساخمسة فراسخ وبينها وبين شيراز نيف وعشرون فرسخاً (٩٤) .

والجازية قرية بالنهرين ، وبوفك قرية من قرى نيشابور ، والسمندي بلد من اذربيجان ، وجلود قرية في البحر . ووادي قنافة يسيل من الشجرة الى المدينة ، والازد ورقاني قرية من سواد الري ، وتروود قرية من كذلك الى سواد البصرة وسواد قاسان (٩٥) .

١١ - علاقة المترجم لهم بالائمة

اوضح النجاشي صلات بعض الرجال بالائمة في الرواية عن احدهم او اكثر من واحد من الائمة ، بدء بالامام علي (ع) ، وانتهاء

- (٦٢) ن . م ص ٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
(٦٣) ن . م ص ١٤ ، ٩٧ ، ٢٣٨
(٦٤) ن . م ص ١٦٦
(٦٥) ن . م ص ٥٣
(٦٦) ن . م ص ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٣
(٦٧) ن . م ص ٢٥
(٦٨) ن . م ص ٣١
(٦٩) ن . م ص ٢٤ ، ٤٨ ، ١٨٣ ، ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٢٨٠
(٧٠) ن . م ص ١٥٩
(٧١) ن . م ص ٩٥
(٧٢) ن . م ص ١٩٦
(٧٣) ن . م ص ١٨٩
(٧٤) ن . م ص ١٧٦
(٧٥) ن . م ص ١٨٣

- (٧٦) ن . م ص ٣٨ ، ١٩٨ ، ٢٥٩ ، ٣٠٧ ، ٣١٨ وغيرها
(٧٧) ن . م ص ٧٨ ، ١٢١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٢٦ ، ٢٦١
(٧٨) ن . م ص ٣ ، ١٢ ، ١٤٤ ، ٢٩٦ ، ٣١١
(٧٩) ن . م ص ١٥٩
(٨٠) ن . م ص ٧٣
(٨١) ن . م ص ٧ ، ١٠ ، ١٢
(٨٢) ن . م ص ٦٨ ، ٧١ ، ٢٤١
(٨٣) ن . م ص ٣٦ ، ٦٧ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٥
(٨٤) ن . م ص ١٢٣

الرجال بين الحديث والفقه والادب وعلم الكلام^(٨٥).

ب - علم الادب واللغة والشعر

خصص النجاشي الادباء واللغويين والشعراء باوصاف دالة على تبحرهم في هذه العلوم ان كان جليلاً ، او وجيهاً ، او صاحب فضيلة ، او انه من شيوخ الادب واللغة او النحو^(٨٦) . وقد يجمع الشخص هذه العلوم ، اضافة الى العلوم الاخرى كالحديث والفقه والسير . ويرجع الرجال الى اصول اسرورية تعاطت الادب^(٨٧) .

ج - علم الرجال والتاريخ والانساب

وصف النجاشي بعض الرجال المعينين بعلم التاريخ والسير والانساب والرجال باوصاف دالة على تبحرهم بهذه العلوم ، ان كان احدهم اخبارياً ، او عالماً بالاخبار والايام^(٨٨) ، واذا كان ذا سمعة كبيرة في مدينة معينة اشار الى كونه من شيوخها ، او شيخ الاخبار فيها^(٨٩) .

د - الفلسفة وعلم الكلام والعلوم الاخرى

خصص النجاشي علماء الفلسفة والكلام بنعوت خاصة بهم ، ان كان احدهم جيد الكلام او من وجوه المتكلمين ، او من شيوخهم ووصف احدهم بانه من «اجدل الناس»^(٩٠) . او كان متكلماً جليلاً ، او حاذقاً ، او مجيداً^(٩١) . وكان بعض الرجال من يجمع الفقه والحديث الى علم الكلام^(٩٢) . ولم يشر النجاشي الى من كانت له معرفة بالعلوم البحتة والتطبيقية سوى علم النجوم^(٩٣) .

هـ - علم الفقه

يحتل علم الفقه مكاناً كبيراً في رجال النجاشي . فهو يذكر الفقيه مع مكانته في الفقه ان كان عارفاً ، او وجهاً ، او رعاً ، او مشهوراً ، او شيخ مدينة معينة في الفقه ، او طائفة معينة^(٩٤) . وكثيراً ما يذكر مكانة الفقيه مع عبارات التقويم ، والتعديل ، والتوثيق^(٩٥) ، اضافة الى تعداد تصانيفه في علم الفقه وغيره .

و - الوعظ والزهد

وصف النجاشي بعض الرجال بصفات زهدية وعبادية ، ان كان احدهم من العباد الخاشعين . او من الصالحين ، او من الفضلاء او الزهاد ، وقال عن بعضهم انه «حسن الطريقة»^(٩٦) ، ولعل هذا القول اشارة الى المتصوفة والعباد من الرجال ، واذا كان زاهداً في قبيلة او اسرة معينة اشار اليه^(٩٧) .

١٣ - مصطلحات الجرح والتعديل

حدد النجاشي موقفه من بعض الرجال ، ووصفهم بما يناسبهم حسب قناعته انطلاقاً من علمه بالرجال ، وفق مصطلحات الجرح والتعديل وبيان احوالهم من حيث قبول الرواية ، اوردها ، وقد اعطى بعض الباحثين الشيخ النجاشي اهمية كبيرة في هذا العلم حتى عد قوله مقدماً على غيره من أئمة الرجال في مقام المعارضة في الجرح والتعديل^(٩٨) ، ويقول الدكتور صبحي الدين ان نقد الحديث بلغ ذروته لدى الامامية في كتاب احمد بن علي النجاشي^(٩٩) .

واذا اراد الشيخ النجاشي توثيق احد الرجال اطلق عليه لفظ «ثقة»^(١٠٠) . وفي حالة التأكيد على ثقته قال «ثقة ثقة»^(١٠١) ، او يضيف الى تكرار لفظ «ثقة» عبارات تزيد في الوثاقة مثل «ثبت ، او لا يعدل به احد ، او عين لابس فيه ولا شك او عين مسكون اليه»^(١٠٢) ، وكثيراً ما يلحق بلفظ «ثقة» ايضاً عدة الفاظ تفصح عن جانب من حياة ذلك الرجل وقدرته على الحديث ، مثل «صدوق ، او عين ، او وجه»^(١٠٣) . اضافة الى بعض العبارات الدالة على التعديل والتوثيق ، ويربط النجاشي بين لفظ «ثقة» ومكانة صاحب الترجمة في علم الحديث من حيث كثرة روايته او قلته او صحيحه او سقيمه . اما بالنسبة للرواية فكان يربط الثقات من الرجال بمكانتهم في رواية الحديث ، ان كان صحيح الرواية ، او نقيها ، او كثيرها ، او قليلها^(١٠٤) . وهي مصطلحات تدل على ما يوجب العمل بروايته او العطن فيها . ويربط النجاشي بين وثاقة الرجل وعلميته في الفقه في كثير من مواضع كتابه ، اذ يكون احدهم «فقيه ثقة»^(١٠٥) . ويلحق بهذا

(٩٦) ن . م ص ٢٤٥

(٩٧) ن . م ص ١٨٠

(٩٨) الفقي : الكنى والالقباب ٢ / ٢٠٧

(٩٩) محي الدين : ادب المرتضى ص ١٨

(١٠٠) النجاشي : الرجال ص ٣٣ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ وغيرها

(١٠١) ن . م ص ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٧٤ وغيرها

(١٠٢) ن . م ص ٣٣ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ٢٧١

(١٠٣) ن . م ص ١٤ ، ٩٢ ، ٢١١ ، ٢٥١ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ وغيرها

(١٠٤) ن . م ص ٧٤ ، ١٣٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٤٠

(١٠٥) ن . م ص ٢٩ ، ٢٧٩

(٨٥) ن . م ص ٣٠٨

(٨٦) ن . م ص ٦٢ ، ٧٩ ، ٧٠ ، ١٥٩ ، ٣١٣

(٨٧) ن . م ص ٢٢٧

(٨٨) ن . م ص ١٩١

(٨٩) ن . م ص ١٦٧

(٩٠) ن . م ص ٢٥

(٩١) ن . م ص ٣٣ ، ص ٤٠ ، ٨٤ ، ٢٧٠

(٩٢) ن . م ص ٣٠٩

(٩٣) ن . م ص ٢٩٠

(٩٤) ن . م ص ١٣٠ ، ص ١٥٠ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ٢٨٢

(٩٥) ن . م ص ١٨٤ ، ٢٨٢

اللفظ عبارات اخرى لها دلالات علمية في منطقة معينة او في طائفة معينة^(١٠٦) ، وفي بعض الاحيان يشير الى كون الرجل عربياً ثقة^(١٠٧) ، او يسمى الى مدينة معينة اضافة الى وثاقته^(١٠٨) ، وقد اعطى النجاشي رايه الشخصي بوضوح في بعض الرجال كقوله : «اصدق عندي لهجة»^(١٠٩) .

اما مصطلحات التضعيف والتجريح فقد اوضحها النجاشي بعدة الفاظ كلها تفيد القلح وتجرید الثقة من بعض الرجال كلفظ «ضعيف»^(١١٠) ، واحيانا يشدد في التضعيف فيقول «ضعيف جداً»^(١١١) . او يضيف الى لفظ «ضعيف» عبارات تؤكد هذا اللون من التجريح كقوله «لا يعول عليه او غمز عليه اصحابنا ، او انه من الغلاة او الواقفة ، او انه يزيد في الحديث او يعتمد على المراسيل»^(١١٢) . ويتدرد الشيخ النجاشي في بعض الاحيان من اطلاق لفظ «ضعيف» على بعض الرجال بقوله : «وضعف بعض التضعيف ، او رمي بالتضعيف ، او انه يروي عن الضعفاء»^(١١٣) .

وهناك الفاظ لها دلالات التضعيف مثل «مضطرب ، او مضطرب الامر ، او فيه اضطراب ، او مضطرب جداً»^(١١٤) ، او القول عن بعض الرجال انه «مختلط الحديث ، او ليس بنبي او يعتقد الحق والباطل معاً ، او انه خلط بعد ان كان ثباتاً»^(١١٥) .

اما بالنسبة للغلاة والواقفة الذين يقفون على احد الاثمة فكان يصفهم النجاشي بفاسدي المذهب او الرواية اضافة الى الضعف ، وقد وصفهم بالكذب والغمز عليهم^(١١٦) ، و اشار الى بعض الرجال انهم من واضعي الحديث ، والرواية عن المجاهيل . والانفراد بالرواية والظمن عليه^(١١٧) .

(١٠٦) ن . م ص ١٢ ، ص ١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٠

(١٠٧) ن . م ص ٣٥ ، ٩٥

(١٠٨) ن . م ص ٣٥ ، ٣٨

(١٠٩) ن . م ص ٢٦

(١١٠) ن . م ص ١٨ ، ٣٩ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ وغيرها

(١١١) ن . م ص ٢٥٨ ، ٢٣٤ ، ٢٩٦

(١١٢) ن . م ص ٤٦ ، ٢٠٤ ، ٢٣٧

(١١٣) ن . م ص ٢٤٧

(١١٤) ن . م ص ٥١ ، ٢١١ ، ٢٤٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٨

(١١٥) ن . م ص ٧٣ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٩٢

(١١٦) ن . م ص ٥٠ ص ٨٨ ، ص ١٩٠ ، ٢٤٧

(١١٧) ن . م ص ٨٨ ص ١٣٠

وكان النجاشي في بعض الاحيان يتردد في ابداء راي قطعي في تجريح بعض الرجال ، ولكنه كان يقدم الفاظا لها دلالات غير بعيدة عن التجريح والتضعيف مثل قوله : فيه نظر ومشكوك في روايته ، وليس بالمتحقق^(١١٨) .

مصادر البحث ومراجعته

البحراني : يوسف احمد (ت ١١٨٦هـ)

١ - لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، مطبعة النعمان / النجف

الحكيم : حسن عيسى

٢ - الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن ، مطبعة الاداب / النجف الاشرف الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .

ابن داود : ثقي الدين الحسن بن علي الحلبي (فرغ من الكتابة سنة ٧٠٧هـ)

٣ - الرجال ، مطبعة دانسكاه / طبعة ١٣٤٦هـ

الزركلي : خير الدين

٤ - الاعلام ، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٤ - ١٩٥٦ م .

الصدر : حسن السيد هادي الكاظمي (ت ١٣٥٤هـ)

٥ - تاليس الشيعية لعلوم الاسلام ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م .

الطهراني : محمد محسن (اغابزرك ت ١٣٨٩هـ)

٦ - الذريعة الى تصانيف الشيعة ، مطبعة الغري والاداب / النجف

٧ - مصنى المقال في مصنى علم الرجال ، الطبعة الاولى . ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩ م .

العلامة الحلبي : جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)

٨ - الاجازة الكبيرة لبني زهرة الحلبيين ، تقع ضمن كتاب الاجازات من «بحار الانوار» طبع حجر ١٣١٥ هـ .

(١١٨) ن . م ص ٢٦ ، ١٠٨ ، ١٣١ ، ١٦٧ ، ٢٣٧ .

٩ - رجال العلامة الخلي ، او خلاصة الاقوال في معرفة الرجال ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية / النجف ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م .

العمرى : اكرم ضياء (د .)

١٠ - بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، مطبعة الارشاد / بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م

فياضى : عبد الله (د .)

١١ - تاريخ الترية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

القسي : الشيخ عباس (ت ١٣٥٩ هـ)

١٢ - سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار ، المطبعة العلمية / النجف ١٣٥٢ - ١٣٥٥ هـ .

١٣ - الكنى والالقباب ، المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م

الكتوري : اعجاز حسين النيسابوري (ت ١٢٨٦ هـ)

١٤ - كشف المحجب والاستار عن اسماء الكتب والاسفار ، مطبعة ينس مشن / كلكتا ١٣٣٠ هـ .

المامقاني : عبد الله بن محمد حسن (ت ١٣٥١ هـ)

١٥ - تنقيح المقال في احوال الرجال ، مطبعة المرتضوية / النجف ١٣٥٠ - ١٣٥٢ هـ .

محي الدين : عبد الرزاق (د .)

١٦ - ادب المرتضى من سيرته واثاره ، مطبعة المعارف / بغداد ، الطبعة الاولى ١٩٥٧ م .

النجاشي : ابو العباس احمد بن علي (ت ٤٥٠ هـ)

١٧ - الرجال (او الفهرست) . طبع اوفسييت ١٣٩٨ هـ .

الرؤية التاريخية عند ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر محمد ابن محمد الجزري في كتابه

« البصائر في الدولة الأتابكية »

الدكتور محمود ياسين التكريفي
كلية الاداب قسم التاريخ
جامعة الموصل

المقدمة :

وان بداية القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد كان يمثل بالنسبة للدولة العربية فترة استقرار، وذلك بسبب تنظيم الدواوين، وخاصة دواوين الانشاء والجنود والبريد واماكن للمشغلين بالتاريخ الانتفاع من هذه الدواوين من معلومات احتوت كتابات تواريخ القرن الثالث للهجرة على عهود رسمية ومراسلات ^{تناسية واحصائية} للمواليد والوفيات ومعلومات عن كبار رجال الدولة من الوزراء والقادة وعمل الولايات (٢) يضاف الى ذلك ما شهدته العصر من نشاط لحركة الترجمة بالإضافة الى سهولة الانتقال في اتجاه الدولة الاسلامية دفعت كثير من طلاب العلم والمؤرخين الى الرحلة في طلب العلم والرواية، فكان نصيب المؤرخين متابعة الرواية وتدوين التاريخ، وهكذا شاركت هذه الظاهرة بلاشك في عملية التطور التي شهدتها الكتابة التاريخية فاذا ما انتصف القرن الثالث للهجرة نجد انفسنا امام مادة تاريخية كثيرة شملت تدوين تاريخ الأمة، واصبح التخصص واضحا اكثر من ذي قبل.

اتسمت الكتابة التاريخية عند العرب في بداية نشوئها على انها فرع من علوم الحديث متأثرة بطريقة المحدثين في جميع الروايات التاريخية ونقدها معتمدين بذلك على الاسناد او الاسناد الحسني فسلكوا بذلك طريقتين لتلك الكتابة الأولى تتمثل عرضا اداة التاريخية على السنين نسبها مقدمة عن بداية حركة التاريخ منذ الخليفة او ذكر نطوفان. ومن بين من سلك ذلك المؤرخ ابو علي الحسن بن جرير الطبري (ت ٣١٢هـ/٩٧٣م)، ومسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) وابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) وابو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، وعرفت الطريقة الثانية بعرض الحوادث على طريقة السرد القصصي بعد تثبيت عناوين لها مرتبة على العهود كما هو الحال عند المؤرخ اليعقوبي والدينوري والمسعودي.

وان التطور في الكتابة التاريخية اعتمد في اساسه على ما توفر لدى الامّة العربية من عوامل الانطلاق الشامل في الحياة العلمية والادارية والاقتصادية والتي كانت بدورها مرتبطة بالاستقرار السياسي للدولة العربية في العصر العباسي الأول فقد قرر ذلك الاستقرار السياسي للدولة العربية في العصر العباسي الأول حركة ابداع شاملة لجميع مظاهر الحياة ولهذا عبر عن كتابة التاريخ في العصر العباسي الذهبي بانها «مرآة لاعظم نواحي النهضة الاسلامية تقدما»^(١).

١- امروثات. علم التاريخ - التبيين. ص ١٢٦٧ ترجمة د. صالح احمد الغلي مؤسسة فرنكلين بغداد ١٩٦٧

٢- مرده رجع عن ذلك التطور في الكتابة التاريخية. د. ربيع حسين محاضرات في علم التاريخ، ص ١٣ (محاضرات الخيت في الجامعة العربية القاهرة. ١٩٧٧ م معهد احباء المخطوطات العربية، القاهرة. جدار عن الالة الكنة، ١٩٧٧ م

ومن زخم الأحداث وفي وسط التغيرات السياسية والصراعات الفكرية والتي نتج عنها تعدد القوى السياسية بانفراط عقد الوحدة العباسية، نرى تعدد الممالك والامارات ونشأت الدويلات شرقا وغربا في الوطن العربي والعالم الاسلامي وكثرت العواصم والخواضر التي نافس بغداد، فظهر في دمشق والقاهرة وحلب والقيروان وقرطبة، واصفهان وغزنة والري وبلخ مؤرخون وعلماء اخلوا على عاتقهم كتابة تاريخ ممالكهم ومدنهم، وكان لذلك الانقسام السياسي والاستقلال الاداري اثر في ازدهار الاقليمي^(٣)، «التاريخ المحلي» بما فيها تواريخ الدول والامارات وتواريخ المدن.

ففي الاولى كتب ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ/٨٧١م) كتابه فتوح مصر والمغرب والبلاذري (ت ٢٧٤ هـ/ في انساب الاشراف وفتوح البلدان وفي الثانية الف الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢ هـ/١٠٧١م) تاريخ بغداد وابن عساکر (ت ٥٧١ هـ/١١٧٦م) تاريخ دمشق. وربما سبقهم في هذا المضمار مؤرخ اخر هو الازدي (ت ٣٣٤ هـ/٩٤٥م) وان لم يكن في عمله قد وصل الى ما وصل اليه المؤرخون السابقون.

واستمرت حركة تأليف الكتب العام تسير جنباً الى جنب مع حركة تأليف كتب المدن والتواريخ السطحية. كما تحددت وجوه التأليف، فوضعت كتب التراجم والطبقات وبصورة عامة نستطيع ان نستنتج ان الكتابة التاريخية للفترة الواقعة ما بين القرنين الثاني والرابع للهجرة اتخذت المظاهر الآتية:-

- ١ - استقلال التاريخ وانفصاله عن الحديث على الرغم من اعتبارنا ان الحديث الاداة الاساسية لكتابة التاريخ.
 - ٢ - تمتع التاريخ والمؤرخون بمكانة عالية، واصبح معه التاريخ علماً قيميا والمؤرخون ذوي مكانة عالية بين العلماء.
 - ٣ - ارتباط التاريخ بالحركة الثقافية للمجتمع العربي والحياة الاجتماعية^(٤) من منطلق «ان التاريخ كان دائما يمثل مركزا اكثر تواضعا كوسيلة لحفظ منجزات الفكر الاسلامي»^(٥).
- واخيرا فان ما وضع في هذه الفترة والعهد اللاحقة من مؤلفات تاريخية تمثل

واقع المرحلة الثقافية في جوانبها المشرقة التي مربها الوطن العربي والعالم الاسلامي. كما جاءت تعبيراً عن وضع اسس ثابتة لتطور الكتابة التاريخية الحديثة عن المشرق والمغرب معا.

وان احتواء المكتبة العربية لكتب التاريخ العام اخذت تزاد سنة بعد اخرى مما وضعه البعقوني والطبري والمسعودي والمطهر بن المقدمي، وما كتبه مسكويه في كتابة تجارب الامم، وما اضافة ابن الجوزي في «المنتظم» وحفيدة سبط بن الجوزي في «مرآة الزمان» الا دليل على نشاط تلك الحركة ثم جاء ابن الاثير الذي ألف كتابه الكامل في التاريخ نشره (C.J.Tornberg) ١٤ جزوا (لندن، ١٨٥١م-١٨٧٦) وابو الفداء «المختصر في اخبار البشر» ١٤ جزوا (استانبول ١٨٧٠م) دليل اخر على ذلك التطور.

ان الذي يهتما في البحث هو ابن الاثير الذي ألف اربعة كتب في التاريخ كان اشهرها (الكامل في التاريخ) وهو موسوعة كبيرة في التاريخ العام بدأه بأول الزمن «بدء الخليقة» وربت حوادثه على طريقة الحوليات «السنين» مع ذكر جميع تفاصيل الاحداث التي تقع يوما بيوم وشهرا بشهر وسنة بعد اخرى معتمدا على الصدق في الرواية عن طريق اعادة صياغة الرواية بعد سماعها مع التزام بفواصل السنين للاحداث المفصلة وعدم تكرار ذكرها^(٦) ووجز خبر مؤلفه هذا ابن خلكان بقوله «ابتدأ فيه من أول الزمان الى اخر سنة ثمان وعشرين وستائة»^(٧).

ويأتي كتابه الثاني «التاريخ المباشر في الدولة الاتابية ضمن الكتب الاربعة المشهورة والتي ألفها ابن الاثير، وهو من كتب التواريخ المحلية» «الخاصة».

اختص ببحثه في تاريخ احدى الاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي وهي اسرة آل زنكي «الاتابية» ويعود الفضل الى تأسيس حكمها الى قسم الدولة «اقسطنقير - الحجاب في الموصل سنة ٤٧٧ هـ، وكانت محتويات الكتاب تضم احداث هذه الاسرة ومعطيات السياسة فيها الى سنة ٦٠٧ هـ/١٢١١ وهي سنة بدء ولاية القاصر مسعود الذي اهدى اليه الكتاب اعترافا بفضل اسلافه على اسرة ابن الاثير^(٨) الى جانب ذلك فقد عرف عنه انه وضع كتابين آخرين هما «اللباب في تهذيب الانساب» و«اسد الغابة في معرفة الصحابة».

فالاول من وضع ابي سعد عبد الكريم بن السمعاني وتأليفه واختصره ابن الاثير^(٩) والثاني شمل تراجم الصحابة والصحابات الذين

٣ - هـ. أحمد محمد الحوفي. الطبري ١٨٠ - ١٨١. مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٦٣م

٤ - يقدم لاد عبد العزيز الدوي حسن دوافع الكتابة التاريخية فكرة اولية عامة عن الكتابة التاريخية السائدة عند العرب حتى نهاية القرن الثالث للهجرة. انظر هـ. عبد العزيز الدوي. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ١٣٦٠.

٥ - راجع فراروروشال علم التاريخ عند المسلمين: ٢٨١، هـ. أحمد الحوفي ١٨٠ - ١٨١

٦ - سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين / ٩

٧ - ابن خلكان: ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد: «وليات الاعيان: ٣٤٨/٣ (تحقيق د. احسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م)

٨ - سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين: ٨.

صحبوا الرسول الكريم (ص) (ص) في حياته^(٩) وله كتاب اخر لم يشتهر مثل كتبه المشاركة اليها هو كتاب (وتحفه المجائب وطرافة القرائب) لا يزال غطوط وعلى مايلو وانه لايقع ضمن كتب التاريخ لان مادته اخصت فيما لا يابده القدرة الربانية منع عجائب المخلوقات ، وغرائب الموجدات (وجدات)^(١٠) وبصورة عامة فان ابن الاثير استطاع ان يساهم في حرجة تدوين التاريخ عن طريق ماكتبه في التاريخ العام بكتابة (الكامل) وما دونه لنا من معلومات في كتابه المهلي (الكلبي) الباهر في الدولة دلتولة الاتابكية ، في الاول فصل باكثرية الاحداث التاريخية التي تناولاها الكتاب في حين فجع في الثاني بأسلوب مهمة من المشرق لالعربي هي دولة الاتابكية في الموصل .

وعليه يمكن التركيز على نقطتين اساسيتين هما :

١ - الدوافع التي دفعت ابن الاثير الى كتبه الباهر .

٢ - طبيعة الكتابة التاريخية عند ابن الاثير في الباهر .

١ - الدوافع التي دفعت ابن الاثير الى كتابه الباهر :

المهم امامنا ان نعرف مسبقا على الدوافع التي حدثت بأبن الاثير في ان يكتب الباهر في الدولة الاتابكية لكي نتاح الفرصة من خلالها التعرف على الرؤية التاريخية عند ابن الاثير ، ويمكن للقارئ ان يتعرف بسهولة على الدوافع التي وضع كتابه من اجلها من خلال مطالعة مقدمة كتابه الباهر التي كتبها بأسلوب مسجوع ويأتي في مقدمة تلك الدوافع .

أ - فضل الاسرة الاتابكية على اسرة ابن الاثير : فقد كان للاتابكية الفضل الكبير على اسرة ابن الاثير ، من خلال ماغررت به من كرم واحسان وكان اكثرهم فضلا هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان - صاحب الموصل - والذي الف من اجله كتاب الباهر والذي حكم من سنة (٦٠٧ هـ - ٦١٥ هـ) ودعنا نلتقي مع مقاله ابن الاثير حول ذلك الفضل واما بعد والذي غمرنا من انعام هذه الدولة العزيزة القاهرة ، والايام الاتابكية الزاهرة ، وشملنا من احسانها واتالتنا من عز سلطانها فقد اشتهر خبره وطاب خبره وطار ذكره في الافاق وتحدث به الرفاق ...^(١١)

٩ - ابن علكان : وفيات الاميان : ٣ / ٣٤٨ .

١٠ - احمد طيحات : من ملزمة له في تحقيق الاثير : الباهر في الدولة الاتابكية : ١٤

١١ - المرجع السابق : ١٤ .

١٢ - ابن الاثير : الباهر في الدولة الاتابكية : ١

ب - بدء توفير الرغبة لديه من اجل ان يؤرخ للأسرة الاتابكية ، ويتضح هذا من خلال قوله «وكنت عازما على ان ادون اخبارهم واجمع اثارهم واذكر ما من الله سبحانه وتعالى على الاسلام والمسلمين وما حفظ من ثغورهم بجلادهم وماصب على الفرنج من العقاب بايديهم ...»^(١٢) وهكذا يطرح لنا ابن الاثير عامل اخر من العوامل التي دفعته بالكتابة عن تاريخ الاسرة الاتابكية ... ويكمل بقلمه الصورة لذلك الدافع بأن جهادهم ضد الفرنج كان يقف عاملا مها دفعه بأن يؤرخ لدولتهم الى اجانب هذا ما اثبتته الملك القاهر ابو الفتح مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي - اقسفر - من حسن السياسة والتدبير لأنه سار على خطى ونهج والده الملك السعيد نور الدين .

ج - يضيف سببا ثالثا هو حبه وولعه بتاريخ ملوكهم ، فقد دفعه الى تسجيل مناقبهم ومواقفهم في الحروب التي خاضوها في سبيل نصره الدين وذبحهم على حوزة المسلمين^(١٣) .

ان ماسبق يعبر بوضوح عن الاسباب التي دفعت ابن الاثير الى اختيار هذه الاسرة ليؤرخ لها ، وهو بلا شك يمثل باجتماع تلك العوامل مع عوامل اخرى تعود الى طبيعة الكتابة التاريخية السائدة في الفترة التي عاش بها ابن الاثير وهي اواخر القرن السادس للهجرة والعقد الاول من القرن السابع للهجرة ، رسم لنا معا الصورة الحقيقية للرؤية التاريخية عند ابن الاثير في كتابه «الباهر» في الاول :- من خلال قراءتنا في الباهر نرى ان مجمل مادون فيه يهتم بالتاريخ السياسي وخاصة العسكري في حين غلب على الجوانب الاخرى الاهتمام بسيرة ملوك الاسرة الاتابكية بالموصل ، وعلى الرغم من تصريح ابن الاثير في مقدمته بأن الكتاب اهم بملوك الاسرة الا انه لا يألو جهدا في ان يتطرق الى ذكر الخلفاء والساطين الذين عاصروا ملوكهم ، كما انه لا يخل في ان ينقل القارئ الى الكلام عن فخر الدولة ابن محمد ، وعن وفاة عز الدين الديلمي ، ابو بكر صاحب الجزيرة - كما يتحدث عن احوال بغداد العباسية الى جانب شرحه للحالة السياسية لكل من المسلمين والافرنج ، ويذكر بعض الحوادث التي وقعت لبغداد كما يذكر بعض الحوادث التاريخية تحت عنوان «معرفة حسنة» وما ذكره ماوقع للايوبيين من احداث في عهد الاتابك نور الدين محمود الى قيام دولتهم وانقراض الفاطمية^(١٤) .

١٣ - المصدر السابق : ١ - ٢ . ويشير المرجع ٥ . فصل السامر الى مثل ذلك الجهاد ضد الفرنج : راجع فصل السامر ابن الاثير : ١٤٩ ، ١٥٠ - ١٥١ .

١٤ - المصدر السابق : ٣ .

١٥ - راجع بهذا الصدد مادون في كتابه الباهر - بالصفحات ٥ - ٨ - ٩ الخلافة ٢٠ - ٢٢ - ٢٥ ، السلاطين : ٤٢ - ٤٣ احداث الخلافة ٤٧ - ٥٥ ، الافرنج والمسلمين ، ص ٨٩ - ١٠٤ عز الدين ابو بكر الديلمي ص ١١٢ - حصار الملك محمد لبيضاء سنة ٥٥٣ هـ : ص ١١٣ الايوبيون : ١١٩ - ١٢٢ - ١٣٣ - ١٣٧ - ١٤١ سقراط الدولة الفاطمية ١٥٦ ، وصول صلاح الدين يوسف ابن ايوب الى دمشق : ١٧٦ .

ان ما مر بنا لا يمثل كل الرؤية التاريخية عند ابن الاثير لان المادة التاريخية في كتابه الباهر شملت الحديث عن عظمة البيت الزنكي ففصل وافاض الحديث عن المعارك التي دارت بين الصليبيين وبين كل من حاد الدين زنكي ونور الدين كما نراه في الجانب الاخر يزهو ويفتخر في بعض المناسبات التي تعود الى الزنكيين كسخرته بالصليبيين لمياط فيقول : «ذهبت النعامة تطلب قرنين فمادت بلا اذنيه»^(١٧) والتي كان من نتائجها هزائمهم المتكررة ، وكذلك حينما استولى الصليبيون على مركبتين تجاريتين للمسلمين وذلك ٥٦٧ هـ - ولما كان على نور الدين محمود الا ان يجمع العساكر ويحاصر بها حصونهم وقلائعهم بالشام فهاجم حصن عرقه وخرب وارسل طائفة من الصكر الى حصن صافيتا وعريمة فأخذها عنوة وكذلك غيرها.....^(١٨)

ولما علم الفرنج ماحل بحصونهم وخاصة بولاية طرابلس راسلوه وبذلوا اعادة ما اخفوه من المركبين على ان يعمدوا الهدنة معه فأجابهم الى ذلك الى جانب هذا انه حصل في الكلام عن سيرة ملوكهم وحياتهم مما يدل على ان كتابته اقتصت في تاريخ اسرتهم ، وبهذا شغل كتابته عن الاتابكية في الباهر مساحة اكثر مما كتبه عن الايوبيين على الرغم من انه يصل الى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م وهي السنة التي برز فيها صلاح الدين كسياسي وكفائد معا من بين صفوف الجاهل العربية وينتج في كتابته نحو الاسهاب في تدوين الاحداث التي جرت بعد وفاة نور الدين وخاصة توجه صلاح الدين الى دمشق واستيلائه عليها او اثناء استعراضه لعلاقة صلاح الدين مع حلب على عهد ملكها الملك الصالح ابن نور الدين محمود الزنكي ، مما يثبت لنا انه يتعامل ولو من طرف غني مع الدولة الجديدة والبلولة الايوبية وكما عبر عنه بعبارة اخرى اذق «ولما اقبلت الدنيا على صلاح الدين وادبرت عن سادته الاتابكية بحبس المؤرخ مشاعره واحساساته ويميز من الاسهاب في تدوين الاحداث المبكية التي انزلها بهم صلاح الدين والتي حلت بهم بعد وفاة كبيرهم السلطان نور الدين»^(١٩).

ان تسجيل الحوادث الاخيرة والمشار اليها كانت امامنا مجرد تجربة في مجال كتابة التاريخ المحلي - انتهجها ابن الاثير ونجدها بنفس الوقت في كتابة الكامل ولو انه كتبها بدقة اكثر وبصدق واضح في الاخير مادون في الكتابين وبنفس الموضوع التاريخي كما هو الحال في كتابته عن صورة العلاقة بين صلاح الدين والزنكيين الا ان صدقه مع الباحث يجيب الشك ويضعف النقد من خلال الاشارة الى تلك المواضع وعلى مساحة واسعة في كتابه الكامل والذي ساء «المستقصى في التاريخ» ويكتفي ان نشير الى مادونه في الباهر عن سيرة الملك القاهر حيث يكشف هذه الناحية بقوله «وهذه نبذة يسيرة عن محاسنه تليق بهذا المختصر وقطرة من بحر مكارمه تناسب هذا العصر ولو اردتها مفصلة لحزنا عما اعتدناه وتركنا ما قصدناه ، ونحن انشاء الله تعالى ناقي على كثير من ذلك في المستقصى في التاريخ»^(٢٠).

ان صرف النظر هذا ربما فسر بأنه لكي لا ينخدش كبرياء الملك القاهر الذي ألف له الكتاب واكتفى باحالة القارئ الى كتابة الكبير «الكامل»^(٢١) وعليه يمكن القول ان من اهم الملاحظات على الباهر هي :

أ - الباهر : كتب بروح علمية جمعت بين التاريخ السياسي والتاريخ المحلي الا انه اسقط من التدوين حركة المجتمع لان التاريخ للمجتمع وليس فحسب للسلاسة والاقاليم .

ب - ان اهتمام ابن الاثير الحقيقي في مؤلفه يتركز حول جانب مهم من سياسة الاتابكية في الموصل وان مادونه جاء معبرا عن وجهة رسمية فلا بد من التقيد بما تحمله من توجيه فهي التي تحدد المسار التاريخي - للتاريخ السياسي لانه كما عرف عنه انه مؤرخ القصر والبلاط .

ج - لم يكن الحياد صفة عامة عند ابن الاثير في كتابه الباهر وهذه الصفة تحمل القارئ والدارس بأن يراجع ما كتبه في الكامل فالاختلاف واضح بين الكتابين وان اختلف الاسلوب بينها فقد ركز في الباهر حول شخصية عماد الدين الزنكي ، ونور الدين محمود فقد لانجدها في الكامل كما اشار الى بعض نظم الاتابكة في الموصل الاجتماعية والاقتصادية والعلمية^(٢٢) في حين اغفلها في الكامل ، الى جانب انه اسهب في ذكر الاحداث التاريخية المعاصرة ، ومن هنا يصح القول ان كتابه جاء خاليا من روح النقد كما اشرنا ، تنقصه قواعد الجرح والتعديل على الرغم من انه حوى احداثا وتفصيل تاريخية لم

من التقيد بما تحمله من توجيه فهي التي تحدد المسار التاريخي - للتاريخ

٢٠ - المصدر السابق : A .

٢١ - سحولي : المرجع السابق : A رابع فصل السار : ١٤٨ .

١٦ - ابن الاثير : الباهر : ١٥٣ .

١٧ - المصدر السابق : ١٥٤ - ١٥٥ .

١٨ - سحولي : للتزيين : A .

١٩ - الباهر في الدولة الاتابكية : ٢٠٤ .

لا يمكن ان تظل رغبة المؤلف واخباره عامة (٢٢).

٢- طبعة الكتابة التاريخية عند ابن الاثير:

لا يمكن ان تظل رغبة المؤلف واخباره عامة (٢٢).

٢- طبعة الكتابة التاريخية عند ابن الاثير:

اما طبعة الكتابة التاريخية للفترة التي عاش فيها ابن الاثير فكانت فترة تمثل الاهتمام في كتابة التاريخ العالمي واستخدام الترميم الحولي والسنين اساسا للتأليف وكان ابن الاثير احد اولئك المؤلفين - وهذا واضح في كتابه الباهر: فان انفراد عقد الوحدة السباسب لدولة الخلافة منذ منتصف القرن الرابع الهجري تركت اثرا واضحا في المؤلفات التي وضعت فيها بعد هذا التاريخ اذ تفرغ لهذا الغرض بعض الموظفين والمقرئين الى القصر والبلاط كتبوا ودونوا التاريخ السياسي لذلك البلاط والقصر، وكان ابن الاثير من هذا النوع وبمجرد الرجوع الى سيرته نستطيع ان نتعرف عليه كمؤرخ من مؤرخي القرنين السادس والسابع للهجرة وان عصره رقد وعطاء لحركة التلويح التاريخي فقد ادرك ابن العديم وت ٦٢٨ هـ (٢٢) وهو احد شيوخه وقد اخذ بعض رواياته منه كما كان من معاصريه ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) الذي التقى به في اواخر سنة ٦٢٦ هـ في مدينة حلب (٢٣) وسقط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) الذي اخذ منه ونقل عنه وكان يعتنه بالامتداد (٢٤)

واذا تعرفنا على ثلاثة من كبار المؤرخين الذين عاصروه وعاش معهم فانه اخذ عن الكثير ودرس وتابع على شيوخ آخرين ذكرهم في كتابه الكامل كما اخذ معظم رواياته في الباهر عن والده حيث عاش في كنف الاسرة الزنكية بالموصل وهذا نلتقي مع نصريح ابن الاثير حول هذه النقطة في مقدمة كتابه الباهر حيث يقول: «وقلت اكثره عن والدي رحمه الله تعالى فانه كان راوية حسناهم وعين الحفي بمحركاتهم وسكناتهم وقد فاني كثير مما سمعته منه، لاني جمعت هذا القدر من حفظ بعد وفاته ولم اثبت قلمي في حياته ومع هذا فاني تعمدت ترك الاكتار لميل الناس في زماننا الى الاختصار» (٢٥).

اما مكانته السياسية او الادارية فلم يذكر عنه الشيء للامتنع بانه تقلد منصب او وظيفة في هذا المجال الا ما اورده ابن خلكان بانه قدم بغداد مرارا حاجا

ورسولا من صاحب الموصل (٢٦) وبهذا يبقى اسم صاحب الموصل مجهول فلم يعلم من هو الذي اوفده؟ ولاي غرض اوفده؟ فحين ذهب ابن الاثير بعد من هذا بالقول بانه وزير لبعض ملوك الموصل (٢٧) ويبقى اسم هذا الملك مجهولا يظهر لك ان ابن كثير لخطا في اطلاق صفة الوزارة على ابن الاثير فان الذي استوزر هو اخوه ضياء الدين للملك الأفضل الايوبي في دمشق (٢٨).

وان تنقله بين الموصل ودمشق وبغداد وحلب كان للدراسة وتبعية العلم والفكر والحديث فضلا عما عرف عنه بانه كان مولعا بدراسة التاريخ كل هذا كون له خلفية تاريخية انطلق من خلالها الى تلويح التاريخ بابلاضافة الى معاشته لواقع الاحداث في داخل قصر الاسرة الزنكية بالموصل ولم يغرد وحده بالاسلوب الذي ساد في فترة حياته والذي كان يمثل طبعة الكتابة التاريخية السائدة في عصره فهناك مؤرخ عاش في القرن السادس للهجرة لاحد الاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي هي يوسف بن علي بن الازرق الفارقي (٥١٠ هـ - ٥٧٩ هـ) واخطب منونا لكتابة تاريخ ميافارقيين وجعله على غرار تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ونهجه وتاريخ الموصل لمحمد بن علي الشمشاطي الذي الفه لقراوش بن المقلد العقيلي ومع هذا فانه جمع فيه احداث هذه الخلافة العباسية في بغداد واستعراض الجوانب من سياسة الدولة الايوبية ومن الذين اخذوا عنه في تواريحهم هو ابن الاثير وهذا واضح في بعض نقوله في الكامل الا ان مؤرخنا ابن الاثير لا ياصح عن ذلك اذ اهل ذكره مثالا عمله بالقوت الحموي (٢٩) والملاحظ على كتاب الفارقي انه قلد من سبقه في الاسلوب على الرغم من كون كتابه اختص بتاريخ أسرة «دولة حاكمة» وجاء عنوانه ليقع ضمن تواريخه المدن فهو بلاشك تاريخ محلي كتبه على الحوليات والسنين.

وننتقل معا الى استعراض كتاب آخر: هو من تأليف مؤرخ عاش في عصر ابن الاثير هو «تاريخ اربل» من وضع شرف الدين ابي البركات المبارك بن احمد الذهبي الاربلي المعروف بالمستوفي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م).

٢٢- راجع ما ذكره ضمن حوادث سنة ٥٥٩ هـ وفي وقعة قائمة حارم مع الفرنج وينقل عن المؤرخ كمال الدين بن المديم: ابن الاثير: الباهر ١٢٦.

٢٣- ابن خلكان: وفيات الاعيان: ٣: ٣٤٩.

٢٤- سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: ج ٢: ٨: ٣٢٠ (مطبعة حيد اباد الدكن، ١٩٥١ م).
٢٥- ابن الاثير: الباهر: ٣ دون تلك الحوادث كما يلي في حالة مقارنة عاد الدين زنكي للبرصق واتصاله بالسلطان عمود الباهر: ٢٧.

في مقل سطر البرصق سنة ٥٢٠ في حصار الخليفة المسترشد الموصل: ص ٤٧ وفي حوادث سنة ٥٢٦ هـ: ص ٤٧، وفي مقتل عاد الدين ص ٢٧٤، ص ٨٢. الخ.

٢٦- ابن خلكان: وفيات الاعيان: ٣: ٣٤٩.

٢٧- ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي: البداية والنهاية في التاريخ: ١٣: ٢٠٥ (مطبعة السعادة، القاهرة).

٢٨- ابن كثير: الباهر: ٩.

٢٩- احمد بن يوسف بن علي بن الازرق الفارقي: تاريخ الفارقي مدونيا فارقي: ٢٣ (تحقيق د. بدوي عبد اللطيف، القاهرة ١٩٥٩ م).

ان هذا الكتاب يقع ضمن تواريخ المدن، ساريا على طريقة استعراض التراجيم وبهذا يسلك في كتابه طريقة تختلف عما اتبعه ابن الاثير، لانه اراد به التعبير عن التاريخ العام زويكون لمنهج هذا قد اجاد التمييز عن الطبيعة التاريخية التي كتبت بها التواريخ العام، وبهذا يكون بعيدا كل البعد عما كتبه ابن الاثير في كتابه (الباهر في الدولة الاتابكية) وهنا نصبح امام منهجين مختلفين يمثلان جيلا واحدا من المؤرخين قريبا، احدهما استعرض الاحداث التاريخية على طريقة التراجيم والاخر على طريقة الحوليات والاثنين يبحثان في تواريخ المدن، اما ابن الاثير فقد يبحث في التاريخ المحلي الا ان طليعة الكتابة التاريخية تبقى هي السائدة على اسلوب التاريخ لان ما حدث من تطور في الكتابة التاريخية منذ القرن السادس للهجرة وشمل كتابه التاريخ العالمي والذي يمثل في هذه المناسبة وهو استخدام القوائم بشكللا من اشكال العرض التاريخي^(٣٠). ومع وضعا ابن الاثير مع هذا الصنف من المؤرخين كما في كتابه الكامل الا ان كتابه الباهر، قد يرتفع عن المستوى العادي للجامع المحلي^(٣١).

في الكتاب الاخير يكون قد ارجع للفترة الواقعة ما بين سنة ٥٦٩ هـ - ٦٠٧ هـ، الملك الموصل باختصار كذكر سيف الدين غازي (الثاني) الى سنة ٥٧٦ هـ واخبار عز الدين مسعود قطب الدين مودود وافته سنة ٥٨٩ هـ، وكذلك اخبار نور الدين ارسلان بن مسعود سنة ٦٠٧ هـ ومع الاختصار نراه هنا بدون اختيار قليلة عن علاقتهم مع صلاح الدين الايوبي وخلفائه ثم تعود لفرض انه يهتم اخبار كل ملك في ذكره هذه الاحداث وخاصة علاقة الزنكي بالايوبين وبالذات صلاح الدين في الباهر يختصرها اختصارا غير متقن حسب ميوله الشخصية وربما استخدم هذا الاسلوب في بعض الحوادث في كتابه الكامل^(٣٢) وهكذا نلتقي مع اسلوب ابن الاثير في كتابين وفي مادة كتبها عن الاسرة الزنكية بانه يختصر ويغيب او يهدف حسب ميوله وزعمته الشخصية وهذا ناتج بلا شك من طبيعة المؤلف او المؤرخ الذي تسميه بهذا الانحياز وترسم له الرواية التاريخية هي واقعية التاريخ وطبيعة التاريخ السائد في تلك الفترة، التي عاش فيها ابن الاثير، فترة سادة مهمة التأكيد على الصلة القائمة بين كتابه السيرة وبين التاريخ السياسي وعلى مهمة التأكيد حول تصانيف التي تناول التاريخ العام.

ان ابن الاثير في كتابه الباهر يجمع في التأليف عن التواريخ المحلية في حين نجح بالكامل في الكتابة عن التاريخ العام، في الاول يبقى مشهودا الى متطلبات السياسة ودرجاتهم في حين سلك بالثاني ثقافة اسلامية في اطار النظرة العالمية وزعمته الانسانية حيث انه - من بدء الخليفة ادم عليه السلام الى حين وفاته وفي كلا الحالتين خدم التاريخ وقد في الكامل معلومات لا يتسهان بها فهو عمل عظيم موثوق به^(٣٣) اما في الباهر فان عمله هو الاخر لا يمكن الاستغناء عنه لان ما دونه من مادة تاريخية أصبحت مصدرا للمؤرخين الذين اعقبوه كما كان حجم خدمة التاريخ وطلابه اذ ينجح في معالجة المواضيع التي عاش فيها ابن الاثير كما ان كتابه احد اعلامها وبقي كتابه التاريخ العالم الاسلامي بنظرة علمية وعقلية مفتحة لنتقي من خلالها مع حركة التأليف هذه والتي ظهرت منذ بداية القرن الثالث عشر للميلاد وكان في مقدمة روادها المؤرخ ابن كثير وابو الفداء والجميع استفادوا من مادة ابن الاثير^(٣٤) وعليه فاما دونه ابن الاثير في كتابه الباهر يمثل جزءا من حركة التدوين التاريخي للامة بالرغم من كونه كتابه اهتمامه بتاريخ اسره او دوله. لان حركة التدوين للاحداث فيه تتجاوز اطار التاريخ المحلي، لينقل الجميع الى مكان يبعد في بغداد او الشام وبلاد الجزيرة من احداث مجسدا اهتمامه بتاريخ الامة وتناقضا.

٣٠ - فرائز روزنتال : نفس المرجع : ٢٠٠

٣١ - المرجع السابق : ٣٠٠

٣٢ - ابن الاثير : الباهر : ١٦ - ١٧ : الكامل في التاريخ : ١١ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ ، ١٢ : ١٠١ - ١٠٢ ، ج ١٢ : ٢٩١ - ٢٩٣ ، وعن علاقتهم مع صلاح الدين ، ذكرت في اماكن متعددة من الجزئين ١١ ، ١٢ (الكامل) دار صادر ، بيروت.

٣٣ - فرائز روزنتال : نفس المرجع : ٢٠٠ - ٢٠١

٣٤ - استفاد المؤرخون الآخرون من كتابه حول الاسرة الزنكية الاتابكية امثال ابو شامة في كتابه الروضتين وابن واصل في مفرج الكروب في اخبار بني ايوب... انظر ذلك : فيصل السامر : ابن الاثير : ١٤٧.

دور إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي

في أحداث العراق السياسية

آبائ المحكم الأموي

الدكتور خليل شاكر حسين

كلية التربية - قسم التاريخ

جامعة الموصل

٦٦ هـ - ٧٢ هـ

وهو الذي ترك إبراهيم بالامس وصيا يلعب بالحمام^(٣) ، عندما كان واليا على العراق ونحن ازاء هذين الاشليتين نعتقد أن إبراهيم كان صغير السن وهو سبب مهم جعله غير مرئي امام واجهات الاحداث ، فلوان إبراهيم قد قام بدور ما في الأحداث السابقة الذكر لشارت اليه المصادر الاصلية .

ومها يكن من أمر فإن شخصية إبراهيم النخعي لم تأخذ مكانها البارز على مسرح أحداث العراق الا في مساهمته في حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٦ هـ ، وهو امر تتفق عليه جميع المصادر المبكرة والمتأخرة . ونجد من المناسب قوله في هذا الباب ان إبراهيم كان لا يريد ان يغمس نفسه في أحداث مصره وهو الكوفة لان تلك الأحداث لم تكن مضمونة النتائج فضلا عن اعتداده بنفسه واعتقاده انه يمتلك من الصفات التي تؤهله لان يلعب دورا قياديا لا دورا ثانويا وهو امر لا يرتضيه لنفسه . ولذا نراه يطلب ان تناط به قيادة الحركة التي اعددها المختار الثقفي وذلك عندما جاء وفد من اشراف الكوفة يعرضون على ابراهيم الانضمام الى الحركة^(٤) . فعن أبي عصف بذكر الطبري وابن اعثم الكوفي ان المختار الثقفي احس بحاجة لشخص ابراهيم بناء على نصيحة اصحابه اذا ما أراد لحركته النجاح وذلك بقولهم « . . . انه فتي بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عز وعدد»^(٥) .

لم تتوفر لدينا معلومات دقيقة حول حياة ابراهيم بن مالك الاشتر المبكرة حتى تتمكن من تحديد الادوار التي قام بها في الاحداث السياسية التي شهدتها الدولة العربية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) والاحداث التي وقعت خلال خلافة الامام علي بن ابي طالب (ع) والدور الذي قام به مالك الاشتر في دعم موقف الامام علي بن ابي طالب (ع) . والجدير بالذكر ان بعض الباحثين يرجعون اشتراك ابراهيم النخعي في معركة صفين مع ابيه الى جانب علي بن ابي طالب (ع) ضد معاوية بن ابي سفيان^(٦) . ومع ذلك فأنا نجد المصادر الاولى لا تذكر اسم ابراهيم في حوادث لاحقة بتولي الحسن بن علي (ع) للخلافة ثم بتنازله عنها لصالح معاوية بن ابي سفيان . كذلك فان المصادر المبكرة تازم الصمت امام اي دور قام به ابراهيم اثناء مقتل الحسين بن علي (ع) وخلال ظهور حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي في الكوفة مسقط رأس ابراهيم النخعي ومصره .

بيد اننا نمتلك اشارتين اوردهما المؤرخون القدامى ، فتذكر الاولى ان ابراهيم كان شابا حدثا اثناء قيامه بدوره البارز في حركة المختار الثقفي في الكوفة^(٧) . والاشارة الثانية وردت على لسان عبيد الله بن زياد عندما رأى ابراهيم يقود جيش الكوفة لمقاتلة جيش الشام في وقعة الحازر بالقرب من الموصل . فقد استغرب عبيد الله بن زياد من جرأة ابراهيم

(٣) ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتح ج ٤ ، ص ١٧٥ ، ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد

الفريد ، ج ٤ ، ص ٤٠٥ .

(٤) الطبري ، ج ٦ ، ص ١٦ ، ابن اعثم ، ج ٤ ، ص ٩٩ ، البلاذري ، انساب ، ص ٢٢٢ ، ابن الاثير ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٥) الطبري ، ص ١٥ ، ابن اعثم ، ص ٩٩ ، البلاذري ، ص ٢٢٢ .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية - مادة ابراهيم - ص ١٠١١ بالفرنسية . ينظر كذلك د . عبد الأمير دكسن ، الخلافة الأموية ص ٧٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٧) ابن الاثير ، ج ٦ ، ص ٢١٧ .

وعاد الوفد الى المختار يخبرونه بوقف ابراهيم فأمله ثلاثة أيام كما يؤكد ذلك الطبري وابن أعثم وابن الأثير الذي يعيد نفس الرواية^(٦). وبعدها توجه المختار بنفسه الى دار ابراهيم وكان مع المختار جماعة من عظماء الكوفة فدخلوا على ابراهيم عندها تكلم المختار عارضا اهداف الحركة المرتقبة وطالبا مساعدة ابراهيم لها وقدم رسالة موجهة من محمد بن علي بن ابي طالب بالملقب بأبن الحنفية الى ابراهيم لها حيث يورد الطبري وابن أعثم والبلاذري وابن الأثير نصها وهو : «من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك فأني احمد الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد فأني قد بعثت اليكم وزيرى واميني الذي ارتضيه لنفسى وأمرته بقتال عدوى والطلب بدماء اهل بيتي فانض معهم بنفسك وعشيرتك ومن اطاعك فأنتك ان نصرته واجبت دعوتي كانت لك بذلك عندى فضيلة ، ولك أمنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر فيا بين الكوفة واقصى بلاد الشام»^(٧) وقد اعترض ابراهيم على اسلوب الرسالة بقوله : «قد كتب اليّ ابن الحنفية قبل اليوم وكتب فلم يكتب اليّ الا باسمه واسم ابيه»^(٨) فرد عليه المختار مبررا : «ان ذلك زمان وهذا زمان»^(٩). ومع ذلك فأني ابراهيم سأل المختار مستوضحا وقد شك فعلا في امر الكتاب : «فمن يعلم ان هذا كتابه اليّ؟»^(١٠). فشهد الجماعة الحاضرون ومنهم زيد بن انس واحمر بن شبيب وعبد الله بن كامل على ان مصدر الكتاب هو ابن الحنفية^(١١). ومن الضروري قوله في هذا المجال ان احد الشهود حضروا هذه المقابلة وهو الشعبي المحدث المشهور وابوه شراحيل لم يشهدوا مع الشهود وان المختار قد ناول الشعبي الكتاب قبل دخولهم على ابراهيم في منزله وبعد ما استقر بهم المقام طلب المختار من الشعبي اعطاء الكتاب الى ابراهيم لكي يقرأه^(١٢). والمؤرخون الأوائل يختلفون حول موقف الشعبي هذا وكذلك حول الشخصية التي استفسرت منه عن الاسباب التي منعت من الشهادة مع بقية الشهود هل هو المختار ام ابراهيم النخعي ، فالدينوري يذكر ان الشعبي قد داخله الشك في صحة ورود الرسالة من ابن الحنفية فذهب الى الشهود واستفسر منهم واحدا واحدا فأجابوه انهم شاهدوا ابن الحنفية يكتب الكتاب للمختار باستثناء واحد من الشهود وهو ابو عمره الذي قال للشعبي : «والله ما شهدته حين كتبه ، غير ان ابا اسحق -

يعني المختار - عندنا ثقة وقد اتانا من ابن الحنفية فصدقناه»^(١٣). ولهذا السبب فإن الشعبي قد غادر الكوفة وخلق بالحجاز ولم يشهد من تلك المشاهد شيئا^(١٤) اما ابن أعثم الكوفي فيورد بأن المختار سأل الشعبي عن السبب الذي دعاه الى الامتناع عن الشهادة بصحة الرسالة مثل بقية الشهود وهل لديه شك فيهم ، فأجابه بأنه لا يشك بهم وانهم شهود حق بعد ان الح عليه المختار في التصريح بوجهة نظره^(١٥). ومع ذلك فأني ابن أعثم يؤكد ان الشعبي «كان قد علم وتيقن ان المختار كتب ذلك - يعني الرسالة - من نفسه»^(١٦). بيد ان الطبري يذكر ان ابراهيم بن الأشتر هو الذي استفسر من الشعبي عن مبرر امتناعه من ان يشهد كبقية الشهود فأجاب الشعبي : «قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشايخه المصر وفرسان العرب ، ولا ارى مثل هؤلاء يقولون الا حقا»^(١٧). ويستطرد الشعبي بقوله : «قلت هذه المقالة وانا والله على شهادتهم متهم غير اني يعجبني الخروج وأنا ارى رأي القوم واحب تمام ذلك الامر فلم اطعمه على ما في نفسي من ذلك»^(١٨). ويعقب الطبري ان ابراهيم اراد ان يتأكد من صحة امر الرسالة بأن طلب من الشعبي ان يكتب اسماء الذين شهدوا لانه لا يعرفهم كلهم كعملية احتياطية لما يحدث مستقبلا من مفاجآت^(١٩). وينفرد ابو العباس المبرد برواية ان ابراهيم ارسل لابن حنيفة يتأكد منه عن صحة ما جاء به المختار وان ابن الحنفية اجابه بشكل غير مباشر بما دعا ابراهيم الى اعتبار ذلك الجواب تأييدا للمختار^(٢٠). وقد فند ذلك الدكتور دكسن بقوله ان ليس هنالك ما يؤكد رواية المبرد في المصادر المبكرة والمتأخرة. وان ابن الحنفية اجاب بنفس الجواب وقد من اهل الكوفة ذهب الى الحجاز مستفسرا عن صحة ادعاءات المختار مما يجعلنا نعتقد ان المبرد قد خلط بين الحادئين^(٢١). في حين ان الطبري واليعقوبي يتفقان من ان وفدا من الكوفيين قد توجه الى الحجاز وسأل ابن الحنفية عن مدى صحة مزاعم المختار فأجابهم بشكل عام ودون تخصيص بقوله : «والله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه». فرجع الوفد الى الكوفة مؤيدا موقف المختار^(٢٢).

(١٣) ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٩٠.

(١٤) نفس المصدر ص ٢٩٠.

(١٥) ابن أعثم ص ٩٨.

(١٦) نفسه ص ٩٨.

(١٧) الطبري ص ١٧ ابن الأثير ص ٢١٦.

(١٨) الطبري ص ١٧.

(١٩) ابو العباس المبرد ، الكامل في الأدب ، ج ٣ ، ص ٢٦٧.

(٢٠) د. عبد الأمير دكسن ، ص ٧٥.

(٢١) البغدادي ، تاريخ ، ص ٧٠ ، الطبري ص ١٤.

(٢٢) الطبري ص ١٨.

(٦) الطبري ، ص ١٦ ، ابن أعثم ص ٩٦ - ٩٧ البلاذري ص ٢٢٢.

(٧) الطبري ص ١٦ ، البلاذري ص ٢٢٢ ، ابن أعثم ص ٩٧ ، ابن الأثير ص ٢١٦.

(٨) الطبري ص ١٧ ، البلاذري ص ٢٢٣ ، ابن الأثير ص ٢١٦.

(٩) الطبري ص ١٧ ، ابن الأثير ص ٢١٦.

(١٠) الطبري ص ١٧ ، ابن الأثير ص ٢١٦.

(١١) الطبري ص ١٧ ، البلاذري ص ٢٢٣ ، ابن الأثير ص ٢١٦.

(١٢) ابن الأثير ص ٢١٦.

وكان مع ابراهيم جمع من ابناء عمومته يبلغ عددهم المائة عندما اعترضهم رئيس الشرطة اياس بن مضارب وسألهم عن وجهة سيرهم وعن هويتهم . وعلى الرغم من تعريف ابراهيم نفسه لصاحب الشرطة الح الاخير وبطريقة استفزازية على اصطحابهم الى الأمير للتحقق منهم وذلك بقوله لابراهيم «والله ان امرك لمريب ، وقد بلغني انك تمر في كل ليلة في جمعتك هذا ، لا والله لا تزالني او آتي بك الامير فيرى فيك رايه .» (٢٩) .

وقد قرر ابراهيم حسم الامر لصالح الحركة وعدم مجارة صاحب الشرطة ومهادنته لثلافت ذلك في عزيمة اصحابه فبادر الى حركة ذكية وهي منادته الى رجل من اصحاب اياس بن مضارب يدعى ابا قطن وهو صديق لابراهيم فدنا منه الرجل ظنا منه ان ابراهيم اراده وسيطا او شفيعا له عند صاحب الشرطة ، وبمكره بارعة لم يفتن لها ابو قطن ، اخذ ابراهيم رحمه وصوبه الى صاحب الشرطة وضربه به فخر صريعا مما ادى ذلك الى هزيمة اصحابه وابلغوا الوالي ما حصل لصاحب شرطتهم (٣٠) .

ولنا ان نسأل هل ان ما فعله ابراهيم مع ابي قطن عن تدبير مسبق ام مجرد غفلة من ابي قطن ، سيما وان للروابط القبلية والصدقات دورا في رسم كثير من الأمور .

هذا وان تاريخ مقتل اياس بن مضارب موضع اختلاف عند المؤرخين القدامى فالطبري والبلاذري يذكران ان مقتله كان يوم الثلاثاء اى ليلة الأربعاء وليس ليلة الثلاثاء استنادا الى قول ابراهيم للمختار : «إنا اعتدنا الخروج للقاء ليلة الخميس وقد حدث امر لا بد من الخروج الليلة» (٣١) غير ان ابن اعثم الكوفي يؤكد ان مقتل صاحب الشرطة حدث ليلة الثلاثاء (٣٢) .

ومن المفيد ذكره ان الدينوري يورد لنا خبرا مفاده ان اياس بن مضارب سبق وان حذر ابراهيم من كثرة تروده الى بيت المختار ولكن ابراهيم لم ينقطع عن تروده وابلغ المختار بمضايقات صاحب الشرطة له بل وشاوره من أجل القضاء عليه حتى لا يقف عقبة امام اعلان الحركة في موعدها المحدد وقد فعل ابراهيم ما قرأه عليه (٣٣) .

واحاط ابراهيم المختار علما بما حدث مع صاحب الشرطة فأستبشر

والحال هذا ، فإن انضمام ابراهيم النخعي الى حركة المختار اكسبها قوة . وفعالية حيث دخلها جميع المترددين والمتشككين في امرها . وبدأ ابراهيم يضع كل امكاناته يضع كل امكاناته في خدمة الحركة ومن اجل انجاحها . فإمدنا الطبري بتفاصيل الاعداد للحركة والدور الذي قام به ابراهيم في عملية التحضير فيذكر الطبري عن هشام بن محمد الكلبي ان ابراهيم كان يجتمع يوميا في دار المختار الذي كان يعتبر مقر الحركة . ويشير الطبري ان وقت تردد ابراهيم لبيت المختار عشية كل يوم ويبقى عنده حتى تصوب النجوم (٣٤) .

وبعد انتهاء عمليات الاستعداد اتفق ابراهيم مع المختار على اعلان الحركة ليلة الخميس المصادف ١٤ / ربيع الأول / سنة ٦٦ هـ (٣٥) .

وعلم اياس بن مضارب العجلي صاحب الشرطة بتحركات ابراهيم والمختار وتبديريهم على الخروج يوم الاربعاء مما ثبت ان للوالي وصاحب شرطته عيونا قد نجحت في الحصول على موعد اعلان الحركة . وابلغ صاحب الشرطة الوالي عبد الله بن مطيع بتدابير ابراهيم والمختار فجمع قواده وانصاره واخبرهم بالامر وطلب من كل قائد أن يتولى جهته وأن يضبط قومه حتى يتم حصر الحركة والموالين لها وافشالها في مهبها (٣٥) .

ويعطينا الطبري وابن أعثم والبلاذري تفاصيل نشر قوات الوالي في الكوفة خاصة في الجبابين والسكك الرئيسة . فصار عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني الى جبانة السبيع من همدان وصار كعب بن ابي كعب الى جبانة بنشر وصار زحر بن قيس الجعفي الى جبانة كنده والشمر بن ذى الجوشن الى جبانة سالم وعبد الرحمن بن مخنف الى جبانة الصائدين ويزيد ابن الحارث بن رويم الى جبانة مراد وشيث بن ربيعي الى جبانة السبخة وأخذ هؤلاء مواضعهم في الالة والسلاح (٣٦) .

وتتفق المصادر الأولية حول السبب الذي من اجله تم تقديم موعد الحركة كما كان متفق عليه وهو ليلة الخميس ١٤ / ربيع الأول /

٦٦ هـ (٣٧) . وذلك ان ابراهيم قد اعتاد التردد في كل عشية ، الى دار المختار حيث تعقد الاجتماعات ، فكان من الطبيعي ان يصطدم مع قوات الوالي الموثوقة في السكك الرئيسة في الكوفة . وبذكر الطبري ان بإمكان ابراهيم تخاشي قوات الوالي ولكنه اراد ان يتحداهم بقوله «والله لا امرن وسط السوق يجنب القصر ولا رعين عدونا ولا رينهم هوانهم علينا» (٣٨) .

(٢٩) الطبري ص ١٨ . ابن اعثم ص ٢٢٣ . البلاذري ص ٢٢٦ . ابن الاثير ص ٢١٦ .

(٣٠) الطبري ص ١٩ . ابن اعثم ص ٩٩ . البلاذري ص ٢٢٤ . ابن الاثير ص ٢١٦ .

(٣١) ابن اعثم ص ١٠٠ . الطبري ص ١٨ - ١٩ . البلاذري ص ٢٢٤ . ابن الاثير ص ٢١٦ .

(٣٢) - ٢١٧ .

(٣٣) الطبري ص ١٩ . ابن اعثم ص ١٠١ . البلاذري ص ٢٢٤ . ابن الاثير ص ٢١٧ .

(٣٤) الطبري ص ١٩ . ابن الاثير ص ٢١٧ .

(٣٥) ابن اعثم ص ١٠١ . الطبري ص ١٩ . ابن الاثير ص ٢١٧ مع بعض التغيرات الطفيفة

في بعض العبارات في النص الوارد عند ابن الاثير . البلاذري ص ٢٢٤ .

(٢٩) الطبري ص ٢٠ . ابن اعثم ص ١٠٢ . البلاذري ص ٢٢٤ . ابن الاثير ص ٢١٧ .

(٣٠) الطبري ص ٢٠ . البلاذري ص ٢٢٤ . ابن الاثير ص ٢١٨ .

(٣١) ابن اعثم ص ١٠١ .

(٣٢) الادبوري ص ٢٩٠ .

(٣٣) الطبري ص ٢٠ . البلاذري ص ٢٢٤ . ابن الاثير ص ٢١٨ .

بذلك المختار وعده «أول الفتح»^(٣٤) أو «أول الظفر»^(٣٥) على حد قول ابن اعم . وبدأ المختار يعطي التعليمات لانصاره كأشارات لبده الحركة . فأمر احد انصاره باشعال النيران في الهوادي والقصب ورفعها بالأيدي والسير بها في التشكك^(٣٦) . وأمر آخر بأن ينادى : يا منصور امت ، وامر ثالثا بالمناداة : يا لثارات الحسين^(٣٧) .

والجدير بالملاحظة ان طرح مثل هذه الشعارات كان الغاية منها كسب كافة العناصر المناوئة للوضع القائم والساخطين عليه حيث ان ارضية الكوفة كانت مهينة ومعدة لقبول مقل هذه الدعاوى^(٣٨) . وتجمع المصادر المبكرة والتأخرة على الدور المهم والحاسم الذي قام به ابراهيم حيث كان لجهوده في تعبئة انصار الحركة ومقاومة قوات الوالي الاثر البارز في نجاح الحركة بعد قيامها . فتذكر مصادرنا ان الكوفة كانت ليلتد محملة من قبل قوات الوالي التي كانت تعيق كل تحرك للثوار وتمنع انصار الحركة من اللحاق بركب الحركة . فنورد الطبري والبلاذري ان ابراهيم قد اشار على المختار ان يذهب بنفسه الى قومه وينادي بشعارات الحركة حتى ينضم لها انصارها من الأحياء والأزقة فيكون بعملية هذه قد كسر الطوق المضروب على الحركة ومؤيديها^(٣٩) . كذلك فقد اتفق ابراهيم مع المختار على ان لا يحارب قوات الوالي ولا يكون البادئ في ذلك الا اذا اضطر الى ذلك مرغما حين استجاع قوتها^(٤٠) .

ونجح ابراهيم في الوصول الى قومه الذين انضموا اليه ومشي بهم في سلك وأزقة الكوفة مشجعا بذلك المترددين والخائفين من قوات الوالي الى الانضمام اليه . وقد نحاشى اماكن تواجد قوات الوالي ولكنه استطاع ان يهزم بعض قوات الوالي بقيادة زبير بن قيس الجعفي وكشفهم عند جبانة كندة ثم دحر سويد بن عبد الرحمن المقرري وأصحابه حتى اخرجهم الى الصحراء حتى قال قائلهم : «ان هذا الامر يراد ، ما تلقون لنا جماعة الا هزموهم»^(٤١) .

ومن الضروري قوله ان هذه الانتصارات لم تغرر في ثبات ابن الأشتر بل سار على نفس الاتفاق الذي تم بينه وبين المختار . وبالفعل رفض فكرة اصحابه في مطاردة بعض القوات التي هزمها حيث قال لاصحابه : «لا ولكن نأني صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من نصرنا له

فيزداد هو واصحابه قوة مع أني لا آمن ان يكون قد آني»^(٤٢) . وكما توقع ابراهيم فإن قوات الوالي بقيادة شيب بن ربيعي الرباعي قد زحفت على المختار الذي استطاع ان يعي احد قادته المشهورين وهو يزيد بن الانس وجاء حجار بن ابجر العجلي فعبا له المختار قائده المعروف احمر بن شميظ واحتدم القتال بينهما . وبمركة بارعة تقدم ابراهيم من خلف قوات الوالي والتي يقودها حجار العجلي الذي انسحب مع قواته في الأزقة بعد ان علم بخطة ابراهيم للانقضاض عليه ووضع في الكاشة . ويبدو ان شيب بن ربيعي قد انهزم عندما تبين استحالة القضاء على المختار وانصاره بسهولة .

واخبر شيب بن ربيعي الوالي عبد الله بن مطيع بذلك وأشار عليه بأن يجمع كافة قواته المتواجدة في الجبابين ويوجهها للقضاء على المختار وقواته قبل استفحال امره^(٤٣) . ويظهر لنا من خلال رواية ابن اعم ان القتال ظل محتدما طيلة تلك الليلة حتى ان الناس قد نسوا ليلة الهرب بصفين الى صباح اليوم التالي^(٤٤) . وجمع الطرفان قواتها انتظارا للمواجهة الاخيرة ، حيث يزودنا الطبري والبلاذري وابن اعم بتفاصيل المواجهة والتي كانت نتيجة لصالح المختار . هذا وقد خرج المختار بقواته في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة^(٤٥) . والواقع اننا مدبون لابين اعم لتلك التفاصيل التي اوردها له فيما يخص المواجهة الحاسمة حيث ذكر لنا ابن اعم عدد قوات الوالي والتي كانت على شكل كراديس وبالصورة التالية^(٤٦) .

- ١ - كردوس مؤلف من أربعة الاف فارس بقيادة شيب بن ربيعي .
 - ٢ - كردوس مؤلف من ثلاثة الاف مقاتل بقيادة راشد بن اباس .
 - ٣ - كردوس مؤلف من ثلاثة الاف مقاتل بقيادة حجار بن ابجر العجلي .
 - ٤ - كردوس مؤلف من ثلاثة الاف مقاتل بقيادة الغضان بن القعثري .
 - ٥ - كردوس مؤلف من ثلاثة الاف مقاتل بقيادة شمر بن دى الخوشن .
 - ٦ - كردوس مؤلف من الف مقاتل بقيادة عكرمة بن ربيعي .
 - ٧ - كردوس مؤلف من الف مقاتل بقيادة شداد بن المنذر .
 - ٨ - كردوس مؤلف من الف مقاتل بقيادة سويد بن عبد الرحمن .
- والجدير بالملاحظة ان الطبري لا يذكر مثل هذه التفاصيل وكذلك الحال بالنسبة للبلاذري الذي لا يذكر عدد الجيش المرسل من قبل الوالي لقتال المختار الذي جمع انصاره وعباهم للمواجهة الاخيرة^(٤٧) .

(٤٢) الطبري ص ٢٢ . ابن اعم ص ١٠٤ . ابن الأثير ص ٢١٩ .

(٤٣) ابن اعم ص ١٠٤ .

(٤٤) الطبري ص ٢٢ . ابن الأثير ص ٢١٩ . ابن اعم ص ١٠٥ .

(٤٥) ابن اعم ص ١١٥ ، الطبري ص ٢٣ مع بعض الفوارق حول عدد قوات الوالي

(٤٦) الطبري ص ٢٢ ، ابن اعم ص ١٠٥ . ابن الأثير ص ٢٢٠ .

(٤٧) ابن اعم ص ١٠٧ ، الطبري ص ٢٤ .

(٣٤) ابن اعم ص ١٠٢ .

(٣٥) ابن اعم ص ١٠٢ . الطبري ص ٢٠ ، البلاذري ص ٢٢٥ . ابن الأثير ص ٢١٨ .

(٣٦) ابن اعم ص ١٠٢ ، الطبري ص ٢٠ ، ابن الأثير ص ٢١٨ .

(٣٧) ينظر د . دكسن المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٣٨) الطبري ص ٢١ ، ابن اعم ص ١٠٣ ، البلاذري ص ٢٢٥ . ابن الأثير ص ٢١٨ .

(٣٩) الطبري ص ٢١ ، ابن الأثير ص ٢١٨ .

(٤٠) الطبري ص ٢٢ ، ابن اعم ص ١٠٣ ، ابن الأثير ص ٢١٨-٢١٩ .

(٤١) الطبري ص ٢٢ ، ابن اعم ص ١٠٣ ، البلاذري ص ٢٢٦ ، ابن الأثير ص ٢١٩ .

ويبدو لنا من خلال المعلومات التاريخية المتوفرة عند البلاذري والطبري وابن أعمش الكوفي ان قوات الوالي لم تكن تمتلك معنويات عالية على عكس قوات ابن الأشتر والمختار حيث كانت معنوياتها مرتفعة . فيشير هؤلاء المؤرخون الى ان المقاتلين في جيش الوالي قد طلبوا سورتين طويلتين من امام الصلاة اثناء تأديتهم لصلاة الضجر قبل بدء المعركة الفاصلة مما جعل احد قادتهم وهو شيبث بن ربعي الرياحي يصرخ بهم قائلاً : «يا سبحان الله العظيم ، اترون الترك والدليم قد نزلوا بساحتكم وتقولون : لو قرأت بنا سورتين اطول من هاتين ، نعم قد كان يجب عليه ان يقرأ بكم البقرة وآل عمران» (٤٨) . وعلى اى حال فان الجيشين قد تلاوا واختلط القوم وبدأ القتال حيث يعطي المؤرخون الاواخر ، كالطبري والبلاذري وابن أعمش أهمية كبيرة لدور ابراهيم بن الأشتر في هذه المعركة والتي بها تمكن ابراهيم من قتل راشد بن اياس قائد القوة الكبيرة مما أضعف معنويات باقي القوات المتمثلة بالكراديس . وقد نجح ابراهيم في فك الحصار الذي ضربه شيبث بن ربعي على المختار وقواته وحلت الهزيمة بقوات شيبث بن ربعي (٤٩) . وانكشفت قوات الوالي وتراجعت من ميدان المعركة وهي لاجئة الى الازقة وطرقات الكوفة . ولم تنفع اشتتارات الوالي من أجل رفع الهمم لواصله القتال اذ ان بوادر الهزيمة قد لاحت على الافق (٥٠) . وقد حاول شيبث بن ربعي استنهاض همة قوات الوالي التي حاولت الصمود والثبات امام زحف قوات ابراهيم والمختار ولكنها فشلت مما دعا بالوالي الى الالتجاء الى قصره مع أعوانه وغلجانه وهرب باقي القوات الى ابياتهم . وحاصروا ابراهيم الوالي في قصره طيلة ثلاثة ايام (٥١) ، وقد تمكن من التسلل متكررا خارج قصر الامارة ولجونه لاحد بيوت معارفه حيث علم بوجوده المختار وكان صديقه له فأرسل اليه مالا فخرج الى البصرة . وطلب المحاصرون في القصر الامان من ابراهيم بن الأشتر ففتح لهم (٥٢) . وعندها بايع الناس المختار وتمت له السيطرة على الكوفة وتوابعها من الأقاليم عدا البصرة التي غلب عليها مصعب بن الزبير . وعين المختار عماله على الاقاليم مثل ارمينية واذربيجان والرى والماهيم واصفهان وجعل يحني الخراج (٥٣) .

ان موقع العراق الجغرافي مهم بالنسبة لاي خليفة بطمح الى المركزية في حكمه والاستمرار فيه . وقد كانت هذه الحقيقة من المسلمات عند الزبيريين والمروانيين على حد سواء . من المناسب ذكره ان المروانيين منذ

بدء تسلمهم للحكم قد ابدوا اهتماما بالعراق وخاصة بعد انسلاخه عن مركز الحكم في دمشق بعد وفاة يزيد بن معاوية . وكخليفة حازم من طراز عبد الملك بن مروان لا يرتضي لدولته مثل هذا الوضع المزق . فيورد ابن أعمش والطبري والبلاذري ان عبد الملك بن مروان ارسل جيشا كبيرا بقيادة عبيد الله بن زياد بعد استتباب الامر في الشام ومصر لصالحه . وقد زود عبد الملك عبيد الله بتعليمات اهمها القضاء على مصعب بن الزبير وعلى المختار الثقفي والانتباه بعبد الله بن الزبير في مكة وله جميع البلاد التي سيستولي عليها اثناء مسيره «من ارض الشام الى مطلع الشمس» (٥٤) . ونتيجة لذلك فان زحف الجيش الشامي سوف يهدد وضع الكوفة الجديد ولا بد من مواجهة القوة الشامية الزاحفة . وبالفعل فقد ارسل المختار جيشا من الكوفة بقيادة يزيد بن انس الاسدي الذي سار شمالا الى جهة الموصل للقاء الجيش الشامي . واصطدم يزيد بن انس ببعض القوات الشامية التي اندحرت من اول لقاء (٥٥) . وحال موت يزيد بن انس دون المواجهة الحاسمة بين الجيشين فقد أثر موته في معنويات الجند الكوفي مما دفعهم ذلك الى الانسحاب نحو الكوفة . وفي هذه الحالة لا بد من القيام بعمل سريع يدفع خطر الشاميين القانم . وهنا انتدب المختار ابراهيم بن الأشتر لدرء هذا الخطر فخرج بجيش آخر وضم اليه فرسان جيش يزيد بن انس وخرج من الكوفة قاصدا الموصل (٥٦) . ويذكر الطبري ان ابراهيم وصل ساباط ولكن امرا خطيرا جعله يقفل راجعا الى الكوفة بدلا من مواصلة السير نحو جيش الشام . ذلك ان رسولا وصل الى ابراهيم يبلغه بانتفاض اشراف الكوفة على المختار (٥٧) . ويؤكد ابن أعمش الكوفي ان السبب في إعلان ثورتهم على المختار هو خروج ابراهيم من الكوفة وبقاء المختار مع قلة من أنصاره (٥٨) . واستطاع ابراهيم ان يصل الى الكوفة مسرعا في الوقت الذي اصبح به المختار بوضع خطير حيث تمت محاصرته ومنع عنه الماء والغذاء . ومن المناسب ذكره ان المختار كان يفوضهم لكي يكسب الوقت لحين عودة ابراهيم بن الأشتر وقد نجح في ذلك فضلا عن استبساله في مقاومة اشراف الكوفة (٥٩) .

وعند دخول ابن الأشتر الى الكوفة تغير موقف المختار الثقفي نحو الاحسن فعمد اشراف الكوفة الى تكتيك عسكري وهو ان لا يقاثلوا

(٥٤) الطبري ص ٣٩-٤١ ، ابن أعمش ص ١٤١-١٤٣ ، البلاذري ص ٢٣٠ ، ابن الاثير ص ٢٢٩ .

(٥٥) الطبري ص ٤٦ .

(٥٦) ابن أعمش ص ١٤٨ ، البلاذري ص ٢٣١ .

(٥٧) ابن أعمش ص ١٤٩ ، الطبري ص ٤٦ ، ابن الاثير ص ٢٣٤ .

(٥٨) الطبري ص ٤٦ ، ابن أعمش ص ١٤٩ .

(٥٩) الطبري ص ٤٧ ، ابن أعمش ص ١٤٩ ، البلاذري ص ٢٣٢ ، ابن الاثير ص ٢٣٤ .

(٤٨) الطبري ص ٢٦-٢٧ ، ابن أعمش ص ١٠٧ .

(٤٩) للتفاصيل الدقيقة بنظر ابن أعمش ص ١١٠-١١١ ، ابن الاثير ص ٢٢١ وما بعدها .

(٥٠) الطبري ص ٢١ ، ابن أعمش ص ١١٠ ، الذهبي ص ٢٩١ ، ابن الاثير ص ٢٢٤ .

(٥١) بنظر الطبري ص ٢٩-٣٢ ، ابن أعمش ص ١١٢ ، ابن الاثير ص ٢٢٥ .

(٥٢) ابن أعمش ص ١١٩ ، البلاذري ص ٢٢٨ ، ابن الاثير ص ٢٢٧ .

(٥٣) ابن أعمش ص ١٣٩ ، الطبري ص ٣٨ ، البلاذري ص ٢٣٠ .

ابراهيم والمختار يجمعين . فأنفصلت ربيعة ومضر في جانب واهل اليمن في جانب آخر^(٦١) . ولا بد ان نمن النظر في موقف ابراهيم المتجرد وذلك عندما خير المختار في الجانب الذي يرغب ان يقاتله ، فأختار المختار التقني اهل اليمن وترك امر ربيعة ومضر لابن الأشرطنا منه ان ابراهيم لن يكون جادا في قتال اهل اليمن لانهم قومه^(٦٢) . والواقع ان المختار قد تناسى ان رجلا من طراز ابراهيم كان يقاتل عن مبادئ . وقضية وليس عن عصبية .

وتتفق مصادرنا الرئيسة بأن ابراهيم كان ناصحا في قتاله لربيعة ومضر حيث طلب منهم مرارا ترك القتال لانه يعرف سلفا ان لا طاقة لهم به ، فقد حلت بهم الهزيمة وهي نتيجة او هنت من عزيمة اهل اليمن الذين كانوا يقاتلون المختار التقني ، فانكسروا وفشلوا وتسمى تلك المعركة عند جميع المؤرخين القدامى بوقعة السبع^(٦٣) .

وبعد اخراج هذه الثورة بيومين خرج ابراهيم ، من جديد ، من الكوفة على رأس جيش به فرسان اصحابه ووجوههم واهل البصائر منهم ممن له تجربة^(٦٤) . وكان ذلك في يوم السبت ثمان خلون من ذي الحجة سنة ٦٦هـ^(٦٥) . هذا ويؤكد الطبري والبلاذري وابن أعثم وابن خياط والدينوري والمسعودي على ان ابراهيم عسكر بجيشه في منطقة تبعد عن الموصل بخمسة فراسخ على نهر اسمه الخازر^(٦٦) . ويذكر الطبري وابن أعثم والبلاذري وابن الاثير ان جيش الكوفة قد عسكر بالقرب من قرية بارشيا او كورة الخازر حسب رواية ابي حنيفة الدينوري^(٦٧) . اما عن الجيش الشامي فقد اتخذ موقعة على ساحل الخازر ازاء جيش الكوفة . وما بلغت الانتباه هو ذلك الاختلاف في الروايات التاريخية حول موقع المعركة وتسمية النهر الذي وقعت بالقرب منه المعركة فالمسعودي يذكر المعركة بوقعة الخازر نسبة الى نهر الخازر^(٦٨) . بيد ان المقدسي يفرد بذكر اسم نهر الزاب بدلا من الخازر ولعله خلط بين وقعة

(٦١) نفس المصادر السابقة .

(٦٢) التفاصيل هذه الوقعة ينظر الطبري ص ٤٨ وما بعدها . ابن أعثم ص ١٥٠ . البلاذري ص ٢٢٢ وما بعدها ابن الاثير ص ٢٣٣ وما بعدها .

(٦٣) ابن الاثير ص ٢٥٧ .

(٦٤) الطبري ص ٨١ ، ابن أعثم ص ١٥٩ ، البلاذري ص ٢٤٨ ، ابن الاثير ص ٢٥٧ .

(٦٥) الطبري ص ٨٦ ، ابن أعثم ص ١٧٣ ، الدينوري ص ٢٩٥ ، المسعودي ص ٩٧ . ابن خياط ص ٣٣٢ ، ابن حبيب ، ص ٤٩١ ، البلاذري ص ٢٤٨ ، ابن الاثير ص ٤٩١ .

(٦٦) الطبري ص ٨٦ ، ابن أعثم ص ١٧٣ ، ابن الاثير ص ٢٩١ . ابو حنيفة الدينوري ص ٢٩٥ .

(٦٧) المسعودي ص ٩٧ .

(٦٨) المقدسي ، ص ٢٢ . وما تجدر الإشارة اليه ان دائرة المعارف الإسلامية في مادة ابراهيم تذكر وقوع المعركة في الخازر . ولكنها تقع في خطأ جسيم عندما تذكر عبارة « بالقرب من المدائن » ص ١٢ . ١ . دون تعيين اى المدائن .

الخازر ومعركة الزاب التي حدثت بين الجيش العباسي بقيادة عبد الله بن علي والجيش الشامي بقيادة مروان بن محمد اخر خلفاء بني أمية^(٦٩) . يبقى هذا الكلام مجرد افتراض استنتاجي لما ورد من اختلاف الروايات . هذا ويؤيد ياقوت الحموي في معرض وصفه لموقع الخازر ما جاء عند المؤرخين الاوائل بوقوع المعركة في الخازر^(٧٠) . يبقى ان نتساءل عن الأسباب التي منعت عبيد الله بن زياد من استغلال فرصة انشغال ابن الأشرط في اخراج ثورة اشراف الكوفة ثم الزحف على العراق لاسيا وان المصادر التاريخية لا تسعقنا بتبيان ذلك بوضوح . ومهما يكن من امر فإن خروج ابراهيم بن الأشرط بتلك السرعة تدل دلالة صريحة على تحرك جيش الشام باتجاه العراق من جهة الشمال ، كما تبين ذلك اشارات عند الطبري والبلاذري وابن أعثم وابن الاثير^(٧١) .

ان الموقع الجغرافي الذي وقعت فيه معركة الخازر يثير الاهتمام حقا . ذلك ان اختيار ابراهيم بن الأشرط لموقع عال يشرف على جيش الشام قد اكسبه جانب المباغتة والتربص بالعدو ، وكان احد العوامل المساعدة في احراز النصر على جيش الشام الذي اختار موقعا على ساحل نهر الخازر . وموقع من هذا النوع غير صحيح من وجهة النظر العسكرية مما يسهل على العدو محاصرة الجيش المقابل وعدم تمكنه من التحرك بسهولة . إضافة الى ذلك ان جيش الشام لم يكن على استعداد وتعبئة . ويورد المؤرخون الاولون ان عاملا مهما قد سبب في هزيمة الجيش الشامي هو هبوط المعنويات ووجود الصراع بين القيسية واليمانية وما تبينه القيسية من نوايا سيئة ضد جيش الشام^(٧٢) . ومن المناسب قوله في هذا المجال ان الدينوري في الأخبار الطوال يعطي أهمية كبيرة لدور القيسية في خذلان جيش الشام أثناء معركة الخازر اذ يشير بأن اثنين من قادة القيسية احدهما عمير بن الحباب السلمي قد تسللوا ليلا الى المعسكر ابراهيم واتفقا معه على الانسحاب من جيش الشام عند نشوب القتال مما يؤدي ذلك الى تحطيم معنويات جيش الشام . ويؤكد الدينوري ان القيسية قد فعلت ما قرره مع ابراهيم^(٧٣) . ومن الضروري الانتباه الى ناحية يشدد عليها الدينوري هي كثرة الاعاجم في جيش الكوفة حيث يعزى اليهم النصر على اهل الشام . غير ان المؤرخين الاولين مثل الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن أعثم لا يعطون للاعاجم كثيرا من الأهمية ولا يعطون لهم

(٦٩) ياقوت الحموي . ص ٣٣٧ .

(٧٠) الطبري ص ٨٦ ، ابن أعثم ص ١٧٣ ، البلاذري ص ٢٤٨ ، ابن الاثير ص ٢٦١ .

(٧١) الطبري ص ٨٦ ، ابن أعثم ص ١٧٤ ابو حنيفة الدينوري ص ٢٩٥ ، ابن الاثير ص ٢٦١ .

(٧٢) الدينوري ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٧٣) الطبري ص ٨٦-٨٧ ، ابن أعثم ص ١٧٤ ، الدينوري ص ٢٩٥ ، ابن الاثير ص ٢٦١ .

دورا مضحكا كما يفعل الدينوري الذي يبالغ بالأرقام بشكل ملقت للنظر .
وما يجدر ذكره ان الروايات التاريخية تختلف حول رغبة القيسية في
خذلان اهل الشام . فيورد الطبري ان عميرا بن الحباب اتصل بابن
الأشتر والتقى به ليلا قبل بدء المعركة الفاصلة وبأبعه ونصح له بعدم
مطالبة جيش الشام وعدم التريث في مناجزة جيش الشام اذا ما اراد
تحقيق النصر . ثم نصح ابراهيم بترك حفر الخندق الذي كان ينوي
حفره (٧٣) . بيد ان ابن اعثم الكوفي يقدم لنا رواية مفادها ان ابن الأشتر
قد تمكن من كسب عمير بن الحباب الى جانبه وذلك بارساله احد
خاصته معطيا له الامان ، فخرج ابن الحباب ليلة المعركة من معسكر ابن
زياد بصحبة الف فارس من انصاره . ويؤيد ابن اعثم رواية الطبري
والبلاذري حول نصيحة عمير بن الحباب لابراهيم بن الأشتر وخلاصة
الفكرة هي ترك فكرة حفر الخندق ثم مناجزة جيش الشام بسرعة
واجتناب مطاولتهم لأن ذلك يعطيهم الجرأة بسبب هبوط
معنوياتهم (٧٤) .

وعلى أية حال فإن القيسية كانت ترغب في الثأر لقتلها في مرج
راهط من اليمانية وان اتصالحهم بابراهيم بن الأشتر قد ورد عند اغلب
المؤرخين القدامى ولكن الامر الذي يقع عليه اختلافهم هو حول كيفية
وقوع هذا الاتصال وای طرف قام به .

هذا ويفرد الدينوري برواية يذكر بها ان قيادة جيش الشام كانت
للحصين بن نمير السكوني وان عبيد الله بن زياد وعمير بن الحباب كانوا
تحت امرته وهو امر يخالف ما أجمعت عليه الروايات التاريخية عند اغلب
المصادر المبكرة (٧٥) .

وبات الفريقان ليلتهما وفي تقديراتهما ان المعركة أصبحت واقعة ولا
مفر منها في الغداة . وعلى هذا الأساس قضى ابراهيم ليكنه وهو يستعد
للمعركة الفاصلة ولم يغمض له جفن وشدد الحراسة على معسكره حتى
لا يؤخذ على حين غرة (٧٦) .

وعلى الرغم من تأكيدات عمير بن الحباب بدعم موقف جيش
الكوفة ولكن ابراهيم بن الأشتر لم يعول كثيرا على كلامه ولم يوله تلك
الثقة بل اتخذ احتياطاته لمواجهة كل الجيش الشامي بما يحتويه من القيسية
واليمانية على حد سواء . تحسبا لما ينطوي عليه الأمر من خديعة أو
مناورة (٧٧) .

وما تجدر اليه الإشارة هو ذلك التفوق العددي الذي تميز به الجيش
الشامي على جيش الكوفة وما لذلك من تأثير على معنويات الجند
الكوفي . وقد يكون لذلك فعله ومردوداته السلبية على نفسية الجند
الكوفي لولا موقف ابراهيم بن الأشتر الحازم في حثهم على الثبات والنصر
وبند الخوف والجزع في قتال اهل الشام (٧٨) .

ويؤكد الطبري والبلاذري وابن اعثم والدينوري على يقظة ابن
الأشتر وخبرته في الحرب حيث يورد الطبري ان ابراهيم ارسل احد ثقاته
لكي يستطلع حال جيش الشام واستعداداته حتى يمكنه ذلك من وضع
الحسابات الصحيحة لمواجهة (٧٩) .

وبناء على ذلك فقد عبأ ابراهيم بن الأشتر جيشه عسكريا ونفسيا
قبل انبلاج الفجر وزحف على جيش الشام فكانت المبادرة بيده حيث
وصل بمعسكره على تل عظيم يشرف على جيش الشام الذي أخذته
المفاجأة (٨٠) . لقد كانت تلك الحركة العسكرية من جانب ابن الأشتر
أول ظفر نفسي لصالح قواته .

وتوافق الجيشان قبل بدء المعركة الحاسمة اذ حدثت نزلات فردية كما
هي العادة في المعارك والحروب السابقة . فيذكر ابن اعثم الكوفي ان
القائد الشامي الحصين بن نمير السكوني قد لقي حتفه في إحدى
النزلات (٨١) . غير ان الطبري يخالفه ويؤكد ان الحصين بن نمير كان قائد
ميمة الجيش الشامي وقد قتل أثناء المعركة الكبرى أثناء تلاحم
الجيشين (٨٢) . ويقدم لنا ابو مخنف رواية فريدة من نوعها وهي ان
الحصين بن نمير قد وقع اسيرا في المعركة وتم ارساله الى الكوفة للمختار
الذي قتله (٨٣) ، وتلك رواية لم تؤيدها المصادر المبكرة والمتأخرة .

هذا ويعدنا الطبري والبلاذري وابن اعثم والدينوري بتفاصيل معركة
الحازم وما حدث فيها في حين ان بقية المؤرخين يتفاوتون في تقديم
التفاصيل الدقيقة والمطلوبة . فبعض المؤرخين يوجزها بشكل مقتضب
والبعض الاخر يقتصر فقط على نتائج المعركة .

ومهما يكن من أمر ، فإن المعركة بدأت مع الخيوط الاولى للصباح
وانتهت مع اصفرار شمس المغرب (٨٤) . ولهذه المعركة نتائج مهمة اذ
بسببها انحسرت سيطرة الخلافة الاموية عن العراق وتوابعه لفترة من

(٧٨) نفس المصادر .

(٧٩) الطبري ص ٨٧ . ابن اعثم ص ١٧٨ .

(٨٠) ابن اعثم ص ١٧٨ .

(٨١) الطبري ص ٩٠ . الدينوري ص ٢٩٥ . البلاذري ص ٢٤٩ .

(٨٢) كتاب أخذ الثار . ص ١٠٠ .

(٨٣) ابن اعثم ص ١٨١ . الطبري ص ٩٠ . الدينوري ص ٢٩٥ . دائرة المعارف

ص ١١ . ١ . المقدسي ص ٢١ . البلاذري ص ٢٤٩ .

(٨٤) نفس المصادر . البقولي ص ٨ .

(٧٣) ابن اعثم ص ١٧٥ .

(٧٤) الدينوري ص ٢٩٤ .

(٧٥) الطبري ص ٨٧ . ابن اعثم ص ١٧٥ . البلاذري ص ٢٤٩ . ابن الأثير ص ٢٦٢ .

(٧٦) نفس المصادر .

(٧٧) يقدر عدد الجيش الشامي سنن الضم او ثمانين الف امام جيش الكوفة البالغ اثنا عشر الفا

او يزيد . ينظر نفس المصادر السابقة

الزمن إضافة الى القضاء على قادة مشهورين من أهل الشام أمثال عبيد الله بن زياد والحسين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع^(٨٥).
 أما عن مصير القائد الشامي عمير بن الحباب فقد اختلفت حوله المصادر الرئيسة . فالبلادري يقدم لنا روايتين : الأولى تذكر ان عميرا قد أنف الفرار وقاوم مع جيش الشام ضد أهل العراق . والرواية الثانية تشير الى انه كان أول المنهزمين من جيش الشام منذ بدء القتال^(٨٦).
 أما عن الطبري وابن أعم ثم يؤكدان ان عميرا بن الحباب قد قاتل تعذيرا حيث تفهم من رواياتهما انه انسحب من جيش الشام فيما بعد بدليل ان ابراهيم قد عينه واليا على كفر توثا وطور عبيدين كما يشير ابن الأثير^(٨٧). والدينوري هو المؤرخ الأكثر تسليطا للقصة على عمير بن الحباب في خذل جيش الشام انتقاما لقتل قومه القيسية في مرج راهط . ويؤيده في ذلك المؤرخ السعدي^(٨٨). ومن المناسب ذكره ان المقدسي يورد اسم الشمر بن ذي الجوشن من بين قتل جيش الشام وهي رواية لم تثبت مصداقيتها امام تأكيدات المصادر الأخرى، بعدم اشتراك الشمر بن ذي الجوشن في هذه المعركة^(٨٩).

هذا وان تاريخ المعركة فيه اختلاف عند المؤرخين . فالطبري وابن قتيبة وابن الأثير والحافظ الذهبي وابن كثير يحددونها في العاشر من محرم سنة ٦٧هـ / ١٦ آب ٦٨٦م . بينما يذكر السعدي وابن أعم وخليفة بن خياط سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م كتاريخ لها .
 وعلى أثر معركة الخازر دخل ابن الأشتر الموصل واقام بها ووجه عماله على الجزيرة وقرقيساء وحران والرها وسيمساط وكفر توثا وسنجار ومينارتين حسب رواية ابن أعم والدينوري . غير ان اليعقوبي يذكر ان الموصل وأرمينية وأذربيجان أصبحت تحت سيطرة ابن الأشتر وعين عماله عليها ، وفي رأينا ان هذه الرواية مقبولة لوقوع هذه الاقاليم امتدادا للموصل جغرافيا^(٩٠). وبدورنا كذلك لا نرجح بعض الروايات التي نضع المناطق تحت هيمنة ابن الأشتر في الوقت الذي تقع فيه تحت طاعة عبد الملك بن مروان واقترب الى مركز حكمه جغرافيا خاصة عند رواية ابن حنيفة الدينوري^(٩١).

ومن الطبيعي ان انتصار ابراهيم بن الأشتر قد ترك أثارا عند العراقيين . فقد ثبت هذا النصر حكم المختار في الكوفة بينا احس عبد الله

بن الزبير ومصعب بن الزبير بخطورة المختار الذي كان وجوده مرتبطا بجهود ابن الأشتر . وبعد هذه المعركة برز اسم ابن الأشتر كقائد مشهور ويود عبد الملك بن مروان ومنافسه عبد الله بن الزبير كسبه الى جانبها . ومن الضروري ذكره هو ان مختارا حصل بين ابن الأشتر والمختار بعد هذه المعركة . فقد أكد جميع المؤرخين الى حقيقة هي ان ابراهيم قد تخلى عن المختار وتركه وحيدا امام مصيره المحتوم تجاه زحف مصعب بن الزبير وقواته من البصرة . والمعلومات التاريخية التي بين ايدينا قليلة وشحيحة حيث تجعل مهمة الباحث التاريخي صعبة في الكشف عن اسباب ذلك التباعد وفي اعطاء صورة متكاملة وواضحة حول الدوافع التي دعت ابراهيم لأن يحجم عن نصرة المختار وهو في احلك لحظات حياته امام خطر مصعب الزاحف من البصرة .

ولعل أول الأسباب التي جعلت ابن الأشتر ينفر من المختار هو تشجيع المختار لبعض البدع والمطرقات مثل مسألة الكرسي الذي نسبته المختار لعلي بن ابي طالب - ع - وجعله كتابوت بني اسرائيل ، وكانت لهذا التابوت سدة تحف به وتغطية بالحرير . وقد أثار هذا العمل استمزاز ابراهيم بن الأشتر عندما خرج للامانة عبيد الله بن زياد بقوله : « اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، هذه سنة بني اسرائيل ، والذي نفسي بيده » إذ عكفوا على عجلهم^(٩٢).

وقد كان ابراهيم على علم بما يجري من حيل المختار في استمالة الناس . فمن المؤكد كانت تصل الى مسامع ابن الأشتر ما كان يدعيه المختار من معجزات ومن مزاعم بأن جبرائيل وميكائيل يأتيانه واشارته لبعض من اصحابه بأن يشهد له ان الملائكة قد نزلت لنصرة المختار . وكان يروي الروايات عن الغيب ويغني الناس عن نبؤات ويستعمل الخافيق^(٩٣). كما حدث في وقعة السبع مع اشراف الكوفة^(٩٤) ، ثم ترقبه اخبار معركة الخازر وتأكيدها بأن النصر حليف جيش الكوفة^(٩٥).

وثمة أمر مهم أوجد الفرة بين ابراهيم والمختار هو ان ابراهيم كان يعمل من أجل قضية ومبادئ وعلى هذا الأساس بايع المختار ولكن الذي انضح لابراهيم ان المختار كان يعمل من أجل مصلحة الشخصية وانه استغل ابراهيم وانصاره كمعبر لمنفعته الذاتية . وقد تناول جمهرة من الباحثين شخصية المختار وصحة ادعاءاته^(٩٦) . ففريق يرى انه كان

(٩٢) المقدسي ص ٢٢ ، البلادري ص ٢٥٥ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٠١ ، الدينوري ص ٢٩٣ .

(٩٣) ابن الأثير ص ٢٣٨ ، البلادري ص ٢٣٤ .

(٩٤) الطبري ص ٨٥ ، البلادري ص ٢٥٠ .

(٩٥) ينظر د . دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٥٧ وما بعدها .

(٩٦) د . فاروق عمر فرزي ، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، الفصل الخاص بمعركة المختار .

(٨٥) البلادري ص ٢٥٠ .

(٨٦) الطبري ص ٩٠ ، ابن أعم ص ١٨١ ، ابن الأثير ص ٢٦٥ .

(٨٧) السعدي ص ٩٨ .

(٨٨) المقدسي ص ٢١ .

(٨٩) ينظر ابن أعم ص ١٨٢ ، الدينوري ص ٢٩٦ ، الطبري ص ٨ .

(٩٠) أبو حنيفة الدينوري ص ٢٩٦-٢٩٧ .

(٩١) البلادري ص ٢٤١ وما بعد ، الطبري ص ٨٥ ، ابن الأثير ص ٢٥٨-٢٥٩ .

انتهازيا مثلونا ووصوليا . وفريق آخر أكد على صدق نوابه (٩٧) .
والطريف في الأمر إن غالبية المؤرخين وخاصة المتأخرين منهم لا يطمنون
لدعائوي المختار حيث يصفونه بالكذاب والمراوغ .

ومها يكن من أمر فأننا أمام اشارات ومعلومات متناثرة هنا وهناك في
المصادر الرئيسة حول موقف ابراهيم من المختار . فترد اشارة عند ابن أعثم
الكوفي على لسان محمد بن الاشعث الكندي الذي استجار بمصعب بن
الزبير بعد وقعة السبع بقوله : « هذا ابراهيم قد غلب على بلاد الجزيرة
وخالف على المختار وهو اليوم ليس معه جيش وانما هو في شردمة
قليلة » (٩٨) .

وانه لمن الجدير قوله في هذه المناسبة ان احد الاسباب الرئيسة التي
جرت مصعب بن الزبير على الزحف الى الكوفة . بعد التجاء اشراف
الكوفة اليه هو تيقنه من تخلي ابن الأشتر عن نصرة المختار (٩٩) . وهذا ما
أكده ابن أعثم الكوفي بقوله : « فعلم - اى المختار - انه قد اوتي من قبل
ابراهيم بن الأشتر لانه قد خذله وقعد عنه » (١٠٠) .

وليس من شك من إن المختار قد طلب عون ومساعدة ابراهيم عندما
وصلته الأخبار عن استعدادات مصعب بن الزبير للزحف عليه في الكوفة
بتحريض من أهل الكوفة . وكان يعلم بوضوح ان موقفه سيكون خطيرا
امام هذا التحالف دون دعم ابراهيم وقد وقع ما كان يخشاه اذا اندحرت
قواته في معركة المذار امام قوات مصعب بن الزبير ، وقد لاقى قائد
المختار المشهور احمر بن شبيب مصرعه في هذه المعركة .

وعلى الرغم من مكاتبات المختار لابراهيم واستصراخه لكي يتجده
من هزيمته المحققة فإن ابراهيم لم يركب الصمت ولم يحرك ساكنا وترك المختار
يلقي حتفه على يد مصعب بن الزبير . ويورد ابن أعثم الكوفي قولا
صريحا على لسان المختار وهو يطمح في عون ابراهيم بقوله : « ياله من يوم
لو حضرني فيه ابن الأشتر ولكنه قعد عني وخذلني ووالله ما من الموت
بد » (١٠١) .

ويشير الطبري ان بعض انصار المختار قد تركوا ابراهيم والتحقوا
بالمختار عندما رأوه متهاونا في دعم موقف المختار . ويضيف الطبري ان
انصار المختار هؤلاء قد شاركوه في قتال جيش مصعب بن الزبير (١٠٢) .
وبعد مقتل المختار في الكوفة ، اصبح العراق كله مع تابعه تحت
سيطرة الزبيريين . عند ذلك وجد مصعب من الضروري مكاتبة ابراهيم

بن الأشتر وكسبه الى جانبه . فيورد ابن أعثم ان مصعبا كان النادى في
مكاتبة ابن الأشتر ويذكر نص الرسالة والتي بها يذكر مقتل المختار وانتهاء
امره ويدعوا ابراهيم للبيعة ويعرض عليه الأمان فإن اجاب ابراهيم لعرض
مصعب فله أرض الجزيرة وما غلب عليه بسيفه من أرض المغرب ما بقي
وبقي سلطان آل الزبير (١٠٣) . وبدورهم الطبري والبلاذري يذكران ان
مصعب بن الزبير كاتب ابراهيم ولا تختلف رواية الطبري عما اورده ابن
أعثم وخاصة في مضمون الرسالة وان كان هنالك اختلاف في الكلمات
والصيغة (١٠٤) . ويقدم الدينوري رواية مخالفة لما جاء عند الطبري
والبلاذري وابن أعثم فيذكر ان ابراهيم هو الذي كتب الى مصعب طالبا
منه الأمان بعد أن تأكد له هزيمة المختار ومقتله (١٠٥) . وفي رأينا ان رواية
الدينوري لا يمكن الأخذ بها لأن ابراهيم ليس مضطرا الى مكاتبة مصعب
وأخذ الأمان منه لانه في موقف ليس بالضعيف خاصة وان الخليفة
الأموي عبد الملك بن مروان كان يود لو يستطيع ان يكسب قائدا من
نمط ابراهيم وقد حاول ولكنه فشل امام مبدئية ابراهيم .

ومن جانب اخر نجد الخليفة عبد الملك بن مروان ينتهز اضطراب
حال العراق بمقتل المختار فيراسل ابراهيم حيث أورد المؤرخون القدامى
نص رسالته الى ابراهيم وهي تشبه رسالة مصعب بن الزبير من ناحية
الاسلوب ابتداء من المقدمة الاستهلاكية الى خاتمتها . فالخليفة الأموي
يركز على حق الروائيين في الحكم ويدعوا ابن الأشتر الى الدخول في
طاعته مقدما له الاغراءات بأن يكون لابراهيم فيا لو قبل عرض عبد
الملك كل أرض المشرق وما غلب عليه ما بقي وبقي سلطان آل
مروان (١٠٦) .

وأزاء هذه المتغيرات اراد ابراهيم بن الأشتر استجلاء آراء انصاره وجنده
لأن القضية لا تهمه شخصيا حسب بل تخص الجميع . فعرض عليهم
رسالة مصعب بن الزبير ورسالة عبد الملك وعروضها . فلم يتفق اصحابه
على رأى واحد . ففريق يقترح عليه الانضمام لعبد الملك بن مروان وفريق
آخر يطلب منه الانضمام لمصعب بن الزبير (١٠٧) . هذا وقد استطاع
ابراهيم حسم الموقف برؤيته الواضحة ، فقرر ان ينضم الى جانب مصعب
بن الزبير لان في العراق مصره وهي الكوفة وعشيرته وفي العراق ماضيه
فليس من السهل عليه ان ينسى كل هذه الاعتبارات وينضم الى عبد
الملك ويكون ظهيرا له على مصره . وقد برر ابراهيم عدم انضمامه لاهل

(١٠٣) الطبري ص ١١١ ، البلاذري ص ٣٣٦ ، ابن الأثير ص ٢٧٥ .

(١٠٤) الدينوري ص ٣٠٩ .

(١٠٥) ابن أعثم ص ٢٠١ ، الطبري ص ١١١ ، البلاذري ص ٣٣٦ .

(١٠٦) الطبري ص ١١١ ، ابن الأثير ص ٢٧٥ .

(١٠٧) الطبري ص ١١٢ .

(٩٧) ابن أعثم ص ١٨٥ .

(٩٨) دائرة المعارف الإسلامية مادة ابراهيم ص ١٢ ، ١ بالفرنسية .

(٩٩) ابن أعثم ص ١٨٧ .

(١٠٠) ابن أعثم ص ١٩٠ .

(١٠١) طبري ص ٩٥ .

(١٠٢) طبري ص ٩٥ ، ابن أعثم ص ١١٠ .

الشام لانه قد وترهم في معركة الخازر فهو لا يأمنهم على نفسه (١٠٨). ولعل رده على اصحابه يوضح وجهة نظره بهذا الموضوع بقوله : «انه ليس بالشام قبيلة الا وقد وترتها وقتلت رجالها في يوم عبيد الله وما كنت بالذي اختار علي مصري مصرا ولا على عشيرتي عشيرة واللاحاق بالعراق أحب اليّ وأعود عليّ» (١٠٩).

ومن هذا المنطلق اختار ابراهيم بن الأشتر الطرف الذي لا يتناقض مع مواقفه السابقة ولا يجعله بصراع مع مبادئه ولا سابق سيرته ، فتوجه الى الكوفة وبايع مصعب بن الزبير ، «فقربه وادناه واجلسه معه على سريريه ثم خلع عليه وامر له بجائزة سنية وصرفه الى منزله» (١١٠). وكتب بذلك الى أخيه عبد الله بن الزبير فسر بذلك سرورا شديدا (١١١). وبأنضمام ابن الأشتر الى جانب مصعب قويت شوكة آل الزبير بالعراق واصبحت الدولة العربية مقسمة على النحو التالي : لابن الزبير أرض الموصل والجزيرة والعراق والحجاز واليمن وأرمينية واذريجان ، والشام ومصر والمغرب في يد عبد الملك بن مروان (١١٢).

وقد أصبح ابراهيم بن الزبير ومن المقربين اليه ، وكذلك من الناس الذين يعتمد عليهم في إدارة شؤون العراق . وتذكر مصادرنا الأولية ان مصعب بن الزبير عين ابراهيم واليا على الكوفة عندما انشغل مصعب باخماد فتنة الزبيريين والروائيين في البصرة (١١٣). وكان أهل الكوفة يختارون ابراهيم للتوسط لدى مصعب بن الزبير في الأمور ذات الشأن الخطير كما حدث في مسألة جيس عبيد الله بن الحر وقد تفهم مصعب وجهة نظر ابراهيم ووافق على ما طلبه منه (١١٤).

ولا ندرى هل إن ابراهيم بقى واليا على الموصل بعد مبايعته لمصعب فهناك تضارب في الروايات التاريخية . فأبن الأشتر في رواية البلاذري قد تم عزله عن ولاية الموصل وتعيين المهلب بن ابي صفرة بدلا عنه . وعين مصعب بن الأشتر على الموصل ووجه المهلب لقتال الخوارج لانه باحوالهم اعرف (١١٥).

بينما يذكر الطبري ان ابن الأشتر كان واليا على الموصل والجزيرة سنة ٧١ هـ عندما توجه عبد الملك بن مروان لمحاربة مصعب بن الزبير ، وهذا دليل على انه رجع للموصل وظل بها واليا لابن الزبير (١١٦).

ان حالة الدولة العربية وهي مجزئة الى منطقتي نفوذ لم تكن مرضية لشخص حازم مثل عبد الملك بن مروان . فقد اجمعت المصادر المبكرة والمتأخرة ان عبد الملك جمع اهله وقاته وانصاره وأخذ رأيهم بصدد حالة الدولة العربية تلك . فعقد عزمهم على حسم الأمر عسكريا فأما ان يكون لصالح الأمويين أو لصالح الزبيريين . فجهز جيشا كبيرا وزحف به على العراق لكي يبدأ بمصعب بن الزبير ثم ينتهي بأخيه عبد الله في مكة (١١٧). ولم تكن هذه التدابير خافية عن عين وسمع مصعب فبدأ هو الآخر في استعداداته لملاقاة عبد الملك فخرج من الكوفة وعسكر على بعد عشرة فراسخ عنها لكي يوافيه الناس هناك فخذلوه (١١٨).

وهنا تظهر مشكلة طالما واجهها اشخاص قبل مصعب بن الزبير وهو تحاذل أهل العراق وتقايسهم عن القتال . والمؤرخون القدامى لا يعطوننا مباشرة المبررات والاسباب لهذا التخلي ، وانما هم يزودوننا باشارات متناثرة هنا وهناك وعلى الباحث ان يجمعها لكي يكون منها فكرة واضحة . فلما تجدر اليه الملاحظة ان أحد الاسباب الرئيسة والتي يشدد عليها المؤرخون هو استخدام الخليفة الأموي عبد الملك لاسلوب الترغيب وشراء النفوس واستمالتها بالأموال والمناصب . وهناك اسباب فرعية منها ان العراقيين قد ملوا القتال وحالة الاضطراب السياسي التي تعم مصرهم فهم انحسوا العافية والاستقرار . فضلا عن ذلك فأنهم قد كرهوا سياسة مصعب بن الزبير الدموية تجاه انصار المختار وتجاه فتنة الزبيريين والروائيين في البصرة . وقد نجحوا جميعا في التخلي عن مصعب وتركه امام مصيره المحتوم باستثناء ابراهيم الذي أخلص اليه وذهب ضحية قصر نظر مصعب . وقد ساهم أحد أنصار المختار في قتل مصعب وهو يقول : بالثارات المختار (١١٩) ، مما يدل على ان جذوة الثأر لم تحمد وإن مصعب خلق لنفسه اعداء دون مبرر .

وعلى أية حال فإن عبد الملك قد سار على نفس سياسة معاوية بن ابي سفيان فكاتب اشراف العراق وخاصة الكوفيين ومناهم بالمناصب والأموال وكان في طليعتهم ابراهيم بن الأشتر . فأخذ الرسالة وقدمها الى مصعب فرفضها فكان نصها : « فأني اعلم أن تركك الدخول في طاعتي ليس الا عن معتبة فلك الفرات وما سقى فأنجز اليّ فيمن أطاعك من قومك والسلام» (١٢٠).

ان المتبع لاحداث عام ٧٢ هـ يندعش امام غفلة مصعب بن الزبير وعدم اعتباره لما حدث لعلي بن ابي طالب وابنائهم من بعده وللمختار

(١١٧) ابن أعمش ص ٢٩٣ .

(١١٨) ينظر الطبري وابن سعد والبلاذري وابن أعمش .

(١١٩) الزبير بن بكار اللطيفات ص ٥٢٨ . بلاذري ص ٣٤٠ ، دائرة المعارف الإسلامية - مادة ابراهيم - ص ١٢ ، ١ .

(١٢٠) ابن الأثير ص ٣٢٤ .

(١٠٨) ابن أعمش ص ٢٠١ ، ابن الأثير ص ٢٧٥ .

(١٠٩) ابن أعمش ص ٢٠٢ .

(١١٠) نفس المصدر .

(١١١) نفس المصدر .

(١١٢) ابن أعمش ص ٢٥٦ ، البلاذري ص ٣٣٢ .

(١١٣) ابن أعمش ص ٢٢٠ .

(١١٤) الطبري ص ١١٣ وما بعد ، ابن الأثير ص ٣٢٤ .

(١١٥) الطبري ص ٢١٤ وما بعد ، ابن الأثير ص ٣٢٤ .

(١١٦) ابن أعمش ص ٢٦٣ ، ابن الأثير ص ٢٢٤ .

حَاجِبُ بَابِ النُّوْبِي فِي بَغْدَادِ خِلَالُ

درج العباسيون على اتخاذ الحجاب للوقوف على ابواب الخلفاء والوزراء واصحاب الدواوين وارباب الدولة ، لحجب الناس عن مقابلة المحجوبين الا بعد ان يأخذوا الاذن بذلك . وتحدثت المصادر عن هؤلاء الحجاب واصنافهم وصلاحياتهم ، واشارت الى المنزلة الرفيعة التي كان يتمتع بها حجاب دار الخلافة بصورة خاصة ومن بينهم حاجب باب المراتب^(١) وحاجب باب النوبي اللذين كانا يمثلان موظفين مهمين من موظفي الدولة ومن نظرائهم الحجاب الاخرين .

غير ان وظيفة حاجب باب النوبي في اخر العهد العباسي كانت تقابل مدير شرطة بغداد ومدير الامن فيها ، حيث كان مسؤولاً عن المحافظة على ضبط الامن في بغداد واتخاذ الفتن والقبض على الجناة والمفسدين واحلال الهدوء والسلام ومراقبة تصرفات اصحاب العقائد ومعاينة ذوي المبادئ المعادية للدولة والتي ربما تؤدي الى بلبلة افكار الناس واحداث الفوضى والقيام بجميع الاعمال التي تكفل سلامة الناس وطمانينتهم كما يتولى اقامة الحدود (Peines Fixes) والنظر في الجرائم والاضطلاع

(١) احدى ابواب دار الخلافة ببغداد في العصر العباسي ، ويبدو ان اسمها اخذ من دابة النوبة التي كانت تقف امامه . وهو يقع في الجانب الشرقي من بغداد ويسمى باب العتبة ايضاً ، نسبة الى العتبة التي كان الرسل والملوك وروساء مواكب الحج القادمين الى بغداد يقبلونها ، وكان هذا الباب يمثل في بعض الفترات باباً رئيسياً لدار الخلافة (الكازروني) مقامه في قواعد بغداد في الدولة العباسية (بغداد - ١٩٦٢) ص ١٧ ، (مصطفى جواد دليل خارطة بغداد - ١٩٥٨) ص ١٥٨ .

والتقي مع أهل العراق وخاصة الكوفيين . تمثل الرسالة الموجهة من عبد الملك ولكنه رفض ذلك العرض واني أن يقدر بمصعب الذي أثبت انه قصير نظر برفضه كذلك نصيحة المهلب بن أبي صفرة بالبقاء معه لكي يتقوى به في حرب عبد الملك فصرفه الى حرب الخوارج الازارقة^(١٢١) . ان مصعب قد سهل مهمة عبد الملك بن مروان في القضاء عليه بأن يضرب اعناق الأشراف الذين كانتهم عبد الملك واذا لم يستطع فعله ان يحسيهم لحين انجلاء الموقف . بيد أن مصعباً رفض نصيحة ابراهيم وترك هؤلاء الأشراف يتحركون كيفما يشاءون وطلب ابراهيم ازاء تعنت مصعب ان لا يمده اثناء القتال هؤلاء الأشراف .

وعسكر عبد الملك بجيشه الكبير في مسكن واستغل الأشراف الليل فأنسلوا الى معسكر عبد الملك فأصبحوا قوة مضافة ضد مصعب الذي عرف بعد فوات الأوان خطل رأيه . واعلنت ربيعة عن موقفها الحيادي المتألي مع عبد الملك فخذلت مصعب^(١٢٢) . والتقى الجيشان فكان ابراهيم على مقدمة جيش مصعب فجعل يقاتل قتالا «لم يسمع الناس بمثله»^(١٢٣) . ونجح في دحر الجيش الشامي بفضل ثباته وكاد هذا الموقف أن يعطي ثمارا في صالح الجيش العراقي ولكن مصعباً أمد ابراهيم بقائد اسمه عتاب بن ورقاء الذي كاتب عبد الملك حيث غدر بابراهيم بأن تركه وحده في الميدان فتعاورته السيوف وحز رأسه وقدم لعبد الملك الذي عدّه أول بوادئ النصر . وبقي مصعب وحيدا مع قلة من أنصاره وابنه عيسى . وطلب مصعب من القادة الكوفيين أن يتقدموا لقتال أهل الشام فلم يتحركوا وهم قطن بن عبد الله الحارثي وحجار ابن ابجر ومحمد بن عبد الرحمن سعيد . عند ذاك تبينت خيانتهم لمصعب وصديق رأى ابراهيم فيهم فقال لمصعب «يا ابراهيم ولا ابراهيم لي اليوم»^(١٢٤) . واستأثرت مصعب في القتال ورفض امان عبد الملك له ولابنه عيسى وظل يقاتل متأسيا بموقف الحسين بن علي فكثرت جراحاته وتم قتله وقطع رأسه وقدم لعبد الملك الذي استطاع ضم العراق وتوابعه الى دولته .

وتاريخ مقتل ابراهيم يختلف فيه المؤرخون في دير الجائليق فالطبري يعطي سنة ٧١هـ / ٦٩٠م بينما يعطيه ابن عساكر وابن سعد والمسعودي والدينوري ودائرة المعارف الإسلامية سنة ٧٢هـ / ٦٩٢ وهو تاريخ أكثر منطقية عندنا لانه يتفق مع الحوادث اللاحقة وخاصة عملية محاصرة عبد الله بن الزبير ومقتله .

(١٢١) موفيات ص ٥٢٨ ، البلاذري ص ٣٤١ ، المسعودي ص ١٠٦ .

(١٢٢) ابن أعم ص ٢٦٥ .

(١٢٣) موفيات ص ٥٢٩ ، ابن الأثير ص ٣٢٦ .

حَاجِبُ بَابِ النُّوْبِي فِي بَغْدَادِ خِلَالُ

درج العباسيون على اتخاذ الحجاب للوقوف على ابواب الخلفاء والوزراء واصحاب الدواوين وارباب الدولة ، لحجب الناس عن مقابلة المحجوبين الا بعد ان يأخذوا الاذن بذلك . وتحدثت المصادر عن هؤلاء الحجاب واصنافهم وصلاحياتهم ، وأشارت الى المنزلة الرفيعة التي كان يتمتع بها حجاب دار الخلافة بصورة خاصة ومن بينهم حاجب باب المراتب^(١) وحاجب باب النوبي اللذين كانا يمثلان موظفين مهمين من موظفي الدولة ومن نظرائهم الحجاب الآخرين .

غير ان وظيفة حاجب باب النوبي في اخر العهد العباسي كانت تقابل مدير شرطة بغداد ومدير الامن فيها ، حيث كان مسؤولاً عن المحافظة على ضبط الامن في بغداد واتخاذ الفتن والقبض على الجناة والمفسدين واحلال الهدوء والسلام ومراقبة تصرفات اصحاب العقائد ومعاينة ذوي المبادئ المعادية للدولة والتي ربما تؤدي الى بلبلة افكار الناس واحداث الفوضى والقيام بجميع الاعمال التي تكفل سلامة الناس وطمانينتهم كما يتولى اقامة الحدود (Peines Fixes) والنظر في الجرائم والاضطلاع

(١) احدى ابواب دار الخلافة ببغداد في العصر العباسي ، ويبدو ان اسمها اخذ من دابة النوبة التي كانت تقف امامه . وهو يقع في الجانب الشرقي من بغداد ويسمى باب العتبة ايضاً ، نسبة الى العتبة التي كان الرسل والملوك وروساء مواكب الحج القادمين الى بغداد يقبلونها ، وكان هذا الباب يمثل في بعض الفترات باباً رئيسياً لدار الخلافة (الكازروني) مقامه في قواعد بغداد في الدولة العباسية (بغداد - ١٩٦٢) ص ١٧ ، (مصطفى جواد دليل خارطة بغداد - ١٩٥٨) ص ١٥٨ .

والتقي مع أهل العراق وخاصة الكوفيين . تمثل الرسالة الموجهة من عبد الملك ولكنه رفض ذلك العرض واني أن يقدر بمصعب الذي أثبت انه قصير نظر برفضه كذلك نصيحة المهلب بن أبي صفرة بالبقاء معه لكي يتقوى به في حرب عبد الملك فصرفه الى حرب الخوارج الازارقة^(١٢١) . ان مصعب قد سهل مهمة عبد الملك بن مروان في القضاء عليه بأن يضرب اعناق الأشراف الذين كانتهم عبد الملك واذا لم يستطع فعله ان يحسيهم لحين انجلاء الموقف . بيد أن مصعباً رفض نصيحة ابراهيم وترك هؤلاء الأشراف يتحركون كيفما يشاءون وطلب ابراهيم ازاء تعنت مصعب ان لا يمده اثناء القتال هؤلاء الأشراف .

وعسكر عبد الملك بجيشه الكبير في مسكن واستغل الأشراف الليل فأنسلوا الى معسكر عبد الملك فأصبحوا قوة مضافة ضد مصعب الذي عرف بعد فوات الأوان خطل رأيه . واعلنت ربيعة عن موقفها الحيادي المتألي مع عبد الملك فخذلت مصعب^(١٢٢) . والتقى الجيشان فكان ابراهيم على مقدمة جيش مصعب فجعل يقاتل قتالا «لم يسمع الناس بمثله»^(١٢٣) . ونجح في دحر الجيش الشامي بفضل ثباته وكاد هذا الموقف أن يعطي ثمارا في صالح الجيش العراقي ولكن مصعباً أمد ابراهيم بقائد اسمه عتاب بن ورقاء الذي كاتب عبد الملك حيث غدر بابراهيم بأن تركه وحده في الميدان فتعاورته السيوف وحز رأسه وقدم لعبد الملك الذي عدّه أول بوادئ النصر . وبقي مصعب وحيدا مع قلة من أنصاره وابنه عيسى . وطلب مصعب من القادة الكوفيين أن يتقدموا لقتال أهل الشام فلم يتحركوا وهم قطن بن عبد الله الحارثي وحجار ابن ابجر ومحمد بن عبد الرحمن سعيد . عند ذاك تبينت خيانتهم لمصعب وصديق رأى ابراهيم فيهم فقال لمصعب «يا ابراهيم ولا ابراهيم لي اليوم»^(١٢٤) . واستأثرت مصعب في القتال ورفض امان عبد الملك له ولابنه عيسى وظل يقاتل متأسيا بموقف الحسين بن علي فكثرت جراحاته وتم قتله وقطع رأسه وقدم لعبد الملك الذي استطاع ضم العراق وتوابعه الى دولته .

وتاريخ مقتل ابراهيم يختلف فيه المؤرخون في دير الجائليق فالطبري يعطي سنة ٧١هـ / ٦٩٠م بينما يعطيه ابن عساكر وابن سعد والمسعودي والدينوري ودائرة المعارف الإسلامية سنة ٧٢هـ / ٦٩٢ وهو تاريخ أكثر منطقية عندنا لانه يتفق مع الحوادث اللاحقة وخاصة عملية محاصرة عبد الله بن الزبير ومقتله .

(١٢١) موفيات ص ٥٢٨ ، البلاذري ص ٣٤١ ، المسعودي ص ١٠٦ .

(١٢٢) ابن أعمى ص ٢٦٥ .

(١٢٣) موفيات ص ٥٢٩ ، ابن الأثير ص ٣٢٦ .

نائب الشرطة ومدير الأمن العصر العباسي الأخير

الدكتور سوادى عبد محمد

« قِسْمُ التَّارِيخِ - جَامِعَةُ البَصْرَةِ »

بالاعمال العسكرية التي كانت تعتبر وسطاً بين اعمال نائب الشرطة (٢) وقائد الجيش ، وكان ينوب عنه موظفون يعملون على حفظ النظام واستتاب الأمن في اقاليم الدولة العباسية ويساعده القضاء والعمال في تنفيذ الاحكام القضائية . كما كان يتخذ صفة الحاكم لعدد غير محدود من الجنح يعاقب عليها انياً ويراقب المجرمين ويطاردهم ليجلبهم بالتالي امام القاضي ان امكن (٣) .

وليس من المستبعد القول ان تكون الدولة العربية قد اخذت تنظيمات الامن (Seturifas) عن البيزنطيين حيث كانت في بدايتها تختصر في تنظيم الحرس الخاص او حرس الليل ثم تطور مفهوم الامن بعد ذلك لتصبح وظيفة مرتبطة بالقضاء وتابعة له وموعدة استيفاء الحدود (٤) اي ان موضوع الامن اصبح يقوم على تنفيذ العقوبات التي تحددها الاحكام القضائية .

(٢) عرفت الشرطة بهذا الاسم لانهم اشرفوا انفسهم بعلامات يعرفون بها وكان الخليفة عمر بن الخطاب اول من ادخل نظام العسس في الليل ، وفي عهد الخليفة علي بن ابي طالب نظمت الشرطة واطلق على رئيسها صاحب الشرطة اما في العهد الأموي فقد اوجد معاوية الشرطة لتقوم بحراسته أثناء الصلاة

او انها لتكون في يد عائلة لتنفيذ سياسته انظر :

ابن الاثير الكامل في التاريخ (مصر - ١٣٤٨هـ) ج ٣ ص ١٩٨

(٣) الذي كان بالاصل (صاحب الشرطة) ويلقب (صاحب الليل) او صاحب المدينة لانه يحفظ النظام ويساعد على استتاب الأمن في المدينة ويقبض على الجناة ان عاثوا فساداً في الليالي الخائكات . (د. صبحي الصالح ، النظم الإسلامية (بيروت ١٩٧٨) ص ٣٣٤

(٤) ديمومين ، النظم الإسلامية (دار النشر للجامعيين) (بيروت ١٩٦٠) ص ١٧٩ - ١٨٠

اما في العصر العباسي الأخير الذي اقترن بظهور بعض الطوائف المفسدة من الروباش والشطار ومن الفتاك والصقور - اي اللصوص والقتلة . فقد اجازت الدولة صاحب شرطة الأمن او ما يعرف بنائب الشرطة وبدأ يتفرد عن القضاء ويستقل بالنظر في الجرائم او تعقيب الطوائف المفسدة من المجرمين وكان اصحاب المهن والحرف والتجار في المدن ينظمون احياناً ما يعرف بنظام الفتوة للقيام بأعمال الشرطة واصبح لها لباس خاص يسمى (لباس الفتوة) او (سراويل الفتوة) ولها تشكيلات خاصة تشتمل على قائد وفتية . وعريف كما وجدت اسماء اخرى تدل على القائمين به مثل الفتيان والاحداث والعيار (٥) .

وقد ظلت وظيفة (صاحب الأمن) مرتبطة بمحابة باب النوبي مما ترتب عليه اتخاذ باب النوبي بمرور الزمن محلاً لصاحب الأمن ويتضح ذلك من ترجمة بعض من تولى الشرطة ببغداد منهم ابو منصور ابن الطحان الذي قيل عنه كان صاحب الأمن بباب النوبي (٦) وجمال الدين علي بن ابي المعالي المعروف بأبن البوري وكان قد ولي الشرطة في أيام الخليفة الناصر لدين الله وابو الفتح ابن الصيقل الهاشمي وابن الكيا الهراسي وابو القاسم علي بن محمد ابن هبة الله ابن صاحب (٧) اللذين تقلدوا منصب صاحب الأمن في بغداد .

ويبدو ان صلاحيات صاحب الأمن كانت تشمل على الأمن واستتابة في ابواب مدينة بغداد (٨) بصورة خاصة ، فضلاً عن دواخل المدينة وقصبتها ، فيشير ابن الساعي الى الاجراء الذي اتخذه ابو جعفر ابن التاعم صاحب الأمن بالقبض على جماعة من اهل محلة باب البصرة الذي ثبتت تعدياتهم على الناس ، وعاقبهم بالزامهم بمال قرره عليهم (٩) كما يحسن معلم اساءة معاملة الاولاد الذين كان يعلمهم ، حبه في حجرة بباب النوبي ثم اخرج ظاهر الباب وعوقب بالتشهير به امام حشد من المعلمين في بغداد احضرهم صاحب الأمن لهذا الغرض (١٠) وفي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤ م وقعت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج واهل

(٥) ابن خلدون ، المقدمة (القاهرة - ١٣٢٢ هـ) ص ١٩٨ - ١٩٩

(٦) ابن المكار ، كتاب الفتوة (تحقيق الدكتور مصطفى جواد - ١٩٦٠)

والدكتور عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى

(٧) ابن الساعي ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ج ٩

(تحقيق الدكتور مصطفى جواد ببغداد ١٩٣٤) ص ٤٦

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم (دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن ،

١٣٥٧هـ) ج ١٠ ص ١٦١

(٩) وهي باب ابراز الازج ، البائي بئر ، البدرية ، البصرة ، البصلية ، التين ، جامع

القصر ، الحجره ، حرب ، الحرم ، الحلبة ، الخاضعة ، السلطان ، الشرقي ، الطاق ،

طراد ، الطلمس ، الظفرية ، العامة ، عليان ، الغربية ، الغلة ، القردوس ، كراداد ،

المنيع ، المراتب ، المعظم ، الوسطاني ، كطلتا .

(١٠) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ج ٩ ص ٤٦ .

المأمونية ، فركب صاحب الامن ابو القاسم قيثم بن طلحة الزبيني المعروف بأبن الاتني ليعمل على تهدئة الاوضاع واسكان رؤوس الفتنة والقضاء عليها^(١١).

ومن المحتمل جداً ان نائب الشرطة وصاحب الامن ، كان يتخذ الاجراءات التي يراها مناسبة لكل قضية من القضايا التي تعرض ، ففي سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٥م جرح احدهم شاباً بسكين جرحاً بليغاً أدى الى وفاته فطلب صاحب الامن القاتل فلم يبتد اليه فنودى عليه في الشوارع والدروب وحذر الناس من مغبة التستر عليه ، ولكن مملوكاً تركياً من خدم بلاط الخليفة الناصر لدين الله قبض عليه وهو محتسب في سطح داره واوثقه واخذته الى حجرة باب النوبي ، قرر صاحب الامن قتله ضرباً بالسيف ، ليكون عبرة وموعظة ولغيره^(١٢) . وفي السنة التالية ثار جماعة من العوام على حراس باب النوبي واتباع الباعة ، فتسببوا في جرح عدد منهم وقتل اخرين ، فخاف صاحب الامن من ذلك العيث والفساد وانتشار البلبلة ، فأحضر شخصين ممن ساعدوا على تحريضهم وهما (براهما) و (عُثْلُك) وقرر قتلها فارتدع بهما امثالها وانحسمت مادة القتل والفساد وانكف العوام عن تطاولهم^(١٣).

وكان صاحب الامن يعاقب المسيئين على اختلاف منازلهم ومكانتهم العلمية او الاجتماعية او السياسية ، ففي سنة ٥٧٣هـ / ١١١٧م قبض على واعظ اتهم بشرب الخمرة وجيء به الى باب النوبي فأسمعه صاحب الامن مكروهاً ثم كتب في امره الى ديوان الخلافة فقوضه الخليفة امر طرده من بغداد^(١٤) . وفي سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م احضر العبد ابو محمد عبد الله بن المأمون قاضي دجيل الذي ادعى نسبه الى الخليفة واستغل مركزه ووظيفته امام صاحب الامن في باب النوبي فعاقبه بكشف رأسه عند الصخرة ودرر ثم شهر في عمود البلد ونودى عليه (هذا جزاء من يزور) وذلك على الرغم من هذا الرجل كان من بيت كبير معروف بالشرف والعدالة والعلم والقضاء^(١٥) . كما يذكر ابن الساعي

ان صاحب الامن عاقب احمد بن المقرئ بالقتل ، حيث سلمه الى غرمائه الذين تولوا قتله وكان ابن المقرئ شاباً مليحاً له فضل وعنده ادب و يقول الشعر^(١٦) ، ويبدو ان المحافظة على الامن والاستقرار في بغداد الذي يسعى اليه صاحب الامن يعطيه تبريراً باتخاذ عقوبات رادعة

(١١) المصدر نفسه ص ١٢١ .

(١٢) المصدر نفسه ص ١٤٦ - ١٤٨ .

(١٣) ذكر ابن الساعي انه احضر الى دار الوزير حيث استجوب فأعترف بذنبه فأوصى ان تتخذ بحقه أشد العقوبات (الجامع المختصر من ١٩٩ - ٢٠٠) .

(١٤) المصدر نفسه ص ٢٢٨ .

(١٥) ابن الجوزي ، للتنظيم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ٢٧١ .

(١٦) ابن الساعي ، المصدر نفسه ص ٢٧١ .

ضد كل من تسول له نفسه العيث بأمن الناس وطمأنينتهم .

ويمكن القول على ضوء النصوص المتوفرة لدينا ، ان الاعمال التي كان يعاقب عليها صاحب الامن والتي تتعارض مع استتباب الامن والاستقرار لعل في مقدمتها اثاره الفتنة والاضطرابات بين الناس وتطرف العوام وشغبهم^(١٧) - ففي سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م قتل اهل محلة الكرخ رجلاً من اهل قطفنا فحمل اهل المقتول قتلهم وجاءوا به الى باب النوبي ليشكو نائب الشرطة صاحب الامن واطلاعه على الامر فدخل جماعة من الخدم الى الخليفة وعرفوه وعظمو ذلك وتسبوا الى اهل الكرخ كل فساد فأمر الخليفة صاحب امن باب النوبي بروع مثيري الفتنة من الكرخيين فأستغل العوام الفرصة ونهبوا محلة الكرخ وقتلوا بعضاً منهم اهلها فأخذ صاحب الامن ما يلزم لقمع الفتنة حيث انتشر رجاله بالامان ثم وضع جميع ما اخذ من محلة الكرخ امام باب النوبي لكي يسرد كل شخص ما اخذه منه وعاقب مسبب هذه الفتنة بالصلب والقتل فتم قطع دارها واستصال شأفتها^(١٨) . ويذكر ابن الساعي انه بلغ صاحب الامن خبر الفتنة التي وقعت بين عوام باب الازج واهل محلة المأمونية سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م بسبب اقدام العوام على وقتل سبع^(١٩) على عاداتهم حيث جاءوا به الى باب الازج وقرروا ان يطوفوا به على المحلات ويمتازوا المأمونية لغرض احداث البلبلة والفوضى ليسبى لهم من خلالها التسلل الى المحلات والبيوت للنهب والسلب غير ان اهل المأمونية منعوهم من الاجتياز بمحلتهم فجمع اهل باب الازج خلقاً من العوام ونشبت الفتنة فأخذ صاحب الامن قراره لكي يسود الامن والاستقرار فأرسل اعوانه ورجاله فأدركوهم وحالوا بين العوام لتحقيق مأربهم (واحضر روهوس هذه الفتنة وكفوا المفرضين عن الفساد وسكن الامر وانقطعت الفتنة)^(٢٠).

ويجبل الينا ان اهم عمل كان يقوم به صاحب الامن هو مراقبة

(١٧) ولما كان بحجرة باب النوبي محبوساً عمل بيتين من الشعر :

قدمت على الكرم بغير زاد من الاعمال والسلب السلم
وسء السطن ان سمعت زادا اذا كان القدوم على الكرم

(الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٠٠)

(١٨) تذكر المصادر الأولية ذكر الاحداث التي كانت تمر عن شغب العوام وتصميم المفرط ومناهضتهم للقانون والنظام .

انظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ابن المعيار ، كتاب الفتوة ، مجهول الحوادث الجامعة والتجارب النافعة .

(١٩) د . بدري محمد فهد تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ص ١٧٥ نقلاً عن مجهول الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ص ٤١٤ - ٣١٥ .

(٢٠) نسمع كثيراً في المصادر الأولية عن قيام عوام بغداد بعمليات قتل الاسود وتكرار ذكرها خاصة في ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ومجهول الحوادث الجامعة والتجارب النافعة

الاتفاقات التجارية والصفقات والبيع والشراء وما يترتب على ذلك من اجراءات واعمال الشهود فقد جمع صاحب الامن ، سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م الوكلاء والشهود والمخضرين^(٢١) وشرط عليهم ان لا (يتبرطلوا) من احد وان لا يأخذوا الشروطي^(٢٢) في كتب البراءة^(٢٣) اكثر من جتين ولا المخضرا اكثر من حبة ولا الوكيل اكثر من قيراطين واشهد عليهم الشهود^(٢٤) وليس اول على اهمية هذا المنصب وعلى من يتقلده من الاشارات الكثيرة التي جاءت في المصادر بأسماء تصف باب النوبي الذي كان مقرراً لصاحب الامن بـ «الشريف» و «المحروس» ومن ان باب الوزارة تقع مقابلة لباب النوبي وقرية منه^(٢٥) ، حيث لا يوجد اجل ولا اعل مقاماً ولا اكثر صلاحيات منه يتولى مهمة الاشراف على حاية هذه المؤسسة المهمة في الدولة لذلك يعد صاحب الامن واحداً من ارباب الدولة والمجتمع حيث يتقدم المواكب التي كانت تقام في الاعياد والمناسبات^(٢٦) ويستحوذ على سلطات واسعة وله ان يعاقب ويقتل وولايته نوعان ولاية بالاصالة والاخرى بالانابة .

ففي الاولى يكون صاحب السلطة الفعلية ويتمتع بعمله وصلاحياته بحرية تامة اما في الثانية فلن يكون صاحب الكلمة العليا في عمله ومقرراته حيث ترفع عنه «المخدة» التي يجلس عليها كما ترفع من بين يديه الدواة ويشير بسط ابن الجوزي الى ان تعيين صاحب الامن نائباً في الحجبة هو نوع من العقوبة التي تتخذ ضده^(٢٧) وقد جرت الحال مع محمد ابن عبد الله بن احمد الخلال الذي عين وكيلاً لباب القضاة ثم استحب في ديوان الخليفة واخيراً عوقب بتوليته نيابة الحجبة في باب النوبي سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م^(٢٨) .

ولعل من المفيد القول ان اغلب الذين تولوا نيابة الشرطة والمحافظة على الامن كانوا من عليّة القوم ومن المشهود لهم بالرياسة والتقدم والولاية فقد اشير الى ان ابي الحسن علي ابن حمزة بن طلحة المعروف بأبن الفشلام كان صديقاً فاضلاً ومن بيت معروف بالتقدم والولاية حيث تولى وظيفته بأمر من الخليفة المستضيء بأمر الله كما جاء عن ابن الاثري الذي تولى نيابة الشرطة والامن انه كان متولياً لنقابة العباسيين قبل

ذلك^(٢٩) وهو منصب رفيع في الدولة العباسية وعرف عن ابي القاسم الحسن بن نصر بن علي بن احمد بن الناقدا انه تولى في ظل الخدمة الناصرية اي في عهد الخليفة الناصر لدين الله فشمله بأنعامه طفلاً وبافعاً فسيا قدره وتلى الولايات وتنقل في الخدمات حتى رتب صاحب الامن في بغداد مقيماً بباب النوبي^(٣٠) ولكن من الجدير بالملاحظة اننا نسمع في اخبار بعض من تولى نيابة الشرطة في باب النوبي خلال العهد العباسي الاخير انهم كانوا يكتفون من القسوة والظلم اثناء مزاولةهم لوظيفتهم فعندما صرف ابو الحسين علي بن ابي البوري عن نيابة الشرطة ورب عوضه ابو منصور بن الطحان وخلع عليه «فارتاع الناس منه» لما كانوا يعلمونه من ظلمه وغشمة وقسوة قلبه^(٣١) كما وصف بأنه (قبيح الاعمال) سيء الطريقة عاتياً عاباً للظلم مؤثراً للاذى اخذاً لاعراض الناس بالتحريض والكذب ارتكب اثمًا عظيماً وتقلد مظالم^(٣٢) العباد ويشير ابن الساعي الى ان الناس «اعلنوا بلعنه وهوا بسجبه عند وفاته ولم اسمع احداً يترحم عليه في ذلك بل ما سمعت احداً الا وهو يلغنه ويسيء التناء عليه^(٣٣) وربما كان الاجراء الذي اتخذ بمزل صاحب الامن ابن الفشلام وابن البوري من وظيفتهما كذلك كان بسبب قسوتها وظلمها ، حيث جيسا وطولبا بمال ثم افرج عنها^(٣٤) .

ولاغرو فقد حرص الخلفاء العباسيون على تأكيد هبة صاحب الامن سواء بين رجاله وارباب باب النوبي ، او بين رجال الدولة من جهة او بين الناس والعوام من جهة اخرى لكي يستطيع ان يؤدي عمله ويحافظ على سلطوته وتنفيذ اوامره ، فقد عيب على صاحب الامن قثم بن طلحة الزنبي ابن الاثري موقفه من فع فتنة العوام حيث ركب لتداركها وحمل عليهم بحريته مما جعله في موقف ضعيف فقيل له (اردت ان تهيبه وربما ضريك احد العوام فقتلك) ومن ثم عزل عن نيابة الشرطة .

(٢٩) ابن الدسوقي التاريخ المذيل به على تاريخ بغداد للسعدي ج ١ ق (مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية ببغداد رقم ١٥٧) الورقة ٩٣ أ

(٣٠) ابن الساعي . الجامع المختصر ص ١٠٦

(٣١) وتسمى نقابة الهاشميين ويسمى متوليا نقابة وهو من رده ساء العباسيين واحكامهم ويشترط ان يكون من الفقهاء والعلول المشهورين بالصلاح والفضى لكي يستطيع التعرف على العباسيين وللسهر على مصالحهم وكان لهم عدة نقاء في الاعمال الاسلامي نقيب في مصر ونقيب في الحجاز ونقيب في العراق ونقيب في البصرة ونقيب في واسط اشهرهم نقيب في بغداد (العراق) الذي هو نقيب النقابة (ابن الجوزي المنتظم ج ٨ ص ٩٩ وانظر ايضاً بدري محمد فهد تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ص ٢٣١ - ٢٣٧

(٣٢) ابن الساعي المصدر نفسه ص ٢٥٠

(٣٣) اجمعت المصادر على وصفه بالقضاضة وغلظة القلب ولا تأخذه في الناس لومة لائم انظر ابن الساعي المصدر نفسه ص ١١٧ ابن الجوزي المصدر نفسه ص ١٨٩ سبط ابن الجوزي المصدر نفسه ص ٢٩٠ ثم الحوادث الجامعة ص ١٣١

(٣٤) ابن الساعي المصدر نفسه ج ٩ ص ١١٧

(٢٩) الجامع المختصر ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢٢) المختصرون الذين كانوا يكتبون في المخضر / اي السجل جميع ما يجري امام القاضي من افراد وحكم وما يتخذ من اجراءات

(٢٣) الشروطي تطبيق الطلاق بشرط من الشروط المقررة بين الطرفين .

(٢٤) البراءة . الحجبة التي كانت ينفذها كاتب المال للموادي ما يؤديه اليه (اي الوصل) .

(٢٥) بدري محمد فهد / تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ١٧٤ - ١٧٥

(٢٦) ابن الساعي . المصدر نفسه ص ٢٨٦

(٢٧) ابن الجوزي . المنتظم ج ١٠ ص ٢٥٨

(٢٨) مرآة الزمان ج ٨ ف ٢ ص ٢٣٠

يستخدم بعد ذلك (٣٥).

وكان لصاحب الامن اعوان يعرفون واصحاب الاخبار كانوا يرتدون الملابس الخاصة بهم ويتقلدون سيوفهم عما يسمعون ويرون لاتخاذ ما يلزم ويتفدون ما يربط بهم واجبات ولعل ما يعرف الان برجال الامن هم جميع اولئك الذين كان يرأسهم صاحب الامن في باب النوبي.

وفي مقدمتهم اصحاب الاخبار فالمهمة المناطة بهم تتشابه الى حد كبير منهم جميعاً يتقصون الاخبار ويسقطونها لدفع الضرر عن امن الناس وسلامتهم وتفادي الاخطا المحتملة التي ربما يتعرضون لها.

كان لصاحب الامن ثلة من المهندسين لامة يشار اليهم بأعوان باب النوبي (٣٦) اركبا يسمون (النقباء والمستخدمين) ينفذهم عند الحاجة لغرض الاستئانة بهم في قمع الفتن والاضطرابات التي كانت في بغداد او في اقاليم الدولة العباسية. ولعل الأعوان هم انفسهم النقباء الذين يشكلون مجموعة من ذوي الرتب العسكرية ومن يخدمهم صاحب الامن ويقيمهم على امانة الاستعداد لاي طارئ اما المستخدمون فهم العاملين تحت توجيهاتهم وقادتهم ، ومن بين هؤلاء الاعوان الذين ذكرهم ابن رجب ، يحيى بن سعيد البغدادي ، القطفي ، الفقيه المعدل الذي كان صاحب خبز باب النوبي (٣٧) وابراهيم بن علي بن بكروس الذي كان فقيهاً حنبلياً ، ناظر الفقهاء وافق ، ولكنه اصبح صاحب خبز باب النوبي ورعى ثوب الفقهاء ..

ثم فتك بالمال والحرم وضرب جماعة ورماهم في دجلة ثم تولى نيابة الشرطة وتقلدها ولكنه خلع ومن ثم انتقم منه فضربت بالخشب حتى مات تحت الضرب ورعى به في دجلة (٣٨).

وفي سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م نفذ صاحب الامن جماعة من النقباء والمستخدمين بباب النوبي لتثبيت العوام والحيلولة دون استغلالهم للنزاع الذي حدث بين اهل قطفنا واهل القرية في الجانب الغربي من بغداد بسبب (قتل سبع) حيث اريد تجويزه بالقرية ولكن رجال الامن من النقباء والمستخدمين والاعوان هزموا المقتنين ومثيري الشغب (٣٩).

على اننا يجب ان نذكر بأن صاحب الامن ورجاله ومعتمديه ووكلائه في باب النوبي مسوءولون عن المحافظة على امن بغداد وسيادة الاستقرار

فيها وقع الشغب والقوضى ، الا اذا حدث امر خطير يهدد سلامتها او سلامة العراق ويعرض الدولة ومؤسساتها ورجالها الى الخطر فعندئذ يتدخل موظف اخر اعل مرتبة منه في دار الخلافة العباسية هو الشحنة (٤٠).

وكان صاحب الامن في الدولة العباسية في عصورها الاخيرة يشرف بنفسه احياناً على استرجاع حالة الامن وسيادة الاستقرار وكف المفسدين والعابثين وتشتيت العوام والقضاء على شغبهم ، فإن لم يتمكن من قمعها تدارك الشحنة حتى تسكن الفتنة (٤١).

(٤٠) د. بدي محمد فهد تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ص ١٧٣

(٤١) ابن الساعي - الجامع المختصر ج ٩ ص ١٤٨

(٤٢) وهو الحاكم العسكري ببغداد والشحنة وظيفة الشحنة ، وتركيبا عربي تركي لان اصلها شجنجه ، وقال المترجم ان الشحنة هو محافظ المدينة او نائب الملك او رئيس الشرطة ومنصب الشحنة في عهد العباسيين الاواخر حاكم بغداد العراق معاً (السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٣٥ هامش رقم (١) .

(٣٥) المصادر نفسه ص ١٣٢

(٣٦) مجهول الحوادث الجامعة والتعارب النافعة ص ٦٣٨

(٣٧) يذكر المؤرخ انه حمل على الطرفين المتنازعين ونادى (بالهشام اي انه كان يستنجد باجداد العباسيين وسطرتهم الجامع المختصر ١. عنوان التواريخ ص ١٢٠ هامش رقم (١) ٢

(٣٨) ابن الساعي ، المصدر نفسه ص ١٤٧

(٣٩) الذيل على طبقات الحنابلة (القاهرة - ١٩٥٣) ج ٢ ص ١٨١

١٠ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة المنسوب خطأ لابن القوطي (تحقيق ونشر د. مصطفى جواد مطبعة الفرات - بغداد -- ١٩٣٢ م / ١٣٥١ هـ).

د. يدري محمد فهد

١١ - تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير (٥٥٢ - ٦٥٦ هـ / ١١٥٧ - ١٢٥٨ م).

(مطبعة الارشاد - بغداد - ١٩٧٣)

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزوا علي ابن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م).

١٢ - مرآة الزمان (الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الركن - الهند - ١٣٧٠ هـ).

ابن الديبشي ، محمد بن سعيد بن محمد (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)

١٣ - التاريخ المذيل به علي تاريخ ابن السمعاني (نسخة مصورة غير كاملة في المكتبة المركزية بغداد رقم ١٥٧).

ابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)

١٤ - الذيل على طبقات الحنابلة (القاهرة - ١٩٥٣)

المقريزي - تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

١٥ - السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق محمد مصطفى زيادة (مطبعة دار الكتب المصرية ولجنة التأليف والنشر ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م)

مصادر البحث

رقت المصادر بحسب ورودها في البحث

الكازروني ، ظهير الدين ابو الحسن علي بن محمد (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)

١ - مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية (تحقيق كوركيس عواد ميخائيل عواد مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٢ م)

ابن الاثير ، عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

٢ - الكامل في التاريخ (مصر - ١٣٤٨ هـ).

د. صبحي الصالح

٣ - النظم الاسلامية (بيروت - ١٩٧٨)

ديموميين ، غود فروا

٤ - النظم الاسلامية (دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٦٠ م)

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م).

٥ - المقدمة (القاهرة - ١٣٢٢ هـ)

ابن المعار ، ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م).

٦ - كتاب الفتوة (حققه ونشره د. مصطفى جواد و د. محمد تقي الدين الهلالي و د. عبد الحليم النجار واحمد ناجي القيسي (مكتبة المنقذ بغداد ، الطبعة الاولى - ١٩٥٨).

د. عبد المنعم ماجد

٧ - تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٢ ، نشر المكتبة الانكلو - مصرية)

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

٨ - المتظم في تاريخ الملوك والامم (مطبعة دائرة المعارف الاسلامية - حيدر اباد الركن - الهند - ١٩٥٩ م)

ابن الساعي - ابو طالب علي بن انجب تاج الدين (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م).

٩ - الجامع المختصر في عنوان الواريخ وعيون السير (نسخه ونشره د. مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ١٩٣٤ م / ١٣٥٣ هـ).

مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعِ السِّلَاحِي

٧٠٤ - ٧٧٤ هـ

سِيرَتُهُ وَمُؤَلَّفَاتُهُ

صالح مهدي عباس

مركز احياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد

الفصل الأول

سيرته

أولاً : تحليل موارد دراسة ابن رافع

هو تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس^(١) بن محمد بن شافع بن محمد بن نعمة^(٢) بن فتيان بن منير بن كعب السلاحي^(٣) الصبيدي^(٤) الحوراني^(٥) الأصل ، المصري المولد والمنشأ ، النعمشي الشافعي .

ترجم له جملة من المؤرخين تراجم متفاوت في طولها وقصرها وتباين في نوعية المعلومات التي أوردتها ، ونجد بين من ترجم له شيوخه ورفاقه في طلب العلم وتلامذته وهلم جراً الى أزمنة متأخرة . فقد ترجم له من معاصريه : شمس الدين الذهبي^(٦) «ت ٧٤٨هـ» وصلاح الدين

(١) بعض مصادر ترجمته تذكره بكنيته «أبي محمد» دون اسمه وهجرس : بكسر الحاء والراء بينهما جيم ساكنة ثم سين مهملة . (الدور الكامنة ٢/٢٨٣) .

(٢) انفرد ابن حجر في الدور الكامنة ٥٩/٤ بذكر نسب أوق لأبن رافع فزاد على مصادر ترجمته بما بيناه : . . . بن نعمة بن فتيان بن منير بن كعب .

(٣) نسبة الى قبيلة بني سلاّم . (غاية النهاية ٢/١٣٩ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/الورقة ١٠٧ ب) .

(٤) يضم الصاد المهمة وفتح الميم وتحذفها واسكان التحتية ، نسبة الى قرية من قرى حوران (ذيل تذكرة الحفاظ : ٥٢ هامش ٤ ، وذيل العبر لآبي زرعة الورقة ١٧٢ ، ووجيز الكلام الورقة ١٣٨) .

(٥) نسبة الى حوران : وهي كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع ، وقصبتها بصرى ، (معجم البلدان ٢/٣٥٨) .

(٦) معجم شيخ الذهبي . ٢/الورقة ١٥٨ أ .

الصفدي^(٧) «ت ٧٦٤هـ» ، وشمس الدين الحسيني^(٨) «ت ٧٦٥هـ» .
وولي الدين العراقي^(٩) «ت ٨٢٦هـ» ، وشمس الدين ابن الجزري^(١٠) «ت ٨٣٣هـ» .

وترجم له من بعد عصره جماعة منهم : تقي الدين المقرئ^(١١) ت ٨٤٩هـ ، وتقي الدين ابن قاضي شهبة^(١٢) «ت ٨٥١هـ» ، وشهاب الدين ابن حجر العسقلاني^(١٣) «ت ٨٥٢هـ» ، وجمال الدين ابن تغري بردي^(١٤) «ت ٨٧٤هـ» ، وقطب الدين الخيزري^(١٥) «ت ٨٩٤هـ» ، وسبط ابن حجر^(١٦) «ت ٨٩٩هـ» ، وشمس الدين السخاوي^(١٧) «ت ٩٠٢هـ» ، وجلال الدين السيوطي^(١٨) «ت ٩١١هـ» ، وأبو المفاخر النعمي^(١٩) «ت ٩٢٧هـ» وابن العباد

(٧) الوافي بالوفيات : ٦٨/٣ - ٦٩ .

(٨) ذيل تذكرة الحفاظ : ٥٢ - ٥٤ .

(٩) ذيل العبر ، الورقة ١٧٢ - ب .

(١٠) غاية النهاية في طبقات القراء : ١٣٩/٢ - ١٤٠ .

(١١) السلوك : ٣/القسم ١ - ٢٠٩ .

(١٢) تاريخه . ١/الورقة ٢١٥ ب - ١٢٠٩ . وطبقات الشافعية له . الورقة ١٢٧ ب - ١٢٩ .

(١٣) البناء الصرمانيات العمر ٤٧/١ - ٤٩ ، والدور الكامنة في أعيان المئة الثامنة : ٥٩/٤ - ٦٠ .

(١٤) النجوم الزاهرة : ١١/١٢٤ .

(١٥) اللمع الألفية لأعيان الشافعية ، الورقة ١١٣ أ - ب .

(١٦) رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ ، الورقة ٦٩ أ - ب .

(١٧) وجيز الكلام ، الورقة ١٣٨ ، والاعلان بالتاريخ : ٢٢٣ - ٢٢٤ وغيرها

(١٨) ذيل طبقات الحفاظ : ٣٦٦ .

(١٩) المدارس في تاريخ المدارس : ٩٤/١ - ٩٥ و ٩٨ و ١١٣ .

الحنبلي^(٢٠) وت ١٠٨٩ هـ .

وترجم له من المعاصرين عبدالحلي الكتاني الفاسي^(٢١) ، والمستشرق بروكلمان^(٢٢) ، وعباس العزاوي^(٢٣) ، وخير الدين الزركلي^(٢٤) وصلاح الدين المنجد^(٢٥) ، وعمر رضا كحالة^(٢٦) .

وليس في التراجم المتأخرة زيادة على ماورد في المصادر المعاصرة التي ترجمت له . إلا أننا لاحظنا أهمية ترجمة شمس الدين الذهبي له في «معجم شيوخه الكبير» التي تدل على نبوغه منذ فترة مبكرة ، حيث ان الذهبي قد ألف هذا «المعجم» وكان ابن رافع في الثالثة والعشرين من عمره^(٢٧) . فأخذ عنه هذا المؤرخ العظيم وادرجه ضمن شيوخه .

وأشارت ترجمة رفيقه صلاح الدين الصفدي الى رحلاته ، واهتمام العلامة تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي به ، واعطائه الوظائف العلمية ، وتولييه لبعض المدارس .

وانفرد رفيقه شمس الدين الحسيني بذكر رحلته الى الحج سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وتحديثه هناك . كما ذكر توليه لمشيخة النورية ، والعزية ، والزاوية الفاضلية .

أما ترجمة تلميذه الحافظ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي فقد انفردت بذكر نسبته ، وتخرجه بالقطب الحلبي^(٢٨) ، وأبي الفتح ابن سيد الناس^(٢٩) ، وانفردت كذلك بذكر تاريخ وفاته . وهو أول المصادر التي ذكرت كتاب «الوفيات» لابن رافع .

وأما ترجمة تلميذه شمس الدين ابن الجزري في كتابه «غاية النهاية في طبقات القراء» فإن لها أهميتها الإله ، وذلك لتخصص الكتاب بالذليل عُنوا بالقراءات وروايتها ودراساتها . وقد أشار ابن الجزري الى سماع ابن رافع

(٢٠) شلوات الذهب : ٢٣٤/٦ - ٢٣٥

(٢١) فهرس الفهارس : ٢٢٩/١ - ٢٣٠

(٢٢) Brock . G2, 33, S: 2, 30

(٢٣) التصريف بالمؤرخين : ٢٠٠/١ - ٢٠١ ، ومقدمة كتاب منتخب المختار لابن رافع .

(٢٤) الاعلام : ١٧٤/٦ ، وترجمة ثانية باسم محمد بن هجرس بن رافع سهواً منه : ١٣١/٧

(٢٥) المؤرخون دمشقيون : ٥٧ ، ومقدمة كتاب ذيل مشبه النسبة لابن رافع .

(٢٦) معجم المؤلفين : ٣٠٦/٩

(٢٧) تشير نسخة مكتبة أحمد الثالث ذات الرقم ٤٩٢ من معجم شيوخ الذهبي الكبير ، الى أن الذهبي أنما في أول صفر سنة ٧٢٧ هـ .

(٢٨) قطب الدين أبو محمد عبدالكريم بن محمد بن عبدالنور بن منير الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥ هـ (ذيل المعبر للذهبي : ١٨٦ - ١٨٧ ، ومرة الختان : ٢٩١/٤ - ٢٩٢ ، والدرر الكامنة : ١٢/٣ - ١٣) .

(٢٩) الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس البصري الاندلسي المصري المتوفى سنة ٧٣٤ هـ (الوافي بالوفيات : ٢٨٩/١ ، والبداية والنهاية : ١٩٦/١٤ ، والدرر الكامنة : ٣٣١/٤)

«التشاطبية»^(٣٠) و «الرائية»^(٣١) من بعض شيوخه وتحديثه بهذين الكتابين ، وسمع ابن الجزري لها عليه .

وتقدم تراجم المعاصرين إضافة لما ذكرنا تقوياً لمكانة ابن رافع العلمية ، اشترك في هذا التقوم شيوخه ورفاقه وتلامذته .

أما تراجم الذين جاءوا بعده فتأتى قيمتها من نقلها عن كتب معاصرة لم تصل إلينا ، فقد نقل ابن قاضي شهبة^(٣٢) ، وابن حجر العسقلاني^(٣٣) وقطب الدين الخيزري^(٣٤) ، وسبط ابن حجر^(٣٥) ، والنيسمي^(٣٦) ، وابن العماد الحنبلي^(٣٧) من كتاب «المعجم المختص بمحدثي العصر» لشمس الدين الذهبي الذي يعد من أوسع المصادر التي ترجمت لأبن رافع .

ونقل لنا أيضاً ابن حجر العسقلاني ، وقطب الدين الخيزري ، وابن العماد الحنبلي قول ابن حبيب^(٣٨) الدمشقي الحلبي في ابن رافع والثناء عليه والاشادة بمكانته العلمية . كما نقل ابن قاضي شهبة ، وابن حجر العسقلاني ، وقطب الدين الخيزري ، وسبط ابن حجر ، والنيسمي وابن العماد الحنبلي قول أحمد^(٣٩) بن حجي - تلميذ ابن رافع وصاحبه - الذي أشاد بأبن رافع واتقانه وتضلعه بفن الحديث .

ان المعلومات التي قدمتها هذه المصادر المتأخرة - عن عصر ابن رافع - تدل على مكانته العلمية المرموقة واستمرار قيمة انتاجه العلمي بعد وفاته .

ومن البديهي ان تدوين سيرة اي عالم من العلماء تنصب بالدرجة

(٣٠) هي «حرز الأماني ووجه النهاية» في القراءات ، من تصنيف الشيخ أبي محمد القاسم الشاطبي الضرير المتوفى سنة ٥٩٠ هـ (كشف الظنون : ٦٤٦/١ ، ومعجم المطبوعات : ١٠٩٧)

(٣١) وهي : عقيلة أبواب الفوائد في أسى المقاصد ، منظومة رائية في رسم المصحف الشريف ، تأليف الشيخ أبي محمد القاسم بن فية الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، كشف الظنون : ١١٥٩/٢

(٣٢) تاريخه : ١/ الورقة ٢١٦ أ ، وطبقات الشافعية له ، الورقة ١٢٩ .

(٣٣) انباء العبر : ٤٨/١ - ٤٩ ، والدرر الكامنة : ٦٠/٤

(٣٤) الملح الألفية الورقة ١١٣ أ ب

(٣٥) رونق الألفاظ الورقة ٦٩ أ ب

(٣٦) الداوس : ٩٥/١

(٣٧) شلوات الذهب : ٢٣٤/٦ - ٢٣٥

(٣٨) هو بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الدمشقي الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، صاحب التصانيف المفيدة : تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنو دولة الاسلافة في دولة الانراك ، وغيرها : (ذيل المعبر لأبي زرع ، الورقة ١٠٢ ب ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ، الورقة ٢٤٩ ب ، والدرر الطالع : ٢٥٥/١) .

(٣٩) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد الحسابي الفعشلي الشافعي المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، وهو من تلامذة ابن رافع . (انباء العبر : ١٢٩/٧ - ١٢٤ - ط اضفية - والضوء اللامع : ٢٦٩/١ ، وشلوات الذهب : ١١٦/٧ - ١١٨)

الأولى على دراسة آثار صاحب تلك السيرة وما خلفه من مصنفات لاسيما عندما يكون ظاهر الشخصية في مؤلفاته من جهة ويتناول عصره الذي عاش فيه وشاهده من جهة أخرى. لذلك فقد عُنينا العناية التامة بكتاب «الوفيات» لأبن رافع الذي توفر فيه هذان الشرطان ، واستنبطنا منه كل ما اتصل بسيرته منذ نشأته إلى حين وفاته ، فتكونت لنا بذلك ترجمة جديدة متكاملة لم تُسبق إليها .

ثانياً : مولده ونشأته :

كانت بلاد الشام منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري تعيش في ظل دولة المماليك البحرية التي قامت على انقاض الدولة الأيوبية وأصبحت من أعظم مراكز القوى في العالم الاسلامي بسبب قدرتها على إيقاف التقدم المغولي المدمر الذي قضى على الخلافة العباسية ببغداد ، وأصبحت الشام مركزاً عظيماً من مراكز الحركة الفكرية ، فيها من المدارس العامة ودور القرآن والحديث العدد الكثير^(٤٠) .

وكانت العناية بالدراسات الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وما يتصل بها من علوم العربية هي السمة البارزة لهذا العصر ، فانتجت هذه الحركة أكلها في القرن الثامن الهجري الذي تبوّأت فيه دمشق السيادة العلمية والفكرية في جميع أنحاء العالم الاسلامي بما انتجت من تراث فكري وأُنجمت من علماء بارزين في هذه الميادين^(٤١) . فقد لاحظنا في هذا العصر ظهور مجموعة من العلماء البارزين في إجملة من العلوم والآداب والفنون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : تقي الدين ابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ ، وجمال الدين ابن منظور الانصاري ت ٧١١هـ ، وتقي الدين ابن تيمية الحراني ت ٧٢٨هـ ، وعلم الدين البرزالي ت ٧٣٩هـ ، وشمس الدين الجزري ت ٧٣٩هـ ، وجمال الدين أبو الحجاج المزي ت ٧٤٢هـ ، وشيخ النحاة أبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ وشمس الدين الذهبي ت ٧٤٨هـ ، وتقي الدين السبكي ت ٧٥٦هـ ، وعلاء الدين مغلطاي البكجري الحنفي ت ٧٦٢هـ ، وابن شاكر الكتبي الدمشقي ت ٧٦٤هـ ، وصباح الدين الصفدي ت ٧٦٤هـ وتاج الدين السبكي ت ٧٧١هـ ، وابن رافع السلامي ت ٧٧٤هـ ، وعماة الدين ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ وغيرهم ممن عرفوا بسعة إنتاجهم وأصالته ممن أسهموا في اغناء التراث الحضاري .

في هذه البيئة الحضارية المتوقدة ولد تقي الدين محمد بن رافع في ذي الحجة من مدارس الشام ودور الحديث والقرآن فيها ، الدارس في تاريخ المدارس للتصفي ، وكتاب دور القرآن في دمشق ، له أيضاً .

(٤١) الذهبي ومنهجه : ٧٥

القعدة^(٤٢) سنة أربع ومِئتين بمصر في أكناف عائلة علمية نبغ فيها غير واحد من العلماء والحفاظ والمحدثين فوالده جمال الدين رافع^(٤٣) بن هجرس من عني بالحديث والقراءات والعربية . وكان مقرئاً محدثاً . أعاد ودرس ببعض المدارس . وتوفي في ذي الحجة سنة ثمان مائة وسبعمائة . ووالدته خديجة^(٤٤) بنت علي بن عبدالله الحلبي ، ممن سمعت على الأبرقوهي^(٤٥) ، وحدثت بالقاهرة ودمشق وتوفيت سنة ٧٥١هـ .

وعمه ناصر الدين نصر الله^(٤٦) بن هجرس المتوفى سنة ثلاثين وسبعمائة ، كان من المحدثين أيضاً هو وأولاده : محمد^(٤٧) وعائشة^(٤٨) ، وفاطمة^(٤٩) أما ابن عمه جمال الدين شافع^(٥٠) بن محمد بن هجرس ، وولده علي^(٥١) فلا يختلف شأنها عن شأن سابقيهم من السباع والتحديث . وابن عمه جمال الدين همام^(٥٢) بن منبه بن هجرس ، ممن سمع بمصر والشام ، وحدث ، وتنزل بالمدارس ، حتى وافته منيته سنة ٧٤٩هـ .

فلا غرابة بعد ذلك أن نجد هذه العائلة تعني به منذ الصغر ، ونهي الفرص أمامه لطلب العلم . والظاهر أن والده قد استجاز له جملة من متعني رواية ومشايخ ذلك العصر بمصر والشام منهم : الحافظ شرف^(٥٣)

(٤٢) أورده ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية ، الورقة ١٢٧ ب ، وابن حجر في الدرر الكامنة ٥٩/٤ رواية تحريضة أخرى تشير إلى أن ولادته في ذي الحجة من السنة ، ولم يتابعها أحد عليها ، كما لم يذكرها في كتابها «التاريخ» و «انباء العصر»

(٤٣) ترجمته في : غاية النهاية : ٢٨٢/١ ، تاريخ البرزالي ، ٢/الورقة ١٢٩٣ ، ومتخب معجم شيخ ابن رافع ، الترجمة ١٧٠ .

(٤٤) ترجمتها في : وفيات ابن رافع الترجمة ٦٢٢ (١٣٣/٢) .

(٤٥) أبو المعالي أحمد بن اسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي ، المصري المتوفى سنة ٧٠١هـ (متخب المختار : ٢٠-٢٣ ، ومستطاد الرحلة والاغتراب : ١٤٩ - ١٦٣ ، وبرنامج الوادي آشي : ١٠٠ - ١٠٢) .

(٤٦) ترجمته في : معجم شيخو الذهبي ، ٢/الورقة ١٢٠٥ ، ومتخب معجم شيخ ابن رافع ، الترجمة ٣٧٩ ، والدرر الكامنة : ١٦٤/٥ .

(٤٧) ترجمته في : وفيات ابن رافع : ٣١٨/٢ (الترجمة ٨٥٠) ، وفيل العبراني زُرعة ، الورقة ٤١ ب ، والدرر الكامنة : ٤٥/٥ .

(٤٨) ترجمتها في : وفيات ابن رافع : ٢٣٨/٢ (الترجمة ٧٥٣) ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ، ١/الورقة ١٦٢ ب ، ولخط الاخلاص : ١٣١ .

(٤٩) ترجمتها في : وفيات ابن رافع : ٣٩٧/٢ (الترجمة ٩٤٤) ، وفيل العبراني زُرعة ، الورقة ٧٠ ب ، وانباء العصر : ٤٦/١ . ومتخب معجم شيخ ابن رافع ، الترجمة ١٨٩ ، والدرر الكامنة : ٢٨٣/٢ - ٢٨٤ .

(٥٠) ترجمته في : وفيات ابن رافع : ٣٥٨/٢ (الترجمة ٨٩٨) ، وفيل العبراني زُرعة ، الورقة ٥٨ ب ، والدرر الكامنة : ١٢٥/٣ .

(٥١) ترجمته في : وفيات ابن رافع : ٧٥/٢ (الترجمة ٥٢٩) ، ومتخب معجم شيخ ابن رافع ، الترجمة ٣٨٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ، الورقة ١٠٧ ب .

(٥٢) شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوفي النبطي الشافعي المتوفى سنة ٧٠٥هـ (متخب المختار : ١٢٠ - ١٢٢ ، وبرنامج الوادي آشي : ١٤٨ - ١٥٠ ، وتذكرة النية : ٢٧٢/١ - ٢٧٣) .

الدين الدمياطي^(٥١) وت ٧٠٥هـ) والشيخة الصالحة فاطمة الأنصارية
الدمشقية^(٥٢) وت ٧٠٨هـ ، والشيخ المقرئ عثمان^(٥٣) الحمصي^(٥٤)
وت ٧١٠هـ ، والشيخة العابدة فاطمة^(٥٥) البطاغية^(٥٦) وت
٧١١هـ ، وغيرهم . ثم أخذ يصحبه الى مجالس السماع والتحديث
فيسمع بافادة والده من عدد كبير من كبار محدثي العصر منهم : الشيخ
بهاء الدين أبو الحسن^(٥٧) الثعلبي المصري^(٥٨) وت ٧١٠هـ ، والمسنند
العلم نور الدين^(٥٩) أبو الحسن الثعلبي الدمشقي^(٦٠) وت ٧١٢هـ ،
والشيخ المسند الخطيب نور الدين علي^(٦١) القرشي المصري^(٦٢) وت

٧١٢هـ ، والمقرئ زين الدين^(٦٣) سبط الفقيه زيادة^(٦٤) وت
٧١٢هـ .

وفي سنة أربع عشرة وسبع مئة رحل به أبوه الى الشام فأحضره
مجالس أشهر محدث في ذلك العصر جمال الدين أبي الحجاج المزني ،
الذي كانت شهرته قد طبقت الافاق فاسمعه جميع كتابه العظيم «تهذيب
الكمال في أسماء الرجال»^(٦٥) الذي يعد أضخم كتاب ألف في رجال
الكتب الستة . وأسمعه أيضاً من الديلمة رشيد الدين^(٦٦) ابن المعلم^(٦٧)
وت ٧١٤هـ ، ومسنند الشام سليمان^(٦٨) بن حمزة المقدسي^(٦٩) وت
٧١٥هـ ، ومسنند الوقت ست^(٧٠) الوزراء التنوخية الدمشقية^(٧١)
وت ٧١٦هـ ، والمقرئ اسماعيل^(٧٢) بن مكتوم القيسي^(٧٣) وت
٧١٦هـ ، والشيخ أبي بكر بن أحمد المقدسي^(٧٤) وت ٧١٨هـ ،

(٥٤) قيل التذكرة : ٥٢ ، وغاية النباهة : ١٣٩/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ، ١/الورقة
٢١٥ ، وطبقات الشافعية له : الورقة ١٢٧ ب ، وانباء العمر : ٤٧/١ ، والدرر
الكامنة : ٥٩/٤ ، وقيل طبقات الحفاظ : ٣٦٦ ، والدادوس : ٩٤/١ ، وشذرات
الذهب : ٢٣٤/٦ ، وغيرها من المصادر التي رجعت لأن رافع .

(٥٥) الشيخة فاطمة بنت سليمان بن عبد الكرم بن عبد الرحمن الأنصارية الدمشقية المتوفاة
سنة ٧٠٨هـ (تاريخ البرزالي ، ٢/الورقة ١١٣١ ، ومعجم شيوخ الذهبي ، ٢/الورقة
١٣٥ ، وتذكرة الحفاظ : ١٤٨٥/٤) .

(٥٦) الدرر الكامنة : ٥٩/٤ ، وروثق الألفاظ ، الورقة ١٦٩ .

(٥٧) أبو عمرو عثمان بن إبراهيم بن أبي علي بن عبد الله الحمصي المقرئ المتوفى سنة ٧١٠هـ
(تاريخ البرزالي ، ٢/الورقة ١٦٦ ، ومعجم شيوخ الذهبي ، ١/الورقة ١٠٥ ب ، ومنتخب
معجم شيوخ ابن رافع ، الترجمة ٢٩١) .

(٥٨) الدرر الكامنة : ٥٩/٤ ، وروثق الألفاظ ، الورقة ١٦٩ ، وعرف فيه الى عمر الحمصي .

(٥٩) الشيخة الصالحة فاطمة بنت إبراهيم بن عمود بن جوه البطاغية البجلي المتوفاة سنة
٧١١هـ (ذيل المعبر للذهبي : ٦٠ ، والدادوس : ٩٠/٢ ، ودرة الحجال : ٢٦٤/٣) .

(٦٠) الدرر الكامنة : ٥٩/٤ ، واللمع الألفية ، الورقة ١١٣ ب ، وروثق الألفاظ ، الورقة
٦٩ ب .

(٦١) الشيخ بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبي المعروف بأبي
القيم المتوفى سنة ٧١٠هـ (تاريخ البرزالي ، ٢ / الورقة ١٦٦ ب ، ومستطاد الرحلة
والاغتراب : ١١٢ - ١١٩ ، وبرنامج الوادي آخي : ١٦٠) .

(٦٢) الوافي بالوفيات : ٦٨/٣ ، وذيل التذكرة : ٥٢ ، وذيل المعبر لأبي زرعة ، الورقة
١٧٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ، الورقة ٢١٥ ب ، وانباء العمر : ٤٧/١ ، واللمع
الألفية ، الورقة ١١٣ ب ، وغيرها من مصادر ترجمة ابن رافع .

(٦٣) نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن حارون الثعلبي الدمشقي المتوفى سنة ٧١٢هـ (مستطاد
الرحلة والاغتراب : ١٠٨ - ١١٢ ، وبرنامج الوادي آخي : ١٥٨ - ١٥٩ ، وحسن
الخاضرة : ٣٨٩/١) .

(٦٤) انباء العمر : ٤٨/١ ، واللمع الألفية ، الورقة ١١٣ ب ، وروثق الألفاظ ، الورقة
٦٩ ب .

(٦٥) نور الدين أبو الحسن علي بن نصر الله بن عمر بن عبد الواحد القرشي المصري المعروف
بأبي الصوائف المتوفى سنة ٧١٢هـ (تاريخ البرزالي ، ٢/الورقة ١٩٢ أ ب ، والسلوك :
٢/القسم ١٢١/١ ، وحسن الخاضرة : ٣٨٩/١) .

(٦٦) ذيل المعبر لأبي زرعة ، الورقة ١٧٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ، ١/الورقة ٢١٥ ب ،
وانباء العمر : ٤٨/١ ، والدرر الكامنة : ٥٩/٤ ، واللمع الألفية ، الورقة ١١٣ ب ،
وروثق الألفاظ : الورقة ١٦٩ .

(٦٧) الشيخ المقرئ زين الدين أبو محمد الحسن بن عبد الكرم بن عبد السلام بن فتح الهلوي
المقرئ المعروف بسبط زيادة المتوفى سنة ٧١٢هـ (تاريخ البرزالي ، ٢/الورقة ١٤٥ ب -
١٩٩ ، ومعرفة القراء الكبار : ٥٨٥/٢ ، وغاية النباهة : ٢١٧/١) .

(٦٨) الوافي بالوفيات : ٦٨/٣ ، وغاية النباهة : ١٣٩/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ،
١/الورقة ٢١٥ ب ، واللمع الألفية الورقة ١١٣ أ ، وروثق الألفاظ ، الورقة ٦٩ أ ،
وغیرها من مصادر ترجمة ابن رافع .

(٦٩) هو من تأليف الحفاظ المنطن جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف
المزني المتوفى سنة ٧٤٢هـ ، ويقع هذا الكتاب في مئتين وخمسين جزءاً ، ويقوم الدكتور
بشار حواد معروف بتحقيقه . وقد صدر منه الى الآن ثلاث مجلدات عن مؤسسة الرسالة في
بيروت .

(٧٠) الشيخ العالم رشيد الدين اسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكرم الحنبلي المعروف بأبي
العلم المتوفى سنة ٧١٤هـ (منتخب معجم شيوخ ابن رافع ، الترجمة ١٢٧ ، والجواهر
الضبية : ١٥٤/١ ، وكتاب اعلام الأخيار ، الورقة ٢٦٥ أ ب) .

(٧١) غاية النباهة : ١٣٩/٢ ، واللمع الألفية ، الورقة ١١٣ ب ، وروثق الألفاظ ، الورقة ٦٩

(٧٢) مسند الشام في الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة المقدسي
الصاغي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٥هـ (منتخب معجم شيوخ ابن رافع ، الترجمة ١٧٦ ،
والذيل على طبقات الحنابلة : ٣٦٤/٢ ، والفتاوى الجهرية : ١٥٩/١ - ١٦٠) . وقد
ذكرت معظم مصادر ترجمة ابن رافع سماعه منه .

(٧٣) الشيخة المسند ست الوزراء أم عبدالله وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجي التنوخية
الدمشقية الحنبلية المتوفاة سنة ٧١٦هـ (ذيل المعبر للذهبي : ٨٨ ، والبدابة والنهاية :
٧٩/١٤ ، والذيل على طبقات الحنابلة : ٤٦٩/٢) .

(٧٤) تاريخ ابن قاضي شهبة ، ١/الورقة ٢١٥ ب ، وانباء العمر : ٤٧/١ ، واللمع الألفية ،
الورقة ١١٣ ب ، وروثق الألفاظ ، الورقة ٦٩ أ .

(٧٥) صدر الدين أبو الفداء اسماعيل بن يوسف بن مكتوم القيسي الدمشقي المتوفى سنة ٧١٦هـ
(تاريخ البرزالي ، ٢/الورقة ٢٥١ ب - ٢٥٢ أ ، ومعجم شيوخ الذهبي ، ١/الورقة ٤٣
ب ، ومعرفة القراء الكبار : ٥٨٥/٢) .

(٧٦) تاريخ ابن قاضي شهبة ، ١/الورقة ٢١٥ ب ، وانباء العمر : ٤٧/١ ، واللمع الألفية ،
الورقة ١١٣ ب ، وروثق الألفاظ ، الورقة ٦٩ ب .

(٧٧) مسند الوقت الشيخ أبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الصاغي المتوفى
سنة ٧١٨هـ (مرآة الجنان : ٢٥٨/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٢/٩ ، ودرة الحجال :
٢٢١/١) .

(٧٨) اشارت معظم المصادر التي رجعت لأن رافع الى سماعه منه .

ثالثاً : رحلاته وشيوخه :

فلما استكمل ابن رافع شيوخ مصره تافت نفسه الى الرحلة في طلب العلم والاستزادة منه وتحصيل علو الاسناد وقدم السماع ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم ، فرحل بنفسه الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج^(٨١) والسماع في تلك البلاد فسمع هناك على جماعة من الرواة^(٨٥) وعرج بعد منصرفه من الحج الى دمشق فقدمها في سنة ثلاث وعشرين وسبعائة^(٨٦) ، وسمع بها من مسند الشام بها الدين^(٨٧) ابن عساكر^(٨٨) «ت ٧٢٣هـ» ، ومسند الوقت شمس الدين محمد^(٨٩) ابن هبة الله الشيرازي^(٩٠) «ت ٧٢٣هـ» ، وشيخ القراء تقي الدين^(٩١) ابن الصائغ^(٩٢) «ت ٧٢٥هـ» ، ومسند الدنيا أحمد^(٩٣) بن أبي طالب الحجار^(٩٤) «ت ٧٣٠هـ» . ثم عاد الى مصر .

ولما كانت دمشق من أعظم مراكز الحركة الفكرية في ذلك الوقت فقد تافت نفسه الى العودة اليها في العام القابل وهي سنة أربع وعشرين وسبعائة^(٩٥) فكانت هذه هي رحلته الثالثة . وفيها أعاد سماعه^(٩٦) من

(٨٤) معجم شيوخ الذهبي . ٢/الورقة ١٥٨ . والوفاء بالوفيات : ٦٨/٣ . وذيل التذكرة : ٥٢ . والنور الكامنة : ٦٠/٤ .

(٨٥) ذيل التذكرة : ٥٢ . وغاية النهاية : ١٣٩/٢ . والنجوم الزاهرة : ١٢٤/١١ .
(٨٦) الوافي بالوفيات : ٦٨/٣ . وذيل التذكرة : ٥٢ . وذيل العرلائي زرعة . الورقة ٧٢ أ . والنور الكامنة : ٦٠/٤ .

(٨٧) مسند الشام بها الدين القاسم بن أبي غالب المظفر بن محمود بن عساكر الطبيب المتوفى سنة ٧٢٣هـ (ذيل المعر للذهبي : ١٣٠ . والبداية والنهاية : ١٠٨/١٤ . ومعجم الأطباء : ٣٤٢ - ٣٤٣)

(٨٨) تاريخ ابن قاضي شهبة . ١/الورقة ٢١٥ ب . وانباء العمر : ٤٨/١ . واللمع الأملية . الورقة ١١٣ ب . ورواق الألفاظ . الورقة ٦٩ ب

(٨٩) العالم المسند شمس الدين أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن عبد الله الشيرازي الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٣هـ (الوافي بالوفيات : ٢٨٥/١ . وبرنامج الوادي آشي . ٨٢-٨٣ . ودرة الحجال : ٢٥٥/٢-٢٥٦)

(٩٠) مصادر الفاش ٨٨ نفسه
(٩١) شيخ القراء تقي الدين محمد بن أحمد عبدالحق بن علي ابن الصائغ المصري المتوفى سنة ٧٢٥هـ (طبقات الشافعية للأسوي : ١٤٧٢ . والسلوك : ٢ القسم ١ : ٢٧٠ . وحسن المحاضرة : ٥٠٨١) .

(٩٢) غاية النهاية : ١٣٩/٢ . ووفيات ابن رافع : ٢٩٣/٢-٢٩٤ (الترجمة : ٨٢٤)
(٩٣) مسند الدنيا شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن محمد بن حسن ابن الشحنة الصاخي الحجار المتوفى سنة ٧٣٠هـ (معجم شيوخ الذهبي : ١/الورقة ٢٣ :
وتاريخ ابن الوردي : ٤١٧/٢ . والقلائد الجوهريّة : ٤١٢٢-٤١٤)

(٩٤) وفيات ابن رافع : ٣٢٤/٢-٣٢٥ (الترجمة : ٨٥٧) . وتاريخ ابن قاضي شهبة . ١/الورقة ٢١٥ ب . وانباء العمر : ٤٨/١ . واللمع الأملية . الورقة ١١٣ ب . ورواق الألفاظ . الورقة ٦٩ ب

(٩٥) ذيل التذكرة : ٥٢ . وذيل العرلائي : ١٧٢ ب . وتاريخ ابن قاضي شهبة . ١/الورقة ٢١٥ ب . والنور الكامنة : ٦٠ . واللمع الأملية . الورقة ١١٣ ب

وشرف الدين عيسى^(٧٨) المعظم الصاخي^(٧٩) «ت ٧١٩هـ» ، والشيخ عماد الدين^(٨٠) الجرائدي الانصاري^(٨١) «ت ٧٢٠هـ» . ثم رجع به أبوه الى مصر . على أن المنية لم تلبث ان اختطفت والده في سنة ثمانى عشرة وسبعائة ، فترك ولده صبياً لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره . وبذلك ذاق ابن رافع مرارة اليتيم ، وتسكت جميع المصادر التي ترجمت لابن رافع عن تكفله بعد وفاة أبيه ، والذي نراه أنه تحمل بنفسه تبعات أموره وهو لم يزل صبياً صغيراً .

وقد استمر ابن رافع في العناية بهذا الشأن مطلب بنفسه في حدود سنة احدى وعشرين وسبعائة ، فحضر مجالس العلم والعلماء واخذ عنهم ، ولازم اثنين من عظماء العلماء في ذلك الوقت ، وتخرج بهما في علم الحديث . الأول : قطب الدين عبدالكريم بن عبدالنور بن متير بن عبدالكريم الحلبي ثم المصري^(٩٠) «ت ٧٣٥هـ» هو الحفاظ المشهور والمؤرخ الثبت ، صاحب التصانيف النافعة ، ذكره الذهبي^(٨٢) فقال : «صنف ، وخرج ، وأفاد . مع الصيانة ، والديانة والأمانة والتواضع والعلم ولزوم الاشتغال والتأليف» . والثاني : فتح الدين محمد بن محمد بن أحمد اليعمري ابن سيد الناس^(٩١) «ت ٧٣٤هـ» الحفاظ العلامة المتفنن والأديب البارع ممن ذاع صيته واشتهر اسمه . قال فيه البرزالي^(٨٣) : كان أحد الاعيان معرفة واتقاناً وحفظاً للحديث ، وتفهماً في علله واسانيده عالماً بصحيحه وسقيمه مستحضراً للسيرة . له حظ من الغزبية ، حسن التصنيف

(٧٨) شرف الدين أبو محمد عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المقدسي الصاخي المعظم المتوفى سنة ٧١٩هـ (تاريخ الرزالي . ٢/الورقة ٣١٧ أ - ٣١٨ أ . ومنتخب المختار : ١٦٢

١٦٣ ، البداية والنهاية : ٩٥/١٤)
(٧٩) ذيل العرلائي زرعة . الورقة ١٧٢ ب . وتاريخ ابن قاضي شهبة . ١/الورقة ٢١٥ ب . وانباء العمر : ٤٧/٦ . واللمع الأملية . الورقة ١١٣ ب . ورواق الألفاظ . الورقة ٦٩ ب .

(٨٠) الشيخ المقرئ عماد الدين محمد بن يعقوب بن بدران بن منصور الجرائدي الانصاري الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٠هـ .

(٨١) تاريخ الرزالي . ٢/الورقة ٣٤٠ أ ب . ومعرفة القراء الكبار : ٥٨٦ ٢ . وغاية النهاية : ٢٨١/٢ .

(٨٢) غاية النهاية : ١٣٩/٢
(٩٠) ذيل العرلائي زرعة . الورقة ١٧٢ ب . وتاريخ ابن قاضي شهبة . ١/الورقة ٢١٥ ب . وطبقات الشافعية له . الورقة ١٢٧ ب . وانباء العمر : ٤٨ ١ . واللمع الأملية . الورقة ١١٣ ب . ورواق الألفاظ . الورقة ٦٩ ب . وغيرها من مصادر ترجمة ابن رافع

(٨٣) ذيل المعر : ١٨٧
(٩٠) نفس مصادر هامش قطب الدين الحلبي .

(٩١) نفس مصادر هامش قطب الدين الحلبي .
(٨٣) الدرر الكامنة : ٣٣١/٤

المزي ، وسمع فيها على جماعة من شيوخ العصر ، منهم (٩٧) : علم الدين القاسم بن محمد البرزالي وت ٧٣٩هـ ، والحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي وت ٧٤٨هـ ، والظاهر أنه قد أفاد فائدة كبرى من هذه الرحلة بحيث قال الذهبي (٩٨) «ثم قدم من العام القابل فاستزاد استفادة» .

ثم عاود الرحلة إليها مرة أخرى في سنة تسع وعشرين وسبعائة وفي هذه الرحلة لم يقتصر على دمشق ، بل رحل منها إلى عدد من المراكز العلمية في بلاد الشام منها : حلب ، وحماة ، والأقسام الشمالية من بلاد الشام للسماح على شيوخها (٩٩) ، حيث يذكر ابن رافع سماعه على هؤلاء المشايخ في أثناء كتابه «الوفيات» ثم قفل راجعاً إلى مصر .

وفي سنة تسع وثلاثين وسبعائة رحل (١٠٠) ابن رافع إلى دمشق صاحب القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، الذي تولى في تلك السنة قضاء القضاة بها ليستقر بها ، ويتخذها موطناً حتى وفاته . وفي سنة اثنين وخمسين وسبع مئة رحل ابن رافع إلى الحج وهي الرحلة الثانية ، وقد ذكرها الحسيني (١٠١) فقال : «وحج عام اثنين وخمسين ، وحدث بطريق الحجاز الشريف» . ثم حج في سنة ثلاث (١٠٢) وستين وسبعائة .

وذكر لنا ابن رافع في كتابه «الوفيات» (١٠٣) رحلته إلى الحج وتحديثه في الطريق ، ولكنه لم يحدد لنا تاريخ هذه الرحلة .

والحق أن ابن رافع لم ينقطع عن السماع طيلة حياته ، فسمع من الجسم الغفير من دل عليهم «معجم شيوخه» الذي ذكره مترجموه بأنه زاد على ألف نفر . وقد أشار إلى سماعه على الكثير منهم في أثناء ترجمته لهم أو لأبنائهم في كتابه «الوفيات» (١٠٤) .

رابعاً : وفاته وأولاده :

توفي ابن رافع في يوم الثلاثاء الثامن عشر (١٠٥) من جمادي الأولى سنة أربع وسبعين وسبعائة ، عن سبعين (١٠٦) سنة ، بالمدرسة الشامية بظاهر دمشق ، ودفن بمقابر الصوفية قريباً من قبر الحافظ ابن الصلاح (١٠٧) .

وخلف ولدين وبتاً واحدة ، وقد سار ابن رافع على منوال أسرته في تعليم أبنائها فاعتنى بأولاده وأحسن تربيتهم واسمهم على الشيوخ ، وابتأوه الثلاثة كلهم محدثون ولكنهم لم يكونوا في منزلة عالية في علم الحديث . وأول هؤلاء الأبناء «أحمد» فقد ذكره والده في كتابه «الوفيات» (١٠٨) وأشار إلى سماعه على الشيوخ ، وحفظه لكتاب «التهذيب» لأبي إسحاق الشيرازي ، إلا أن المنية اختطفته ولم يزل شاباً . والثاني : «محب الدين أبو بكر محمد» (١٠٩) وهو ممن سمع على زينب بنت الكمال ، وغيرها . وقد كرس بالعزيزة بعد وفاة أبيه ، وتوفي سنة ثمانين وسبعائة .

(٩٦) قد ثبت المزي خطه بسماع جمال الدين أبي محمد رافع وولده محمد في نهاية كل جزء من أجزاء «تهذيب الكمال» في أسماء الرجال مع جماعة آخرين ، وكان القارئ هو جمال الدين رافع ، وهذا نص أحد الساعات كما وجدناه بخط المزي في نهاية الجزء السابع والستين من «تهذيب الكمال» من نسخة المؤلف التي بخطه : «سمع هذا الجزء على براءة الإمام جمال الدين أبي محمد رافع بن أبي محمد بن محمد بن شافع السلامي : ابنه محمد ، وعلاء الدين طبريس بن عبدالله الفاروسي ، وبني زينب ، وبني أبي عديجة بنت عبد الرحمن ، وبنت عاتقا آسيا بنت محمد بن إبراهيم بن صديق ، وصح ذلك في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادي الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة وكتب مصنفه يوسف المزي» .

(٩٧) ذيل المعراني زرة . الورقة ١٧٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ، ١١/الورقة ٢١٥ ب ، وطبقات الشافعية له ، الورقة ١٢٧ ب ، وانباء الغمر : ٤٨/١ ، واللمع الألفية ، الورقة ١١٣ ب ، ورواق الألفاظ ، الورقة ٦٩ ب ، والدارس : ٩٤/١ وغيرها من مصادر ترجمة محمد بن رافع .

(٩٨) ذيل التذكرة : ٥٢ . والدرر الكامنة : ٦٠/٤ .

(٩٩) الوافي بالوفيات : ٦٨/٣ ، وذيل التذكرة : ٥٢ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ، الورقة ١٢٧ ب ، وانباء الغمر : ٤٨/١ وقد نقل صاحب قول الذهبي في المعجم المختص : «... ورحل مراراً منها في سنة تسع وعشرين إلى حلب وحماة وسمع بها وغيرها» ، والدرر الكامنة : ٦٠/٤ ، واللمع الألفية ، الورقة ١١٣ ب ، والدارس : ٩٤/١ ، وشنورات الذهب : ٢٣٤/٦ .

(١٠٠) المصنف نفسه .

(١٠١) ذيل التذكرة : ٥٣ .

(١٠٢) لفظ الإحاطة : ٢٢٧ ضمن ترجمة الإمام زين الدين عبد الرحمن بن الحسين ابن العراقي

(١٠٣) وفيات ابن رافع : ٢٧٥/٢ (الترجمة ٧٩٦) ، و ٣١٧/٢ (الترجمة ٨٤٧)

(١٠٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر التراجم : ١٧ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢

أما ابنته «كلم»^(١١٠) فقد سمعت من عبدالرحيم بن أبي اليسر حضوراً ، وأجازت لابن حجر العسقلاني ، وتوفيت في سنة خمس وثمان مائة .

مكانته العلمية

أولاً : ثقافته :

لقد بينا قديماً سبق عناية ابن رافع في طلب العلم ، ورحلاته المتعددة في سبيل ذلك ، وملازمته لكبار الحفاظ مدة طويلة ، فكان لكل ذلك أثره الواضح في تكوين شخصيته العلمية وتبوئه المكانة المميزة بين محدثي عصره في الشام في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري حتى اعتبره المؤرخون أحد أبرز حفاظ العصر وقد نال لقب «الحافظ» الذي أطلقه عليه شيخه شمس الدين الذهبي^(١١١) ، ومعنى هذا أنه نال هذه الرتبة التي لا تطلق الا على من أتقن هذا الفن وأوتي سعة في معرفته ، والوقوف على دقائقه .

وقد ذكره تلميذه الحسيني ضمن الحفاظ في كتابه^(١١٢) الذي ذيل به على كتاب شيخه الذهبي ووصفه : «بالحافظ المتقن المفيد الرجال» ، ونعته تلميذه أبو زرعة^(١١٣) العراقي : «بالحافظ الرحلة» ، ووصفه تلميذه الجزري^(١١٤) : «بالحافظ الكبير» ، وذكره سبط ابن حجر في كتابه «روني الالفاظ بمعجم الحفاظ»^(١١٥) فقال : «العلامة ، الفقيه ، المحدث ، الحافظ المتقن ، المفيد ، الرجال» .

وكان ابن رافع «مفيداً» والمفيد^(١١٦) : هو الذي يفيد الناس الحديث عن المشايخ ، فيكون عارفاً بهم وبعلو اسنادهم حتى اذا ماجاه الطالب دله على شيخ ذلك البلد من ذوي الاسناد العالي وماليهم . وقد وصفه بهذا اللقب شيخه الذهبي ، وصديقه الصفدي^(١١٧) ، وتلميذه الحسيني ، وسبط ابن حجر .

وعرف ابن رافع بالضبط والاتقان وقد وصفه بذلك شمس الدين

(١١٠) ترجمتها في : انباء الغمر : ٢٤٩/٢ . وخط الأخطا : ٢١٨ ، وشرحات الذهب : ٥٢/٧ ونصحت فيه الى «كلم» .

(١١١) ذيل العرلاي زرة الورقة ٧٢ ب . وطبقات الشافعية لأبن قاضي شهبة . الورقة ١٢٩ أ ، والدارس : ٩٥/١ نقلاً عن كتاب الذهبي «المعجم المختص بمحدثي العصر» .

(١١٢) ذيل تذكرة الحفاظ : ٥٢

(١١٣) ذيل الغمر ، الورقة ٧٢ أ

(١١٤) غاية النباية : ١٣٩/٢

(١١٥) الورقة ٩٩ أ

(١١٦) الأنساب : ٥٣٩ ، والباب : ١٦٦/٣ .

(١١٧) الرائي بالوقبات : ٦٨/٣

الذهبي في كتابه «المعجم المختص» فقال فيه : «العالم المحدث ، المفيد ، الرجال ، المتقن» . ووصفه عدد من المترجمين له بذلك .

وبالإضافة الى المكانة العلمية التي تميز بها ، كانت له مكانة أخرى في نفوس مترجميه فكل من ذكر ابن رافع أو ترجم له لم يجد فيه الا شيئاً فاضلاً ، وزاهداً ورعاً ، قد هجر الدنيا وترك ملاذها ، وابتعد عن السلطان وذوي الولايات ، منصرفاً الى تأليفه وعبادته ، فقد وصفه صديقه الصفدي بقوله : «وهو حسن الود ، جيد الصحبة ، مأمون الغيب ثقة ، ضابط ، دين» . وأثنى عليه ابن حبيب^(١١٨) وقال : «وكان لا يعتني بمجلس ولا مأكل ولا يدخل فيها أبهم عليه من أمر الدنيا أو أشكل . ويختصر الاجتماع بالناس ، وعنده في طهارة ثوبه وبدنه أي وسواس» . وقد أثنى عليه السخاوي^(١١٩) فقال : «أفاد ودرس مع الصلاح والورع والتجري الزائد في الطهارة ، وما يكتبه ، والتقلل من الاجتماع بالناس ، والمحاسن الجملة» .

ثانياً : مناصبه التدريسية

لاشك أن المكانة العلمية المرموقة التي حازها ابن رافع بين أعيان عصره بدمشق في علم الحديث وسعة باعه في حفظه اهله لأن يتولى مناصب التدريس في أكبر دور العلم بالشام منها مما وقفنا عليه :

١ - دار الحديث النورية^(١٢٠) بدمشق : ولي التدريس^(١٢١) بها بعد وفاة شيخه المزني ، وقد جاء في «انباء الغمر» : «ولما توفي المزني أعطاه السبكي مشيخة الحديث النورية ، وقدمه على ابن كثير وغيره» .

٢ - دار الحديث الفاضلية^(١٢٢) : وقد باشر التدريس^(١٢٣) بها بعد وفاة شيخه شمس الدين الذهبي . وكانت قد شغرت بعد وفاة الذهبي فرشحة تقي الدين السبكي للتدريس فيها . وقد ذكر ابن حجر ذلك بقوله : «ولما شغرت الفاضلية عن الذهبي قدمه (السبكي) على من سواه

(١١٨) انباء الغمر : ٤٨/١ ، واللمع الألمية ، الورقة ١١٣ ب .

(١١٩) وجيز الكلام ، الورقة ٣٨ أ .

(١٢٠) أنشأها الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن أبي سعيد زنكي بن آق سنقر التركي المتوفى سنة ٥٦٩ هـ . وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وهو أول من بنى داراً للحديث بدمشق .

(الدارس : ٩٩/١ - ١١٣) .

(١٢١) ذيل التذكرة : ٥٣ ، وذيل العرلاي زرة الورقة ١٧٢ أ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/الورقة ٢١٩ أ ، وطبقات الشافعية له الورقة ١٢٧ ب وانباء الغمر : ٤٩/١ واللمع الألمية الورقة ١١٣ ب ، وروني الالفاظ : الورقة ٦٩ ب ، والدارس : ١١٣/١ ، وشرحات الذهب : ٢٣٤/٦ .

(١٢٢) أنشأها محيي الدين أبو علي عبدالرحيم بن علي بن الحسن بن الحسين القاضي الفاضل ابن القاضي الأشرف اللخمي اليساني العسقلاني المتوفى سنة ٥٩٦ هـ ، في الكتلة بدمشق ، وأول من درس بها تقي الدين عبدالرحمن بن أبي الفهم اليلداني وت ٦٥٥ هـ . (الدارس : ٨٩/١ - ٩٦)

(١٢٣) نفس مصادر دار الحديث النورية .

من المحدثين .

٣ - دار الحديث القوسية (١٢٤) قال النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس (١٢٥) « عند الكلام على القوسية مانصه : « ولم نعلم من ولي مشيختها سوى الشيخ علاء الدين ابن العطار وقد مررت ترجمته في دار الحديث الدوادارية ، وسوى الشيخ تقي الدين ابن رافع كما قاله الشهاب ابن حجي . » وقد تولى التدريس بها عوضاً عن ابن رافع جمال الدين عبداللّه (١) بن عمر بن داود الكفري ، وهو أحد تلامذة ابن رافع .

٤ - المدرسة العزيزية (١٢٦) : تفرد بذكرها ابن العماد (١٢٧) الحنبلي عند الكلام على ترجمة ولده أبي بكر محمد فقال فيه : « وحديث ودرس بالعزيزية بعد أبيه .

٥ - المدرسة العززية (١٢٨) : وقد تفرد بذكرها الحسيني (١٢٩) فقال : « وولي مشيخته النورية والزاوية الفاضلية ، والعززية .

ثالثاً : آراء العلماء فيه :

ونرى من المفيد هنا أن نورد آراء بعض العلماء في ابن رافع مما بين مكانته العلمية بين علماء عصره منذ فترة مبكرة من حياته العلمية بالأوصاف الجميلة ، فقد وصفه تلميذه الجزري (١٣٠) فقال : « كان له يد في معرفة العالي والنازل واسماء رجال المتأخرين وضبط المؤلفات واختلف مع الدين والثقة والصيانة ، وحسن الخط ، وصحة الضبط ، كما ذكره جوارقه بن فهد (١٣١) بقوله : « وكان اماماً علامة ، حافظاً ، من كبار الفقهاء مع الورع والزهد والصيانة . » وقد تتابع المترجمون لابن رافع يشنون عليه بحميل القول ويصفونه بأكرم الأوصاف ، ولم يشذ منهم أحد فهذا ابن حجر (١٣٢) يصفه بقوله : « وكان ذا صلاح وورع ومعرفة

(١٢٤) تقع بالقرب من الرحبة . داخل باب شرقي أحد أبواب دمشق . وتعرف أيضاً بالمدرسة القوسية . وقيل أن واليها شهاب الدين اسماعيل بن حامد بن عبدالرحمن الانصاري القوسي المتوفى سنة ٦٥٣هـ . وقرره فيها . (الدارس ٩٧/١ و ٤٣٨-٤٤١) .

٩٨/١ (١٢٥)

(٥) تاريخ ابن قاضي شهبة ١/الورقة ١٩٨ ب . والدور الكامنة : ٣٨٩/٢ .

(١٢٦) هي من مدارس الشافعية بدمشق لصيق الجامع الأموي (الاعلاق الخطيرة ٢٣٩ ، والدارس : ٣٨٢/١)

(١٢٧) شذرات الذهب : ٢٩٦/٦ .

(١٢٨) هي المدرسة العززية البرانية من مدارس الخليفة بالشرف الاعلى بظاهر دمشق . (النظر : وفيات ابن رافع : ٣٩٢/٢ (الترجمة ٩٣٧) . والدارس : ٥٥٠/١) .

(١٢٩) ذيل التذكرة : ٥٣ ولم يتابع الحسيني على ذلك أحدًا ونمى الى ان ذلك معروف عن العزيزية التي ذكرها ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٢٩٦/٦ في ترجمة ولده أبي بكر محمد ، ولكن هذه المدرسة حنفية يشترط الواقف عادة أن يكون المدرس فيها حنفيًا .

(١٣٠) غاية النهاية : ١٤٠/٢ .

(١٣١) ذيل التذكرة : ٥٣ المالحاش .

(١٣٢) الباء الغمر : ٤٨/١ . والدور الكامنة : ٦٠/٤ .

بالفقه فائقاً ، وكان الشيخ تقي الدين السبكي يرجحه على العماد ابن كثير . وأورد لنا ابن قاضي (١٣٣) شبهة عن الشيخ شهاب الدين ابن حجي مانصه : « وكان الشيخ يحكي لي عن تحريره واتقانه انه لا يكتب شيئاً من المشكلات حتى يكشف عنه ويحرره ويضبطه بخطه ، قال : ولأهل مصر رغبة في الأجزاء التي بخطه لذلك . » وقال السيوطي في « ذيل طبقات الحفاظ » (١٣٤) : سئل الحفاظ أبو الفضل العراقي عن أربعة نعاصروا أبيهم أحفظ ؟ مغلطاي وابن كثير وابن رافع والحسيني . فأجاب - ومن خطه نقلت - « ان أوسعهم اطلاعاً وأعلمهم بالانساب مغلطاي على اغلاط تقع منه في تصانيفه ولعله من سوء الفهم ، واحفظهم للمتون والتواريخ ابن كثير ، واقدمهم لطلب الحديث واعلمهم بالمؤتلف والمختلف ابن رافع ، واعرفهم بالشيوخ المتعاصرين وبالتخريج الحسيني وهو ادونهم في الحفاظ .

وهكذا تظهر لنا هذه الاقوال ، والتي نقلناها عن علماء كبار عاصروا ابن رافع أو تلمذوا عليه ، تظهر المترلة الرفيعة التي نبأها ابن رافع بين علماء عصره والتي اثمرت فيها بعد بتناج فكري واسع لابن رافع نلمسه في قيمة مؤلفاته التي أصبحت مصدراً مهماً لكثير من العلماء والمؤرخين الذين جاموا بعده ، وأرخوا للمدة التي عاشها وكتب عنها .

رابعاً : تلامذته :

ارتفعت منزلة الحفاظ ابن رافع في البلاد الشامية وأصبح من علمائها البارزين ، ونال بذلك شهرة واسعة ، وذاع صيته بين الأنام فصار محط أنظار طلبة العلم يرحلون اليه يأخذون عنه ويسمعون عليه . وأول ما بدأ في نشر العلم بدأ بأبنائه فأنشأ منهم أسرة متخصصة في علم الحديث على غرار أسرته كما رأينا .

وقد توافد عليه الطلبة من كل حدب وصوب فقدم لنا بعض من ترجم له عدداً من اسماء تلاميذه واستطعنا أن نتوصل الى عدد آخر من اسماء تلاميذه لم تذكرها مصادر ترجمته رتبناهم على سني وفياتهم ، وأشرنا الى المصادر التي ذكرت سماع هؤلاء الطلبة عليه ، أو تخرجهم به في علم الحديث ، وفيهم شيوخ له ورفاق في الطلب منهم :

١ - الحفاظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (١٣٥) المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

٢ - شمس الدين أبو عبدالله محمد (١٣٦) بن يحيى بن محمد بن سعد

(١٣٣) تاريخه . ١/الورقة ٢١٦ أ .

(١٣٤) ص . ٣٦٤ في ترجمة الامام شمس الدين محمد علي الحسيني .

(١٣٥) معجم شيوخ الذهبي ٢/الورقة ١٥٨ أ ، وغاية النهاية : ١٣٩/٢ .

(١٣٦) ذيل العبر لابي زرعة الورقة ٧٢ ب .

المقدسي الصالح المتوفى سنة ٧٥٩هـ.

٣ - الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد^(١٣٧) بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥هـ.

٤ - المحدث الفاضل نور الدين أبو الحسن علي^(١٣٨) بن الحسين بن علي المصري المعروف بأبن البناء المتوفى سنة ٧٦٨هـ.

٥ - الفقيه جمال الدين عبدالله^(١٣٩) بن عمر بن داود الكفري الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٠هـ.

٦ - قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب^(١٤٠) بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٧١هـ.

٧ - المحدث الفاضل أبو موسى محمد^(١٤١) بن محمود بن اسحاق بن احمد الحلبي المقدسي المتوفى سنة ٧٧٦هـ.

٨ - أبو العباس أحمد^(١٤٢) بن عبد الرحيم التونسي المالكي المتوفى سنة ٧٧٨هـ.

٩ - جمال الدين أبو الفضائل محمد^(١٤٣) بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي المدني الشهير بأبن الشامي المتوفى سنة ٧٧٩هـ.

١٠ - أبو الحسن محمد^(١٤٤) بن محمد بن محمد بن ميمون البلوي الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٧هـ.

١١ - الخطيب ناصر الدين أبو المعالي محمد^(١٤٥) بن علي بن محمد بن هاشم بن عبد الواحد بن أبي العشائر السلمي الحلبي المتوفى سنة ٧٨٩هـ.

١٢ - صدر الدين سليمان^(١٤٦) بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء الياسوفي الشافعي المتوفى سنة ٧٨٩هـ.

١٣ - الحافظ شمس الدين محمد^(١٤٧) بن موسى بن محمد بن نجيم

(١٣٧) ذيل التذكرة : ٥٤ . وذيل العبر لآي زرة الورقة ٧٢ ب . وتاريخ ابن قاضي شهبة الورقة ٢١٥ ب .

(١٣٨) ذيل العبر لآي زرة ، الورقة ٧٢ ب . واللمع الألفية الورقة ١١٣ ب . وروني الألفاظ الورقة ٦٩ ب .

(١٣٩) تاريخ ابن قاضي شهبة ١ / الورقة ١٩٨ ب . والدرر الكامنة ٣٨٦/٢ (١٤٠) معجم شيخ السبكي الورقة ٣٠ ب . وغاية النهاية : ١٣٩/٢ . وتاريخ ابن قاضي شهبة ١ / الورقة ٢٠٤ أ . ووجيز الكلام الورقة ٣٨ أ

(١٤١) شلوات الذهب : ٢٤٩/٦ .

(١٤٢) ذيل العبر لآي زرة الورقة ٩٦ ب .

(١٤٣) ذيل العبر لآي زرة الورقة ١٠٢ ب . وشلوات الذهب : ٢٩٣/٦ وفيه محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

(١٤٤) الدرر الكامنة : ٣٥٠/٤ .

(١٤٥) الدرر الكامنة : ٢٠٤/٤ - ٢٠٥ . وشلوات الذهب : ٣٠٩/٦ .

(١٤٦) طبقات الشافعية لأبن قاضي شهبة الورقة ١٣٤ أ . والدرر الكامنة : ١٦١/٢ . وشلوات الذهب : ٣٠٧/٦ .

(١٤٧) تاريخ ابن قاضي شهبة ١ / الورقة ٢١٥ ب . واللمع والألفية الورقة ١١٣ ب . وروني الألفاظ الورقة ٦٩ ب .

للخمي المصري الشافعي المتوفى سنة ٧٩٢هـ .

١٤ - محيي الدين أبو عبدالله محمد^(١٤٨) بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن أبي القاسم الموصل بن الشهرزوري .

١٥ - أبو جعفر محمد^(١٤٩) بن محمد بن عنقة البسكري المدني المتوفى سنة ٨٠٤هـ .

١٦ - الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم^(١٥٠) بن الحسين بن عبد الرحمن الكردي المصري الشافعي المعروف بأبن العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ .

١٧ - الحافظ نور الدين علي^(١٥١) بن أبي بكر الهيثمي الشافعي المتوفى سنة ٨٠٧هـ .

١٨ - شرف الدين صديق^(١٥٢) بن علي بن صديق الانطاكي المتوفى سنة ٨٠٩هـ .

١٩ - شهاب الدين أحمد^(١٥٣) بن محمد بن أحمد بن محمد الحريري الدمشقي المعروف بالسلاوي المتوفى سنة ٨١٣هـ .

٢٠ - الحافظ أحمد^(١٥٤) بن اسماعيل بن خليفة بن عبد العال الدمشقي الشافعي ابن الحسيني المتوفى سنة ٨١٥هـ .

٢١ - الحافظ مؤرخ الاسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد^(١٥٥) بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد الحسيني الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨١٦هـ .

٢٢ - الحافظ ولي الدين أبو زرة أحمد^(١٥٦) بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي المصري ابن العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ .

٢٣ - المقرئ نور الدين أبو الحسن علي^(١٥٧) بن أحمد بن محمد بن سلامة السلمي المالكي المعروف بأبن سلامة المتوفى سنة ٨٢٨هـ .

٢٤ - المقرئ شمس الدين أبو الخير محمد^(١٥٨) بن محمد ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ .

(١٤٨) الدرر الكامنة : ١٣٩/٤ .

(١٤٩) شلوات الذهب : ٤٦/٧ .

(١٥٠) ذيل العبر لآي زرة الورقة ٧٢ ب . وتاريخ ابن قاضي شهبة ١ / الورقة ٢١٥ ب . واللمع الألفية الورقة ١١٣ ب . وروني الألفاظ الورقة ٦٩ ب .

(١٥١) المصدر نفسه .

(١٥٢) شلوات الذهب : ٨٤/٧ .

(١٥٣) شلوات الذهب : ١٠٠/٧ .

(١٥٤) لحظ الاخطأ : ٢٤٤ .

(١٥٥) تاريخ ابن قاضي شهبة ١ / الورقة ٢١٥ ب . وطبقات الشافعية له الورقة ١٤٢ ب . ولحظ الاخطأ : ٢٤٧ . واللمع الألفية الورقة ١١٣ ب . وروني الألفاظ الورقة ٦٩ ب .

والدارس : ١٣٨/١ ، وشلوات الذهب : ١١٦/٧ .

(١٥٦) ذيل العبر لآي زرة الورقة ٧٢ ب . واللمع الألفية الورقة ١١٣ ب . وروني الألفاظ الورقة ٦٩ ب .

(١٥٧) العهد الثمين : ١٣٩/٦ .

(١٥٨) غاية النهاية : ١٣٩/٢ .

الفصل الثاني

مؤلفاته

لم نحفظ لنا المصادر التي ترجمت لأبن رافع أكثر من ثلاث كتب وهي : معجم شيوخه ، وذيل تاريخ بغداد ، والوفيات ، وأسماء بعض المشيخات والأجزاء التي خرجها ابن رافع لشيوخه . وهي تدور كلها في فروع علم الحديث وما يتصل به ، ولكننا لم نجد له تأليفاً في مصطلح الحديث مع معرفتنا بتضلعه في هذا الفن :

١ - معجم الشيوخ :

وهو مما خرج به نفسه ، وأول من ذكر هذا الكتاب هو الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي الحسيني الدمشقي فقال (١٥٩) « وخرج لنفسه معجماً استوعب فيه شيوخه » . وذكره ابن حبيب فقال (١٦١) : « وجمع معجمه الذي يزيد على ألفي نفر » . وقال فيه ابن قاضي شهبة : « وعمل لنفسه معجماً في أربع مجلدات ، وهو في غاية الاتقان والضبط ، مشحون بالفوائد ، يشتمل على أكثر من ألف شيخ » . وقد ذكره غيرهم من المؤرخين (١٦١) وامتدحوه واشادوا باتقانه وضبطه وقيمته . وقد اقتبس منه ابن حجر العسقلاني في كتابه « الدرر الكامنة » في أعيان المئة الثامنة (١٦٠) موضعاً تصريحاً بقوله « ذكره ابن رافع في معجمه » . والظاهر أنه نقل منه في غير هذه المواضع ولم يصرح بذلك .

(١٥٩) ذيل التذكرة : ٥٢

(١٦٠) نقل هذا النص ابن حجر في إنباء الغمر : ٤٨/١ . والخيفري في اللمع الألمية ، الورقة ١١٣ ب ، وابن العار دالحبلي في شذرات الذهب : ٢٣٤/٦ .
(١٦١) انظر : ذيل البيهقي زوغة ، الورقة ١٧٢ . وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/الورقة ٢١٦ أ ، وطبقات الشافعية له الورقة ١٢٧ ب ، وإنباء الغمر : ٤٨/١ ، الدرر الكامنة : ٥٩/٤ ، واللمع الألمية الورقة ١١٣ ب ، ورواق الألفاظ ، الورقة ٦٩ ب ، والإعلان بالتبويب : ٢٣٨ ، ٢٥٥ ، ووجيز الكلام الورقة ٣٨ أ ، وذيل طبقات الحفاظ : ٣٦٦ ، والدارس : ٩٤/١ ، وكشف الظنون : ٣٢٨/١ وسماه « مشيخة ابن رافع » ، وفهرس الفهارس : ٣٢٩/١ ، والتعريف بالمؤرخين : ٢٠١/١ ، والمؤرخون الدمشقيون : ٥٧ وغيرها من المصادر التي تناولت سيرة ابن رافع . وقد عثرنا على نسخة خطية فريدة من هذا المعجم انتخبها الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد القاسمي المكي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ ، وقد اتينا من تحقيقها وهي تحتوي على ٤٢٣ ترجمة ، ومنشرها قريباً إن شاء الله تعالى .
(١٦٢) انظر : ١١٥/١ و ١٢٥ و ١٣٧ و ٢٧١ و ٤٠٩ و ١٠٠/٢ و ١٢٣ و ١٣٤ و ١٤٤ و ١٦٤ و ١٧٨ و ٢٦/٣ و ٤٥ و ٥٥ و ٥٥ و ٦٥ و ١٦/٤ و ٧٦ و ٣٠٧ و ٣١٠ و ٣٢٧ و ١٢/٥ و ٣١ و ٦٤ و ٢٢٥ و ... وغيرها من الدرر الكامنة

٢ - الذيل على تاريخ بغداد لأبن النجار :

ذكره شمس الدين الحسيني فقال (١٦٣) « وعمل تاريخ بغداد » وذكره أبو زوغة العراقي بقوله (١٦٤) : « وصنف ذيلاً على تاريخ بغداد لأبن النجار في أربع مجلدات » . وقال الجزري (١٦٥) « وذيل على تاريخ بغداد ، ولو ذيل على تاريخ دمشق لكان أولى » وتوالت أقوال المؤرخين (١٦٦) في وصفه وتوثيقه والافادة منه . فقد ذكر ابن حجر العسقلاني (١٦٧) أنه رأى بعضه بخط المؤلف وأنه كان في ثلاث أو أربع مجلدات .

ويصف لنا شمس الدين السخاوي في كتابه « الإعلان بالتبويب » (١٦٨) جاء فيه : « ... وهكذا استوفيت عليه مسودة الذيل الذي للتي ابن رافع على ابن النجار من خطه وهي في مجلد ولكن حصل فيها نحو لكثير من تراجمه ، وكذا بعض القول في بعضها مع أنه كتب عليها ما نصه « فيه نقص كثير عن المبيضة وفيه زيادات قليلة » قال : والمبيضة في ثلاث مجلدات » . وقال في خطبته : « ذكر فيه من دخل بغداد من العلماء والفقهاء والمحدثين والوزراء والأدباء ، ومن فاتها - يعني الخطيب وابن النجار - أو أحدهما ذكره ، ذكرته » ، وعلى المسودة بخط الذهبي مائضة « كتاب التذييل والصلة على تاريخ بغداد ألفه وتلقفه الفقير إلى الله تعالى الإمام الحافظ مفيد الطلبة ، عمدة النقلة تقي الدين محمد بن رافع الشافعي ووصل به التاريخ الكبير (١٦٩) الذي جمعه حافظ العراق محب الدين ابن النجار الذي عمل كتابه ذيلاً واستدراكاً على تاريخ الحافظ أبي بكر الخطيب ، غفر الله لهم ولنا » .

(١٦٣) ذيل التذكرة : ٥٢

(١٦٤) ذيل العبر ، الورقة ٧٢

(١٦٥) غابة النهاية : ١٣٩/٢

(١٦٦) راجع : تاريخ ابن قاضي شهبة ١/الورقة ٢١٦ أ ، وطبقات الشافعية له الورقة ١٢٧ ب ، وإنباء الغمر : ٤٨/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٢٤/١١ ، واللمع الألمية الورقة ١١٣ ب ، ورواق الألفاظ الورقة ٦٩ ب ، وذيل طبقات الحفاظ : ٣٦٦ ، والدارس : ٩٤/١ ، وكشف الظنون : ٢٨٨/١ ، وشذرات الذهب : ٢٣٤/٦ ، وفهرس الفهارس : ٣٢٩/١ ، والتعريف بالمؤرخين : ٢٠١/١ ، والمؤرخون الدمشقيون : ٥٧ ، وغيرهم كثير .

(١٦٧) الدرر الكامنة : ٥٩/٤

(١٦٨) ص : ٢٢٣ - ٢٢٤

(١٦٩) هو التاريخ المجلد لمدينة السلام وأخبار فضلها الاعلام ومن ورد لها من علماء الانام ، ذيل به مؤلفه ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ على تاريخ الخطيب البغدادي . فجمع ذيل ابن السمعاني وابن الديلمي وزاد عليها . وقد استدرك ابن النجار نفسه كثيراً من التراجم على الخطيب . ولم يصلنا منه سوى المجلد العاشر والمجلد الحادي عشر من نسخة تكون من خمسة عشر مجلداً ، وانقضاء لأحمد بن أبيك الدمشقي المتوفى ٧٤٩ هـ . (ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد لأبن الديلمي : ١٨ - ٢٠) .

ويظهر من كلام السخاوي ، أن ابن رافع في كتابه هذا قد استدرك على الخطيب البغدادي ، وابن النجار ما فاتهما من التراجم التي هي من شرطها الى جانب تذييله على ابن النجار .

ويذكر لنا تقي الدين الفاسي في مقدمة كتابه «العقد الثمين» الكتب التي نظرها لأجل كتابه هذا فقال : «... ومن ذلك «ذيل تاريخ بغداد» للمحافظ تقي الدين ابن رافع ، و «معجمه» ، و «وفياته» .

ومن هذا الذيل انتخب التي الفاسي مجموعة تراجم بلغت «٢١٠» ترجمة انتخبها على دفعتين ، ساءها «المنتخب المختار المذيل به على تاريخ ابن التيجار» وهي تسمية الكتاب الذي وضعه ابن رافع . ذيلاً على تاريخ ابن التيجار ، حيث ساء «المختار المذيل به على تاريخ ابن التيجار» (١٧٠) .

٣ - الوفيات :

هذا الكتاب هو ذيلٌ على كتاب «المقتنى لتاريخ أبي شامة» (١٧١) لعلم الدين أبي محمد القاسم بن محمد البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، والمعروف عند بعض المؤرخين بأسم «وفيات البرزالي» . وأقدم اشارة وردت اليها بخصوص كتاب «الوفيات لأبن رافع» ما ذكره أبو زرعة في كتابه «ذيل المعبر» (١٧٢) فقال : «وعمل الوفيات» . ثم ذكره ابن قاضي شعبة في «تاريخه» (١٧٣) و «طبقاته» (١٧٤) : فقال : «وجمع وفيات ذيل بها على البرزالي» . وقال ابن حجر (١٧٥) : «وجمع كتاباً في الوفيات ذيل فيه على تاريخ البرزالي ، وهو كثير الفوائد ، وذكره حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون» (١٧٦) فقال : «وفيات الشيخ تقي الدين ابن رافع ذيل بها على تاريخ البرزالي من ٧٣٧-٧٧٤ هـ ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ بدمشق» . وقد ذيل على هذا الكتاب شهاب الدين أحمد بن ججي بن موسى بن أحمد الحسباني الدمشقي المتوفى سنة ٨١٦ هـ (١٧٨) .

(١٧٠) - نشره المحرم عباس الغزالي الهامي ببغداد سنة ١٩٣٨ م . وقد حققه على نسخة فريدة انتخبها تقي الدين الفاسي المكي ، ونشره قريباً بعونه تعالى .

(١٧١) - شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة ، المتوفى سنة ٩٦٥ هـ (المعبر ٢٨٠/٥ - ٢٨١) ، وفوات الوفيات : ٢٦٩/٢ - ٢٧١ ، وطبقات الشافعية للاستوي : ١١٨/٢ . وقد ذيل على كتابه «الذيل على الروضتين» علم الدين القاسم بن محمد البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ بكتاب ابتدأه من وفاة أبي شامة سنة ٩٦٥ هـ وانتهى فيه الى سنة ٧٣٨ هـ وساء «المقتنى لتاريخ أبي شامة» .

(١٧٢) الورقة ٧٢ أ .

(١٧٣) الورقة ٢١٦ أ .

(١٧٤) طبقات الشافعية الورقة ١٢٧ ب .

(١٧٥) الدرر الكامنة ٥٩/٤ .

(١٧٦) ٢٠١٩/٢ .

(١٧٧) الاعلان بالتوبيع : ٣٣٤ ، والصور اللامع : ٢٦٩/١ ، والدارس : ٧٣٨/١ ، وكشف الظنون : ٢٠١٩/٢ . والمنلوي وكتابه التكملة : ٢١٨ .

(١٧٨) لقد تكلمنا على كتاب «الوفيات» بما فيه الكفاية ، ونقلنا أقوال وآراء المؤرخين فيه عند تحقيقنا له عام ١٨٠٠ م .

٤ - ذيل مشتهر النسبة :

ذكر هذا الكتاب ابن رافع نفسه في احدى تراجم كتابه «الوفيات» (١٧٩) .

وهو ذيلٌ على كتاب «المشتبه في الرجال» لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . وقد جاء في مقدمة الكتاب مانصه : «بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الإمام الحافظ العمدة تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع بن أبي محمد السلامي المصري ، ثم الدمشقي : الحمد لله على أفضاله وللصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله . أما بعد فاني ظفرت باسماء مشتهية لم أرها في كتاب شيخنا الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله تعالى ، المسمى «المشتبه في المؤلفات والمختلف ومشتبه النسبة» مع أنه قد كثرفه ، فأردت جمعها في كراسة لتحصل الفائدة بها إن شاء الله تعالى ، وعلى الله التوكل في القول والعمل» (١٨٠) .

٥ - الاجازة العامة (١٨١) :

قال حاجي خليفة في «كشف الظنون» : «الاجازة العامة : أجازها جماعة من الحفاظ فجمعهم طائفة من العلماء ، كالشيخ تقي الدين محمد بن رافع المتوفى سنة اثنتين وسبعين (كذا) وسبع مئة ، فانه صنف فيهم جزءاً . والحافظ أبو جعفر محمد بن الحسين بن بدر الكاتب البغدادي رتبهم على الحروف لكثرتهم» .

٩ - كتاب ترجمة الامام امام الدين أبي القاسم الرافي منها نسخة مخطوطة في مكتبة برلين (١٨٢) .

التخاريج

خرج ابن رافع عدداً كبيراً من المشيخات والاجزاء الحديثة فكان يجمع الشيوخ أو ماحدثوا به من ساعات الشيخ المخرّج له أو مقروءاته أو مجازاته في مكان واحد . وبين طرقها وأسانيدھا ويتكلم على رواياتها وهو مايعرف بالتخريج ، ومن ذلك :

٧ - مشيخة (١٨٣) الشيخ الصالح نجم الدين أبي العز عبد العزيز بن

(١٧٩) وفيات ابن رافع ١٧٩/٢ (الترجمة ٦٧٨) .

(١٨٠) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد - دار الكتاب العربي - بيروت سنة ١٩٧٤ م . وقد اعتمده وانفع منه ابن حجر في كتابه «تصدير المتب» بتحرير المشتبه ١٥١٢/٤ - ١٥١٣ وقال . وقد ذيل عليه (يعني الذهبي) الحافظ تقي الدين ابن رافع تلميذه في هذا المختصر جزءاً قدر عشرة أوراق غالبية لايرد عليه لأنه أما ان يكون قد ذكره ، أو يكون لايشبه الا على بعد .

(١٨١) ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون : ١٠/١ ، والبغداد في هدية العارفين :

١٦٧/٢ ، وكحالة في معجم المؤلفين . ٩١/١٢ .

(١٨٢) فهرس المخطوطات العربية في برلين - آرد - ٤٩٥/٩ .

(١٨٣) نسخة منها في المكتبة الظاهرية (فهرس المكتبة الظاهرية - الحديث - ٥٣ و ٢٩٩) .

أبي الفتوح المقدسي المتوفى سنة ٧٣٧هـ .
 ١٩ - معجم^(١٩٥) الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عثمان السلامي الطرابلسي ، من طرابلس الغرب .

- محمد بن يوسف بن الياس بن عباس الدقوقي البغدادي .
 ٨ - مشيخة^(١٨٤) زين الدار وجية بنت علي بن يحيى بن علي بن سلطان الانصارية الصعيدية ثم الاسكندرانية المتوفاة سنة ٧٣٢هـ .
 ٩ - مشيخة^(١٨٥) العلامة مجد الدين أبي بكر بن اسماعيل بن عبدالعزيز السنكلوني المتوفى سنة ٧٤٠هـ .
 ١٠ - مشيخة^(١٨٦) المعدل المسند بهاء الدين أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن أبي بكر المقدسي الصالح المتوفى سنة ٧٤٩هـ .
 ١١ - مشيخة^(١٨٧) الشيخ جمال الدين أبي اسحاق ابراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد الحلبي المتوفى سنة ٧٦٠هـ .
 ١٢ - مشيخة^(١٨٨) القاضي ناصر الدين أبي عبدالله محمد بن يعقوب الحلبي المتوفى سنة ٧٦٣هـ .
 ١٣ - مشيخة^(١٨٩) الأمير ناصر الدين محمد بن عبدالله بن عبد الوهاب بن فضل الله العمري العدوي المتوفى سنة ٧٦٥هـ .
 ١٤ - مشيخة^(١٩٠) المعدل فتح الدين أبي الحرم محمد بن محمد بن أبي الحرم بن أبي طالب القلانسي الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٥هـ .
 ١٥ - مشيخة^(١٩١) الشيخ المسند شمس الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن ابراهيم البياني الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٦هـ .
 ١٦ - مشيخة^(١٩٢) قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبدالرحيم بن عبد الملك المسلاقي المالكي المتوفى سنة ٧٧١هـ .
 ١٧ - جزء^(١٩٣) للشيخ شهاب الدين أبي الفرج عبداللطيف بن عبدالعزيز بن يوسف الحراني الشافعي المتوفى سنة ٧٤٤هـ .
 ١٨ - شرف الدين أبو زكريا يحيى^(١٩٤) بن يوسف بن أبي محمد بن

- (١٨٤) الدور الكامنة : ١٨٠ / ٥ .
 (١٨٥) أعيان العصر : ٢ / الورقة ١١٤ ب . وفيات ابن رافع : ٣٠٤ / ١ (الترجمة : ١٨٣) ، والنهل الصافي : ٢ / الورقة ٨٧١ .
 (١٨٦) وفيات ابن رافع : ٦٣ / ٢ (الترجمة : ٥٠٧) . وتاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / الورقة ١٩٨ .
 (١٨٧) وفيات ابن رافع : ٢٢٤ / ٢ (الترجمة : ٧٣٣) ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / الورقة ١٥١ ب .
 (١٨٨) وفيات ابن رافع : ٢٥٤ / ٢ (الترجمة : ٧٧٢) ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / الورقة ١٦٧ أ . والدور الكامنة : ٦٠ / ٥ .
 (١٨٩) وفيات ابن رافع : ٢٨١ / ٢ (الترجمة : ٨٠٦) ومصادر الترجمة كافة .
 (١٩٠) وفيات ابن رافع : ٢٨٤ / ٢ (الترجمة : ٨١١) ، وذيل العبر لأبي زُرعة الورقة ٣٥ ب ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / الورقة ١٧٥ ب ، والدور الكامنة : ٢٥٣ / ٤ .
 (١٩١) وفيات ابن رافع : ٣٠١ / ٢ (الترجمة : ٨٣٢) ومصادر الترجمة كافة .
 (١٩٢) وفيات ابن رافع : ٣٦٠ / ٢ (الترجمة : ٩٠١) ومصادر الترجمة كافة .
 (١٩٣) وفيات ابن رافع : ٤٤٨ / ١ (الترجمة : ٣٥٦) ومصادر الترجمة كافة .
 (١٩٤) ذكره ابن حجر في الدور الكامنة : ٢٠٣ / ٥ وقال : «وكان يتعاصر في الحديث» . وخرج له ابن رافع وغيره . قلت : لعله خرج له جزءاً من حديثه ، والله أعلم .

(١٩٥) فهرس الفهارس : ٤٦ / ٢ وفيه «خرجه (يعني المعجم) له الحافظ ابن رافع نرويه من طريق النبي بن فهد ، عن علي بن سلامة عنه .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

- ١ - أعيان العصر وأعيان النصر: لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي وت ٧٦٤هـ الجزء الثاني ، مصورة خزانة كتب الدكتور بشار عواد معروف عن نسخة مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٦٢١ .
- ٢ - تاريخ ابن قاضي شهبة «الاعلام بتاريخ أهل الاسلام» لتقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد الأسدي وت ٨٥١هـ نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ١٣٩٨ عربي .
- ٣ - تاريخ البرزالي «المقتني لتاريخ أبي شامة» لعلم الدين أبي محمد القاسم بن محمد البرزالي وت ٧٣٩هـ مصورة خزانة الدكتور بشار عواد معروف عن نسخة مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٩٥١ .
- ٤ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال - لجمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزني وت ٧٤٢هـ مصورة خزانة كتب الدكتور بشار عواد معروف عن نسخة مكتبة فيض الله أفندي رقم ١٤٢٧ .
- ٥ - ذيل العبر لأبي زرعة : لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبدالرحمن بن الحسين العراقي وت ٨٢٦هـ نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم ٥٦٥ وقد انتهينا من تحقيقه ونشره قريباً ان شاء الله تعالى .
- ٦ - رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ : لسبط ابن حجر ، يوسف بن شاهين الكركي وت ٨٩٩هـ نسخة المكتبة الخالدية بالقدس ، اعادتها مشكوراً الأستاذ الحاج صبحي السامرائي .
- ٧ - طبقات الشافعية لأبن قاضي شهبة ، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي وت ٨٥١هـ نسخة مصورة في مكتبة الاوقاف المركزية بغداد رقم ٢٨٠ .
- ٨ - كتائب أعلام الاخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار ، للمولى محمود بن سليمان الكفوي وت ٩٩٠هـ نسخة المكتبة القادرية ببغداد رقم ١٢٤٢ .
- ٩ - اللمع الأملية لأعيان الشافعية ، لقطب الدين محمد بن محمد بن خضير الخيزري وت ٨٩٤هـ نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد رقم ٨٦٤٢ .

- ١٠ - معجم شيوخ الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي وت ٧٤٨هـ نسخة مكتبة أحمد الثالث رقم ٤٦٢ .
- ١١ - معجم شيوخ السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي وت ٧٧١هـ نسخة خزانة كتب الدكتور بشار عواد معروف عن نسخة المكتبة التيمورية رقم ١٤٤٦ تاريخ .
- ١٢ - منتخب معجم شيوخ ابن رافع ، محمد بن رافع بن هجرس السلامي وت ٧٧٤هـ انتخابه تقي الدين محمد بن أحمد القاسمي المكلي وت ٨٣٢هـ وقد انتهناه تحقيقاً .
- ١٣ - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي وت ٨٧٤هـ نسخة مصورة في خزانة كتب الدكتور بشار عواد معروف عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٧٠ .
- ١٤ - وجيز الكلام في ذيل تاريخ دول الاسلام ، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي وت ٩٠٢هـ نسخة مصورة في خزانة كتب الدكتور بشار عواد معروف ، عن نسخة مكتبة كوبرلي رقم ١١٨٩ .

ثانياً : المصادر المطبوعة :

- ١٥ - العلاقات الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، لعزالدين أبي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد وت ٦٨٤هـ تحقيق سامي الدهان ، دمشق ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق .
- ١٦ - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ٩٠٢هـ حققه وعلق عليه بالانكليزية - فراتز روزنثال ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي - مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م .
- ١٧ - انباء الغمر بابناء العمر ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني وت ٨٥٢هـ تحقيق الدكتور حسن حبشي ، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- وقد استعملنا أيضاً طبعة دار المعارف العثمانية الهندية ، وأشرنا لذلك في الهامش .
- ١٨ - الأنساب ، لأبي سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني وت ٥٦٢هـ نشرة المشرق د . س . مرجليوث سنة ١٩١٢م واعادت طبعه بالاوفست مكتبة الشئ ببغداد ١٩٧٠م .

- ١٩ - البداية والنهاية . لعاد الدين أبي الفداء اساعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي «ت ٧٧٤هـ» مطبعة السعادة بمصر ، دون تاريخ .
- ٢٠ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للقاضي محمد بن علي الشوكاني «ت ١٢٥٠هـ» مطبعة السعادة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ .
- ٢١ - برنامج الوادي آشي : محمد بن جابر الوادي آشي التونسي «ت ٧٤٩هـ» تحقيق : محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨١م .
- ٢٢ - تاريخ ابن الوردي «تمة المختصر في اخبار البشر» لزين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي «ت ٧٤٩هـ» منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .
- ٢٣ - تذكرة الحفاظ - لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي «ت ٧٤٨هـ» الناشر محمد أمين دمج ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، دون تاريخ .
- ٢٤ - تذكرة النيه في أيام المصور وبنيه - للحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي «ت ٧٧٩هـ» الجزء الأول تحقيق الدكتور محمد أمين ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٦م .
- ٢٥ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال - لجمال الدين أبي الخجلاج يوسف بن عبدالرحمن المزني «ت ٧٤٢هـ» الجزء الأول تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الاولى - ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .
- ٢٦ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية - لمحيي الدين عبدالقادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي «ت ٧٧٥هـ» حيدرآباد الدكن - الهند - الطبعة الاولى - دار المعارف العثمانية - ١٣٣٢هـ .
- ٢٧ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي «ت ٩١١هـ» تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .
- ٢٨ - المدارس في تاريخ المدارس - لأبي المفاخر عبدالقادر بن محمد بن عمر النعيمي «ت ٩٢٧هـ» عني بشره وتحقيقه جعفر الحسني ، مطبعة الترقى - دمشق - الجزء الأول . ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م والجزء الثاني ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م .
- ٢٩ - درة الحجال في أسماء الرجال «ذيل وفيات الأعيان» - لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بأبن القاضي «ت ١٠٢٥هـ» تحقيق : محمد الأحمدى أبو النور ، دار النصر للطباعة - القاهرة - ١٩٧٠م .
- ٣٠ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ» تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، مطبعة المدني - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٦م .
- ٣١ - دور القرآن في دمشق - لأبي المفاخر عبدالقادر بن محمد بن عمر النعيمي «ت ٩٢٧هـ» تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٣م .
- ٣٢ - دول الاسلام - لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي «ت ٧٤٨هـ» تحقيق : فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٤م .
- ٣٣ - ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد - للحافظ أبي عبدالله محمد بن سعيد المعروف بأبن الديلمي «ت ٥٦٣٧هـ» تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، مطبعة الجمهورية - بغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ٣٤ - ذيل تذكرة الحفاظ - للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن الحسن الحسيني «ت ٧٦٥هـ» الناشر محمد أمين دمج - دار احياء التراث العربي - بيروت ، دون تاريخ .
- ٣٥ - ذيل طبقات الحفاظ - لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي «ت ٩١١هـ» الناشر : محمد أمين دمج . دار احياء التراث العربي - بيروت ، دون تاريخ .
- ٣٦ - ذيل العبر للذهبي - لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي «ت ٧٤٨هـ» تحقيق : محمد رشاد عبدالمطلب ، مطبعة حكومة الكويت - ١٩٧٠م .
- ٣٧ - الذيل على طبقات الحنابلة - لزين الدين عبدالرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي المعروف بأبن رجب «ت ٧٩٥هـ» باعتناء محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة . ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م .
- ٣٨ - ذيل مشبه النسبة - لتقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلامي «ت ٧٧٤هـ» تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

- ٣٩ - السلوك لمعرفة دول الملوك - لثقي الدين أحمد بن علي المقريري
«ت ٨٤٥هـ» الجزء الثاني - نشره محمد مصطفى زيادة -
القاهرة ، ١٩٤٢ - ١٩٥٨ م ، الجزء الثالث تحقيق : الدكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ،
١٩٧٠ م .
- ٤٠ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب - لأبي الفلاح عبدالحلي
بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي «ت ١٠٨٩هـ» القاهرة -
١٣٥٠هـ .
- ٤١ - الفقه اللائع لأهل القرن التاسع - لشمس الدين محمد بن
عبدالرحمن السخاوي «ت ٩٠٢هـ» نشرته مكتبة حسام الدين
المقديسي - القاهرة - ١٣٥٣هـ .
- ٤٢ - طبقات الشافعية للأسنوي - لجمال الدين عبدالرحيم بن
الحسن بن علي الأسنوي «ت ٧٧٢هـ» تحقيق : الدكتور عبدالله
الجبوري ، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٠ م .
- ٤٣ - العبر في خبر من عبر - لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي
«ت ٧٤٨هـ» الجزء الخامس تحقيق الدكتور صلاح الدين
المنجد ، الكويت . ١٩٦٠ م .
- ٤٤ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - لثقي الدين محمد بن أحمد
الحسني القاسي المكي «ت ٨٣٢هـ» مطبعة السنة المحمدية -
القاهرة - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م .
- ٤٥ - غاية النهاية في طبقات القراء - لشمس الدين أبي الخير محمد
بن محمد ابن الجزري «ت ٨٣٣هـ» عني بنشره ج .
برجستراسر ، القاهرة - ١٣٥١هـ = ١٩٣٢ م فابعدا .
- ٤٦ - فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات
والمسلسلات - للحافظ عبدالحلي بن عبدالكبير الحسني
الادريسي الكتاني - المطبعة الجديدة بفاس ١٣٤٧هـ .
- ٤٧ - فوات الوفيات - لصلاح الدين محمد بن شاکر الكتبي
الدمشقي «ت ٧٦٤هـ» تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار
صادر بيروت ، ١٩٧٤ م .
- ٤٨ - القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية - لشمس الدين محمد بن
علي بن أحمد بن طولون الصالحلي «ت ٩٥٣هـ» تحقيق محمد
أحمد دهان - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق -
١٤٠١هـ = ١٩٨٠ م .

- ٤٩ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لمصطفى بن
عبدالله الشهير بجاجي خليفة ، وبكتابت جلي «ت ١٠٦٧هـ»
الطبعة الثالثة - ١٣٨٧هـ = ١٩٤٧ م .
- ٥٠ - اللباب في تهذيب الأنساب - لعزالدين أبي الحسن علي بن
محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ابن الأثير «ت ٦٣٠هـ»
منشورات مكتبة حسام الدين المقديسي - القاهرة - ١٣٥٧هـ .
- ٥١ - لحظ الإلحاط بذييل طبقات الحفاظ - لثقي الدين أبي الفضل
محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي «ت ٨٧١هـ» الناشر
محمد أمين دمج ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، دون
تاريخ .
- ٥٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان
- للإمام أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي البافغي اليمني المكي
«ت ٧٦٨هـ» مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الطبعة
الثانية - ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠ م .
- ٥٣ - مستفاد الرحلة والاغتراب - للقاسم بن يوسف التجيبي السني
«ت ٧٣٠هـ» تحقيق : عبدالحفيظ منصور - الدار العربية
للكتاب - ليبيا - تونس - ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥ م .
- ٥٤ - معجم البلدان - لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله
الحموي الرومي البغدادي «ت ٦٢٦هـ» تحقيق : فستفد
الألماني - لايبزك ١٨٦٦ م .
- ٥٥ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - لشمس الدين
محمد بن أحمد الذهبي «ت ٧٤٨هـ» تحقيق : محمد سيد
جادالحق ، القاهرة - الطبعة الأولى - دون تاريخ - وقد عثر
استاذنا الدكتور بشار عواد معروف على نسخة خزائية نفيسة
من هذا الكتاب فحققناه بالاشتراك معه ومع الشيخ شعيب
الارناؤوط وصدر في مجلدين عن مؤسسة الرسالة - بيروت
١٩٨٤ م .
- ٥٦ - منتخب المختار - أو تاريخ علماء بغداد - لثقي الدين محمد بن
رافع السلامي «ت ٧٧٤هـ» انتخاب ثقي الدين محمد بن أحمد
القاسي «ت ٨٣٢هـ» نشره المرحوم عباس الغزالي الهامي
مطبعة الأهالي - بغداد - ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨ م .
- ٥٧ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لجمال الدين أبي
الحسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي «ت ٨٧٤هـ» المؤسسة

٧٠ - المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة من القرن الثالث الهجري الى نهاية القرن العاشر - للدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٧١ -

Foschichte Der Arabiseni Litteratur: Carl Brookelmann , Leiden , Brill , 1949

٧٢ -

Vereich: iss Der Arabischen Hands Chriften Der Koniglichen Bibliothher Zu Berlin. Von, W. Ahlwardt , Berlin, A. Asher and Co. 1897, No. 4.

المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - ثرائنا - ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

٥٨ - الوافي بالوفيات - لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي «ت ٧٦٤ هـ» تحقيق جماعة من العرب والمستشرقين .

٥٩ - الوفيات - لتقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلامي «ت ٧٧٤ هـ» تحقيق : صالح مهدي عباس - مؤسسة الرسالة في بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

ثالثاً - المراجع

٦٠ - الآثار الخطية في المكتبة القادرية - الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ، مطبعة المعارف - بغداد ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م «الجزء الرابع» .

٦١ - الاعلام - قاموس تراجم - لخير الدين الزركلي - الطبعة الرابعة - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٩ م :

٦٢ - التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان - للمحامي عباس المزروي - شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

٦٣ - الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام - للدكتور بشار عواد معروف - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٩٧٦ م .

٦٤ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - المنتخب من الحديث - لحد ناصر الدين الألباني . مطبعة الترقى - دمشق ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٦٥ - مخطوطات التاريخ والتراجم والسير ، اسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس - المؤسسة العامة للآثار والتراث . دار الحرية بغداد - ١٩٨٢ م .

٦٦ - معجم الأطباء - للدكتور أحمد عيسى بك - مطبعة فتح الله وأولاده - مصر ، الطبعة الأولى . ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م .

٦٧ - معجم المطبوعات العربية والمعرية - ليوسف إيلان سركيس ، مطبعة سركيس - مصر - ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

٦٨ - معجم المؤلفين - تراجم مصنفى الكتب العربية - لعمر رضا كحالة ، مطبعة الترقى - دمشق - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

٦٩ - المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة . للدكتور بشار عواد معروف ، مطبعة الاداب في النجف الأشرف ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

هَيْرُودُسُ وَكِيبَاتُهُ

الدكتور سامي سعيد الاحمد
كلية الاداب قسم التاريخ
جامعة بغداد

اديبا كسب عن الشعر المختص^(١) وله محاولات في اعطاء تفسيرات عقلية للاشارات الفلكية والظواهر التي كان الناس يعزونها الى الارباب. و^(٢) هيرودوتوس في عائلة احب افرادها الاللوب الشعري القديم والاساطير المعروفة. وذكر ان تحصيله لم يكن كاملا فلم يستمر في تعلم الحساب وجاءت بالموسيقى قليلة لكنه احب الفن ولا تعرف هل ان هناك نفس نظام الينا في الاطفال القواعد والموسيقى والرياضة في هاليكارناسوس زمن طفولته هيرودوتو ولكن يظهر من كتابه انه حصل على معرفة واسعة بأدب زمانه المعاصر والنعرف من كتابته انه له مدفة بالادب اليوناني حيث كثيرا ما يذكر هسيود و^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^{(٣٤٦}

ان غالبية الاخبار المعروفة عن حياة هيرودوتوس نقرأها في معجم السويداس Suidas (الذي ظهر حوالي سنة ٩٧٠ والذي يتضمن كل ما يتعلق باللغة والكتابات اليونانية مرتبا حسب الحروف الابجدية دونما مهارة ودقة. ورغم غزارة معلوماته فإنه مليء بالاطغاه). ويذكر السويداس انه ولد سنة ٤٨٤ ق. م او حوالي تلك السنة وانه دوري الاصل ولد في هاليكارناسوس في منطقة كاريا جنوب غربي اسيا الصغرى المشهورة بزراعتها وصناعتها والمهمة تجاريا. ومن الجدير بالذكر ان هاليكارناسوس كانت بخاصة مستوطنة دورية مثل كوس وكنيلوس ورووس.

3. Herodotus VI:52

4. Ibid II: 156

5. T.R. Glover, *Herodotus*, (Berkeley, 1924), p. 26.

John L. Kelly, Jr., Director, FBI, dated 10/1/63, p. 2

2. Diodorus Siculus, *Historia* 4: 37

هذه المعلومات التي يمكن على استحصاها من هنا وهناك نظرا لحبه في الاطلاع في جميع الافكار الكثيرة والآراء المتنوعة التي دونها بعد ذلك في كتابه. ويظهر من كتاباته انه كان ذو شخصية محبة لطريقة يتكلم مع الناس الذين جمع منهم معلوماته. ويدل كتابه على سعة اطلاعه وقدرته على الحفظ لانه لا بد وان حفظ الكثير من ذكرياته عن ظهر قلب قبل تدوينها لان ليس من المعقول وغير العلمي ان يحمل هيودوتوس الكثير من ملفات البردى ورق الغزال والجلود معه اينما ذهب للكتابة عليها. وكانت هاليكارناسوس (بودروم الحالية) ابان ولادة هيودوتوس تحت الاحتلال الفارسي تحكمها الملكة ارتيميسيا ابنة ليغدامس وقادت هذه الملكة خلال فترة وصايتها على ولدها قوة بحرية في اصول احشوريش لدى هجومه على بلاد اليونان سنة 480 ق.م ومدح هيودوتوسوس شجاعته وحكمته. وجاء بعدها حفيدها ليعيد اميس لجبل ولدها بيسندليس الذي قل نفوذ فارس زمانه في هاليكارناسوس وحكم كطاغية وعمت الفوضى في هاليكارناسوس زمانه حيث زادت حدة الخلاف بين اليونانيين والكاريين وبين الاغنياء والفقراء وبين التجار وملاكى الاراضي وقد قتل ليغداميس هذا عمه باناسيس وكان شاعرا لكتابته قصيدة ملحمية لاثارة الاضطراب وحاس الناس ضد طفليان ليغداميس وسرعان ما طرد هذا هيودوتوس نفسه للدور الذي لعبه ضده فليجئ الى سلوس ثم عاد هيودوتوس بعدها الى هاليكارناسوس وسوس وقاد ثورة فيها ضد ليغداميس ولكن هيودوتوس لاي نفسه كما تذكر الاخبار دوما شعبية بين المواطنين بعد انتهاء الثورة فلم يبق في مدينته بل رحل منها الى اثينا وهو امر ترفضه السويداس التي نصرت على ذهابه الى ساموس وكونه لم يذهب الى ثوري فورا. ولم يعد هناك جدل حول ذهاب هيودوتوس الان الى اثينا خاصة وان السويداس مصدر متأخر جدا وهناك من الادلة ما يشير الى وجود هيودوتوس في اثينا امثال وجود جزء من قصيدة لسوفوكليس الى هيودوتوس الى جانب تناقص دليل السويداس نفسها حيث تذكر عبارة تشير الى وجود هيودوتوس في اثينا لذا فيمكننا ان نفر برواية وجوده في اثينا الى جانب دفاع هيودوتوس عن بركليس واعجابه به. ومن الجدير بالذكر ان هناك من يعتقد ان سكنى هيودوتوس في ساموس رواية مفتعلة ابتدعت لتفسير تعلم هيودوتوس اللهجة الايونية ويحتمس البعض الى كتابة هيودوتوس تواريقه في ساموس⁽⁷⁾.

وتذكر السويداس بان هيودوتوس قد كتب تاريخه في ساموس وتضيف بان كان هيودوتوس دورا في شؤون هذه المدينة. ويرى الكتاب الاسكندرانيون ان

هيودوتوس⁽⁸⁾. وبعد سكنى قصير في اثينا ذهب مع حملة استيطانية اثينية الى ثوري في جنوب ايطاليا حوالي سنة 434 ق.م واستقر في ثوري وصار مواطنا لها ولكن السويداس تذكر بان هيودوتوس ذهب مباشرة من هاليكارناسوس الى ثوري في وقت نستنتج به من قصيدة سوفوكليس بان هيودوتوس في اثينا حتى سنة 431 ق.م ومنها ذهب الى ثوري ثانية. ويذكر سترابون وبلوتارخ وبليني الكيم ذهاب هيودوتوس الى ثوري. فرما بقي في ثوري سنة 434 ق.م ثم عاد اليها في اواخر حياته وربما زار اثينا واليونان ثانية بين 443 و 426 ق.م ومن الجدير بالذكر ان اخراج ليغداميس لهيودوتوس غرس. فيه بكرة الحكم الطفليان الذي بالنسبة له عكس الحرية والقانون والنصا ولكن هيودوتوس لم يهاجم حكم الطغاة بل دون بحاسنه وعيوبه ولكن يمكن تتبع شعوره الحقيقي تجاهه فقرأ في مكان عن تشبه للحرية عندما سأل احشوريش عاهل فارس الملك اسباطلة الاسير ديماراتوس ان كان الاسبارطين سيحاربون فأجابه بأنهم سوف يحاربون واعطاه السبب (انهم احرار ولكنهم ليسوا احرار في كل شيء فعليه رئيس وقانون يخافونه اكثر مما يخافونك انت رجالك. انهم بكل تأكيد يعملوا بكل ما يأمرهم به سيدهم وهو يأمرهم بنفس الامر فيأمرهم ان لا يهربوا من المعركة مها كانت امامهم من جموع بشرية ولكن الالتزام بمراتبهم حتى النصر او الموت)⁽⁹⁾ ثم يذكر كيف ان الاثنين اذا كان الطغاة يحكون فيحاربوا مثل اي شعب اخر ولكنهم لو تخلصوا من الطغاة فيصبحوا محاربين من الدرجة الاولى. فعندما يكونوا خاضعين على حد قوله فلا يمكنهم القيام بكل ما يستطيعون القيام به لانهم يعملون الى شخص ولكنهم عندما يصبحوا احرارا فكل منهم يعمل على احرار شيء لنفسه)⁽¹⁰⁾. وهذا خير مثل على معارضة هيودوتوس للحكم الفردي علما بان الحرية قد مكنت هيودوتوس من الذهاب حيث يريد.

اطلق البعض على هيودوتوس التسمية (ماركوبولو العصور القديمة)⁽¹¹⁾ قيل انه سافر مبكرا في حياته وجمع المعلومات التي ادرجها في كتابه اخيرا وحتى قدر احدهم المسافة التي غطاها خلال اسفاره بألف وسبعمائة ميلا⁽¹²⁾. واذا كان هيودوتوس قد قام فعلا بأسفاره في مقتبل عمره (بداية العشرينات) وهذا يصعب تقبله فيفسر سر تصديقه التفاسير التي سمعها. ودامت اسفاره سبع عشرة سنة. وكان هم هيودوتوس ان يكتب بالتفصيل عن الحرب الفارسية اليونانية. وكل ومثل هذا العمل

7. Myers, op. cit. Glover, op. cit.

8. Herodotus VII:104.

9. Ibid, V:73

10. How and Wells, op.cit.Vol. 2,p.16.

11. George C. Swayne, Herodotus, (Philadelphia, 1926), p.2.

6. W.W.How and J. Wells. A commentary on Herodotus. Books IIX. (Oxford, 1950) Vol. 1,p.9.

التي جعلها البعض خمس عشرة سنة سافر خلالها الى صقلية وإيطاليا وقورينة وهناك اشارات في كتابه تدل على عودته الى بلاد اليونان وزيارته اثينا ثانية بين ٤٣١ - ٤٣٠ ق. م ولكنه عاد الى ثوري حيث قضى بقية عمره^(٢١).

ان تاريخ اية سفرة من اسفار هيروdotus لا تزال غير واضحة فهيروdotus لم يدعي روية كل المناطق التي تكلم عنها . فنعرف بأنه لم يسافر في جنوب بلاد الفول والا لما اخطأ في وضع نهر الدانوب او تجاهل نهر الرون وخطأه في تقدير الشمس وحرارتها بالهند عندما قال بأنها اكثر حرارة عند الشروق وعندما تصل الى ما بعد الظهر تصبح الشمس بالنسبة لهم ما هي بالنسبة للاخرين عند البزوغ^(٢٢) وكل هذه لا بد وان عرفها من مصادر غير موثوقة . وهناك محلات نعرف بأنه لا بد وان زارها فعلا . وكثيراً ما يقول انه رأى البلد او المكان بنفسه . واحياناً يذكر عن معالم اثرية القول (انها موجودة حتى عصري هذا) مما يدل على زيارته لها . فنقرأ قوله عن النيل (عندما يغمر النيل الاراضي ترى المدن فوقه اشبه بجزر بحر ايجه وتغدو بقية مصر مثل البحر المكشوف وتبرز فيه المدن فقط ولا تقطعه الناس . . .)^(٢٣) وعندما ذكر البحر الاسود قال (منظر يستحق الرواية)^(٢٤) . ومن الجدير بالذكر ان الباحثين الغربيين لا يشكون ابداً في سفرته الى بلاد الرافدين ولكن من يقرأ ما دونه هيروdotus عن العراق يجزم فوراً بأن قدمه لم تطأ ارضه البتة بل لا بد وان احتل على مارواه من اخباره على كتابات كانت متوفرة زمانه . فقد استعمل لفظي بلاد اشور وبابل كمندولين لمنطقة واحدة حين قال (وفي بلاد اشور مدن كثيرة . . . منها مدينة بابل)^(٢٥) فبابل مدينة ليست في بلاد اشور . ثم نقرأ قوله بأن نسبة المطر في بلاد اشور (شمال العراق) قليلة الأمر الذي جعلها تعتمد على انهار المنطقة^(٢٦) . وهذا الحكم يصدق على بلاد بابل وليس اشور . ثم قوله عن انعدام اشجار العنب والتين في بلاد بابل والتي نعرف عن وجودها في العراق بقرون عدة سبقت هيروdotus . وادعائه بأن النخيل كان منتشر في بلاد اشور فلا اساس له لان النخيل ينعدم تقريباً كلما اتجهنا شمالاً من موقع مدينة تكريت الحالية . ثم وصفه لاسوار بابل التي تعرف بأنها هدمت في سنة ٤٨٢ ق. م اي قبل زيارة هيروdotus المقترضة لبابل بسنين كثيرة وربما حتى قبل ولادته . ثم قوله بأنعدام وجود الاطباء في العراق وكون البابليين يضيئون

يحتاج الى مقدمة بشرح ويتعقب بها بلاد فارس والمناطق التي تحتلها حتى يتعرف القارئ اليوناني على انواع الامم التي تحتلها فارس ومعبوداتهم ومنتجات بلادهم ومناخها وفنها وتجارتها . وربما سافر هيروdotus كتاجر من التجار حيث اننا نعرف ولعه بالقوارب واهتم بالمياه الصالحة للملاحة والاوزان والمقاييس والبضائع التجارية والصناعة . ونقرأ ذكره للمواد التجارية والبضائع^(٢٧) واجتهاده على ذكر وسائل المواصلات خاصة في الفرات والنيل^(٢٨) وكونه عارفاً وملماً بتفاصيل حياة الملاح وذكره لاشكال غريبة من التجارة كالمترجمين السبعة في طريق القوافل عبر السهوب^(٢٩) وتجارة افريقية الغريبة^(٣٠) واستعماله الاصطلاحات التجارية مثل طاسة ليسبوس^(٣١) وطاسة اركوليس^(٣٢) ويظهر انه كان حراً في تجواله مما يدل على احترام اليونانيين في المناطق التي مر بها . ومن الجدير بالذكر ان تواريخ اسفار هيروdotus لا تزال غير واضحة وحتى الاقطار التي زارها فعلاً نعرفها فقط من اشاراته . فقد سافر الى مصر حوالي سنة ٤٨٩ ق. م^(٣٣) ثم الى القرم وسيكثيا (جنوب روسيا) .^(٣٤) وربما كانت هذه اطول سفرة قام بها . وربما زار قورينه (ليبيا) خلال اقامته في ساموس على اساس العلاقة التجارية الموجودة بين قورينة وساموس . ثم سافر الى اسيا الصغرى وسارديس ومخري سفينه من غرب الى شرق البحر الاسود وزار مدينة خالكيس في ايوبه . وكان هيروdotus عارفاً بأحوال جنوب ايطاليا وصقلية واماكن مثل سرقوسة . ونعرف من اشارات في كتابه انه على معرفة ببلاد اليونان واثينا . بقي فترة في اثينا التي وصلها بعد خروجه من هاليكارناسوس وهو في أواخر الثلاثينات من عمره ولو أنه لم يكن متفقاً مع الاتجاهات السائدة فيها زمانه رغم هيامه بأفكار بركليس في الحرية الفكرية والسياسية . وادلتنا على سكنى هيروdotus في اثينا اشاراته العديدة لها وذكره الكثير اليها في كتابه الى جانب دليل التقاليد . وقد غادر اثينا سنة ٤٤٧ ق. م^(٣٥) وقد قدمت غدة افتراضات عن سبب ترك هيروdotus لاثينا امثال احتمال نضوب امواله التي معه بحيث اصبح لا يتمكن من اعالة نفسه في المستوى الذي اعتاد عليه . وربما كان السبب عدم رضائه بمركزه السياسي فيها . ونعرف عن تركه اثينا بعد اربع سنوات ووصوله غرباً واقامته في ثوري على خليج تارينتو بجنوب ايطاليا

12. Herodotus, III: 110-111.

13. Ibid, 11:96.

14. Ibid, 1V:24.

15. Ibid, 1V:196.

16. 1V:152.

17. Ibid, 1V:61.

18. Selincourt de Aubery The World of Herodotus, (Boston, 1962), p.31.

19. How and Wells, op. cit. Vol.1, p.5.

20. Ibid, footnote 5, p.31.

21. Ibid Vol.1, pp. 19-20.

22. Herodotus, 111:104.

23. Ibid, 11:97.

24. Ibid, 1V:86.

25. Ibid, 1:178.

26. Ibid, 1:193.

مرضاهم امام بوابات بيوتهم حتى يروههم الماره ويصفون لهم الدواء المحرب حسب خبرتهم . فالتقدم البابلي في الطب بز جميع ما لدى الامم القديمة جمعاء ولهم فيه باعا طويلا بقرون سبقت هيروdotوس . (٢٧) اضافة الى قوله بأن العراقيين كانوا يدفنون موتاهم بالعسل والذي لا يمكن تقبله . ثم ادعائه بأن البابليين يستعملون نوعاً من الخبز يصنعونه من التمر . اما عن عدم تفصيله في قصة سميراميس فربما يكون سببه ان القصة بعد لم تكتمل تفاصيلها وما نسج حولها من اخبار زمانه .

اما عن اسباب أسفاره فقليل انه ارادها للاستفسار والملاحظة وبعد ذلك ادرك ضرورة تجميع المعلومات وكتابه تاريخاً . وقيل انه سافر من اجل جمع المعلومات لاجراء كتابه (٢٨) . وبعد ان استقر حوالي سنة ٤٤٧ ق . م بدأ في كتابه (٢٩) بعد ان تزود بمعلومات جغرافية وتاريخية واثارية واجتماعية عن المناطق التي زارها .

اعتبر دايونيسيوس الهاليكارناسي من القرن الاول ق . م هيروdotوس بين المؤرخين الرئيسيين على اسس ادبية . وهو اول يوناني يدون كتابه طويلاً وموسعة مزجت بها اجزاء عدة ورببت بشكل تحمل الكل جزء واحدا . ومدح دايونيسيوس اسلوب ووضوح هيروdotوس ومقارناته الماهرة بين مختلف الاجزاء وقال ان هيروdotوس هو اول من أعطى النثر جاذبية الشعر ويتفق الكثيرين من الباحثين المعاصرين مع اراء دايونيسيوس ووجه هيروdotوس كتابه الى جميع اليونانيين وغايته جعلهم ينسون خلافاتهم ويعتبروا انفسهم امة واحدة . ونجدد يقدم الاعتبارات عن الكثير من المدن اليونانية حول موافقتها من الحرب الفارسية . وفي الغالب عمل ذلك لتوحيد الشعور اليوناني والقضاء على اي نوع من الحقد . لذا فقد تكون اسباب كتابته لتاريخه ورغبته لحفظ الاحداث الجسام للاجيال القادمة وكسب القرب والارادة التي تخالجه في توحيد اليونان حيث عرف اهمية الوحدة من خلال خبرته وما يمكن تعلمه من دروس الماضي فاراد تقديم تاريخاً لهم يفيدهم في المستقبل ويستمدوا منه العبر والدروس . وقد تحرى هيروdotوس في تواريخه اشياء عدة ولكنه وضع الكل في كتاب واحد يدور حول موضوع واحد وهو كيف ولماذا اصطدم اليونانيين بالفرس ؟ وقسم تاريخه الى جزئين اساسيين تشمل الحديث عن الصراع بين الفرس واليونان منذ الثورة الايونية حتى اندحار أحشويريش سنة ٤٨٠ ق . م ثم شيئاً عن الصراع بين الشرق والغرب وبدء نشوء دولة فارس (٣٠) ولو ان الكثير من ملاحظات هيروdotوس وتعليقاته قد انتقدت واعتبرت اساساً خالياً من الواقع التاريخي ولكن بعض ما جاء به

27. Ibid. 1:197.

28. Myres, op. cit. p.9.

29. Will durant, The life of Greece, (New York, 1939), p.430.

30. How and Wells, op. cit. Vol.1, p.47.

31. Myres, op. cit. p.60.

قد برهنت على صحته الادلة الاثرية (٣١) . ودون هيروdotوس تاريخه في مزيج لغوي للهجات ايونياً المحلية ونظراً لولعه بالليادة والاذنية فقد جاءت كتاباته من ناحية الاسلوب متأثرة بها . واسلوبه الكتابي هذا وكتابه المليئة بالحياة تسند الرأي القائل بأن هيروdotوس قد اعد كتاباته للقاء وانه قد قرأها في محاضرات عامة . وهذا الرأي تؤيده قصة يذكرها بلوتارخ من القرن الاول تعرض بها الى قراءات عامة من قبل هيروdotوس الى حشود اليونانيين في اولبيا واثينا . وذهب الى القول بأن الاثينيين قد أجمعوا على مهارة هيروdotوس وكافوه بجائزة تدارها عشرة طالينات من الفضة . (٣٢) ويذكر ديبلوس Deylus الذي لدنيا شذرات من كتابه تاريخ العالم عن تسلم هيروdotوس عشرة طالينات عن قراءته اخباره الى اهل اثينا . ونعرف ان هناك تقليداً يذكر ان الشاعر بيندار تسلم عشر دراهجات عن قراءته لبعض اشعاره الى الاثينيين فرما امتزج هذين الخبرين مع بعضهما . علماً بأن لوقيانوس اخبرنا بأن هيروdotوس فتش عن طريقة يجعل بها كتابه عاماً معروفاً و يصبح هو بها مشهوراً فذهب الى الالهاب الاولبية حيث قرأ بعض اخباره . ويتعرض ليسيلاس Lysias الى تكريم الاثينيين لهيروdotوس على قراءته قطعاً من اشعاره . ولكن لماذا حصل هيروdotوس على تأييد الاثينيين الشعبي ؟ ولماذا قرىء كتابه من قبل الكثيرين مثله في ذلك مثل الكتابات المنسوبة الى هوميروس ؟ فالمعروف بين الكل ان كتابات هيروdotوس سلسلة ومسلية وكون كتابه يقرأ للمتعة وليس لذا اسماه الكثيرون قاصاً . واهتمامات هيروdotوس واسعة والتاريخ بالنسبة له يشمل التاريخ والجغرافية والفن والاعادات والقصص الشعبية فلقد سافرو تحرى ودون بعد ذلك ماراًه حتى لا تنسى المأثر على حد قوله . وقد وضع الكثير من مشاعره الشخصية في كتابه وتكلم عن شخصيات وليس عن حركات . وان دفته وتنويعه لكتابات وتطعيمها بالقصص اعطت بعداً عميقاً لها اثرت على افكار الناس عنها . ولم يعطنا هيروdotوس تفصيلاً عن ارائه لانه كما يظهر يعتقد ان ليس من واجبه ان يقدم ارائه بل يتقبل الأخبار والحقائق كما رويت له . واحياناً يعلن عن قصة لا يعتقد بها بقوله (ولكن كل شيء محتمل) (٣٣) وهذه العبارة توضح شخصيته حيث تصور ادراكه بان كل ما يعرف ويسمع ليس هو الشيء الصحيح الوحيد . واعتقد ان واجبه المؤرخ ان ينقل ما يسمع وليس ان يفسر وان يعرض ما يسمع ويتحرى في طريقه يفهمها الناس . وان الكتب الستة الاولى من كتابه المتألف من تسعة كتب عبارة عن مقدمة عن الحرب ملئها بأخبار مذهشة عن

32. Harry Carter, trans., The Histories of Herodotus, Vol.1, (New York, 1958), p.10.

33. Plutarch, Morabilia 855-75 De Malignitate Herodotus.

34. Herodotus, 1V:196.

اليونانية . ويمكن عيب هيروdotus في اعتياده على اقوال مخبريه الاجانب ولكنه عندما يتكلم عن امور رآها بنفسه فيمكن انذاك الثقة بأقواله والاعتماد على احكامه . والمعروف انه ظل حتى نهاية حياته يعمل على تشذيب وتعديل اسلوب ولغة كتابه . وانه متسامح قادر على الاحتمال يحب الفضيلة يوه من بالطيب بعقله راجحة وذكاء . واعتقد بأن الاعمال العظيمة لا ية امة وأي رجل ليست هي حكرا على شعب معين وهو مقتنع بأن الحاضر له اسباب تكن في الماضي ولدراسة الماضي ! اهمية تفهم الحاضر وهو خير دليل للمستقبل .

ولكن اين كتب هيروdotus كتابه - ؟ تذكر السويداس انه دونه في ساموس وهذا الاستنتاج متأ من كون ما كتبه عن الجزر بصور معرفته الكلية بها .^(٣٩) ولكننا نعرف انه عدل ونقح في مدوناته حتى نهاية حياته ووضع كافة اجزائه سوية حتى اخرجه كما هو عليه الان . ومن الجدير بالذكر ان هناك نظريتين حول ذلك طرحها كرشهوف وباور في القرن التاسع عشر . وتتلخص نظرة كرشهوف في - ١ . ان تاريخ هيروdotus قد كتب في شكله الحالي وهذا يتضمن رفضه لاي تعديل لاحق . ٢ . ان الكتابين الاولين وحتى الفصل ١١٨ من الكتاب الثالث قد دون في اثينا . ٣ . بعض اجزاء الكتاب الخامس التي سبقت الفصل ٧٧ قد دونت في ايطاليا . ٤ . ان هيروdotus قد اكمل كتابه بحيث صار كما هو عليه الان بعد عودته الى اثينا سنة ٤٣١ ق . م وانه مات سنة ٤٢٨ ق . م وهو لا يزال مستمراً في كتابه . ويصر كرشهوف بعدم وجود اية اشارة الى الغرب في القسم الاول من كتب هيروdotus .^(٤٠) ولكن كرشهوف حسب ما يظهر قد غرض النظر عن فصل مهم من الكتاب الاول (١٦٣) الذي يذكر (ان الفوكيين هم اقدم اليونانيين الذين قاموا برحلات طويلة واكتشفوا الادرياتيک وساحل تيرسينا . Typresnia وايريا وتارتيسوس Tart isus (تارشيش) . وقاموا بهذه الحملات في سفن ذات خمسون مجذافاً وليس في سفن مدوره . وعندما وصلوا الى تارشيش رحب بهم اركانثونيوس Arganthonius ملك البلاد الذي حكم ٤٠ سنة حتى ذلك الوقت وعاش الى سن ١٢٠ واستحصلوا على رضاه بحيث انقسمهم على ترك ايونيا والسكنى في اجزاء من مملكته ولكنه لم يتمكن من اقناعهم . ولما عرف انهم في خطر عظيم من قوة الميديين المتزايدة اعطاهم اموالاً لبناء سور حول مدينتهم بكل كرم).^(٤١) واضاف كرشهوف عن التوقف في الفصل الثالث ان هيروdotus في الكتاب الاول (١٠٦) والكتاب الثاني (١٨٤) اعطانا وعودا لم ينفذها

الشعوب الخاضعة للإمبراطورية الفارسية وعاداتهم . وقد اتهم هيروdotus كما سترى بأنه جمع اخباره من كلام الناس والمسافرين وكونه لم يزر المناطق والاماكن التي ذكرها في كتابه . ويستشهدوا في عدم اهتمامه بوصف التضاريس الارضية للاماكن التي يفترض انه زارها وكثيرا ما يناقض نفسه فيما اورد وفشله في معرفة اسباب الاحداث التي ذكرها وكونه مرتبك على الدوام لا يعرف النتائج من الاسباب للحوادث التي يسطرها . ورغم تأكيدده على الفعاليات البشرية فإنه لم يتضمن الحركات العامة والدوافع الحقيقية . الى جانب عدم معرفته بالامور العسكرية وكون بساطته جعلته عرضة لعدم الوقوف على حقائق الامور خاصة في قضايا التعبئة والحرب ولكن بساطة اسلوبه ولغته السهلة واخباره الطريفة اخفت الكثير من عيوبه .^(٣٥) ولم تحف هذه العيوب عن الكتاب القدامي فهذا سترابون (٦٣ ق . م - ٢٣) يقول ان هناك الكثير من الامور التافهة في هيروdotus .^(٣٦) ويطلق عليه ارسطو صانع الاساطير ولا نعرف ان كان شيشرون جادا عندما نعته بأبي التاريخ كما هاجمه بلوتارخ . ورغم كل ذلك فقد قدم لنا هيروdotus كتابا بأخبار هامة . ورغم الاخطاء الكثيرة التي حواها كتابه لكن اراءه عن الحضارة القديمة هي بين الامور ذات الفائدة في التاريخ . ويحوي كتابه الكثير من المميزات التي تطفى على عيوبه حقاً . وحاول هيروdotus ان يقيم مختلف انواع الادلة ويقدر درجة قيمتها . كتابه موجه الى دائرة واسعة من اليونانيين من مختلف المدن المتحاربة ويحاول جعلهم يتناسون خلافاتهم ويعتبروا انفسهم امة واحدة . ولم يكن هيروdotus متعصباً لاية جماعة معينة وبعيد عن التعصبات الاقليمية والنحرات المحلية ونرى ذلك واضحاً عند تقييمه لاعدائه الفرس . وعزى اندحارهم في الحرب الى انحطاط اسلحتهم . ويجمع الباحثون ان تاريخه ثيولوجي وكتابته اشبه بخطبة دينية طويلة . والتاريخ من وجهة نظره هو صفحة هامة لحياة الامة تبرز فيها منجزات العناية الالهية .^(٣٧) وانه متأثر بروح التساؤل والتحري والاستفسار . وهو ليس كالكتاب الاخرين الذين اهتموا بأديانهم ومبادئهم فقطوا وضحوا مساوئ وعيوب الاديان الاخرى بل ان هيروdotus انتقد اربابه الخاصة ولم ينتقد العقائد القديمة في الأرباب والاساطير وتكلم عن الدين بكل احترام واعتبر هيروdotus عامل الصدقة والقدر فوق كل شيء .^(٣٨) وما الدين الامزيج من المحافظة والخرافة والانسجام من اجل الاخلاق السامية والطباع العالية . ومن الجدير بالذكر ان هيروdotus عاش وقت تغيرات عظيمة في الافكار والمبادئ

39. How and Wells, op. cit. Vol.1, p.10.

40. A.Kirchhoff, Entstehung des Herodotus Geschichtswerke (Leipzig, 1878).

41. Carter, op. cit. p.67.

35. J.B.Grundy, The Great Persian War, (London, 1901), p.373.

36. Strabo, Geography, XV11, 1, 52.

37. How and Wells, op. cit. Vol.1, p.48.

38. Glover, op. cit. p.9.

لعبت دوراً في الصراع . وقد اخبرنا مرة (هذا ما اعرفه بالوثائق عن اهل دلفاي).⁽⁴⁴⁾ واقتطف هيرودوتس من الشعراء الذين عاشوا زمانه خاصة ما نسب الى هوميروس وتلك لبنداركما استعمل الوثائق الاجنبية الرسمية التي وجدها . وذكر لنا ايفوروس (حوالي 340 ق.م) ودايونيسيوس الهاليكارناسي من القرن الاول وبروفيري ان هيرودوتس قد استفاد من كتابات خاثوس الليدي الذي ولد في بدء الاحتلال الفارسي لاسيا الصغرى وشارون من لامبساكوس المولود في نهاية القرن السادس ق. م . الذي له كتب عدة امثال كتاب الهند (انديكا) واليونان (هيلينكا) ورحلة فيها وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) الخ ثم هيلانيكوس الميليبي المولود حوالي 500 ق. م . الذي تذكر المصادر له خمسة وعشرون عنواناً لكتب منها (حول كاهنات هيرا في ارغوس) و (الفائزين الكارنيين) وهكتيوس . كما استعمل هيرودوتس الادلة الشفاهية تعرف ثلاث منهم من بلاد اليونان هم اريخياس الاسبارطي وتيمينيس Tympnes من اولبيا وثيرساندر من اورخومينوس.⁽⁴⁵⁾ واعتمد على شهود عيان كثار وسمع اخباراً من اناس سمعوا عن ابايهم واجدادهم . اما الدليل الاتاري فلها ذكره لقائيل قورينه⁽⁴⁶⁾ وقبور سنكيثا⁽⁴⁷⁾ ونافورة ايكزامبويس⁽⁴⁸⁾ Exampoeus الكبيرة والمهرم قرب مدينة ممفيس.⁽⁴⁹⁾

ان معنى هيستوريا Historia في اليونانية التساؤل والتحري لذا فان كتاب هيرودوتس هو (التحريات والاستفسارات)⁽⁵⁰⁾ . وقد استعمل هيرودوتس كل المعلومات التي جمعها وادخلها في تاريخه . ولم يشغل نفسه في ماضي امة بل بأمر امثال اسباب الزلازل وتشديد السفن على القرات وارتفاع وسمك اسوار بابل وبجغرافية ومناخ البلدان التي كتب عنها . وكان يسبح في الخيال ويؤثر في العواطف وكتب عن منجزات شخصيات يونانية واجنبية . وقدرت كتاباته الغنية والمختلفة المادة بالشكل التقليدي (على شكل اخبار واقاصيص كما عمل سابقه) ولكنه نسج اقاصيصه بنموذج تاريخي جعلها تدور وتخدم موضوع واحد هو الحرب الفارسية - اليونانية . ويتملك اسلوب هيرودوتس السهل المسترسل حتى في تراجعه سحراً ملائماً الى قصة طويلة تقرأ بصوت عالي . وتناول بدراسه حدود الذاكرة البشرية عن تاريخها وحدود العالم المعروف زمانه ثم دون قصصه الخاصة وتلك التي اخذها من سابقه

ثم انه اشار في الكتاب الاول (130) الى ثورة ميدية لا بد وان اراد معالجتها في قسم لاحق من الكتاب الثالث ولكنه لم يكتبها . وهذا النوع من عدم الثبات يحتاج الى تفصيل ويعلله كرشهوف بهجرة هيرودوتس الى ثوري الذي جعله ينسى ما وعد به وكل ما يتعلق برغباته السابقة . وبسبب كثرة الاشارات الى اثينا في الكتابين الاولين فلا بد وان تكون هي برأي كرشهوف مكان كتابتها . اما رجوع هيرودوتس الى اثينا فيبرهه كرشهوف بعدم سماع هيرودوتس بالزلزال الذي حدث لجزيرة ديلوس في ربيع سنة 431 ق. م .

وعلى النقيض من نظره كرشهوف تأتي نظره باور⁽⁴²⁾ الذي يعتقد ان كتاب هيرودوتس قد دون في اجزاء منها ما دونه عن حملته احشويرش على بلاد اليونان (الكتب 7-9) والتي ليس من الضروري ان تكون هي الاولى والتي كتبها في اثينا سنة 445 ق. م. ويقول باور ان هيرودوتس ذهب من اثينا الى سكيثيا وبعدها كتب تاريخ سكيثيا قم الى مصر وكتب الكتاب الثاني بعد رجوعه . ومن هناك ذهب الى ثوري ودون حتى منتصف الكتاب الخامس قم عاد الى اثينا حيث اكمل الكتاب وتنقيحه . اما البراهين التي يقدمها باور فهي - 1 . ان هيرودوتس قد ذكر في كتبه الاخيرة اشخاصاً واماكن كان قد ذكرها في كتبه الاولى وكأنها غير معروفة امثال داريوس وماردونوبس وديماريتوس في الكتاب السابع . 2 . ان كتبه الاولى ومواضيع في الاقسام الاخيرة من كتبه عولجت بكل تفصيل واحياناً تتميز بعدم الثبات في المعلومات مثل ما سرد عن الاحباش في الفصل 7 من الكتاب السابع ويعتقد الكثيرون ان آراء باور مقنعة . وان عدم الثبات الذي لاحظته باور عند هيرودوتس هي امور تافهة يمكن ملاحظتها في كل كتاب . ويعتقد هول وويلز ان انتقادات كرشهوف وباور مستندة على مقارنات مع الكتب الحديثة ولكن الكتب القديمة غير مطبوعة مثل الحديثة وكتب في طريقة طرأت عليها عدة تنقيحات بعد ذلك.⁽⁴³⁾

يمكن تصنيف مصادر تاريخ هيرودوتس الى - 1 . مدونة 2 . شفوية 3 . اثارية فن الوثائق المدونة التي استعملها اثباتات اسماء الكهنة والملوك والفائزين في مختلف الالعاب الوطنية باليونان (البشة والمضيقية والنيمة والاولية) ثم الكتابات المدونة على العطايا النذرية التي عثر عليها في مزارات دلفاي واولياد والمعابد في مختلف المدن اليونانية والساحات العامة والتي منها الاوعية البرونزية والذهبية المكرسة الى الاله ابولو بعد الانتصار على الفرس في معركة بلاتانيا وعليها اسماء الجاعات اليونانية التي

44. Herodotus, 1:20.

45. Ibid, 111:55; 1V:76; 1X:16.

46. Ibid, 11-182.

47. II:71.

48. 1V:81.

49. 11:101, 125, 134, 136, 149.

50. Selincourt, op. cit p.34.

42. A.Bauer, Entstehung des Herodotus Geschichte, (Berlin, 1878).

43. How and Wells, op. cit. Vol.1, pp.12-13.

الخاصة امثال دائرة السماء والشمس والقمر والجو برياحه ومناخه . ويمكن اعتبار هيروdotus انسكلوبيدي والحلول التي يقدمها نابعة من نفسه ونراه يقدم حلا لكل ما يراه محيرا واذا كانت هناك اراء متناقضة فيقدم الافتراضات التي يمكن ان توفق بينها . واذا تم تفحص مواضيع هيروdotus على انفصال نجد ذات اهمية كبيرة . ونراه يجتهد على شد القارئ بكتابة يتدفق مواضيعه وتنوعها . فزاه في كتابه مهتا بلاقضيابا الطبيعية والاساطير واصول الطقوس الدينية واهميتها والاقتصاد السياسي لذا جاء كتابه مليا بالقصص والنكت والنحري والاخبار الطريفة بكل موضوع اظهرته ككاتب قادر على تصوير حركات التاريخ العظمى بكل نبل وقوة . وقد انتقد لمئات السنين على طريقته ولكنه بالواقع كان يجتهد الادلة ويحاول تقدير درجة قيمتها الى جانب كونه اول من يدون كتابه طويلة على حد معرفتنا الحالية ومفصلة ذات اجزاء عدة مرتبطة مع بعضها لتخرج مزيجا واحدا . ثم حب استطلاع معرفته احوال الشعوب التي تكلم عنها واثارت استغرابه الكثير من الامور وكانت تسره الامور العملية مثل طريقة بناء السفن على النيل والهندسة التي مكنت احشوريش لشق قناة خلال قمة جبل اثوس الداخلة في البحر ووصف بناء الاهرامات المصرية بكل تفصيل . وكذلك اسوار بابل ونحويل مجرى الفرات من قبل الملكة الاشورية (٢) وخرج كتابه بمتاز بالجدية وعدم التحيز والتحرر من الغرور الوطني والعاطفة السياسية والوحدة . في الموضوع رغم تشابه وكثرة احداثه والمهارة في تصوير الشخصيات (امثال الفرس والاثينيين والاسباطيين وثيموستوكليس واريستايديس والطفلة امثال كرويسوس واماسيس ونوميريس ونيوكريس) الى جانب قوته الداراماتيكية وصبره ونكتته وتنوعه وايضا حاته وبساطته وجمال اسلوبه . ورغم كون الفرس اعدائه فان لم يخف اعجابه بنظامهم التربوي ودينهم وحتى اظهر بعض صفات احشوريش الطيبة وكتب عن ميزات الاجانب الحميدة ولم يخفي اعجابه بمصر او يكتب فقط عن انتصارات اليونانيين واندحار غيرها بل اعطى التقريرين كما وصلا . فهيرودوتس لم يرى العالم يونانيا فقط بل ان الكثير من العالم الطيب ليس يونانيا . وفي مقدمته لكتابة حاول ان يظهر الجيد والردي للشعوب التي اهتم بها لانه عارف بوحدة التاريخ (٥٧) وليس امانا الا ان نكبر حبه للمعرفة فقرأ مرة قوله (لقد زرت طيبة وهليوبوليس لهذا الغرض المهم لاني ارجو في المعرفة) . (٥٨) وكثيرا ما كان يستعمل الالفاظ (عجيب) و (يستحق الرؤية) وكلها تدل على تمطشه بالمعرفة . وقد ادخل هيروdotus في كتابة الكثير من القصص المستنة والنكات الطريفة ومن هذه على سبيل المثال الطريقة التي حصل بها كايكيس Gyges على عرش ليديا وكيفية نجاة كرويسوس ملك ليديا من الحرق وهو ملقى على كوم المحطب

تزد عند مؤرخ غيره (٥٩) وهذا فان اسلوبه تأرجح بين الاسهاب والاطناب في الحوادث المتقاربة والمتشابهة ستجعل الخلل واضحا في رؤيته الى التاريخ الذي يجب ان يكون ذا بعد انساني الى ان ابن الاثير طالما وقع ضمن قاذمة المؤرخين للتاريخ المحلي في كتابه الباهر فله الحق بان يبق مشدودا الى افق الكيان السياسي - لان الفرق بين التاريخ العام او تاريخ الاقليم والمحلي واضح ففي الاخير لا يمكن ان تظل رغبة المؤلف واخباره عامة (٦٠) ..

واخرجوا منها تاريخاً جامعاً واحداً . ومقاييس احكامه هي ملاحظاته الشخصية ولكنه كثيرا ما كان يعتمد على السماع . فقد ادرك هيروdotus ان موضوعه هو جزء من عملية كبرى وانه عارف بالخطوط التي تربط بلده بالبلدان الواسعة ذات الاخبار المسحورة في مصر واسيا . فيتمكن القارئ ان يعرف لدى قراءة هيروdotus ان مركز اهتمامه هو بلد واحد وسط عالم واسع ومتنوع والمعروف عن هيروdotus عدم تحيزه حيث ابدى نظرة محايدة الى الاجانب ولم يكن لديه اي كره لهم . فامتدح الروح البحرية للفينيقيين (٦١) ومهارتهم في صنع السفن ثم عادات مصر (٦٢) وبابل والمنتجات الطبيعية لنهاية العالم (٦٣) ورفض القول بان سياسة اسباطة انانية او ان ارغوس مفتوحة الى اي لوم ولكنه شعر بالامتنان الى المدن التي استضافته مثل ساموس واثينا . وكتب عن قدم الدين المصري وسبقه للدين اليوناني وقال (ان المصريين هم اول من استعمل الاصطلاحات ١٢ ربا واخذ اليونانيون ذلك منهم وهم اول من بنى المذابح ونحتوا القنايل وبنوا المعابد للأرباب وصنعوا القنايل للاحياء من الحجر وقد اروي الكثير منها كبرهان) . (٦٤) ثم ارجع بعض اصول الدين اليوناني الى اليلاميكين . وكلامه هذا عن المصريين واليلاميكين (٦٥) يظهر لماذا وجهت الانتقادات الى هيروdotus وهو اول كاتب اروي يستعمل النثر كواسطة لعمل فني . ولفته هي الدارجة زمانه وامتدح الكتاب اليونانيين اللاحقين سهولة وحلاوة اسلوب هيروdotus ويصممون بانه قد دون تاريخه عن الحرب في طريقة مستقيمة ولغة واضحة . وان تقيده واعتداله قد اثر كثيرا في كتاباته التاريخية فقدم نموذجاً للاسلوب العالي في وصف العمل البطولي والتفاني في سبيل الواجب . ولم يقتصر اهتمام هيروdotus بالادب اليوناني فقط بل بالعالمي . فنذ عشرات السنين لم يعتبر الباحثون هيروdotus مؤرخا او مهتا باليونان فقط بل بأبي النثر والاب الجغرافية البشرية . (٦٦) ونعرف بانه قد تأمل بالكثير من الظواهر وقدم لها تفاسيره

51. Herodotus

11: 23 (44 (99.

52. Ibid (1: 93.

53. Ibid (111: 106 (114.

54. Ibid (1: 53.

55. Ibid (114.

وترعرع كورش في كوخ الراعي ثم قصة راميسينيتوس Ramsinitus وسرقة كثر الفرعون وانقاذ قبطان البحر لاحشوريش وسط عاصفة بالبحر الايجي . ويمكن رؤية حبه للمتعة في كتابته عن دوره الشمس (تشرق الشمس كما يظهر في الهند ولهذا السبب يحترق الهندو بأشعثها وقت الفطور فيدخلون الى الماء حتى ذقونهم بينما يتمتع الغربيون بفطورهم ويتناولونه بكل راحة . وعند الظهيرة حيث ترتفع الشمس مراحلاً عن الهند تخرج هذه المخلوقات من انهارها فيجندون الاحوال احسن واكثر تحملاً . ثم تذهب الشمس لتسابق فوق ادمغة الاحباش والليبين حيث تحرق ... الخ) .

لقد وقع هيروdotus بأخطاء عدة فاعتاده على المصريين والتقاليد وتقبله الخوارق والتقاليد حتى عن عصور سبقته بكثير كلها عيوب يؤخذ عليها الى جانب الكثير من قصصه لا قيمة تاريخية لها .^(٩٩) ويتنقص كتابه للاطار الكرونولوجي خاصة للقرن السادس ق . م . ومن عيوبه الاخرى تأكيد على العنصر الالهي وتدخل الارباب في الاحداث اي نظراته الثيولوجية الصرفة ثم اهتمامه بالمعجزات وحسب المغالاة التي تعرف انه اراد بها جذب قراءه ثم التناقض في الكثير من اخباره وفشله في معرفة الاسباب الحقيقية للاحداث . وكثيراً ما كان هيروdotus يؤكد على الفعاليات الفردية ودور الفرد وينسى الحركات العامة واوضاع تلك البلاد التي خلقت الفرد ودفعته . الى جانب معرفته القليلة بالتكتيك والاستراتيجية التي نعرفها من اوصافه الفقيرة للمعارك . وكذلك ايمانه بالفال والوحي والاحلام وكثرة التكرار وعدم الثبات وانتقاصه احياناً الى الدقة والضبط وانقاره للبعد التاريخي ويرونا احياناً بمعلومات جغرافية غير صحيحة واحوال ماضية خاطئة واخطاء نحوية . كما يؤمن هيروdotus بانتقام الارباب التي اعطته كما ذكرنا تفسيراً ثيولوجياً للمشاكل الخلقية والسياسية وهذا الاعتقاد حجب عنه رؤية الاسباب الحقيقية للحدث . ويضيف الى كل ذلك عدم الدقة في احصائياته وتواريخه . ومن لك هذا نرى لماذا لا يعتبره المؤرخون مؤرخاً اعتمد الموضوعية .^(١٠٠)

وقد اطلق على هيروdotus ايضا ابو الكذب وهذه التسمية غير صحيحة ولا تنطبق عليه ابداً . في اطار الاحداث العام يمكن الثقة بهروdotus ولكن هذه الثقة تتناقص في القضايا التفصيلية . وطريقته عندما يحصل على معلومات متضاربة عن حدث واحد ان يذكر كل الروايات ويتعرض الى الواحدة التي يعتبرها اكثر رجحاناً وحياناً يضع الاساطير والاخبار التي لا يمكن الثقة بها كبراهين على ما يريد . ومن هذه على سبيل المثال القصة التي رواها عن طواف الفينيقيين حول القارة الافريقية في سفينة لهم حيث قال ان بينما كان البحارة يسيرون غرب الساحل الجنوبي للقارة جعلوا الشمس في وسط النهار على يمينهم . ان هيروdotus لم يقصد الكذب في حالة روايته

لشيء غير صحيح فانه صادق حيث يستعمل الكلمات (يقال) و (قيل لي) ويمكننا ان نتق بالاشياء التي قول انه رآها بنفسه . وبما اخبرنا عن سماعه (الانثروبواكي والجماعة التي تنمو رؤوسها تحت اكتافها) والتي ربما ذكرها للمتعة وتسليية القارئ ولو ان هناك الكثير من الامور التي ذكرها هيروdotus بعيدة عن الصحة مثل تقديره جيش احشوريش . فقد قدر هيروdotus عدده بأكثر من مليونين ونصف مجارب الى جانب نفس العدد من الجنود المرافقين المسؤولين عن المؤونة وملاحي السفن ثم قوله بان عدد نساء الجنود الذين مع المحاربين لا يمكن تقديره وهذا معناه انه قدر جيش احشوريش بحوالي ستة ملايين . ويميل الباحثون الان الى اعتبار جيش احشوريش لا يزيد عن ثلاثة الف جندي .

واشد قد تعرض له هيروdotus من الكتاب الاقدمين جاء من بلوتارخ الذي قال ان هيروdotus يميل الى الشخصيات الفضة القاسية القلب في وقت يمكنه استعمال الاكثر شفقة ورحمة . ثم حبه لتقديم معلومات سيئة عن شعوب بمجرد الاتهام ويخفي امورا طيبة عنهم . ويضيف بلوتارخ بأن هيروdotus يتفضله ذكر الاخبار السيئة لا يتعرض لذكر السبب الحقيقي وكونه يحب اليونانيين . ولاثبات اتهامه الخير يسرد لنا بلوتارخ اقوال هيروdotus بكون اليونانيين في تعلموا دينهم من غير اليونانيين واتهامه كلاسيثينيس برشوة كهنة معبد دلفاي واطلاقه عبارة بدء الاضطراب على حرق سارديس والتي كان اليونانيين يعتبرونها منار الحرية . ورأي بلوتارخ في هيروdotus متطرف لانه يعتقد ان كل ما رواه صحيح واتهامي .

ولكن ماهو دين هيروdotus ؟ ان الكثير من كتاباته متأثرة بالعقائد الدينية فتراث يتكلم عن التدخل الرباني في الاحداث وينسب المعجزات والعلاقات الى الارباب دون ان يسميهم بالاسم . ويعتقد ان الرب يظهر في الطبيعة كسب للنظام^(١٠١) . وان العناية الالهية يمكن تسلمها في التوازن بالطبيعة^(١٠٢) . وبشارك سوفوكليس النظرة بان البرئ والمجرم يلقي جزائهما في هذه الدنيا ويعطى ذلك بنصيب الانسان في الحياة . ومن بين الارباب اكد هيروdotus على الاله ابولوفالكتب ١ - ٦ مليوناً باسم هذا الرب الذي كانت له شعبيته في اليونان وايرنيا ومواجهة مهمة في السلوك والقانون اليوناني . ويؤمن بالمواحي التي يقول عنها (بالنسبة للمواحي فاني لا اتكهن ان اعارضها واقول انها ليست صحيحة لاني ليست لي الرغبة لاحاول رمي دليلها عندما كلم بكل وضوح) . وايمان .

هيرودوتس الكلي بالخرافات يجعل من الصعب فصله عن المواحي ويحاول على الدوام تقديم الاعذار عن فشلها وعدم تحقيقها ولو انه لا يمكن القول بأنه وقف مكتوف الايدي تجاهها وتقبلها كلياً . فتحت احدها (مزاحاً) جاعلاً احد الارباب يعتذر بخل عن اخرى . وقال عن وحي اخر ان كهنة الاله ابولو هم الفاسدين .^(١٣) وان الاعتدال والحكمة نعم الاقسام الاولى من كتاب هيرودوتس .

لقد تقبل هيرودوتس الاساطير ولكنه حاول ادخال العنصر العقلاني عليها بتحويل العناصر الخارقة بها الى امور يمكن تقبلها والتصديق بها . ولكننا نراه يمزج بين الاساطير اليونانية والشرقية ويفشل على الدوام في معرفة الاساس الشرقي للمعتقدات والعبادات اليونانية .^(١٤) وان الفصل بين الاسطورة والتاريخ واضحاً عند هيرودوتس لذا صار من السهل عنده غض النظر عن عدم الثبات في نظريته عن البيلاسيكيين وقوله بأن غير اليونانيين زمانه هم من بقايا الجماعات من يونانيي عصور ما قبل التاريخ .^(١٥) ويظهر ان هيرودوتس قد افترض عند كتابته لتاريخه معرفة اليونانيين لتاريخ بلدهم ومدنهم والارواح المرتبطة مع جبالهم و انهارهم وبحارهم . فأبطل اساطير هيرودوتس ذوى مزارات معروفة والغير المتدين هو الذي لا يؤمن بالارباب الابطال . وفي اللحظات الحاسمة في تاريخه وقبل المواقع الفاصلة ووقت انتظار الحلول الهامة زمن الاوقات العصبية يتذكر هيرودوتس شخصيات اساطيره .

اما في الجغرافية فإن هيرودوتس غير واضح في تحديداته لحدود الدول وشكل الارض وطول واتجاه اية رحلة وطبوغرافية اية معركة . ومن الصعب جداً رسم افكار هيرودوتس الجغرافية . فقد اخبرنا مرة^(١٦) بأنه يحاول وصف ما يشبه اسيا واوربا حتى يسهل تصويرها . قبدأ بآسيا

حيث يضع خمسة شعوب تعيش فوق بعضها البعض تمتد من بحر الى بحر . ومن تلك الارض تمتد شبه جزيرتين غرباً في البحر وهي اسيا الصغرى وبلاد العرب مع ليبيا (افريقيا) المتصلة بها بواسطة رقبة ضيقة من الارض . ومن العجيب ان نرى يونانيا مثل هيرودوتس يبدء خارطته للعالم (كما يتصورها) من اراضي تقع وسط بلدان محتلة من قبل فارس انذاك . واحياناً يخلط بين المناطق فيشير الى ليبيا كمصر واخرى يرفض ذلك . ومرة يذكر اسبابه في عدم اعتبار مصر اسيوية ولا افريقية ولكن محايدة بصورة مصطنعة من قبل نهر النيل الذي يجعله الحد الفاصل بين اسيا وافريقيا .

وفاته -

من الصعب جداً معرفة تاريخ وفاة هيرودوتس ولكنه لابد وان مات بعد سنة ٤٣٠ ق . م . حيث لم يذكر اي حدث بعد هذا التاريخ ولم يتعرض الى ما يتعلق بالحرب البولوبونيزية . وهناك من يجعل وفاته سنة ٣٩٤ ق . م . ويدعون انه امتد به العمر الى سن التسعين . كما يصعب معرفة المكان الذي توفي فيه . فغالبيه الكتاب القدامى يفضلون وفاته في ثوري ودفته في سوقها . ويضيف اصطيافان البيزنطي الذي يؤيد الرواية ان تمثالاً برونزياً في ثوري لهيرودوتس . كما ذكر وجود قبر لهيرودوتس في ثوري مبدون عليه (هذا التراب ينحني جسم هيرودوتس ابن ليكسيس وأمير التاريخ الايوني القديم الذي جاء من بلاد الدورين هارباً من ازدهارهم له وجعل ثوري وطنه) . وهناك من يذكر وفاته في بيلا بمقدونيا أمثال السويدياس^(١٧) في وقت يرى به اخرون ومنهم مارسيلينوس Marcellinus انه توفي في اثينا .

علماء المسلمين وغيرهم ، وتناول الباحث موضوع «الاجازة» في عصره ، وما طرأ عليها من تغيير ، وما قام به المسعودي من دراسة لتاريخ الخليقة والانبياء حتى ظهور النبي موسى (ع) كما اوردها المسعودي في مؤلفاته .

وقسم الدكتور هادي هذه الدراسة الى ثمانية فصول : تناول في الفصل الاول حياة المسعودي ، ورحلته ، وعصره ، معتمداً على ما اورده المسعودي عن نفسه من خلال هذه الرحلات وما شاهده من عادات وتقاليد وشعائر وعبادات .

ودرس في الفصل الثاني مصادر المسعودي عن الاديان والعقائد وبين ثلاثة جوانب في هذا الفصل هي اهمية رحلته الى اقطار العالم القديم كمصدر من مصادره عن تلك العقائد ، ومدى استفادة المسعودي ، لقائه ببعض العلماء من مسلمين وغير مسلمين ، واهم الكتب التي اطلع عليها المسعودي في مجال العقائد .

وتناول في الفصل الثالث مؤلفات المسعودي ، مبيناً المفقودة منها في ميدان الاديان والعقائد ، وكذلك المؤلفات المطبوعة .

اما في الفصل الرابع فقد قام المؤلف بدراسة تاريخ الخليقة والانبياء حتى ظهور النبي موسى (ع) كما اوردها المسعودي في مؤلفاته ، وقد بين فيها منهج المسعودي في بحث هذه المسائل ومصادره عنها اسلامية او غير اسلامية مقارنةً بذلك بما جاء عنها في التوراة ، وما جاء به الطبري في تاريخه .

اما في الفصل الخامس فتناول اراء المسعودي ومصادره ومعلوماته عن اديان الصين والهند وفارس وعقائد الصابئة .

واوضح في الفصل السادس ما جاء به المسعودي عن اليهودية والمسيحية وهذا الفصل اوسع الفصول واشملها فيما توصل اليه المسعودي من حقائق ، وما جاء به من اراء ومصادر .

اما في الفصل السابع فقد درس فيه المسعودي مؤرخاً لعقائد العرب قبل الاسلام ، وبين ما جاء به عن هؤلاء ومصادره عنهم . وفي الفصل الثامن تحدث عن الاسلام والمذاهب الاسلامية في كتب المسعودي مبيناً اهم ما جاء به عن الموضوع ، ومدى حياده وموضوعيته في بحث هذا الموضوع . وقد ركز على اهم موارد المسعودي ، وحاول فيه معرفة الكتب والمؤلفات التي اعتمدها في هذه الدراسة وقيمتها .

وفي الحقيقة فإن هذه الدراسة تقوم اصلاً على مؤلفات المسعودي وما جاء فيها من اراء ومناهج ومصادر وهي مرآة تنعكس عليها اراءه وما جاء فيها من حقائق او اخطاء ، كما انها خير طريقة يمكن بها تقييمه ، وما اتبعه من مناهج ومصادر في بحث هذا الجانب من تفكيره .

مَنْهَجُ الْمَسْعُودِيِّ فِي بَحْثِ

الْعَقَائِدُ وَالْفِرَقُ الدِّينِيَّةُ

تأليف : الدكتور هادي حسين حمود

عرض : الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني

يتناول الكتاب دراسة المسعودي (ت ٣٤٦هـ) كمؤرخ للأديان ، والعقائد ، حيث تطرق الى ترجمته بصورة مفصلة متناولاً شخصيته ، وتوثيقه من خلال آراء العلماء فيه ، وتاريخ عصره ، ومؤلفاته الباقية والمفقودة المطبوعة والمخطوطة ، اضافة الى رحلاته في الامصار ، وما شاهده ودونه من عادات وتقاليد ، وشعائر وعبادات ، كما تناول المؤلف دراسة التيارات الفكرية والدينية ، وأكد على اهم الخصائص الثقافية لذلك العصر . ثم بين مصادر المسعودي عن الاديان والعقائد وما استفاده من رحلاته وما شاهده من شعائر وعبادات ، ولقائه ببعض

العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦

اختبار وترجمة وتحرير نجدة فتحي صفوة

عرض : الدكتور محمد كرم ابراهيم

وقد درس المترجم الشخصيات السياسية وراء تلك الوثائق او التي دارت احداثها حولهم والذين وردت عنهم الآراء والمعلومات الكثيرة في الوثائق وقدم نبذة وافية عن اهمهم منهم السيرارجيبولد كلارك كبير السفير البريطاني في العراق سنة ١٩٣٦ في بغداد ستين ومنها نقل سفيراً الى الصين في بداية سنة ١٩٤٢ ونقل سفيراً لبلاده في موسكو سنة ١٩٤٦ ، والمستر انطوني بيتان المساعد الرئيس للسكرلارك ، والمستر ادموندز مستشار وزارة الداخلية العراقية سنة ١٩٣٦ وهو شخصية خجاسة ذات صفة غريبة نوعاً ما ، ويبدو من التقارير التي كتبها انه كان على اطلاع واسع في شؤون العراق الداخلية ، كما يتضح لنا دوره الهام الذي كان يقوم به بهدوء في حل الكثير من الازمات والتقريب بين وجهات النظر البريطانية - العراقية .

شملت وثائق ١٩٣٦ تقارير السفارة البريطانية في بغداد ومراسلاتها مع وزارة الخارجية البريطانية وبعض الممثلات البريطانية الاخرى ، وقد اختارها المترجم من بين اكاداس التقارير والمراسلات التي اعدت في تلك السنة .

تتميز وثائق تلك السنة بأهميتها وقيمتها الكبيرة بسبب طبيعة المواضيع التي تناولتها في اماطة اللثام عن احوال العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي ستكون ضئيلة اذا ما بقيت تلك الوثائق بعيدة عن ايدي الباحثين والمتخصصين والمهتمين بدراسة تاريخ العراق الحديث ، رغم انها تعبر عن رأي كاتبها او محررها بل تمثل في اغلب الاحيان رأى الدولة التي يمثلها من خلال التقارير والبرقيات التي تبودلت بين السفارة البريطانية ووزاراة الخارجية او مؤسساتها الاخرى .

لذا فان على الدارس والمتبع لهذه الوثائق عدم ابداء قناعته بخصوص ما ورد فيها بسهولة بل يتطلب ذلك التحليل والغريلة والمقارنة الى ان تتكون لديه قناعة معينة بخصوص ما اطلع عليه ودرسه ، وبذلك يستطيع ان يتوصل الى استنتاجات واضحة موضوعية وقرينة من الواقع ، وكما يقول الدكتور فاضل البراك : «على الباحث في التاريخ ان يتعامل مع الوثائق تعاملأ مرناً وحذراً وليس تعاملأ جامداً وقاطعاً . ويقول الفيلسوف الفرنسي الشهير ارنست ريتان : «الوثائق اداة خرساء في يد من لا يعرف كيف يحياها ، وينفخ من روحه فيها . ونستنتج مما سبق بأن تجريد الوثيقة من الظروف العامة المحيطة بها للفترة التي شملتها داخلياً وخارجياً وعدم اخذها بنظر الاعتبار يؤدي الى جعل التعامل معها تعاملأ جامداً ، اذ ان الوثائق المجردة ليست «تاريخاً» وانما هي «مادة خام» للتاريخ .

كتاب : «العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦ م» وقد قام بانتقاء الوثائق وترجمتها الاستاذ نجدة فتحي صفوة الذي يعتبر من الخبراء المتصلعين في الدراسات التاريخية الوثائقية ، اضافة لكونه من الدبلوماسيين الذين عاصروا احداثاً وتطورات سياسية عديدة في تاريخ العراق الحديث .

لقد نجح الاستاذ نجدة في ترجمة تلك التقارير الوثائقية التي اختارها من الارشيف البريطاني وفهرستها حسب المواضيع التي احتوتها ، وبذلك استطاع ان يهيئ تلك الوثائق للدراسة والتتبع لمن يريد الدراسة والاستزادة من الباحثين والمتقنين وطلبة الدراسات العليا .

يقع الكتاب في (٥٠٣) صفحات من القطع الكبير ، صدره المترجم بمقدمة رائعة (ص ٩-٢٥) أبرز فيها أهمية الوثائق البريطانية في دراسة تاريخ العراق الحديث ، وطريقة اختيارها وترجمتها بصبر وعناء فائقين ، كما يبين اسباب اختياره لوثائق سنة ١٩٣٦ م نشرها نظراً لأهميتها وكونها قريبة ادركها الكثير من الذين ما زالوا على قيد الحياة ، كما انها تعتبر من السنوات الحافلة بالاحداث الخطيرة التي اثرت تأثيراً كبيراً في تاريخ العراق الحديث وتوجيه مستقبله السياسي من ابرزها : انقلاب بكر صدقي - حكمة سليمان وهو أول انقلاب عسكري وقع في العراق بل في الوطن العربي ، وموضوع زواج الاميرة عزة شقيقة الملك غازي من خدام يوناني وهربها معه والذي اثر على شخصية الملك ، وموضوع القضية الفلسطينية . . .

ولا تزال نواح كثيرة من تلك الاحداث على خلاف بين المؤرخين لغموض اسرارها كما شهدت تلك السنة ظهور اتجاهات سياسية وقيادات فكرية جديدة كان لها تأثيرها البعيد في مستقبل العراق السياسي .

التقارير والبرقيات والمراسلات والمذكرات والاستفسارات الخاصة بهذا الموضوع .

وأخيراً فإن الكتاب يعد من الكتب العلمية القيمة ذات الأهمية الكبيرة في دراسة تاريخ العراق والوطن العربي الحديث وبعد إصداره خطوة رائدة من مركز دراسات الخليج العربي في نشر الموسوعة الوثائقية المهمة والتي سيكون لها الأثر الكبير والفائدة العظيمة للقارئ والمثقف والباحث والدارس في التاريخ الحديث .

إن نشر الجزء الأول من هذه الموسوعة هو بداية الطريق الذي خطاه المركز في نشر الدراسات الوثائقية التاريخية وهو إنجاز سيكون له دور كبير في هذا المجال .

تضمن فهرس الوثائق البريطانية لسنة ١٩٣٦ عن العراق (١٤٢) وثيقة توزعت على مواضيع متعددة ذات أهمية كبيرة أبرزها التقرير السري الذي كتبته السفارة البريطانية في بغداد (١ كانون الثاني ١٩٣٦) عن الشخصيات الرئيسية والبارزة في العراق سنة ١٩٣٥ م من قبل السر كلارك السفير البريطاني إلى المستر ايدن وزير الخارجية الذي بدأه بالعائلة المالكة أورد فيه معلومات عن الملك غازي ملك العراق ، وعلي بن الحسين ملك الحجاز السابق والأمير عبدالاله الابن الوحيد لعلي بن الحسين ، والأمير زيد اصغر ابناء ملك الحجاز حسين . كما تضمن التقرير معلومات عن «شخصيات أخرى» بلغ عددها (٨٥) شخصية شملت رؤساء العشائر العربية والكردية وشخصيات ذات نفوذ سياسي واجتماعي وعسكري وضحت أعمالهم وانتماءاتهم ومناطق نفوذهم . . . ويتضح لنا من خلال هذه المعلومات الأهمية البالغة التي كانت توليها بريطانيا لمراكز القوى في العراق ودورها في أحداثه عن طريق جمع المعلومات التي تحتاجها في تعاملها مع العراق ومع تلك القوى التي تتوزع الخارطة السياسية والاجتماعية للبلد .

واحتوت تلك الوثائق التقرير السنوي السري عن العراق سنة ١٩٣٥ كتبه السفير البريطاني كلارك إلى وزير الخارجية ايدن ، وهو تقرير شامل عن أحداث العراق وشؤنه السياسية والاقتصادية والمالية والعسكرية ، كما احتوت الوثائق أموراً أخرى منها موضوع : الشؤون الداخلية (١٨) اذار لغاية ٢٢ نيسان سنة ١٩٣٦ ، وموضوع «اضطرابات العشائر» كما تسميها الوثائق البريطانية من وجهة نظرها وهي ثورات وانتفاضات العشائر العراقية ضد الوجود البريطاني ، وقد واجهتها بريطانيا بالقمع والشدة للقضاء عليها (٥ اذار لغاية ١٠ تموز منها) ، وموضوع العلاقات الخارجية التي افردت لها الوثائق المدة من ٤ حزيران لغاية ٢٧ تموز منها ، وموضوع زواج الاميرة عزة شقيقة الملك غازي من خادم يوناني وهرما معه بعد اخذها مبلغاً كبيراً من المال والمجوهرات العائدة لشقيقها الاميرة راجحة وبيتت الوثائق الخاصة بها (١٧) وثيقة خلال المدة من ٢٨ مايس لغاية ٣٠ تموز منها ، ومن المواضيع هذه الوثائق ما يتعلق بالملك غازي ، وقضية فلسطين والوضع السياسي قبل الانقلاب ، والنفوذ الألماني في العراق .

واستأثر موضوع انقلاب بكر صدقي بأهتمام كبير في الوثائق البريطانية لتلك السنة ، بل انه شكل الجزء الاعظم منها ، اذ عرضت بشكل تفصيلي الاحداث والتطورات التي رافقته واعقبته من ٢٩ تشرين الاول لغاية ٣١ كانون الاول من تلك السنة ، وبلغ عدد الوثائق التي تضمنته

فلسطين تاريخها وحضارتها

للدكتور عز الدين غربية

(بغداد ١٩٨١)

عرض : الدكتور سامي سعيد الاحمد

ان الكتاب من منشورات اتحاد المؤرخين العرب . وقد تحدث المؤلف في مقدمته عن الغاية التي توخاها من طرق هذا الموضوع حيث قال مانصه (على الرغم من كثرة الدراسات والابحاث التي تناولت تاريخ فلسطين الا ان غالبيتها العظمى قد جانبته الموضوعية والأمانة التاريخية وخضع لاغراضاً سياسية او دينية رسخت في اذهان بعض المستشرقين الصهيونيين ، ونشرت بشكل واسع في العالم الغربي حتى أصبحت في غياب الدراسات العربية وكأنها حقيقة مسلم بها) . ثم أعقب ذلك ملخصاً بكتابه حسب الفصول التي يتألف منها الكتاب .

وكان عنوان الفصل الاول (بعض المصادر المهمة التي اعتمدت في الدراسة) ، تكلم فيها المؤلف عن كثرة الحفريات التي اجريت في فلسطين منذ تأسيس صندوق استكشاف فلسطين سنة ١٨٦٥ ثم توسع البحث الاثاري خلال فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين . وسارت الجمعيات والمؤسسات الامريكية في الانجاء البريطاني منذ تأسيس جمعية استكشاف فلسطين سنة ١٨٧٠ كما اتبعت نفس الاسلوب الجمعية الالمانية الشرقية . وعلق الباحث على الدراسات التي قام بها الغربيون عن فلسطين وتاريخها واثارها بالقول (وقد ساند التعصب الديني الغايات السياسية في تقويم الاثار الفلسطينية فأستخدم معظم الباحثين التوراتيين اصطلاحات وتقسيمات لحلقة التسلسل التاريخي الفلسطيني . بحيث يتفق مع المعطيات المتوارثة ، وليس من خلال الاستجواب الحقيقي للموقع وطبيعة مكتشفاته وتصنيفها وتاريخها) . ويعتقد الباحث ان اوائل القرن الحالي حمل معه ظهور اتجاه معتدل سار عليه بعض الالمان وجامعة

شيكاغو فيما بعد . كما بحث المؤلف النهضة العلمية والتكنولوجيا الحديثة وما قدماه من منجزات في مجال مصادر البحث . وقسم ادلته سواء النصوبية او الاتارية الى ما وجد داخل فلسطين أو خارجها (مصر ، العراق ، حاتو شاش) .

وخصص الفصل الثاني من الكتاب الى عصور فلسطين الماقبل التاريخية حيث تكلم فيه عن انسان الكرم الذي يعتبر حلقة الوصل بين النياندرتال والانسان العاقل ثم تكلم عن موقع أريحا (التي يظهر اسمها اسم الاله يراح وهو القمر عند الكنعانيين) اقدم مدن فلسطين حسب معلوماتنا الحالية حيث عثر على بقايا من حبوب ومناجل تعود الى بداية العصر الحجري الحديث . ثم بحث تسمية فلسطين بأرض كنعان المشتقة من كنع التي معناها باللغة الفينيقية المنخفض . وأخذ يعدد مختلف الاراء الخاصة بأصل الكنعانيين وكون كلمة فلسطين نسبة الى اجد القبائل النازحة من منطقة بحر ايجة وهي البيليستي . كما عالج أهمية فلسطين الاستراتيجية والطرق التجارية التي تمر بها واعطى نبذة عن جغرافيتها (السهل الساحلي ، النطاق الجبلي ، اقليم الغور ، اقليم بئر السبع) . وعنون الفصل الثالث (فلسطين قبل العصر التاريخي) حيث عالج فيه فلسطين خلال العصر الحجري القديم ثم العصر الحجري الوسيط الذي يمثل في موقع وادي نطوف شمال غرب القدس حيث وجدت اثار الحضارة البطوفية . ثم العصر الحجري الحديث الذي قسمه الى مرحلتين أ - مرحلة ما قبل الفخار . ب - مرحلة الفخار . ثم العصر الحجري المعدني المتمثل في الحضارة الفسولية حيث مارس الفلسطينيون الزراعة وتربية الماشية وعاش في قرى مستقرة بأودية الانهار او السهول ، وانفردت بظاهرة استخدام بعض الاواني الفخارية ذات شكل المنازل بأسقف دائرية لحفظ عظام الموتى الى جانب العثور على معبد واسع طول ضلعه ٢٠ متراً .

وفي الفصل الرابع عالج الباحث فلسطين في العصور التاريخية حيث غطى به تاريخ فلسطين خلال العصر البرونزي المبكر الذي تمثل بحكومات المدن التي انتشرت في جميع ارجاء فلسطين وامتدت زمنياً من أواخر الالف الرابع ق . م . حتى القرن الثالث والعشرين ق . م . وكانت هذه الدويلات تقوم عادة في مكان مرتفع مشرف على طرق المواصلات أو بالمناطق الساحلية الخصبة وتحاط بالاسوار الدفاعية . وقسم الباحث هذا الدور الى اربعة اطوار تميز الوضع خلالها بوجود كيانات سياسية تتمثل بالمدن المستقلة ذاتياً والمحاطة بالاسوار الدفاعية . وكانت بعض المدن دوغما اسوار مثل بيت مرسيم وتل العجول وتل الضوير واعتبر المدينة

عند تل الفارعة (الشمال) خير نموذج لمدينة هذا العصر. ثم تكلم عن الكنعانيين وعلاقاتهم وحياتهم الاقتصادية وعن مناطقهم مقتطعا من قصة سنوسي المصرية القول (كانت بساينهم ملأى بفواكههم ، ووجدتنا أنبذتهم دنانها كالماء في كثرتها ، وكانت حبوبهم في الاجران بعد درسها اكثر من رمال الشاطئ) . وقد زرعوا الزيتون وعصروا منه الزيت وكانت لهم قطعان ماشية كثيرة الى جانب تقدم الصناعة على اختلاف انواعها . وتكلم عن الحياة الاجتماعية والسياسية للكنعانيين حيث كان النظام القبلي هو السائد ولكل قبيلة قائدها . ثم تكلم عن القبائل الكنعانية معتبرا اليوسيين منهم .

وفي الفصل الخامس عالج المؤلف الثقافة الكنعانية امثال معتقداتهم الدينية ومواسمهم الدينية وأعيادهم ومن المهتم ايل وبعل وموت وأناث . ثم تطرق الى العلاقات الدينية بين كنعان من جهة ومصر والعراق وبلاد الأناضول من جهة اخرى . ثم الاداب الكنعانية التي تمتاز كما يذكر المؤلف (بطابعها المحلي وموضوعاتها الدينية واتساع مجالها الى جانب تأثرها بثقافة الاقطار المجاورة) واتسمت اساطيرهم (بطابع التخيلات . . . وكانت ظاهرة التناسق في الادب والفن الكنعاني من الظواهر الهامة ، فقد ظهرت في القصائد في صورة الثنائي الالهي مثل شروق وغروب الشمس أو نجم الصباح ونجم المساء وكذلك الضباب والندى) . وامتازت لغة الادب الكنعاني القديمة (باحتوائها على عناصر بلاغية منها المجاز والتشبيه كما اهتمت بالوصف الشعري واستخدام الجمل القصيرة في معظم القصائد الملحمية ، وبالإضافة الى ذلك فقد تميزت العبارات الادبية الكنعانية بالتكرار وترادف الجمل بهدف توكيد المعنى وإبرازه بصورة واضحة) . ثم تعرض الباحث الى اقتباس العهد القديم للعديد من مجالات ومظاهر الثقافة الكنعانية التي ادعى اليهود فيها بعد ملكيتها . حيث هناك جملة صفات مشتركة مثل تكرار العبارات وتشابهها مع اغاني دبورا وبعض ترانيم العهد القديم . وحتى ان ملاحم هوميروس (الالياذة والاوديسة المنسوبتان الى هوميروس) متأثرة بالثقافة الكنعانية واخذت منها الوحي والالهام . كما اكّد المؤلف على بناء عمال من صور لهيكل سليمان الذي شيد على النمط الكنعاني في العمارة واستعملت فيه الرمزية الكنعانية .

وعالج المؤلف في الفصل السادس العصر البرونزي الاوسط في فلسطين (٢٠٠٠ - ١٢٠٠ ق. م.) الذي قسم فترته الى ثلاث فترات متميزة . بحث فيه العلاقات المصرية مع بلاد كنعان تجلال المملكة القديمة والوسطى والحديثة . ثم تطرق الى الطرق الخمس التي استخدمها

الكنعانيون في الكتابة وهي (الأكدية المسبارية ، الهيروغليفية الهجائية ، الألفباء المسبارية لاوغاريت وكتابات بيبيلوس المقطعية) . كما بحث التطور الفني وتقدم الصناعات الكنعانية . واعتبر عاجيات مجيدو (١٣٥٠ - ١١٥٠ ق. م.) التي عثر على كمية ضخمة منها في قصر مجيدو نموذجا واضحا لتداخل وتنوع الانماط الحضارية في كنعان . ثم تحدث عن تعرض فلسطين الى موجات عناصر هندية واورية قادمة من بحر ايجة هم اهل البحر الذين منهم الفلسطينيون وميزاتهم الحضارية واستقرارهم في البلاد .

اما الفصل السابع فقد خصصه الباحث الى معالجة شخصية فلسطين التاريخية اي خصوصيتها عبر تاريخها القديم ذاكراً احتمال كون تضاريس فلسطين وموقعها الجغرافي وعلاقاتها بالاقطار المجاورة ذات اثر واضح في كيانها الحضاري والسياسي - كما تعرض الى تسرب العناصر الاسرائيلية الى البلاد مع مطلع الالف الاول ق. م. ووصول كقبائل رحل مع قليل من الموجودات التي تعود لهم . وتحلل البحث صوراً توضيحية منخدة من الآثار المتعلقة بتاريخ فلسطين مع خرائط للبلاد والمنطقة .

وتطرق في الفصل الثاني الى اثر الفكر الغربي متناولاً تأثير سلاطين الدولة العثمانية وحكام مصر وسوريا والعراق بمبادئ الثورة الفرنسية في القومية والحرية .

وتناول باختصار التفاعل بين مبادئ التراث العربي الاسلامي وبين مبادئ الفكر الغربي .

وعن الفصل الثالث بالقومية متخذاً من الجمعيات العربية التي ظهرت أثناء السيطرة العثمانية على الوطن العربي وبالذات بين ١٩٠٨-١٩١٤ بداية للفكر القومي العربي الحديث ، حيث تألفت نواد وجمعيات عربية تدعو الى بعض الإصلاحات في البلاد العربية منها اقامة حكم لا مركزي ، مركزاً على جمعيتان سريتان طالبتا باستقلال البلاد العربية وهما العربية الفتاة والعهد حيث تتضح فيها الفكرة القومية . لم يكتب العرب بتأليف الجمعيات والنواد لبيان رغبتهم القومية فقد قاموا بثورات منها الثورة العربية الكبرى في الحجاز ضد طغيان الأتراك ، فعلى الرغم من أنها قامت في الحجاز ولكن اشتركت فيها اعداد كبيرة من العراقيين والسوريين وبذكر بالتفصيل اسماء القادة من الضباط وضباط الصف العراقيين الذين اشتركوا في الثورة .

بعد عقد اتفاقية سايكس بيكو وعلان وعد بلفور ونظام الانتداب ، أدرك العراق وسوريا ضرورة النضال من أجل تحرير بلادهم كل قطر على حدة ليعودوا بعد ذلك التفكير بالوحدة العربية ، فتأسس في العراق فرع لجمعية العهد لها منهاجها كما أن جمعية حرس الاستقلال التي أسسها بعض مثقفوا بغداد ١٩١٩ طالبت باستقلال العراق والشام . تأليف حكومة دستورية والأنصواء تحت لواء الوحدة العربية وكان لهذه الجمعية دور مهم في قيادة ثورة العشرين العراقية ، واعتبر المؤلف تلك الثورة بأنها «ثورة قومية مكحلة للثورة العربية الكبرى في الحجاز في أهدافها وفي بعض عناصرها» .

ويشرح المؤلف أهداف جمعية الجوال ١٩٣٤-١٩٤١ التي ضمت في صفوفها بالإضافة الى العراقيين أعضاء عرباً من سوريا ومصر وفلسطين ولبنان ودعت الى الوحدة العربية الشاملة .

وهدف نادي المثني ١٩٣٥-١٩٤١ «بعث الروح القومية بين أبناء الشعب وايضا شعور المواطنة العربية العامة في نفوسهم والعمل على احياء التراث القومي ونشر الثقافة العربية بين أفراد المجتمع» ونشط عمل النادي من أجل القضايا القومية وخاصة القضيتين السورية والفلسطينية وأنصل مع قادة الحركات الوطنية التحررية في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين .

الفكر السياسي في العراق المعاصر

١٩١٤-١٩٥٨

للدكتور فاضل حسين

عرض : اسامة عبد الرحمن الدوري

اشار المؤلف في مقدمة الكتاب الى أنه عاليج الموضوع معالجة علمية وموضوعية محايدة ونزيهة وانه بحث مختصر جداً وبمحاولة دليل للقارئ . وأن الأفكار الواردة في البحث نظرية في مجملها وقد تختلف عن الواقع العملي .

وقسم الكتاب الى ثمانية فصول .

تناول الفصل الأول الفكر السياسي العربي الاسلامي شارحاً فيه طبيعة المجتمع العربي قبيل الاسلام ومفهوم القبيلة والمدنية في ذلك المجتمع ، محاولاً أن يصل للقارئ الى حقيقة أن للعرب - من خلال دار الندوة في قريش بالذات - ادارة تدبر شؤون مكة وأهلها وتقضي امورهم ، فأعتبرها دار حكومة ، وهذا يعني أن مكة بمثابة دولة المدينة الواحدة .

ثم جاء الاسلام وحاولت الرسالة الاسلامية جهدها القضاء على العصبية القبلية فقامت الدولة الاسلامية العالمية وأنشأ نظام الخلافة شارحاً المواقف التاريخية من الخلافة ومؤهلات الخليفة وواجباته وأنهى الفصل بأراء بعض المفكرين في الخلافة مثل ابن المقفع وابو يوسف والجاحظ والفارابي والماوردي ونظام الملك والغزالي ونصير الدين الطوسي وأبن الطقطعي ونجم الدين الطوفي وابن تيمية وابن جماعة .

قد يلى الحزب الشيوعي العراقي رغم محدودية عمله - بعد اعدام عهد ١٩٤٩- في داخل العراق تبعاً تبعاً مباشرة لموسكو وهذا واضح من خلال تطابق موقفه مع موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية بشكل عام .

وفي الفصل السابع يتناول المؤلف موضوع « البعث » مشيراً الى أن البعثيين اسسوا حزب البعث العربي الاشتراكي ليجز بين القومية العربية والاشتراكية العربية وهو المزج الذي لم يستطع الزعماء السياسيين القدامى في سوريا والعراق والوطن العربي كله من تحقيقه ، ومن رواد الحزب الأوائل في العراق الطالب أدهم مصطفى وهو من الطلاب السوريين في العراق الذي التحق بدار المعلمين العالية وكون أول خلية حزبية في العراق عام ١٩٤٧ ومنهم أيضاً فائز اسماعيل الطالب السوري الذي درس في كلية الحقوق العراقية وتولى العمل الحزبي بعده عبد الرحمن الضامن ومساعدة يحيى ياسين .

وأشار الى تركز نشاط الحزب في العراق في منطقة الأعظمية ثم أنتشرت الفكرة الى البصرة ، وتناول تشكيلات الحزب وصحافته السرية والعلنية والأسماء التي اتخذها البعثيون في العراق وأسماء قادة الحزب وأهم نشاطاته في العراق .

وفي الفصل الأخير يشير المؤلف الى أن أصحاب الأفكار السياسية السابقة المختلفة تعاونوا في مواقفهم ضد الحكم القائم في العراق وضد السياسة الاستعمارية البريطانية فيه وفي الشرق الأوسط . لقد كانت أكثرية الضباط الاحرار متأثرة بالفكر القومي والبعض الآخر متأثر بالأفكار الديمقراطية التقدمية .

لقد نجح المؤلف في إعطاء صورة مقتضبة عن نشوء وتطور الفكر السياسي في العراق المعاصر مشيراً الى روافد هذا الفكر السياسي ولكن النتيجة التي يمكن أن يخرج بها القارئ من خلال قراءة الكتاب هو أن الفكر القومي الاشتراكي هو الفكر الأرجح الذي يمكن أن يجمع أفكار جاشير العراق .

والنتيجة الاخرى هي أن البذور التي بذرت في العراق من أفكار غربية وشرقية لم يثبت منها الا ما يلائم الفكر العربي الأصيل ورغبات أبناء العراق .

ولا بد من القول في النهاية أن الكتاب كان ثمرة طيبة لجهد مؤلفه الذي كتبه بعد خيرة عشرات السنين في التدريس والكتابة عن تاريخ العراق السياسي رغم أنه كان « بحثاً مختصراً جداً » كما عبر عنه المؤلف نفسه .

وجاءت ثورة مايس ١٩٥٨ التي رغب قادتها في تحرير سوريا وفلسطين ، وتماثلت مع الثورة بعض القوميين العرب في سوريا وفلسطين ومصر .

أما الفصل الرابع فتناول موضوع الديمقراطية ويرى المؤلف أن الديمقراطية لم تطبق في العراق تطبيقاً صحيحاً بل طبقت في أضيق الحدود وليس هناك مجال للقول بأن الديمقراطية فشلت في العراق لأنها لم تطبق أصلاً بشكل يمكن القول معه أنها طبقت ثم فشلت رغم تشكيل المجلس التأسيسي العراقي وما تضمنه الدستور من مواد في الديمقراطية وتأسيس البرلمان وتشكيل الأحزاب السياسية التي نادى بالديمقراطية . ولا بد من القول أن التخلف السياسي العام وعدم نضوج الوعي الشعبي السياسي وانتشار الأمية كلها عوامل أخرى أثرت بشكل سلبي على بناء الديمقراطية .

وتناول المؤلف موضوع الاشتراكية في الفصل الخامس مشيراً الى أن حسين الرحال كان رائد الفكر الاشتراكي في العراق ، كما تأثر رواد الفكر الاشتراكي في العراق برواد الفكر الاشتراكي في مصر أمثال شبلي شميل وسلامة موسى ونقولا الحداد واسماعيل مظهر ، وعقد المؤلف مقارنة مبنياً الفروق بين الاشتراكية والشيوعية في ذلك الوقت . وأشار الى جماعة الأهالي يمثلون الرعيل الثاني من الاشتراكيين بمفهوم عشرينات القرن العشرين ، حيث أكدت جماعة الأهالي على مبدأ الشعبية وعلى أن « منفعة الشعب فوق كل المنافع » وأوضح المبادئ الشعبية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأختتم الفصل بأشارة واضحة الى أن الأفكار السياسية الديمقراطية الاشتراكية التقدمية مختلطة مع بعضها في الفترة بين ١٩٤٢-١٩٥٠ .

وأشار المؤلف الى موضوع الشيوعية في الفصل السادس من الكتاب موضحاً أن أول أجتاع لمؤسس أول منظمة شيوعية في العراق باسم « لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار » عقدت في ٣١ آذار ١٩٣٤ في بغداد ومثلت عدداً من المدن العراقية بغداد وبصرة والناصرية والنجف . وفي عام ١٩٣٥ أبدل اسم اللجنة باسم الحزب الشيوعي العراقي . وأصدر الحزب صحفياً باسم كفاح الشعب وجريدة الشرارة ، وأعتمد على البثقيف الحزبي وتضمن التنظيم الداخلي بثلاثة ميادين هي المركزية الديمقراطية والنقد الذاتي والطاعة الواعية . وتعرض الحزب لانشقاقات متوالية بين ١٩٤٢-١٩٥٨ ، وأشار الى مؤتمرات الحزب وموقف الحزب من موضوع الأقليات . وتطرق الى نشاط الحزب السري والعلني في تلك الفترة والأسماء التي إختفى وراءها .

عرض الرسائل العلمية الجامعية التاريخية

واسط في العصر العباسي^(١)

المؤلف : للدكتور عبدالقادر المعاصي

عرض : الدكتور حمدان الكبيسي

ذكر المؤلف أن بحثه في تنظيمات مدينة واسط الادارية وحياتها الاجتماعية والفكرية ، وبما أن الدكتور المعاصي سبق له أن أصدر كتاباً عن مدينة واسط منذ نشأتها سنة ٨١١هـ / ٧٠٠م حتى نهاية الحكم الأموي سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م . لذا رأى من المفيد أن يستكمل دراسة هذه المدينة التي شهدت تطورات جذرية عميقة بعدئذ .

ويبدو أن الباحث كان قد تلمس أثناء بحثه الأول ، أن مدينة واسط ظلت إحدى ولايات العراق الرئيسة ، وأنها احتفظت بأهميتها لفترة طويلة . وكان واليها يشرف على ادارة منطقة واسعة ضمت عدداً كبيراً من المدن والقرى ، كما أن موقعها الجغرافي الجيد ، ساعدها على المشاركة الفاعلة في معظم الأحداث السياسية المهمة .

ونتيجة لذلك امتد عمران المدينة على جانبي نهر دجلة ، وظلت محتفظة بازدهارها العمراني . وبنفس الوقت تطورت فيها الحياة الاجتماعية ، كما ونشطت فيها المرافق الاقتصادية ، وحينئذ أصبحت أحد المراكز الثقافية المهمة في الدولة العربية الاسلامية ، حيث ظهر فيها عدد من العلماء والقراء والمحدثين ، والفقهاء ، والأدباء ، والشعراء ، وهي بجانب هذا كله بقيت متمسكة بمكانتها الادارية المتميزة ، لاسيما بعد أن ألغيت التقسيمات الادارية القديمة في العراق ، في القرن الرابع الهجري /

العاشر الميلادي ، وحلت محلها تقسيمات ادارية جديدة ، أعار أهمية كبيرة للمراكز الحضارية العربية الاسلامية . فأصبحت واسط إحدى ولايات العراق ، واحتفظت بأهميتها طيلة الفترة التي بحثها المؤلف . لقد عقد المؤلف لبحثه هذا خمسة فصول ، خصص الفصل الاول لدراسة ملامح الحياة السياسية بمدينة واسط طيلة العصر العباسي . وعزى نقل هذا الدور الى أهمية واسط الاقتصادية ، ولقربها من البطائح والمشرق ولوقوعها على طريق بغداد - المشرق . وأبان بوضوح مدى مشاركة واسط في الاحداث السياسية التي وقعت في العراق ما بين (٣٢٤-٦٥٦هـ) (٩٥٣-١٢٥٨م) ومن خلال ذلك ، أظهر الدور البارز الذي لعبه ولاية هذه المدينة في تلك الأحداث ، مما جعل واسط تصبح مركزاً لادارة العمليات العسكرية ضد التمدد الذي كان يحدث في البطائح وفي بعض ولايات المشرق .

لقد ظلت ولاية واسط تشارك في الأحداث السياسية الهامة التي وقعت في العراق في العصور العباسية المتأخرة . ففي عصر أمراء الأمراء اتخذت هذه المدينة قاعدة لادارة العمليات العسكرية ضد البريديين ، ثم تبادلتها القوى المتنازعة مرات عديدة . وأقام بها ، في أثناء ذلك ، بعض القادة البريديين ، وأجروا الأمراء . ولما رجحت كفة البريديين ، اتخذها هؤلاء مقراً لادارة العمليات العسكرية ضد بغداد .

وإبان محاولات البويهيين الاستيلاء على بغداد ، كانوا قد استولوا على مدينة واسط أربع مرات قبل دخولهم بغداد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م . كما جعل البويهيون مدينة واسط مركزاً لادارة العمليات العسكرية ضد الثورات والانتفاضات التي كان يتقد إمرائها في منطقة البطائح ضدهم باعتبارهم أجانب متغلبون يجب التخلص منهم ، على الرغم من محاولات بعضهم التودد الى أهل واسط بين الحين والآخر .

وتصدى أهل واسط لجميع الأطماع الأجنبية التي حاولت أن تنال من هذه الولاية ، أو أن تستأثر بالسلطة . واشتبك أهلها مع أولئك الغزاة بمعارك ضارية انتهت معظمها بانتصار الواسطيين .

وعندما قام النزاع بين أبناء البيت البويهي على السلطة ، تبادلت جيوش الأمراء المتنازعين احتلال هذه المدينة مرات عديدة ، كما أقام بها بعض القادة مع جيوشهم .

أما في فترة التغلب السلجوقي ، فقد لعب أهل واسط وجيشها دوراً كبيراً في الصراع الذي دار بين أبناء السلاطين السلاجقة على السلطة ، وأدى ذلك الى احتلال واسط مرات عديدة . وقد تعرضت هذه المدينة ومنطقتها للنهب من قبل الجيوش المتنازعة ، كما أقام بعض أبناء البيت

السلجوقي بواسطة .

وفي أثناء النزاع بين الخلفاء العباسيين والسلطين السلاجقة ، وقف بعض ولاء واسط الى جانب الخلفاء فرجحت كفتهم .

ولما حول بعض أمراء الحلة والبصرة والأحواز مد نفوذهم الى ولاية واسط - وكان بعضهم من غير العرب - تصدى لهم جند واسط وأهلها واشتبكوا معهم في معارك حادة انتهت معظمها بانتصار الواسطيين وطرد المعتدين .

وخصص الفصل الثاني لدراسة مدينة واسط وتطورها العمراني . وتناول بالبحث ، أقسام المدينة ، فتحدث عن دار الامارة ، والمنشآت الدينية ، والمحلات السكنية ، والشوارع ، والأسواق ، والأسوار ، والمدارس والربط . واستطاع تحليل مواقع هذه الأقسام من المدينة . كما أوضح أن التطور العمراني بمدينة واسط واتساعها وامتدادات منشآتها العمرانية على جانبي نهر دجلة ، أدى الى أن تتحد هذه المدينة مع مدينة كسكر بحيث أصبحتا مدينة واحدة أطلق البلدانون اسم واسط على المدينة الجديدة .

ونظراً لأهمية واسط الاقتصادية والعسكرية والادارية والعلمية ، فقد قصدوا كثير من الناس ، من مدن العراق المختلفة ، واتخذوها مسكناً لهم . فزاد عدد سكانها ، وتطور عمرانها ، حتى أنها زخرت بالمساجد الجامعة ، والمساجد والمدارس والربط والأسواق . ويبدو أن هذه المدينة ظلت محتفظة بازدهارها العمراني طيلة العصر العباسي . فالبلدانيون الذين زاروها في فترات متباعدة ، أو الذين كتبوا عنها ، لاحظوا هذه الظاهرة وأشاروا اليها .

وتناول في الفصل الثالث ، إدارة ولاية واسط ، حيث قام بتحديد الولاية ، وأثبت أن قسماً مهماً من الأحواز كان يقع ضمن حدود هذه الولاية . ثم انتقل الى معالجة التقسيم الإداري في الولاية . وأوضح بحلاء أن العرب المسلمين ، بعد تحريرهم العراق ، لم يتبعوا التقسيمات الادارية القديمة التي كانت سائدة هناك قبل التحرير ، وإنما القوا تلك التقسيمات ، وأحلوا محلها تقسيمات ادارية جديدة . ذلك أن التطورات الكبيرة التي حدثت في العراق إبان الحكم العباسي كانت تستلزم إعادة النظر في التقسيمات القديمة ، وحدثت تقسيمات ادارية بديلة عنها تتلائم مع هذه التطورات . وأن التقسيمات الجديدة أخذت بنظر الاعتبار أهمية ومكانة المراكز الحضارية الجديدة التي صارت تلعب دوراً مهماً في جميع جوانب الحياة آنذاك .

وكانت الولاية مقسمة الى خمس مناطق ادارية ، يطلق عليها وأعمال . تضم كل منطقة منها مجموعة من المدن والقرى . وإن الولاية

كانوا على رأس الجهاز الاداري في واسط . وكانت هناك دوائر ادارية عديدة تساعد الوالي في تدبير الشؤون الادارية . ويبدو أن بعض الولاة تمتع بصلاحيات واسعة ، وإن قسماً منهم اتخذ له وزيراً يقوم بمهمة مستشار في الأمور الادارية والمالية ، ويشترك ، أحياناً ، في الحملات العسكرية . والى جانب والي واسط قوة من الجيش لحماية الولاية وحفظ النظام فيها ، ويقول أمرها عدد من الأمراء .

ولم يفصل الباحث في هذا المجال تبيان علاقة واسط بالسلطة المركزية ببغداد ، كما أوضح الوظائف الادارية في هذه الولاية ، فتحدث عن طبيعة هذه الوظائف ، وصلاحيات وأعمال الموظفين الاداريين ، والعلاقة بينهم وبين ولاء واسط . وتحدث عن وظيفة القضاء والحسبة والتقابات واختصاصات كل منها .

وبحث في الفصل الرابع ، الحياة الاجتماعية بمدينة واسط ، فتناول عناصر السكان ودخلهم ومكانتهم الاجتماعية ، وأثرهم في الحياة الاجتماعية والسياسية .

وأظهر أن مدينة واسط انشئت في الأصل لسكنى القبائل العربية التي رافقت الحجاج بن يوسف الثقفي في أثناء قدومه العراق ، كما سكنها جماعة من القبائل العربية التي كانت قاطنة في مناطق أخرى من العراق ، ثم قدم قسم من أهل الحجاز الى هذه المدينة وسكنوا فيها .

كما تحدث عن الطوائف الدينية ، وبين أن المسلمين كانوا يؤلفون الغالبية العظمى من سكان مدينة واسط . وبمرور الزمن وجدت بينهم طوائف دينية أخرى ، تمتع بقسط وافر من الحرية فكانت علاقاتهم بالعرب المسلمين علاقة حسنة نابعة من روح التسامح الذي تحلى بها المسلمون وفي نفس الوقت أظهر دور الأجانب الدخلاء في قيام السنن المذهبية في هذه المدينة . وعند معالجه التنظيم الاجتماعي في واسط ، ذكر أن المجتمع شهد نمواً اقتصادياً في مجالات الزراعة والتجارة والصناعة . وإن ذلك أضعف أسس التمييز الاجتماعي الذي كان قائماً بمدينة واسط ، ذلك أن الثروة أصبحت ذات أهمية بالغة في تحديد مركز الشخص الاجتماعي .

وتبين له أن المجتمع في هذه المدينة كان يتألف من ثلاث فئات : الفئة الخاصة ، والمتوسطة ، والعامية . وتحدث بأسهاب عن هذه الفئة التي ضمها المجتمع ، مبيناً أثرها وإسهاماتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مدينة واسط .

وأظهر أن هذه الفئات تجمعت في أسواق ومحلات خاصة بهم . ويلاريب ، فإن ذلك زاد في تضامنهم وقوة الرابطة بينهم ، وشعورهم بكيانهم ووحدة مصالحهم . ومن المحتمل أنهم كانوا قد أوجدوا تنظيمات

حرفية لهم .

وذكر أن المجتمع الواسطي زخر بعدد من العلماء والقراء والمحدثين والفقهاء والزهاد والمتصوفة . وقد كون هؤلاء فئة اجتماعية متميزة كان لها أثر كبير في الحياة الاجتماعية والعلمية بواسط .

ومن الأمور المهمة التي توصل إليها الدكتور المعاضبي في الفصل الخامس ، هي تقوم الحياة الفكرية في مدينة واسط ، وإن هذه المدينة أصبحت إحدى المراكز الثقافية المهمة في الدولة العربية الإسلامية آنذاك ، إذ كثرت فيها المؤسسات التعليمية وتنوعت ، وشهدت نشاطاً علمياً واسعاً ، وظهر فيها عدد من كبار العلماء والقراء والمحدثين والفقهاء والنحويين والأدباء . وقد نالوا منزلة علمية كبيرة ، وشهرة واسعة ، فشدد الرحال اليهم عدد من طلبة العلم من شتى أقاليم الدولة ، للدراسة عليهم والحصول على إجازاتهم العلمية .

كما ظهر فيها عدد من العلماء اختلفوا في العلوم التاريخية والجغرافية ، والطبية والصيدلية والفلك والرياضيات ، وعلوم أخرى ، وقد وصلتنا بعض مؤلفاتهم في هذه العلوم .

وقد تبين أن البيئة العلمية بواسط لم تكن بمعزل عن البيئات العلمية في حواضر الدولة العربية الإسلامية آنذاك ، فقد وفد إليها عدد من طلاب العلم للقاء مشايخها والدراسة عليهم ، كما رحل عدد من العلماء الواسطيين إلى أقاليم أخرى من الدولة ، وقد درس بعضهم القرآن الكريم والحديث وعلوم اللغة العربية في تلك الأقاليم . وغادرها بعض ابنائها إلى مختلف المراكز الثقافية في بقية الأقاليم طلباً للعلم .

وإن تقدم الحياة الفكرية بواسط أدى إلى ظهور عدد من البيئات العلمية في هذه المدينة ، فبرز أبنائها في مختلف العلوم آنذاك . ومن خلال التسبع والاستقصاء وجد الباحث أن واسط قد ورثت الكوفة والبصرة في بعض الجوانب الفكرية .

عدن

دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية

٤٧٦ - ٦٢٧هـ / ١٠٨٣ - ١٢٢٩م *

للدكتور محمد كريم إبراهيم

عرض : شايف عبد سعيد

كلية الاداب/جامعة عدن

يشكل هذا العمل المقدم من قبل الأخ الدكتور محمد كريم إبراهيم حول التاريخ السياسي الحربي والاقتصادي لعدن ترسانة ضخمة من المعطيات التاريخية التي بذل المؤلف جهداً جباراً في بنائها والعكوف الجاد لدراسة المصادر المتعددة والمعقدة والنادرة . فتاريخ عدن وبالتالي تاريخ اليمن الوسيط (الإسلامي) معقد وغير مدروس دراسة مستفيضة من قبل مدينة عدن ممثلة بقديم في اليمن تميزت بنشاط كبير منذ عهد اليونان والرومان وكانت إحدى أسواق العرب القديمة في الجاهلية وقد حافظت على أهميتها في العهد الإسلامي ، وورد ذكرها كثيراً في الكتب الإسلامية الكلاسيكية . ورغم إخماس ازدهارها التجاري في العصر العباسي الأول عندما تحولت أكثر الطرق التجارية الإسلامية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي فقد استعادت مكانتها المهمة بقيام الخلافة الفاطمية في مصر ، فامتدحت سوانح البحر الأحمر في اليمن ، مثل عدن والمخا ومصر مثل عذاب وغيرها .

(*) بمناسبة دفاع الأخ الدكتور محمد كريم إبراهيم عن أطروحته : عدن - دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية في الفترة ٤٧٦ - ٦٢٧هـ / ١٠٨٣ - ١٢٢٩م ، ونيله درجة الدكتوراه من جامعة بغداد رأيت أن أقدم هذا العرض والذي جاء بعد أن أعداني الدكتور محمد كريم نسخة من رسالته قبل مناقشتها . وهذا من هذا العرض ، ولو جاء متأخراً ، هو دفع الأخ الدكتور محمد كريم على نشر الأطروحة في كتاب الشئ الذي ستكون له فائدة قصوى لغير المناقشات حول التاريخ العربي الإسلامي عامة وتاريخ اليمن خاصة .

في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كانت بلاد اليمن قد تجزأت إلى دويلات وإمارات قبلية همدانية وحيدية ، وكانت عدن إحدى مدن اليمن التي ذابت في خضم تلك التجزئة . قامت فيها إمارة بني معن الحميديين . وتناول الرسالة حكم بني معن والصلحيين الذين أبقوا بني معن أمراء على عدن وأعمالها وتناول الرسالة أيضاً إمارة بني المكرم الجشمي اليامي الهمداني التي تأسست في حدود ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م . واستقل بنو زريع بحكم عدن وفصلوها عن تبعية الصليحيين إلى أن دجل توران شاه الأيوبي إلى اليمن وقضائه مع إمارة بني زريع في عدن وذلك في سنة ٥٦٥هـ / ١١٧٣م .

تبين الرسالة الظروف والعوامل التي ساعدت الأيوبيين في السيطرة على اليمن وكان أبرز ميزات حكمهم في اليمن القضاء على أنصار الفاطميين ودعاتهم في عدن وزبيد وصنعاء واعتبار اليمن إقطاعاً لسلطانهم الذين غادروها وعينوا النواب عليها وهم بدورهم كانوا يرسلون الأموال السنوية إلى مصر والشام ويشرون الحروب والصراع فيها بينهم محاولين التوسع تارة والاستقلال تارة أخرى . وكان أن عاشت اليمن عهداً من عدم الاستقرار والحروب الكثيرة الدائمة خاصة وأن الأيوبيين اهتموا بثبت سيطرتهم على اليمن بمختلف الوسائل وخاضوا معارك مستمرة مع معارضيين وكان من نتائجها إهمالهم شؤون اليمن .

وبرغم عدم استقرار أحوال اليمن الداخلية في العهد الأيوبي ، إلا أن عدن تمتعت بمركز اقتصادي مهم ، فانتعشت تجارتها الداخلية والخارجية وكثرت مواردها المالية وعنى النواب بها عناية فائقة من بناء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ذات النفع العام فتدبرتها أقوام من جنسيات مختلفة ، وقد تجل ذلك بصورة خاصة في عهدي عثمان الرغيب والمعلم التكريتي ، والنظره إلى عدن باعتبارها ميناء مهماً وسوقاً تجارية نشطة توضح مدى تزايد مركزها الاقتصادي وأهميته منذ عهد بني المكرم وبني زريع وخلال العهد الأيوبي إذ كانت ذات صلات تجارية مع أرجاء العالم المعروف آنذاك فدخلتها بضائع كثيرة وجمعت أموال طائلة من رسوم التجارة وكانت عدن مركزاً لضرب العملة في عهد بني المكرم والأيوبيين وأصبحت مركزاً لاستقطاب العاملين في الوسط التجاري من مختلف أرجاء العالم .

أما المدة المحددة التي شملتها الرسالة بين ٤٧٦ - ٦٢٧هـ / ١٠٨٣ - ١٢٢٩م فيعزبها المؤلف إلى قيام إمارة بني المكرم الهمداني التي كانت موالية للفاطميين في مصر في حدود ٤٧٦هـ ، ثم القضاء عليها من قبل الأيوبيين ٥٦٩هـ / ١١٧٣م وحتى قيام الدولة الرسولية في اليمن وذلك كي يوضح المقارنة بين عهدين متباينين ودراسة سياسة كل منهما في اليمن

علمة وفي عدن خاصة ، ودراسة التطورات السبابة والاقتصادية لمدينة عدن خلال العهدين المذكورين ، والحقيقة أن المقارنة لم يجر بها المؤلف بصورة مستقلة ولكن القارئ للرسالة يلحظها أما الغرض الثاني فقد برز بوضوح .

تتكون الرسالة . بعد تحليل المصادر والمقدمة التي استغرقت ٦٥ صفحة وستة فصول وخاتمة ، بحوي الفصل الأول جغرافية عدن وأعمالها بدءاً بتسمية عدن في المصادر اللغوية والتاريخية وموقعها الجغرافي وأهميته في تاريخها وأنعكاساته على مكانتها الاقتصادية المميزة لها ، ثم دراسة لسطحها وطبيعتها ومناخها وتأثيره على نشاط سكانها وتكيفهم له ، بعد ذلك يوضح المؤلف أعمال عدن أي ما أرتبط بها من النواحي والقرى التي ورد ارتباطها بعدن سياسياً وإدارياً في المصادر مع تبين موقع كل ناحية وقرية والمسافة بينها وبين عدن وكذلك اشتهرت به من منتجات ومحاصيل زراعية وما امتازت به من نشاط إقتصادي آخر ، بسبب موقعها أو شهرتها بوجود مواد أولية معينة ، أو قيام صناعة بها .

والفصل الثاني عرض لدراسة ظهور إمارة بني المكرم في عدن وافيضاح حالة اليمن السياسية في الربع الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وينتهي الفصل بتأسيس إمارة بن زريع في عدن بعد استقلال سبأ بن أبي السعود بحكم عدن سنة ٥٣٣هـ / ١١٧٣م . ودرس المؤلف في الفصل الرابع عدن في العهد الأيوبي منذ دخول توران شاه لليمن وفتحها ، وقضائه على إمارة بني زريع فيها ، إلى سقوط الدولة الأيوبية سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م وتأسيس دولة بني رسول في اليمن . ويخصص الفصل الخامس لدراسة الفعاليات الاقتصادية داخل ميناء عدن فأوضح شهرة عدن كسوق قديم وصلاتها مع العالم وخبرة أهلها التجاريه والعشور المفروضة على البضائع من حيث مقاديرها وأنواعها وتطورها والعمله المتداوله ودراسة المعاملات التجارية الأخرى من بيع وشراء واستيفاء الرسوم ومعاملات الطول والمساحة وغيرها . يبرز الفصل السادس دور عدن في التجارة الداخلية والخارجية بتمهيد عن سكان عدن والعاملين فيها ثم دراسته التجارة الداخلية وأثر سياسة الدولة عليها في عهد بني المكرم ومن بعدهم بني زريع ثم العهد الأيوبي مبينا دور القادة والنواب الذين تولوا عدن بناء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ذات النفع العام للسكان وتحديد البعض منها ، وموقفهم من تجارتها سلباً وإيجاباً ، كبناء الأسواق والأسواق والأهتام بالميناء والتدخل في العشور من زيادتها ونقصانها واعفاء المواد الضرورية للسكان منها ، وبين بعض الصناعات المحلية في عدن وفي بعض نواحيها كصناعة العطور والنبيد والزجاج والخزف والقنبار . وفي هذا الفصل

بعد درس المؤلف النشاط التجاري الخارجي لعدن من خلال علاقاتها مع أرجاء العالم المعروف آنذاك وتبادل المنتجات والبضائع بواسطة عدن التي كانت وسيطاً لنقل تلك البضائع وتوافرها وبذلك كملت صورة النشاط الاقتصادي لميناء عدن مع نشاطها الداخلي ، وكانت محصلة ذلك كله انتعاش عدن تجارياً وكثرة مواردها المالية من الرسوم والعشور المتنوعة على البضائع ، والتي أسهمت في تطورها ، وارتفاع دخل سكانها ورفاههم إقتصادياً من خلال عملهم في الوسط التجاري فزادت أهمية عدن ، وأصبحت محط الصراع بين قوى محلية وعالمية من أجل غزوها والسيطرة عليها .

تشكل الرسالة التي قدمها الدكتور محمد كرم أهمية بالغة للدراسة تاريخ اليمن الوسيط (الأسلامي) ليس السياسي الحربي فحسب وإنما تاريخها الاقتصادي ، وهي دراسة جادة تقع في ٦٨٠ صفحة . بما فيها ثمانية جداول وسبع خرائط تدل على ما بذله من جهد جهيد . ورغم ما واجهه من صعوبات وما تجشمه من مناعب محاولاً التأكد من مطابقة ما أوردته المصادر على الواقع الجغرافي بتعرفه على عدن ذاتها ، فإنه يقع في بعض الهنات خاصة وأنه لم يتمكن من زيارة عدن ذاتها .

تحدث الرسالة في الفصل الأول - عدن وأعمالها - مجموعة كثيرة من المعلومات من مصادر شتى دون نقد أو تحليل أو مناقشة لها بل أحياناً مكرره أو مبالغ فيه . متناقضة ، فثلاً عند ذكر اسم عدن يقول د . محمد كرم «نستطيع القول بأن كثيراً من الروايات التي سبق وأن أوردناها أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق ، ولعل رأي ابن الجاور حول اشتقاق اسم عدن هو الأقرب إلى واقع التسمية» ثم يورد قول ابن الجاور : «وما اشتق اسم عدن إلا من المعدن وهو معدن الحديد» ثم يبالغ في دعم هذا القول : «وما يدعم هذا الرأي أن مدينة عدن تشتهر بوجود معدن الحديد بكيات كبيرة إذ أن أحد جبالها يسمى جبل الحديد»^(١) ، ناسياً أنه ذكر لأبن الجاور قولاً من صفحته ٧٢ : (بأن عدن كانت حبساً لأصحاب الجرائم وقد جعلها شداد بن عاد حبساً لمن غضب عليه . . . وقيل إن أول من حبس بها رجلاً اسمه عدن فسميت البلدة باسمه» ذكر ذلك دون أن يناقش إبن الجاور أو ينقده وبين تناقض أقواله .

تستخدم الرسالة وحدات قياس مختلفة فتذكر المسافات والارتفاعات . . . كما جاءت في النصوص دون تحويلها إلى وحدة قياس واحدة أو بين قوسين أو الهامش فثلاً فعلى سبيل المثال : «وذكر الخزرجي أن طول المسافة من عدن إلى مكة يزيد عن ثلاثين مرحلة ، وفي رواية أبو الفدا أن مدة السفر من مكة إلى عدن كانت تستغرق نحواً

(١) ن . م . ص ٩١ .

من شهرة» و «تبعد رباك عن عدن مسافة فرسخين أي أقل من ١٠ كم أما لحج فتقع على مسافة لا تزيد عن ٢٨ ميلاً»^(٢) ، ونصاً آخر : «تتميز عدن بميزات طبيعية نادرة ما تتوفر لغيرها ، فهي تقع على فوهة بركان قديم يبلغ ارتفاعه ٣٣٥ متراً»^(٣) ، وتعتبره جبل شمسان أعلى قمة في البركان الحامد الذي تتكون منه مدينة عدن ، إذ ترتفع ١٧٧٥ قدم»^(٤) ، فكلما مثل مرحلة ، شهر ، فرسخ ، كم ، متر ، ميل وقدم لا تترك المؤرخ الدارس ولكنها تجهد وتوه القارئ العادي في حاله طباعه الرسالة ككتاب .

ومن التناقضات البارزة في هذا الفصل تحديد المواقع والاتجاهات الجغرافية ويبدو ذلك أنه كان نتيجة لعدم زيارة المؤلف عدن وعدم مناقشته ونقده للنصوص المتبسة فعلى سبيل المثال مواقع جبل العر وجزيرة صيره وجبل التعكر والمياه وقرية ربالة وغيره فهو يذكر أن جبل العر المعروف بجبل شمسان «يقع جنوب عدن ، وهو عبارة عن سلسلة تلال واقعة جنوب عدن وتمتد إلى جنوب غرب عدن ، وتعتبر قمة جبل شمسان أعلى قمة في البركان الحامد الذي تتكون منه مدينة عدن ، إذ ترتفع ١٧٧٥ قدم فوق سطح البحر ، ويشرف على الجهة الغربية من عدن»^(٥) ، فهل ياترى - في هذه الفقرة - يقع الجبل في الغرب أم الجنوب أم يمتد في كل هذه الجهات . و يحدد موقع جزيرة صيره : «يشرف جبل صيره على مدينة عدن من ناحية الجنوب الشرقي ، وهو من جهة الشرق في عدن»^(٦) ، و «أما جزيرة صيره الواقعة في البحر والمواجهة لرأس عدن من الشرق»^(٧) ، و «إن موقع قرية رباك وغيرها . ولا يناقش الدكتور محمد كرم هذا التناقض أو ينتقد المرجع التي إقتبس منها هذه النصوص .

وفي بقية الفصول نجد بعض التكرار والهتات وجبدا لو أضاف ملاحظات وشروح حول بعض الأمور الجديدة بالملاحظة فثلاً لاحظ إبن

(٢) ن . م . ص ٩٣ .

(٣) يعالج الدكتور أسامة عبد الرحمن النور في تعقيب له لرسالته الدكتوراه قدمها الدكتور محمد عبد الكريم هكاشه بعنوان «تاريخ حضرموت السياسي» في (مجلة الثقافة الجديدة ، عدد ٥) ، أغسطس ١٩٨٢ ، ص ١١-١٩) منهجية البحث بحيث يمكن على أسامة معالجة تاريخ العرب الأسلامي (اليمن الوسيط) معالجة هادئة .

(٤) البغلي الدكتور محمد كرم أنه حاول زيارة عدن ولكنه لم يتمكن من الحصول على تأشيرة زيارة عدن في حينها . . . ومع ذلك وحسب يمكنه اليوم - هو وغيره - لزيارة عدن وجبدا أن تكون قبل طبع الرسالة .

(٥) د . محمد كرم : عدن - دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-٤٧٧ هـ ١٠٨٣-١٢٢٩ م (رسالة دكتوراه لم تشر) ١٩٨١ ص ٧٤ .

(٦) ن . م . ص ١١٥ .

(٧) ن . م . ص ٨٨ .

ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى

للسيد فوزي خلف شويل

عرض : اسامة عبد الرحمن الدوري

المجاور أن ابو الحسن علي بن الضحاك الكوفي أول من أظهر المقلع في عهد بني زريع وكان أهل يجلون الحجر من أعمال عدن في أبين وأقرب نقطة هي جبل خضر قرب جصار في أبين . فكيف كان أهل عدن يجلون الحجارة من أبين ومدينتهم محاطة بالجبال !! إنها حقيقة تاريخية أول من تنبه لها ابن المجاور فجددا لو نشر الدكتور ذلك بالنسبة لمنهجية البحث فمن الواضح أن المؤلف لم يحلل تاريخ اليمن الوسيط (الاسلامي) وفق نظريته أو فلسفه معينه واضحه ولم يشر إلى ذلك ولا يتضح ذلك لا في المقدمة ولا في صلب الرسالة (٨) .

ولا شك أن هذا العمل الذي أنجزه الدكتور محمد كرم سيكون له أبعاد الأثر في دفع عجلة البحث في تاريخ اليمن الوسيط الاسلامي الذي لا زال في بطون المخطوطات - سواء كانت في اليمن أو المكتبات العالمية - وبحاجة إلى دراسة جادة كهذه . والرسالة رائده في ميدانها ، وهي جهد محمود وعمل يستحق الذكر ، وكل ما يؤمل منه هو أن يعيد المؤلف النظر في الرسالة عند طباعتها ككتاب .

تكوّنت الرسالة من مقدمة واربع فصول وخاتمة .
ركز الباحث في الفصل الاول لاعطاء لمحة تاريخية عن اوضاع ايران الداخلية عشية الحرب العالمية الاولى مركزاً على التوزيع العرقي للشعوب الايرانية والواقع الاقتصادي والسياسي لايران ، ففي الجانب الاقتصادي كان الاقتصاد الايراني متدنياً بفعل الاستغلال الاقطاعي ، وكانت ميزانية الدولة تعاني من عجز مستمر ، والتي دفعت بالدولة الى اعطاء عدد من الامتيازات وعقدت سلسلة من القروض .
اما الجانب السياسي فقد كانت الاسرة القاجارية والفئة البيروقراطية اضافة الى رجال الدين والتجار الكبار هم المجموعات المؤثرة في الحكم .
أن تردي الاوضاع الاقتصادية والسياسية خلقت الظروف الملائمة لتغلغل الدول الكبرى في ايران قبل الحرب العالمية الاولى وهي روسيا القيصرية والولايات المتحدة الامريكية والمانيه اضافة الى بريطانيا التي كان لها وجود تجاري كبير منذ بداية القرن التاسع عشر ، اضافة الى المحاولات الفرنسية لعقد اتفاقية تجارية مع ايران .
ولكن التغلغل الاكثر وضوحاً ذلك الصراع الذي شهدته الساحة الايرانية بين بريطانيا وروسيا بعد ان اتفقا عام ١٩٠٧ على تقسيم ايران بينهما ، اضافة الى التغلغل البلجيكي في نهاية القرن التاسع عشر حيث حصلت على عدة امتيازات .

(٨) ن . م . ص ٩١ .

وتناول الفصل الثاني صراع العسكريين المتحاربين في إيران ١٩١٤ - ١٩١٧ مشيراً الى الاطماع الالمانية في إيران وخططها العسكرية لتنفيذ ذلك ، وبشيء من التفصيل الوجود الاقتصادي البريطاني في إيران وخاصة امتلاكها لشركات النفط العاملة هناك ، اي بمعنى آخر ان بريطانيا موجودة تحت ذريعة حماية مصالحها هناك .

وتناول النشاط الالمانى - التركي في بداية الحرب في إيران موضعاً محاولات الاتراك جر الشعوب الايرانية تحت ستار الدين الاسلامي ضد دول الشرق - دول الحلفاء - وأوضح الجهود الالمانية سواء الدبلوماسية منها أو البعثات التي ارسلتها قيادة الاركان الالمانية الى إيران لضمان وقوفها الى جانبها في الحرب .

وامام هذا النشاط الالمانى - التركي كان للحلفاء رد فعل ادى الى تفاقم الصراع ، فقد تحرك الروس مستخدمين شتى الاساليب لتحديد نشاط الالمان في إيران .

امام ذلك الصراع الدولي في إيران لم تغف إيران مكتوفة الايدي بل حاولت الحكومة الايرانية جعل إيران منطقة محايدة بين الطرفين المتحاربين ، وبرزت المقاومة الايرانية في الجنوب ضد الانكليز حتى ارجحت كفة النفوذ الالمانى هناك ، حتى ان تطور الاحداث في إيران لصالح المانيا لم يحل دون التدخل العسكري الروسي - البريطاني المباشر ، ومن ثم للتدخل العسكري التركي - الالمانى في إيران اثر هزيمة الانكليز في الكوت (مركز محافظة في العراق) على ايدي الاتراك ، الا ان الانكليز لم يستسلموا لتغيرات الاحداث بل استمروا في ارسال البعثات العسكرية الى جنوب إيران وشرقتها .

ان سقوط بغداد بأيدي الانكليز ترك آثار معنوية على المسلمين كافة وإيران بشكل خاص بحكم تقرب البريطانيين من حدودها وباتجاه جديد ، وهذا أثر على موازين القوى بشكل مباشر وعلى مستقبل إيران . اما الفصل الثالث «إيران في المرحلة الاخيرة من الحرب» فقد اراد الباحث في بدايته بيان ان إيران لم تكن معزولة عن الاحداث خارجها فتناول اثرة ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيا على الوضع السياسي في إيران حيث قامت الحكومة الروسية الجديدة بالغاء كافة الاتفاقيات السرية المعقودة بشأن تقسيم إيران واعادت لإيران كل ما أخذ منها بالقوة ، الا ان العلاقات بين الطرفين لم تكن كما يرام بل ظل التوتر يسود تلك العلاقات .

ان طبيعة العلاقات الايرانية . السوفيتية الجديدة دفع بالاييرانيين لمطالبة البريطانيين بموقف مماثل عبر عدد من المذكرات والزيارات ومن ثم الاشتباك المسلح بين الايرانيين والبريطانيين حتى اذا جاءت بريطانيا

بحكومة ايرانية ميالة لسياستها في اب ١٩١٨ ، كل ذلك جرى في جنوب إيران واتبعت بريطانيا نفس السياسة في شمال إيران بعد انسحاب القوات الروسية من هناك أضافة الى اسلوب البعثات العسكرية المتعددة في شمال إيران .

ان الصراع بين روسيا وانكلترا ضد المانيا والدولة العثمانية قد أفسح المجال لتغلغل النفوذ الامريكى في إيران قبل الحرب بسنوات وبدفع من بعض الساسة الايرانيين في محاولة للتنفيس عن مشاكل البلاد ، وهذا اعطى الامريكان فرصة للتفرد بإيران وهذا واضح من خلال الرسائل المتبادلة والبعثات التي ارسلتها حكومة واشنطن الى إيران وابرزها «اللجنة الايرانية» حتى أصبحت لامريكا مكانة لا يمكن تجاهلها في إيران مع نهاية الحرب العالمية الاولى .

وناقش الفصل الرابع نتائج الحرب العالمية الاولى بالنسبة لإيران ، متناولاً خسائر إيران المادية والبشرية في سنوات الحرب جراء العمليات العسكرية لمختلف الاطراف داخل الاراضي الايرانية منذ بداية الحرب وحتى انتهائها .

فحسب تقديرات المصادر الفارسية وغيرها بلغت الخسائر البشرية حوالي (٣٠٠) الف شخص وقدرت لجنة الفتاى الحكومة الايرانية عام ١٩١٨ قيمة الخسائر المالية التي لحقت بالبلاد بـ (٤٣٦) مليون تومان . لقد خلقت تلك الظروف السياسية والاقتصادية في إيران سلسلة حركات كان قسم منها ذا طابع عفوي والبقية ذات طابع قومي غير متكامل . بانهاء الحرب العالمية الاولى حاولت الشعوب المغلوبة على امرها ، ومنها إيران ، عرض قضيتها على مؤتمر فرساي فبعثت بوفد برئاسة وزير خارجيتها قدم كراساً مطبوعاً الى المؤتمر يضم المطالبات الايرانية الخاصة بضمان الاستقلال السياسي والاقتصادي ، واستعادة الاراضي التي سيطر عليها الروس والتعويض على اضرار الحرب .

ورغم محاولات الوفد الامريكى عرض قضية إيران على مجلس (الاربعة الكبار) اكثر من مرة الا انها باءت بالفشل نظراً لموقف بريطانيا المتشدد ، وربط قضية إيران بحل المسألة التركية ، وادركت بريطانيا مغزى المحاولات الامريكية ، ولكن في النهاية ادرك الوفد الايراني ما اكده البريطانيون من ان «الخروج هو في وايت هول لا في فرساي» . وبهذا يخرج الباحث بأن إيران اصبحت اثناء الحرب العالمية الاولى ميداناً مهماً من ميادين القتال في جبهة الشرق الاوسط ولم يبق لسلطة الشاه شيئاً حقيقياً سوى الاسم لسيطرة القوات الروسية والبريطانية حتى عام ١٩١٧ وبشكل مباشر على إيران .

عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة - لنائل حنون^(١)

للسيد طه باقر

عرض : الدكتور سامي سعيد الأحمد

ويتألف الكتاب من تقديم للسيد طه باقر الذي أشرف على الرسالة ثم مقدمة للمؤلف شرح بها أهمية الموضوع وما يود توضيحه للقارئ ثم التقى نظرة على المصادر الأساسية التي استندت عليه دراسته . وقد قسمها الى مصادر آثارية بما أظهرت الحفريات من مخلفات القبور وصورات المسلات والأختام من أشكال ثم كتابية تشمل كافة النصوص من اساطير وقطع أدبية ورقية وتراتيل ومرثيات ورسائل وشرائع وحوليات ملوك الخ ثم تعرض لأهم المصادر الحديثة بموضوعه .

وفي المدخل الذي أفرزه لرسالته عالج تأثير ظاهرة الموت عند انسان النيندرتال وممارساته الدفنية ثم الأفكار الاسكانالوجية في كافة مراحل العصر الحجري القديم والوسيط والحديث والعصر البرونزي المبكر وكانت معالجته مقتضبة تنقل بها من اوربا الى مصر وفلسطين . ويبحث بالفصل الأول الذي عنوانه الموت والخلود ، العلاقة بين الموت والخلود والمغزى الأساسي لفكرة الخلود الذي هو (نكران الموت كحقيقة باعتباره أبعد من ان يؤثر في كيان الفرد) .

فالعراقيون القدماء اعتقدوا بان الخلود هو من الصفات التي احتكرتها الآلهة لنفسها عندما قدرت الموت على البشر ، الذي فسره المؤلف بمسؤولية الآلهة عن ادارة الكون . ورغم ذلك فقد ذكرت اساطير الخليفة وأصل الآلهة بعض الأرباب التي ادركها الفناء امثال أبسو الذي يقول عنه المؤلف (انه لم يفن من الوجود بعد ذكر مقتله في الاسطورة وانما استمر بهيئته المادية التي هي مياه العمق المسماة باسمه) . ثم قتل كينكو ويتامات على يد الاله مردوخ . ويؤكد المؤلف ملاحظتين حول مقتل

وبعد انتهاء الحرب وانسحاب روسيا بعد ثورة اكتوبر حلت الولايات المتحدة الامريكية وحلها ، وحاول الساسة الايرانيون اللعب بالورقة الامريكية للتنفس ولو قليلاً عن الضغط الذي كانت القوى التقليدية تمارسه بالنسبة للبلاد .

ولكن هذا لا يمنع من ان الحكومة الايرانية قد بدأت مطامعها بأراضي عراقية حساسة ومناطق ماوراء القفقاس واسيا الوسطى عند عرض قضيتها على مؤتمر فرساي .

لقد بدأت السلطة القاجارية تضعف وتنهار مع نهاية الحرب وبدأت تنمو قوى المعارضة الوطنية وفي مقدمتها الحركات الثورية غير الفارسية وبهذا بدأت مرحلة جديدة من تاريخ ايران .

تنوعت مصادر الرسالة فأعتمدت الباحث على الوثائق غير المنشورة من المركز الوطني لحفظ الوثائق (بغداد) .

اضافة الى وثائق وزارة الخارجية البريطانية (Foreign office) وكذلك على الوثائق المنشورة ، واعتمد على مصادر ومراجع باللغات العربية والفارسية والانكليزية والروسية ، واستفاد من الصحف والمجلات العراقية والعربية .

الآلهة هما : ان الفعل واضحه ، الذي يذكره النص بالنسبة الى الآلهة القتيبة يدل على الموت الوقي . ثم ان اغلب الآلهة المذكورة في الاسطورة تستمر في الوجود بكامل قدراتها رغم مقتلها مثل الالهة أما كاندو ولاخاو (ص ٥٢) . ويتعرض الى حقيقة كون هذه الأحداث قد وقعت قبل خلق الانسان . ثم يتعرض المؤلف الى اسطورة نزول اناثا الى العالم الأسفل وموت تموز كل سنة وأخذه الى العالم السفلي ثم عودته الى الحياة . ويذكر ان اخذ تموز الى العالم السفلي لايحي عملياً موته بل انضمامه الى جميع آلهة ذلك العالم (ص ٦٢) . وان الالهة اناثا قد أرغمت زوجها تموز (دوزي) على دخول العالم السفلي كما نقرأ في الرواية السومرية من هذه الاسطورة بعد ان خرجت هي من هذا العالم . وسبب ذلك ، كما يرى المؤلف ، هو حقها على تموز لعدم اكترائه من غيابها في العالم الأسفل ويستند في ذلك على (ارتداء تموز لثياب بيه في مجلس مهيب) وكون شهر ايلول قد أسماه السومريون عيد تموز . وعالج المؤلف ايضاً الموت السنوي لأرباب العالم القديم الرئيسية مثل أسرمردوخ الوقي كل سنة في العالم السفلي ، ثم دامو وتازيمو وساتران ونكرزو وتشياك وأبو وحى الى آتو . وحتى ان بعض الآلهة كانت تتعرض للموت في مناسبات معينة مثل الاله انليل ويشكر ومن .

وبحث المؤلف حتمية الموت على البشر وتعذر الخلود . فمن دخل عالم الأموات لا يستطيع الخروج منه واقتنعوا بالفناء المحتم عند الموعد الذي قدره الآلهة للانسان الذي ربما يموت قبل ذلك حيث نقرأ أحياناً في النصوص عن موت البعض في وقت لم يكن يوم مصيرهم . ولذلك صاحب الانسان القلق من الموت الذي يدركه بأي وقت واعطى مثلاً من كلكامش بعد ان رأى مصير صديقه أنكيدو . وهناك بشر من آلهة الخلود مثل اوتونايشتم . وتؤكد ملحمة كلكامش واسطورة أدايا حتمية الموت على الانسان .

وكان موضوع الفصل الثاني الروح والعقاب والنواب ، عالج فيه المؤلف الروح وحالتها في عالم الأموات عند العراقيين القدماء . فالسومريون أطلقوا كلمة كيديم على روح الميت وشبّهه مثلها مثل كلمة ايتيممو الأكديّة التي عنت في العهد الآشوري والبابلي القديم اشباح الآلهة . وتنفصل الأيتيممو عن الجسم عند الموت وتحول الى كائن آخر بطريقة غامضة . ونستدل من ملحمة كلكامش انهم تصوروا روح الميت بالعالم السفلي كمخلوق يمتلئ من الريش . كما بقت الصلة قوية بين روح الميت في العالم الأسفل وجسده سواء أكان مدفوناً أم لا ، فروح الميت الذي دفنت جسده تكون مستقرة في عالم الموت ويظل استقرارها في الأخير يعتمد على استقراره في قبره . فنبتش القبر تحرم ارواح الموتى من

الراحة . وتظل أشباح الذين ظلوا بدون دفن غير مستقرة وتطارد الأحياء وتترك بهم الأذى . ولذلك اتخذ من بقاء الموتى دون دفن وتعريضه للكواسر والحيوانات وسيلة للانتقام من الأعداء لحرمان أرواحهم في عالم الموتى من الاستقرار . وشددت القوانين الآشورية على عقوبة المرأة التي ماتت أثناء الاجهاض . كما كان لأرواح الموتى صلة بعالم الأحياء تمكنها أن تشعر بما يحدث فيه وتتأثر به وذلك لعدة أيام بعد موت الشخص حيث جاء في نص (ان اورنامو كان يسمع بوضوح (عويل بلاد سومر) عليه ونزوله الى عالم الموتى كما غمره القلق هناك على أسوار أور وقصره الجديد لأنه مات قبل ان يكتمل بنائها) . وان حالة ارواح الموتى في العالم السفلي تعتمد على مكانة الميت في الدنيا سابقاً وما يقدمه ذوهه اليه من شعائر جنازية .

والقى المؤلف نظره شاملة على فكرة بعث الأموات حيث ان مصير الروح ومعاملتها في عالم الأموات لا يتقران بموجب حساب واضح . وكان ينجم عن ارتكاب الخطايا بنظرهم اضرار شديدة على الشخص المقترف للذنب ومديته . اما الثواب فاعتقدوا بأنه يأتي كجزء على أعمال الانسان الثقية امثال حسن سلوكه وتقديمه الضحايا للآلهة وصنعه التماثيل لها يكون كما يذكر المؤلف (بصفاء العيش وطول العمر) حيث تقرأ في نص (ان الخوف (من الآلهة) مدعاة للعطف وان القرابين تطيل العمر) . ان من يخاف الآلهة تطيل آلهة (الانوناكي) عمره . ولذلك وصفت الآلهة كولا (حافضة الحياة لمن يخافها) .

وفي الفصل الثالث بحث المؤلف العالم السفلي مثل اسماء المتعددة امثال (القبر ، الأرض العظيمة ، ارض الموتى ، الاراللو ، الأبو ، الأرض ، الأرض السفلى ، الأرض الفسيحة ، ارض اللا عودة ، أرض النحيب ، الصحراء أو السهل ، الخربة ، البادية ، القفر ، الجبل ، خوبر ، مسكن أركالا ، بيت دموزي ، بيت الأسر ، البيت الجبل ، كوتو ، بيت الظلام ، المدينة العظيمة الخ) . ثم موقعه فاعتقدوا ان القبر هو مدخله ، وله مدخل آخر بالجهة الغربية حيث تغرب الشمس ، ولها بوابات في بعض المدة مثل اوروك . واعتقدوا ايضاً ان بالامكان النفاذ الى العالم السفلي من اية حفرة عميقة بالأرض . ثم وصف المؤلف العالم السفلي كما تصوره العراقيون القدماء فهو الطبقة الأخيرة في الأرض ذات أسوار يتقدمها نهر خوبر الذي يعبر الموتى فيه الى خاص هو خط تبال . وهي محاطة بسبعة أسوار بيد الآلهة إيريش كيكال . وترك المؤلف ملخصاً بآلهة العالم السفلي امثال إيريش كيكال ، نركال ، واتباعهم من الآلهة الصغرى مثل نثار (مقرر المصير بالسومرية) ويده . ذمام ٦٠ نوعاً من الأوبة وهو وزير إيريش كيكال . ثم بلة

«موارد البلاذري عن الاسرة الاموية»

— في كتابه انساب الاشراف —

للدكتور: محمد جاسم حمادي المشهدي
عرض : الدكتورة اعتماد احمد القصيري

تعد دراسة موارد الكتب التاريخية العربية من اكثر الدراسات اهمية في دعم مناهج البحث العلمي الحديثة والسير بها في طريق أمينة ناجحة ، واية ذلك انها الوسيلة المؤدية الى الوقوف على مصادر المعلومات الاولى وتقييمها باعتبارها المنبع الاساسية لمعرفة بالوقائع التاريخية ، فيمكننا التعرف الى قيمتها استناداً الى دراسة كل مورد أصيل وصلته بالحدث التاريخي وتفاعله معه ، ويحتل كتاب «انساب الاشراف» للبلاذري (ت ٢٧٩) مكانة متميزة بين الكتب التاريخية الاولى ، اضافة الى شموله على معلومات واسعة ورائعة عن الامويين حيث اشتملت معلوماته عنهم على ثلث كتابه الانساب اضافة الى توثيقه لرواياته من خلال التزامه بسند الرواية .

لقد اقتضت الدراسة بأن يكون البحث في بابين رئيسيين . الاول منها خصص لدراسة البلاذري ومنهجه في كتاب الانساب ، وخصص الباب الثاني لدراسة انواع الموارد التي عني البلاذري بالاقادة منها . وقد جعل الباب الاول في اربعة فصول ، تناول في الفصل الاول منها «حياة البلاذري ومنزله العلمية حيث تناول فيه عصر البلاذري ونشأته من حيث اسمه ونسبه وعائلته ومولده ، وعنايته بطلب العلم ، ورحلاته الى البلدان الاخرى وسماحه فيها ، وصلاته الشخصية ، بالدولة العباسية ورجالاتها ، ومن ثم وفاته .

كما تناول بالدراسة اثار البلاذري ، وما بقي منها وما فقد منها ، وقدم ملخصاً عن كل كتاب منها نتيجة دراسته لها ، وابان فيه ما كان للرجل من منزلة علمية استناداً الى ما خلفه من آثار كتابية ، وإلى آراء العلماء المعاصرين له والذين جاؤا من بعده .

صيري كاتبة ايريش كيكال ، والملاح خمط تبال وحراس ابواب العالم السفلي السبعة ، ايشوم ، نن كيشزيدا ، آللوخبو ، نصير الشر (مخلوق له رأس طير واجنحة ويدان وقدمان بشرية ويطير بالعالم السفلي) ، اونوكو ، شلاك ، ممو - لمنو (معنى اسمه كل ما هو شر) ثم لوكال سولا (ملك الذهب) . كما تعرض المؤلف الى أصناف الشياطين في عالم الموتى الذين اعتقد بهم العراقيون القدامى .

وخصص الفصل الرابع الى طرق الدفن والشعائر الجنائزية سواء تحت ارضيات المساكن أو في القصور الملكية أو في المقابر سواء كانت داخل المدن أو خارجها أو بأضرحة مستقلة . ثم صنف المقابر الى (١) عامة (بسيطة أو مشيدة باللبن والآجر ، الابنية) . ثم التوايت وانواعها (خشبية ، فخارية) . ثم وضع الجثة واتجاهها بالقبر خلال مختلف المراحل التاريخية والمواقع في العراق والاثاث الجنائزي . (٢) القبور الملكية التي بحث فيها أضرحة ملوك سلالة اور الثالثة والملوك الآشوريين في اشور ومقبرة اور الملكية وتفسير الأضاحي البشرية التي دفنت مع الموتى بهذه المقبرة عند مختلف الباحثين المحدثين . كما عالج مواضيع شواهد القبور وما كان يدون عليها معطياً الأمثلة النصوصية ، وكذلك الدفن والشعائر الجنائزية ثم الحداد وندب الموتى .

وفي الملاحق الخاصة بالرسالة وضع المؤلف اسطورة نزول اناثا (عشتار) الى العالم السفلي السومرية والاكديية واسطورة تركال وايرش كيكال ورؤيا الأمير الآشوري كومايا عن العالم السفلي ثم اللوح الثاني عشر من ملحمة كلكامش .

وتوصل الباحث في هذا الفصل إلى أن البلاذري لم يكن فارسي النسب وأن من ادعى ذلك لم يقدم الدليل المنطقي الملموس ، وعلى العكس من ذلك أثبت أنه عربي النسب ، وقدم أدلة على ذلك ، كما بين أن الشيوخ الذين أخذ عنهم في بغداد والكوفة والبصرة وواسط والمدائن ، هم الذين أثروا في تكوينه الفكري وكانوا من أكثر الشيوخ الذين أفاد منهم في تأليفه لكتبه ولا سيما كتاب «انساب الاشراف» . كما توصل الباحث إلى أنه كان على صلة حسنة بالدولة العباسية ، وأن ضلته الحسنة هذه لم تؤثر في كتاباته تأثيراً سلبياً وحيثما تناول مؤلفات البلاذري بين أن كتاب «الفتوح» المطبوع هو كتاب «الفتوح الصغير» الذي أشار إليه مترجموه ، وهو ليس كتاب «الفتوح الكبير» الذي لم يتمه .

وتناول في الفصل الثاني عنابة العرب بالنسب ، فأبان أهمية النسب عند العرب قبل الإسلام وفي العصور الإسلامية ، ثم تحدث عن كل من عني بالنسب ، وقدم قائمة بهم ، ثم تناول المصنفين في الانساب قبل البلاذري وما وصل إلينا من مصنفاتهم ، وقد استطاع في هذا الفصل أن يبين أن تأكيدات الإسلام على تحريم العصية القبلية المقيتة لم يكن عاملاً من عوامل تفكك القبيلة ، ولأمانة للعناية بالانساب بل ظلت القبيلة تمثل الوحدة العسكرية في ميدان القتال ، وكانت أساساً للتنظيم الاجتماعي والإداري والمالي في الأمصار . وأهم ما في هذا الفصل هو الدراسة المنهجية التي وصلت إليها مما ألف حتى عصر البلاذري فقد درس منهاجها دراسة قائمة على دراسة الكتب نفسها ، وحاول أن يبين مدى إفادة البلاذري من تلك المناهج .

أما الفصل الثالث فقد خصصه للمنهج الذي اتبعه البلاذري في تنظيم كتابه . والأساليب التي سار عليها في عرضه ، فتناول عنوان الكتاب ، والخطة العامة له ، ولغة المؤلف في كتابه . وتناول في الفصل الرابع منهج البلاذري في استخدام الموارد وانتقاء المادة التاريخية ونقدها ، فأوضح فيه عنايته بالاسناد ، وتوصل إلى أن الاسانيد وتسلسلها وصحتها لا يقتضي بالضرورة أن يكون البلاذري قد أخذها عن شيوخه عن طريق المشافهة فقط ، وأوضح فيه أن الشيخ لا بد له من أصل مبدون يحدث منه والا ما قبلت روايته في الأغلب الأعم ، وقد أوضحت الدراسة للمعلومات التي أوردها البلاذري عن شيوخه بالاسانيد ودرسته الموسعة هؤلاء الشيوخ ، بأنه أخذ هذه المعلومات من ملونات ، وأن كان قد سمع بعضها على شيوخه ، أو أنه أخذ أذنًا بروايتها ، وهذه في رأيه من أبرز النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة .

أما الباب الثاني فقد اقتضت الدراسة أن يشمل على أربعة فصول كبيرة تناول في الفصل الأول المؤلفين السابقين الذين أفاد منهم سواء أكانوا من شيوخه الذين أخذ عنهم مباشرة أم من غير شيوخه ممن لم يدركهم ولكن كانت تأليفه معروفة في الوسط الثقافي أيامئذ ، وكان منهجه في هذا الفصل أنه لا يعد المؤلف مؤلفاً إلا عندما ينص أحد المترجمين له على أنه الف كتاباً أو كتباً ذكر عناوينها صراحة ، دال على اتصاله به أو سماعه عليه أو ينص أحد من ترجم للبلاذري فذكر أنه من شيوخه ، وقد جمع روايات كل مؤلف ورتبها وفق اسانيدھا التي اقتبسها البلاذري من ذلك المؤلف ثم سلسل ملخصها تاريخياً لكي تقدم فكرة واضحة عن طبيعة المادة التي تناولها ذلك المؤلف مما اقتبسها البلاذري عنه مع عنايته في كل ذلك بتحليل اسانيد هؤلاء المؤلفين إلى شيوخهم الأصليين للوقوف على مصادر معلومات تلك الموارد بغية التوصل إلى بيان قيمتها التاريخية .

وأظهرت الدراسة أن أكثر شيخ أفاد منه البلاذري في هذا الشأن هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت ، ٢٢٥هـ) ، ومن ثم محمد بن سعد (ت ، ٢٣٠هـ) ، أما المؤلفين من غير شيوخه ، فأبرزهم هشام بن محمد الكلبي (ت ، ٢٠٤هـ) ، والهيثم بن عدي الكوفي (ت ، ٢٠٩هـ) .

أما الفصل الثاني فقد خصصه لأصحاب التصانيف الذين لا نعرف أسماء مصنفاتهم . وهم مصنفون لم تذكر الكتب أسماء مصنفاتهم لسبب أو لآخر ، واقتصر على النص على قيامهم بالتصنيف أو صرح البلاذري بالنقل من تصانيفهم ، وقد قسم هؤلاء المصنفين إلى شيوخه وغير شيوخه ، وقام بتحليل اسانيد الروايات ، كما تم ترتيب الرواة تبعاً لوقائعهم ، وتم ترتيب ملخص المادة التاريخية التي اقتبسها عنهم ترتيباً زمنياً للوقوف على الهيكل العام لكل مصنف ، وأظهرت الدراسة أن أبرز شيوخ البلاذري في هذا الشأن هو أحمد بن إبراهيم الدوري البغدادي (ت ، ٢٤٦هـ) وعبدالله بن صالح العجلي (ت ، ٢١١هـ) وكثير غيرهم .

وخصص الفصل الثالث لموارده من الذين لم تذكر لهم مؤلفات سواء أكانوا من شيوخه أم لا . سيرهم ، وقد اقتبس البلاذري عن مجموعة من الأشخاص لم يذكر هو ولا غيره من مؤلفي كتب التراجم أن لهم تأليفاً بعينه أو أنهم قد عتوا بالتصنيف أصلاً ، وقد عني في هذا الفصل بتحليل الاسانيد ودراستها بعد تقسيمها على مجموعات تنتظم الرواة ، ودرس اسم كل من يرد فيها من حيث القوة والضعف ، للوقوف على قيمة تلك الاسانيد ، وقد أظهرت الدراسة أن أبرز شيوخه

هو عباس بن هشام الكلبي ، وحفص بن عمر العمري وكثير غيرهم ، وقد اظهرت دراسة هذا الفصل ان اغلب هؤلاء كانوا رواة لمؤلفين سابقين استخدموا البلاذري واسطة للوصول الى مؤلف معين ذكره في الاسناد في الاغلب الاعم ، بينما يحتمل ان يكون بعضهم قد الف او كانت له عناية بالتأليف ، ولم تذكر له كتب التراجم ذلك لانه لم يكن صاحب تأليف في موضوع معين ، ويرجح ان يكون ممن دون مرويته في دفتر خاص به .

اما الفصل الرابع فقد خصصه للمعلومات العامة التي اوردها البلاذري عن الاسرة الاموية ولم يسندها ، وقد رجح ان تكون هذه من المعلومات العامة المتداولة التي لا تحتاج الى مصادر ، واما ان يكون البلاذري قد اخذها من مؤلفات لم يذكرها ، واما - في احيان قليلة - هي استمرار لروايات طويلة عن شيوخه الذين يجمع اسانيدهم بلفظ «قالوا» ثم يذكر مرويته . وقد الحق رسالته بستة ملاحق .

«مساجد بغداد في العهد العثماني»

دراسة معمارية اثرية

للدكتورة اعتماد يوسف احمد القصيري
عرض : الدكتور محمد جاسم حمادي المشهدي

نظام تخطيط وعماره المساجد التي اقيمت في بغداد خلال فترة الاحتلال العثماني لم تدرس بصورة علمية وفنية كافية من قبل الباحثين العرب والاجانب ومن جهة اخرى فان اغلب هذه المساجد تعرضت للهدم واعادة بنائها من جديد وبعضها طرأ عليها بعض التغييرات . والبحث الذي تعرضه هنا والصادر باللغة العربية من تأليف الدكتورة اعتماد يوسف القصيري

ان فترة الاحتلال العثماني التي عالجتها الدكتورة اعتماد العمار العراقية خلالها تمتد من سنة ٩٤١ - ١٠٣٢ هـ - ١٥٣٤ - ١٦٢٢ م ومن سنة ١٠٤٨ - ١٣٣٥ هـ (١٦٣٨ - ١٩١٦ م) ضم الجزء الاول من الكتاب مقدمة وستة ابواب وخلاصة البحث .

المقدمة من (١-١٧) تناولت فيها عرض موجز للحالة السياسية والاقتصادية التي كان عليها العراق خلال تلك الفترة واستعرضت وصف الرحالة الاجانب والعرب لمدينة بغداد ، كما اشارت الى التعليم والثقافة وما اقيم فيها من مدارس علمية أنشأها الولاة وبعض الفاضلات من سيدات المجتمع العراقي ، واتت على الناحية الدينية واشارت الى اقتران الولاة الدين بالدولة وجعلوا من الدين رائدهم الاول ومما يدل عن ذلك قيام معظم الولاة ببناء مساجد وجوامع اقترنت بأسمائهم ولم يقتصر عمل الخير على الرجال وانما شاركت النساء ايضاً فكان هن النصيب الوافي . وخصصت المؤلفه الباب الاول من هذه الاطروحة لدراسة جامع المرادية وقسم هذا الباب الى خمسة فصول . الفصل الاول / ص ١٧ - ٣١ استعرضت فيه حياة الوالي مراد باشا واعماله العمرانية وكان ابرزها بناء جامع المرادية سنة ٩٧٨ هـ (١٥٧٠ م) ذكرت موقعه واصل تسمية المحلة التي يقوم فيها الجامع محلة الميدان ، وتاريخ البناء كما تناولت دراسة أصل

(١) اطروحة دكتوراه . نوقشت في اروقة كلية الآثار . جامعة القاهرة . عام ١٩٨٢ .

أرضية الجامع وفكرة إنشاء المدرسة حتمت بناء الجامع منذ صدر الإسلام واستمرار هذه الظاهرة في بناء مساجد بغداد والعالم الإسلامي في فترة الاحتلال العثماني واثت المؤلف في الفصل الثاني (ص ٣١ - ٣٩) على الأحداث التي جرت على البناء سنة ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م، وأعمال الصيانة وفي الفصل الثالث (ص ٣٩ - ٥٢) خصص للدراسة تخطيط البناء ومميزاته ومقارنته بتخطيط مساجد بغداد ومساجد اقطار العالم المعاري للمبني وتأصيل بعض العناصر المعمارية البارزة فيه منها مراحل انتقال القباب، القبو المحفل، الرواف، نظام تخطيط المهراب الواوين، وتأجيل ظاهرة استخدام قبة ذات شكل نصف كروي ونصف القبة في تغطية المباني الدينية، المئذنة، وظاهرة إقامة الدخلات في واجهات المباني أما الفصل الخامس فقد خصص للدراسة الزخارف المعمارية منها ١ - العقود بأنواعها. أ - العقد المدب. ب - العقد المطروح / العقد المستقيم / العقد النصف دائري. ٢ - المقرنصات حيث وجد - أ - مقرنص كروي، ب - مقرنص الخردة كار. ج - الم مقرنص كروي استطال شكله ظهر لأول مرة في المباني التي اقيمت في فترة الاحتلال العثماني، واصلت الزخارف النباتية الدقش العربي وقراءة النصوص المدونة على المبني بنحط الثلث والطغراء مع دراسة وتأصيل كلا الحطين.

الباب ب الثالث الفصل الاول (ص ١٦٩ - ١٨٠) استعرضت حياة الوالي حسن باشا وأعماله الحرية والعمرانية منها بناء جامع الوزير سنة ١٠٠٨ هـ مع ذكر اسباب البناء وتحقيق في اصل أرضية المبني وعالجت في الفصل الثاني الأحداث التي جرت على الجامع ومدرسته، وفي الفصل الثالث (ص ١٨٨٧ - ١٨٩) درست تخطيط البناء قبل عملية الهدم وتخطيطه الحالي ثم اثبت المؤلف في الفصل الرابع ص (١٩٤ - ٢١٩ على) على وصف البناء وتأصيل بعض العناصر المعمارية منها الشمسيات (القمريات) وذكر ما يمكن تواجدها في عارة مساجد بغداد ومساجد اقطار العالم الإسلامي / القبة المترودة بناقلة في قبتها وذكر اماكن تواجدها في عارة مساجد معظم اقطار العالم الإسلامي، وتأصيل خنية المهراب الجوفة والمغلقة ببلاطات خزفية وكذلك المنبر، وتأصيل حنايا الفصل الخامس قد خصص للدراسة الزخارف الهندسية والنباتية ودراسة النصوص المدونة على واجهات المباني المدونة بنحط كوفي مزوي الطرف. وكوفي هندسي الشكل وذكر مميزات كلا الحطين، والباب الثالث: الفصل الأول (ص ٢٤٦ - ٢٦١) خصص لدراسة حياة الوالي محمد باشا الخصاصكي أعماله العمرانية منها بناء جامع الخصاصكي سنة ١٠٩٩ هـ (١٩٥٨ م) اصل أرضية المبني محلة القرية تسمية حديثة ام قديمة

ولهذا فان ما قدمته المؤلفه يشكل اضافة علمية قيمة في ميدانها واعطت صورة موضوعية واضحة للممارسة العراقية خلال فترة الاحتلال العثماني وتطورها.

ذكرت ما اوقف عن المبنى والممرستين من اوقاف (ص ٤٩٦ - ٥١٥) وفي الفصل الثاني استعرضت الاحداث وما جرى على المبنى من اعمال صيانة (ص ٥١٦ - ٥٢٣)، اما مع تخطيط مساجد بغداد السالفة الذكر، وعالجتها في الفصل الرابع الوصف المعماري للبناء (ص ٥٣٤ - ٥٧٣) وشمل تأصيل ودراسة الاعمدة الرخامية، ذي التاج المركب العمودي الايوبي العمود الكورني، ودراسة الزخارف النباتية منها ورقة الاكنش، قرون الرخاء، الفواكه، الاشرطة الصرر والجوامع. كما تناولت قراءة الكتابات المدونة على واجهات المبنى وذكر ميزاتها منها كتابها خط كوفي هندسي، كوفي مربع وخط الثلث. واختتمت المؤلفه متابها كتابها بالباب السادس الذي خصص لدراسة جامع العادلية الكبير والصغير، الفصل الاول (ص ٦٥١ - ٦٦٢) تناولت الحديث عما حياة عادلة صفاتها واعمالها تاريخ بناء مجتمع جامع العادلية الكبير شسة ١١٦٨ هـ - ١٧٥٤م وعالجتها في الفصل الثاني ما جرى على المبنى من احداث وتطورات اما الفصل الثالث فقد شمل على وصف تخطيط البناء، والفصل الرابع خصص لدراسة الوصف المعماري وتناولت في الفصل الخامس والاخير دراسة الزخارف النباتية والهندسية وقراءة النصوص التركية وترجمتها الى اللغة العربية وذكر ميزاتها.

وفي النهاية افردت خاتمة انطوت على اهم النتائج التي توصلت اليها من خلال دراستها نظام تخطيط وعماره هذه المساجد.

الجزء الثاني من الكتاب:

انما للفائدة العلمية زودت البحث بمجموعة من الرسوم التخطيطية بلغ عددها ٢٤ تخطيط ارضي للمباني و١٩ قطاع طولي وافقي لكل مبنى كما زادت البحث بـ ١٥٣ شكلا يمثل الاشكال الهندسية والزخارف النباتية والكتابات المدونة بخط الثلث، والكوفي بانواعه، والطغراء، ونستعليق، وبعض هذه الاشكال تمثل عناصر معمارية منها العقود بانواعها، والاعمدة، والمقرنصات كما زود البحث بـ ١٥٤ صورة فوتوغرافية (اسود وايض) معظمها صورت من قبل صاحبة البحث، كما رافقت بهذا البحث ملحقا خاصا بوقفيات الجوامع بعضها تمثل الصورة الاصلية للوقفية مدونة باللغة التركية. مرفقة معها النص العربي، ترجمة الوقفية كما عيئت بعمل فهارس خصصت بعضها لوصف الصور واخرى للاشكال وثالثة للمقاطع والمخططات ورابعة للمراجع العربية والاجنبية بالاضافة الى فهرست الموضوعات.

ولم يكن الكتاب تجميعا للمعلومات والدراسات التي كتبها الباحثون والاجانب بل احتوى على دراسات ومعالجات علمية عميقة لانه لم تكن مدروسة من قبل

ندوة العَدَد

الندوة الدولية: «الخليج العربي والعالم الخارجي»

— بغداد ٢٩/٤ - ١/٥/١٩٨٤ —

مركز دراسات الخليج العربي (جامعة البصرة) مركز الدراسات العربية (لندن)

انعقدت في بغداد للفترة من ٢٩/٤ - ١/٥/١٩٨٤ الندوة الدولية (الخامسة) التي نظمها مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة بالاشتراك مع مركز الدراسات العربية - لندن .
ولقد شارك فيها عدد كبير من المفكرين والاساتذة والباحثين والسياسين العرب والاجانب والقيت على مدار ثلاثة ايام بحوث علمية عديدة تلها تعقيبات ومناقشات كثيرة ولقد سادت الندوة اجواء من الحوار الجدي والصريح والموضوعي لكافة القضايا والمشاكل التي يتعرض لها الخليج العربي .

القضايا الاساسية التي برزت في اجاث ومناقشات الندوة

اولاً - أكد كافة المتحدثين على أن منطقة الخليج العربي يجب أن تكون منطقة سلام واستقرار وتنمية وليست مسرحاً للصراعات الدولية أو الإقليمية . وبهذا الصدد فلقد أجمع المتحدثون ضرورة وضع حد للحرب العراقية الإيرانية بما يضمن السلام العادل والحقوق المشروعة

للطرفين وبهذا الشأن فلقد أعرب المشاركون عن تقديرهم لمسامحي العراق السلمية وقبوله لوقف إطلاق النار والتفاوض من أجل السلام كطريق أساسي لتسوية المشاكل بين البلدين ولقد اتفق المجتمعون على ضرورة بذل جهدا اكبر من قبل الجهات العربية الاسلامية والدولية المختلفة لأيقاف هذا التزييف الدموي حيث ان الجهود الحالية ليست بالمستوى المطلوب .

ثانياً - رأى اغلب المجتمعون أن أمن الخليج العربي يجب أن لا ينظر اليه بمعيار أمن أمداد النفط الى الدول الاجنبية فقط ، وانما بالاضافة الى ذلك أمن يقوم على استقرار وسلامة سكان المنطقة واقطارها . وبما يضمن تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي بعيداً عن التبعية ويوفر امكانيات التنمية الحضارية والاقتصادية وبما يحقق أوسع مشاركة سياسية لمواطني المنطقة .

أن الاعتماد المتزايد والكبير في الاقتصاد الخليجي على مورد منها بلغت اهميته ، فهو في التحليل الاخير احادي وناصب . ولذلك وحرصاً على مستقبل الاجيال الخليجية ذاتها فإن تنمية حقيقة يكون الوطن العربي ميدانها الفسيح هو أمر ضروري لمستقبل الخليج العربي ولبناء اقتصاده على اساس راسخة ومتينة .

أن تنمية كهذه لا بد لها ان تعتمد على العالة العربية بالاساس والاستهلاك الرشيد ، وضمن اطار التنسيق والتكامل الخليجي العربي . ثالثاً - أكد غالبية المجتمعون ان الخليج العربي لا يمكن ان ينظر اليه الا كجزء من الوطن العربي وقضاياها المصرية .

وبهذا الصدد فلقد نوقش البعدين العربي والاسلامي للخليج العربي ، ولم يجد المجتمعون ثمة أي تناقض بين عروبة الخليج وكونه والوطن العربي جزءاً من العالم الاسلامي حيث لا يمكن ان يوجد تناقض بين العروبة والاسلام .

ان محاولات افتعال تناقض بين الاسلام والعروبة لا اساس لها من الناحية التاريخية والواقعية ان هذا الافتعال يهدف الى اغراض سلبية بالدرجة الاولى تؤدي الى البعثة والتشردم بدلاً عن التضامن والاخوة الطيبين .

رابعاً - ان ازمة الخليج العربي الراهنة وتفاقم التدخل الخارجي في شؤونه انما تعكس في حقيقة الامر ازمة الأمة العربية ذاتها تلك الازمة التي تتضح معالمها في غياب استراتيجية واضحة للعمل العربي المشترك ، بل وفي قيام صراعات داخلية بين الاقطار العربية أو في داخل بعضها الاخر .

ان ذلك يشكل تهديداً جديداً للتضامن العربي والمصير العربي ذاته خاصة عندما تعتمد البعض على دعم قوى اجنبية في خلافاته مع هذا القطر العربي أو ذاك .

ان الاقطار العربية التي تواجه تحديات بالغة الخطورة ليس بوسعها الصمود والمقاومة بشكل منفرد . . . ان الاعداء لا يستهدفون قطراً معيناً بل كافة اراضي الوطن العربي وان من يتجاهل هذه الحقيقة يضر بمصالح الأمة العربية وأمن قطره بالذات .

ان القوى الكبرى في ممارساتها السياسية وانما تستهدف مصالحها الذاتية ، وعلى ذلك فإن الأمة العربية مطالبة بالاساس بوضع استراتيجية خاصة بها بهدف المحافظة على استقلالها من أجل تحقيق امال شعبها وقيام علاقاتها الدولية على اسس من التوازن والمصالح المشروعة والمشاركة .

ولقد كان هناك شعور قوي داخل الندوة بأنه من الضروري التمييز بين موقف الولايات المتحدة المناهض للمصالح العربية والمتحالين مع الكيان الصهيوني ، وبين الاتحاد السوفيتي الذي لاقت منه القوى العربية دعماً واضحاً .

خامساً - اعرب المجتمعون عن قلقهم البالغ من التهديدات الصهيونية لاقطار الخليج العربي واحتمال استخدام القوة النووية التدميرية في الوقت الذي قام به الكيان الصهيوني بالعدوان على المفاعل النووي السلمي في العراق .

ان هذا يحتم على الامم العربية وقفه جديده لاتخاذ الاجراءات المناسبة والحاسمة .

سادساً - اعرب غالبية المجتمعون عن رغبتهم في ان تمارس المجموعة الاوربية دوراً أكثر ايجابية في تفهم قضايا الخليج العربي والأمة العربية من أجل تحقيق المصالح المشتركة لأوروبا والعرب .

سابعاً - نوقشت احتمالات اغلاق مضيق هرمز وأبدى الكثير من المجتمعين استبعادهم لمثل هذه الاحتمالات وذلك لاسباب التالية . . أ - ان مثل هذا الاجراء سيضر بالاقتصاد الايراني بالدرجة الاساس اكثر من ضرره على دول الخليج .

ب - ان من شأن ذلك قطع طريق الامدادات العسكرية لايران نفسها .

ج - وتساءل البعض كيف يوسع ايران ان تستخدم سلاحها المستورد من الغرب للاضرار بالاقتصاديات العربية .

لذلك فلقد استتج غالبية المشاركون بأن هذا الاحتمال هو اما مجرد عملية ابتزاز يمارسه حكام ايران وانما انه يخدم موضوعاً كتبرير يقدمه هؤلاء الحكام للقوى العسكرية والاساطيل الغربية للتواجد في هذه المنطقة الحاسمة .

ان ذلك من شأنه خلق توتر كبير يعرض سكان واقطار المنطقة للتدخل الاجنبي .

وسيقوم كل من مركزي دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ومركز الدراسات العربية في لندن بتوزيع التقرير النهائي التفصيلي لهذه الندوة الدولية على اصحاب القرار العربي ومراكز الدراسات العربية والاجنبية التي تهتم بشؤون الشرق الاوسط .



من نشاطات الاتحاد العلمية

١ - تشكيلات الاتحاد في مجال النشر

اولا - الهيئة العربية العليا لكتابة تاريخ الامة العربية :

- | | |
|--------------------------------|--|
| ١ - الدكتور محمد عدنان البخت | مثل مشروع كتابة تاريخ بلاد الشام |
| ٢ - الدكتور عبد الجليل التيمي | الملكة الاردنية الهاشمية |
| ٣ - الدكتور عبدالرحمن الانصاري | مثل مشروع كتابة التاريخ العثماني |
| ٤ - الدكتور نبیه عاقل | الجمهورية التونسية |
| ٥ - الدكتور سلمان سعدون البدر | مثل كتابة تاريخ الجزيرة العربية |
| ٦ - الدكتور صالح احمد العلي | الملكة العربية السعودية |
| ٧ - الدكتور محمد الطاهر الجبري | مثل لجنة كتابة تاريخ العرب |
| | الجمهورية العربية السورية |
| | مثل هيئة كتابة تاريخ الامة |
| | دولة الكويت |
| | مثل هيئة كتابة تاريخ الامة العربية |
| | الجمهورية العراقية |
| | مثل مؤتمر تاريخ الامة العربية |
| | الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية |

ثانيا - لجنة تعضيد المنشورات التاريخية :

- | | |
|--------------------------------------|-----------|
| ١ - الدكتور فاضل عبدالواحد | (رئيسا) |
| ٢ - الدكتور حسن فاضل زهير | |
| ٣ - الدكتورة رجاء حسني الخطاب | |
| ٤ - الدكتورة صباح ابراهيم الشيعلي | |
| ٥ - الدكتور عبدالامير عبد دكسن | |
| ٦ - الدكتور قاروق عيسى فسرزي | |
| ٧ - الدكتور هاشم صالح الشكري | |
| ٨ - الدكتور يحيى السامري | |
| ٩ - الدكتور محمد جاسم حمادي الشهداني | |
| (مقسرا) | |

ثالثا - اللجنة الاستشارية للمنشورات التاريخية

المملكة الاردنية الهاشمية
دولة الامارات العربية المتحدة
دولة البحرين
الجمهورية التونسية
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جمهورية جيبوتي
المملكة العربية السعودية
جمهورية السودان الديمقراطية
الجمهورية العربية السورية
جمهورية الصومال
الجمهورية العراقية
سلطنة عمان
فلسطين
دولة قطر
دولة الكويت
الجمهورية اللبنانية
جمهورية مصر العربية
جمهورية موريتانيا الاسلامية
المملكة المغربية
الجمهورية العربية اليمنية
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

- ١ - الدكتور صالح الحارثي
- ٢ - الدكتور سلطان القاسمي
- ٣ - الدكتور سعيد خليل هاشم
- ٤ - الدكتور محمد الهادي الشريف
- ٥ - الدكتور محمد البشير شنيقي
- ٦ - الاستاذ محمد عبدالله ريراش
- ٧ - الدكتور يوسف الثقفي
- ٨ - الدكتور تاج السر أحمد حران
- ٩ - الدكتور عادل زيتون
- ١٠ - الاستاذ محمد علي كريم
- ١١ - الدكتور ابراهيم خليل أحمد
- ١٢ - الاستاذ علي احمد الشفري
- ١٣ - السيد أحمد العناني
- ١٤ - الدكتور حسن محمد صالح
- ١٥ - الدكتور عبدالمالك التميمي
- ١٦ - الدكتور عمر عبدالسلام تدمري
- ١٧ - الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن
- ١٨ - الدكتور محمد المختار بن ريان
- ١٩ - الدكتور عبدالهادي التازي
- ٢٠ - الدكتور حسين عبدالله القمري
- ٢١ - الدكتور محمد عكاشة

قام الاتحاد بنشر الكتب التالية :

- ١ - كتاب يوميات البصرة إيجزئين تأليف الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار والدكتور عبدالامير محمد أمين (بيروت ١٩٨٠) باللغة الانكليزية
- ٢ - بحوث مهرجان المؤرخ توينبي (بغداد ١٩٧٩) باللغة الانكليزية والعربية وأشرف على اعدادها الدكتور هاشم التكريتي والدكتورة عالية سوسة
- ٣ - الحركة الصهيونية في تونس من الفترة ما بين (١٩١١ - ١٩٢٧) تأليف الاستاذ التيمومي (بيروت ١٩٧٩)
- ٤ - نشأة الحركة الاباضية الدكتور عوض خليفات (عمان ١٩٧٨)
- ٥ - ملامح النهضة العلمية في العراق من القرنين الرابع والخامس الهجريين (٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ) (١٤٥ م - ١٠٥٨ م) للدكتور محمد حسين الزبيدي (بيروت ١٩٨٠)
- ٦ - ديوان جواهر الملوك في مدياح الملوك ، للشاعر هلال بن سعيد بن عرابة العماني تحقيق الدكتور داود ملوم (بيروت ١٩٧٩)
- ٧ - القبائل العربية في المشرق خلال العهد الاموي (٤٠ - ١٣٢ هـ / ٦٠٠ - ٧٤٩ م) للدكتور فاجي حسن (بيروت ١٩٨٠)
- ٨ - حضارات الوطن العربي كخلفية للدين اليونانية للدكتور سامي سعيد الاحمد (بيروت ١٩٨٠)
- ٩ - الامير مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، للدكتور عواد مجيد الاعظمي (بيروت ١٩٨٠)
- ١٠ - مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني للدكتور فاروق عمر فوزي (بغداد ١٩٧٩)
- ١١ - المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية للدكتور سامي سعيد الاحمد (بغداد ١٩٨١)
- ١٢ - دراسات تاريخية لمعاهدات الحدود الشرقية للوطن العربي للدكتور مصطفى عبدالقادر النجار (بيروت ١٩٨١)
- ١٣ - فلسطين تاريخها وحضارتها للدكتور عز الدين غربية (بيروت ١٩٨١)
- ١٤ - كتاب المسعودي مؤرخا للاستاذ عبدالرحمن الزاوي (بغداد ١٩٨٣)
- ١٥ - مقدمة في التصوف وحقيقته للامام أبي عبدالرحمن السلمي البغدادي تحقيق الاستاذ الدكتور حسين أمين (بغداد ١٩٨٤)
- ١٦ - فيمارس مجلة المؤرخ العربي للدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني (بغداد ١٩٨٤)
- ١٧ - النظام الاساس لاتحاد المؤرخين العرب (الكويت ، ١٩٧٥)
- ١٨ - دليل اتحاد المؤرخين العرب للدكتور محمد جاسم المشهداني ، والاستاذ علي محسن الظاهر (عمان ، ١٩٨٦)

ثانيا - الكتب التي تحت الطبع :

- ١ - كتاب سخطونة الفاخر في اخبار العرب الاواخر، تحقيق الدكتور رمزية الاطرقجي .
- ٢ - كتاب المستنصرية في التاريخ ، لنخبة من المؤرخين والباحثين .
- ٣ - كتاب دليل المؤرخين العرب .
- ٤ - كتاب دليل رسائل الماجستير والدكتوراه في التاريخ .
- ٥ - كتاب دليل المراكز التاريخية الدولية (باللغة الانكليزية) .
- ٦ - كتاب دليل اتحاد المؤرخين العرب في الصحافة المراقية والبرية والعالمية .

ثالثا - المجلة

قام الاتحاد بأصدار مجلة تاريخية علمية وهي (مجلة المؤرخ العربي) تحتوي على الناجات العلمية الجيدة للمؤرخين والباحثين العرب .

أن الاتحاد يعتزم تطوير مجلة المؤرخ العربي وجعلها أكثر ملائمة مع تطور الدراسات والمفاهيم العلمية ، وقد تم الان أصدار (٢٦) عدد من المجلة اعتبارا من سنة ١٩٧٥ تاريخ صدور العدد الاول ولحد الآن (١٩٨٦) وهو تاريخ صدور العدد السادس والعشرين .

علما أن الاعداد الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين والحادي والثاني والثالث والرابع والثلاثين تحت الطبع .

من نشاطات الاتحاد في مجال الندوات والمؤتمرات اعتباراً من ١-٩-١٩٨٤

أولاً - المؤتمرات والندوات التي نظمها وسينظمها الاتحاد :

١ - المؤتمرات التي تم عقدها خلال العام الدراسي العاشر

- ١ - ندوة تأصيل المقام العراقي تاريخياً بغداد ١-٩/١٠-١٩٨٤ .
- ٢ - الشهيد في التاريخ العربي الاسلامي بغداد ١-١٢-١٩٨٤ .
- ٣ - المخطوطات والتراث ٢٢-١٢-١٩٨٤ .
- ٤ - مكافأة الاسير في التاريخ العربي الاسلامي ١٨-١-١٩٨٥ .
- ٥ - الدول الكبرى والقضية الفلسطينية ١٨-٢-١٩٨٥ .
- ٦ - المستنصرية مدرسة وجامعة (بالاشتراك مع الجامعة المستنصرية) ٤-٥-١٩٨٥ .
- ٧ - حركة مايس ١٩٤١ ، ٢-٥-١٩٨٥ .
- ٨ - تطور الفكر العربي القومي (اتحاد المؤرخين العرب ، بالاشتراك مع مركز دراسات الوحدة العربية ، والمجمع العلمي العراقي ، ومركز البحوث والدراسات العربية) ٨/١٠-٥-١٩٨٥ .
- ٩ - الندوة العلمية الاولى لمدراء تحرير المجلات الانسانية ٢٧-٦-١٩٨٥ .

ب - المؤتمرات والندوات التي ينوي الاتحاد عقدها حتى نهاية عام ١٩٨٦

- ١ - البطل في التاريخ بالاشتراك مع وزارة الثقافة والاعلام .
- ٢ - الاسطورة بين الواقع والخيال في حضارة العراق القديم .
- ٣ - الحضارة العربية الاسلامية .
- ٤ - الاسلام والقومية .
- ٥ - المشرقون والتاريخ العربي .
- ٦ - التحدي الشعبي للامة العربية (بالاشتراك مع نقابة المعلمين) .
- ٧ - جوانب من تاريخ ايران الحديث والمعاصر .
- ٨ - كتابة تاريخ الامة العربية ، ضرورة وطنية وقومية ، بالتعاون مع هيئة كتابة التاريخ العراقية .

ثانيا - المؤتمرات العربية والعالمية التي شارك ويشارك بها الاتحاد

اسم المؤتمر او الندوة	مكان انعقاد	الجهة المنظمة	التاريخ
١ - مؤتمر الثروة النفطية - ولاية نيوجرسي واثرها على السياسة العربية المعاصرة	ولاية نيوجرسي الامريكية	جامعة روجر	آب/١٩٨٤
٢ - ندوة الحوار العربي الاوربي - ميلانو، كادانيا ايطاليا	ميلانو، كادانيا ايطاليا	المعهد الدولي العالمي التابع لمؤسسة كونزاداناور	١١/٢٥ - ١٢/١٩٨٤
٣ - الاجتماع الثالث للتنسيق بين - تونس مقرر الامانة العامة/الجامعة العربية/ الادارة العامة لشؤون الاعلام العربية المنظمات والاتحادات العربية	تونس مقرر جامعة الدول العربية	جامعة الدول العربية الادارة العامة لشؤون الاعلام	١٠/٩ - ٣/١٩٨٥
٤ - المؤتمر الثالث للعلاقات - جامعة اليرموك العربية التركية	جامعة اليرموك	جامعة الاردن / جامعة اليرموك جامعة مؤتة	٢٥/٢٠ - ٤/١٩٨٥
٥ - ندوة التحديات الحضارية - سلطنة عمان والغزو الثقافي لدول الخليج العربي	سلطنة عمان	مكتب التربية لدول الخليج العربي	١٧/١٥ شعبان ١٤٠٥
٦ - اجتماعات الدورة (٤٣) للجنة - تونس مقرر الدائمة للاعلام العربي	تونس مقرر الجامعة العربية	جامعة الدول العربية الادارة العامة لشؤون الاعلام	٣٠/٢٩ - ٦/١٩٨٥
٧ - الدورة العادية (٢١) لمجلس - تونس/مقرر وزراء الاعلام العربي	تونس/مقرر الجامعة العربية	جامعة الدول العربية الامانة العامة لشؤون الاعلام	٣/٢ - ٧/١٩٨٥
٨ - اجتماع الامانة العامة للخليج - جامعة صنعاء العربي والجزيرة العربية	جامعة صنعاء	مركز البحوث اليمني	٧-١٩٨٥
٩ - اجتماعات الدورة (٢٧) للمجلس - تونس/مقرر التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	تونس/مقرر الجامعة العربية	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والامانة العامة للمجلس التنفيذي والمؤتمر العام	١-٩/٧/١٩٨٥
١٠ - الدورة التدريبية العربية في - قابس/تونس طرق التدريس واستخدام التقنيات التربوية	قابس/تونس	الاتحاد العربي التقني بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التونسية	٦/٢٨ - ١٢/٧

اسم المؤتمر أو الندوة	مكان الانعقاد	الجهة المنظمة	التاريخ
١١- ندوة حول ثورة أكتوبر والعالم الثالث - شتوتغارت ألمانيا الاتحادية		معهد البحث العلمي السوفياتي	آب/١٩٨٥
١٢- الاجتماع السادس عشر لمؤتمر ألمانيا الاتحادية ،		المنظمة العالمية للعلوم التاريخية	٨٥-٩/١-٨/٢٥
١٣- الحلقة الدراسية في ادارة وتطوير التعليم التقني	بغداد	الامانة العامة	
١٤- ندوة الوحدة العربية تجاربها - جامعة صنعاء		الاتحاد العربي للتعليم التقني	١٠/٢-٩/٢٥
١٥- المؤتمر السنوي لجمعية - مدينة اورليانس دراسات الشرق الاوسط الولايات المتحدة الامريكية		مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة صنعاء	٩٨٦/٢/١٢-١٧
١٦- المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك - الرياض/جامعة عبدالعزيز آل سعود		الامام محمد بن سعود الاسلامية بالتعاون مع الاتحاد المؤرخين العرب	١٩٨٦
١٧- الندوة العلمية الاولى لدراسة مصادر تاريخ البصرة	جامعة عدن		
١٨- اجتماع الدورة التاسعة للامانة - بغداد العامة لمراكز الخليج والجزيرة العربية			١٩٨٦
			١٩٨٦



Finally the Union plans to participate in these conferences:

- 1 - The Arab Union : Experience and Expectations,
University of Sana,
The Yemen, February 1986.
- 2 - Annual East Association New Orleans, U.S.A. 1986.
- 3 - History of King Abdul Aziz al-Siud,
Riyathe, 1986.
- 4 - References on Basra History 1986.
- 5 - History of Yemen, Aden, 1986.
- 6 - Strategies of Arab Policy,
- 7 - Meeting of Arab Gulf and Arab Peninsula Centers,
Baghdad 1986.

A quarterly Issued by :
The Union of Arab Historians
Baghdad
No. (27) (1985.
Eleventh Year (1405) A.H.



Besides, the Union did participate lately in these conferences :

- 1 - Oil Wealth, U. S. A. August 1984.
- 2 - The Arab -- European Dialogue,
- 2 - The Arab -- European Dialogue,
Italy, November, 1984.
- 3 - Third Meeting between the Arab League and Arab Unions,
Tunis, February, 1985.
- Arab -- Turkish Relations,
Jordan, April, 1985.
- 5 - Cultural Challenges in the Arab Gulf,
Uman, Shabaa, 1405 A.H.
- 6 - Meetings of Permanent Committee of Arab Information,
Tunis, June, 1985.
- 7 - Meeting of Arab Information Ministers,
Tunis, July, 1985.
- 8 - Meeting of General Secretariats of the Arab Gulf and
Arab Peninsula,
Sana'i (the Yemen) July 1985.
- 9 - Meeting of the Executive Board of the ALECSO,
- 10- Technology in Methods of Teaching,
Tunis, July 1985.
- 11- October Revolution Stuttgart, Federal Germany,
August 1985.
- 12- International Conference on Biological Sciences, Stuttgart,
Federal Germany,
August, 1985
- 13- Seminar of Developing Arabic Institutes Technical Teaching,
Baghdad, November, 1985.
- 14- Liberated Africa,
Ethiopia, November, 1985
- 15- Iraq in the Revolution,
Mosel, November, 1985.
- 16- Arab Gulf Ports,
Baghdad, January, 1986.

THE JOURNAL

The Union is issuing an academic historical journal (the Arab Historian), which includes the truly academic product of Arab historians and researchers.

The Union plans to develop this journal and make it more suitable to scientific studies.

It has published 25 issues since 1975 till now (1985) the publishing of the twenty -- fifth issue.

Issues No. 26 through 30 are under print.

CONFERENCES

The Union recently arranged these conferences :

- 1 - The Iraq Maqam from a historical point of view,
October 1, 1984.
- 2 - The Martyr in Arabic Islamic History,
December 1, 1984.
- 3 - Manuscripts and Heritage,
December 22, 1984.
- 4 - The Martyr's place in Arabic Islamic History,
January 8, 1985.
- 5 - Super Powers and the Palestinian Issue,
February 18, 1985.
- 6 - May Movement, 1941,
May 2, 1985.
- 7 - Al-Mustansiriyya : A School and a University,
May 4, 1985.
- 8 - Development of National Arab Thought,
May 8, 1985.
- 9 - First Scientific Symposium of Editors - in - chief of Humanitarian Journals,
June 27, 1985.

THE UNION'S ORGANIZATIONS

A. The Upper Committee for Writing Arab's History

- 1 - Dr. Mohamed A. Bkheet, Jordon.
- 2 - Dr. Abdul Jaleel Timeemi, Tunisia.
- 3 - Dr. Abdul Rahman Al-Ansaari, Saudi Arabia.
- 4 - Dr. Nabeeh Akil, Syria.
- 5 - Dr. Salman Al-Badr, Kuwait.
- 6 - Dr. Sahil A. Al-Ali, Iraq.
- 7 - Dr. Muhwi Al-Jaraari, Libya.

B. The Union's Committee for subsidizing historical publications :

- 1 - Dr. Fadhil Abdul Wahid, Chairman.
- 2 - Dr. Hasan F. Zain.
- 3 - Dr. Raja H. Al-Khattab.
- 4 - Dr. Sabah Al-Shekhli.
- 5 - Dr. Abdul - Ameer Diksin.
- 6 - Dr. Farouq U. Fawzi.
- 7 - Dr. Hashim Al-Tikreeti.
- 8 - Dr. Yihya Al-Shahirli.
- 9 - Dr. Mohamed Jasim Al-Mashhadaani, Secretary.

CONSULTATIVE COMMITTEE

- 1 - Dr. Salih Al-Hamaarna, Jordon.
- 2 - Dr. Sultan Al-Qasimi, Arab Emarites.
- 3 - Dr. Said Khalil Hashim, Bahrain.
- 4 - Dr. Mohamed Al-Shareef, Tunisia.
- 5 - Dr. Mohamed Shneiti, Algeria.
- 6 - Mr. Abdulla Rirash, Giboti.
- 7 - Dr. Yousif Al-Thaqafi, Saudi Arabia.
- 8 - Dr. Taaj as-Sir Heran, Sudan.
- 9 - Dr. Adil Zaytoon, Syria.
- 10- Mr. Muhamed Ali Kareem, The Somalia.
- 11- Dr. Ibraheem Ahmed, Iraq.
- 12- Mr. Ali Al-Shanfari, Uman.
- 13- Mr. Ahmed Al-Anaani, Palestine.
- 14- Dr. Hasan M. Salih. Qatar.
- 15- Dr. Abdul Malik Al-Timeemi, Kuwait.
- 16- Dr. Umar Tadmuri, Lebanon.
- 17- Dr. Abdul Raheem Abdul-Rahmaan, Egypt.
- 18- Dr. Mohamed Bin Rayaana, Moritanya.
- 19- Dr. Abdul Hadi Al-Taazi, Yemeni People's Republic.
- 20- Dr. Fawzi Abdulla Al-Qamari, Yemeni People's Republic.
- 21- Dr. Ahmad Hassan Al-Nasra, Democratic People's Republic of North Korea.

BOOK REVIEW :

- 1 - Al-Masudi's Study of Religious Beliefs,
By Dr. Muhamed Jasim Al-Mashhadaani.
- 2 - Iraq in British Documents in 1936,
By Dr. Muhamed Ibraheem.
- 3 - Palestine, by Dr. Sami S. Al-Ahmed.
- 4 - Political Thought in Iraq 1914 -- 1958,
By Dr. Usaama ad-Doori.
- 5 - Wasit in Abaside Era,
By Dr. Hamdaan Al-Kubaisi.

THESES :

- 1 - Iran in the First World War,
Exposed by Dr. Usaama ad-Doori.
- 2 - Aden 1083 -- 1221,
Exposed by Shayif Said.
- 3 - Post Death Beliefs,
Exposed by Dr. Sami S. Al-Ahmed.
- 4 - Al-Balathery's References,
By Dr. Aetemad Al-Qasiri.
- 5 - Baghdad Mosques in Ottoman Era,
By Dr. Muhamed J. Al-Mashhadani.

The Issues Symposium :

**The Arab Gulf and the Outside World,
Babhdad, April 29 -- May 1, 1984.**

- 13- Dr. Khaleel I. Al-Samurai.
College of Education,
University of Mosul :
Iraqi Impact on Andulus.
- 14- Dr. Mahmood Yaseen,
College of Arts,
University of Mosul:
Historical Insight of Ibn -al-Atheer.
- 15- Dr. Khaleel Sh. Husain,
College of Education,
University of Mosul:
Ibrahim bin Al-Ashtar.
- 16- Dr. Shakir M. Abdul Munim,
Institute of Teachers, Baghdad :
Al-Khazraji's Works.
- 17- Mr. Salih M. Abbas,
Legacy Centre :
Muhammed Al-Salami.
- 18- Dr. Hasan Al-Hakeem,
College of Islamic Law,
Al-Najashi Al-Asadi.
- 19- Dr. Salahaddeen Ameen,
University of Mosul.
Movement of Amru Al-Ashdag.

ANCIENT HISTORY

- 20- Dr. Sami Al-Ahmed,
College of Arts,
University of Mosul,
University of Baghdad :
Herodutus and his Works.

CONTENTS

A. CONTEMPORARY HISTORY :

- 1 - Dr. Nitham al-Abbasi, Uni. of Yarmouk,
The Impact of the Nazi Pursuit to Jews on developments of
Zionist movement.
- 2 - Dr. Nori al-Samurai, Uni. of Baghdad.
The Conflict between England and Russia in Central Asia
- 3 - Dr. Ahmed Dyaab, Institute of Arabic Studies in Baghdad.
The Social and Political Situation in Sudan 1925 -- 1936.
- Dr. Hashim Salih al-Tikreeti, Uni. of Baghdad.
The German Extension in the Arabic Orient.
- 5 - Dr. Nori Khaleel al-Mustansiriyya Uni.
The Historian Tomas Calile.
- 6 - Dr. Hadi A. Mukhlif, al-Mustansiriyya Uni.
The Zionist Greed in the Arab Land.
- 7 - Mr. Ali Shakir Ali, Uni. of Mousil.
Financial Organizations in Basrah in the Sixteenth Century.

B. ARABIC - ISLAMIC HISTORY:

- 8 - Dr. Sabah al-Sheikhli, Uni. of Baghdad.
New Facts about al-Murabitiya Movement.
- 9 - Dr. Abdul Qadir al-Maathedi, Uni. of Baghdad.
The Role of Iraqi Princes in the Movements of Liberation
in the Umayyat Era.
- 10- Dr. Ibrahim Kh. Ahmed, Uni. of Mosil.
Impact of Ibn al-Atheer on Historical Writings.
- 11- Swadi Abid Mohamed, Uni. of Basrah.
Hajib Bab al-Nobi.
- 12- Dr. Mohamed J. Al-Mashadani, Al-Mustansiriyya Uni.
Writings on Arab Originality as a weapon against anti-Arab
Challenge.

EDITORIALS :

With great pride the office of the General Secretary of the Union of Arab Historians issues this new edition of Al-Muarrikh Al-Arabi Bulletin. It is number 27. The hard era which the Arab Nation passes now puts great responsibilities on the Arab historian, in order to turn history a decisive weapon against enemies. So, Arab historians bring back the glorious history of the Arabic Nation so that this history may contribute to the welfare and the progress of all Arabs today, and so that the Arab historians may successfully show the authentic aspects of all Arabs.

This is Why we do urge Arab historians to exert all their efforts in rewriting the history of the Arab Nation in a better way. For this reason, an upper committee for rewriting Arab history has been formed, and the union will hopefully play its vital role in enabling Arab historians in this great job.

Prof. Mustafa Al-Najjar
General Secretary
of the Union of
Arab Historians
Editor - in - Chief.

EDITORIAL BOARD

- 1 - Prof. Dr. Mustafa A. Q. Al-Najjar, General Secretary of the Union of Arab Historians, Editor -- in -- Chief.
 - 2 - Dr. Mohammed J. H. Mashhadaani, Managing Editor.
 - 3 - Dr. Aliya Sosa, Foreign Correspondence.
 - 4 - Dr. Husain Al-Kahwaati, Secretary.
 - 5 - Dr. Nazaar A. L. Al-Hadeethi, Director of Association of Iraqi Historians and Archaeologists.
 - 6 - Dr. Abdul Munim Rashaad, Head of Association of Historians and Archaeologists in Musil.
 - 7 - Dr. Jihaad Salih Al-Umar, Head of Association of Historians and Archaeologists in Basrah.
-

CONSULTATIVE BOARD :

- 1 - Dr. Joseph Gawanme, Jordan.
- 2 - Dr. Aisha as-Sayyar, Arab Amerites.
- 3 - Shekha Hiya Al-Khalifa, Behrain.
- 4 - Dr. Naziha Mahjoub, Tunisia.
- 5 - Mr. Muhamed Towani, Algeria.
- 6 - Mr. Said Ahmed Giboti.
- 7 - Dr. Abdulla Al-Farooqi, Saudi Arabia.
- 8 - Prof. Amir M. Al-Huiri, Oman.
- 9 - Dr. Joseph Fathel, Lebanon.
- 10- Dr. Layla Al-Sabag, Syria.
- 11- Dr. Mohamed Mukk, Oman.
- 12- Dr. Wameeth, Oman.
- 13- Dr. Khayriya Qasbi, Jordan.
- 14- Dr. Mustafa Al-Qanai, Kuwait.
- 15- Dr. Najat A. Q. Al-Qanai, Kuwait.
- 16- Dr. Masud Dhahir, Lebanon.
- 17- Dr. Najah Al-Qabsi, Libya.
- 18- Dr. Rauf Abbas Hamid, Egypt.
- 19- Mr. Muhamed Al-Hanash Walad, Muhammed Salih, Mauritania.
- 20- Dr. Ahmed Bu-Sharib, Morocco.
- 21- Dr. Joseph Abdulla, North Yemen.
- 22- Dr. Salih Ramathan, South Yemen.

ANNUAL SUBSCRIPTION :

	Inside Iraq	Outside Iraq
1 - Governmental and Semi-	50 dinars	150 dollars
Governmental Offices	20 dinars	60 dollars
2 - Historians		
3 - Students of History	10 dinars	30 dollars

All Correspondence : To Editor -- In -- Chief

P.O. Box 4085

Baghdad -- Iraq

Union of Arab Historians.

Tel. 4448006

REQUIREMENTS OF PUBLICATIONS

- 1 - Research should be truly academic.
- 2 - It coincide with aims of the union.
- 3 - Not more than 50 pages.
- 4 - Original and not sent elsewhere.
- 5 - May cover any area in history, and written either in Arabic or in English.
- 6 - Title typed on a sepearte sheet, with names of researchers in full.
- 7 - Typed in two copies on every other page, and properly numbered.
- 8 - In case the research is delivered in a conference, this may be foot -- noted.
- 9 - Foot -- notes unified and correctly numbered.
- 10- All papers are evaluated before being admitted.
- 11- Papers are artistically ordered.
- 12- Address and name clearly written in English.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

THE ARAB HISTORIAN

AL — MUARRIKH AL — ARABI

A QUARTERLY ISSUED BY :

THE UNION OF ARAB HISTORIANS

BAGHDAD



NO (27) (1985)

ELEVENTH YEAR (1405) A.H.



مرکز تحقیقات کتب ویر علوم اسلامی

THE ARAB HISTORIAN

AL — MUARRIKH AL — ARABI

A QUARTERLY ISSUED BY :

THE UNION OF ARAB HISTORIANS

BAGHDAD

NO (27) (1985)

ELEVENTH YEAR (1405) A.H.